

في تفسير القرآن الكريم

السيد علي عجايب بايع الماكزنا وفرايب لادبا باهر

تأليف

الاستاذ الحكيم شيخ طنطاوي جوهري

المدرس بالجامعة المصرية ومدرسة دار العلوم سابقا
متع الله المسلمين بحياته آمين

المجلد الثاني عشر

طبع بطبعة

مصطفى البابی الحسینی وأولاده بمصر

وتحقيق الطبع محفوظ

بمباشرة - محمد امين محمد

جادی الثانية - ١٣٤٧ هـ

وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ سورة النور مدنية وهي أربع وستون آية ﴾

(وهي ثلاثة أقسام)

﴿ القسم الأول ﴾ في أحكام القذف والزنا وبراءة أم المؤمنين وما يتبع ذلك من المواعظ من أول السورة الى قوله - لهم مغفرة ورزق كريم -

﴿ القسم الثاني ﴾ من قوله - يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا - الى قوله - وموعظة للتيقن - وذلك في آداب المعاشرة وآداب الرجال والنساء

﴿ القسم الثالث ﴾ في عجائب السموات والأرض وأحوال الكفار والمؤمنين وما يتبع ذلك من الآداب الواجبة العامة من قوله - الله نور السموات والأرض - الى آخر السورة

(الْقِسْمُ الْأَوَّلُ)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * الزَّانِيَةُ
وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ
تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيْشِمَهُمَا عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا
زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ * وَالَّذِينَ
يَزْمُونَ الْخِصَصَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً

أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ *
وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ
بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ * وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * وَيَدْرُوْا
عَنْهَا الْعَذَابَ أَنَّ تَشْهيدَ أَرْبَعِ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ * وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ
عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ * وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ *
إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ
أَمْرٍ مِنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ * لَوْلَا إِذْ
سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ * لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ
بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ * وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ
عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ * إِذْ تَلَقَّوْنَهُ
بِالسِّنِّتِكُمْ وَقُولُونَ بِأَفْوَهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ *
وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ *
يَسْطُرُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ
عَلِيمٌ حَكِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ
رَحِيمٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ
فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا
وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ
يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ
يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْفَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ
بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ *

الْحَمِيمَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ *

التفسير اللفظي

(بسم الله الرحمن الرحيم)

هذه (سورة أنزلناها وفرضناها) وأوجبنا ما فيها من الأحكام وألزمناكم العمل بها وكذلك من بعدكم الى يوم القيامة (وأزلنا فيها آيات بينات) واضحات (لعلكم تذكرون) لكي تتعلموا بالأمر والنهي فلا تعطوا الحدود

﴿ حكم الزنا ﴾

(الزانية والزاني) فيما فرضنا أو فيما أنزلنا حكم الزانية والزاني ويصح جعل الزانية والزاني مبتدأ خبره (فاجلدوا كل واحد منهما مئة جلده) الجلد ضرب الجلد فلا ينبغي أن يصل الى اللحم وهذا فرض على الأمة كلها يقوم مقامهم الامام لتعذر اجتماعهم وهذا الحكم لمن استوفى الشروط في وجوب الحد وهي البلوغ والعقل ويجب أن يفترّب عاما عند الشافعي لشبوته في السنة . وكل أبو حنيفة أمر بالتغريب لرأى الامام ويجب على العبد والأمة نصف الحد ولارجم عليهما وهذا حكم غير المحصن . أما المحصن فيزيد على ما تقدم أن يكون حرا مسلما متزوجا بنكاح صحيح وقد دخل بها والاسلام ليس بشرط عند الشافعي محتجا برجه عليه الصلاة والسلام يهوديين وحكم المحصن الرجم . ويرى مالك في غير المحصن كما يرى الشافعي ولكن المرأة لا تفترّب . ويرى الحنفية أن التغريب المروي في الحديث منسوخ كما نسخ الحدس والأذى في قوله - فامسكوهن في البيوت - وقوله - فاكذوهما - بهذه الآية (ولا تأخذكم بهما رأفة) رجة ورقة فتعطوا الحدود أو تخففوا الضرب بل يكون في الزنا أشد من الغربة وفي الغربة أشد من حد الشرب أو يخفف في الأخير ويشدد في الأولين على الخلاف في المذهب وقوله (في دين الله) أي في حكم الله * روى انه عليه الصلاة والسلام قال ﴿ لو سرق فاطمة بنت محمد لقطعت يدها ﴾ * وروى أن عبد الله بن عمر جلد جارية له زنت فقال للجلاد اضرب ظهرها ورجليها فقال له ابنه ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله فقال يا بني إن الله لم يأمرني بقتلها وقد ضربت فأوجعت ، ومعنى قوله (إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) أن المؤمن لا تأخذ الرأفة اذا جاء أمر الله أي اذا كنتم تؤمنون فلا تتركوا اقامة الحدود (وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين) وذلك ليزيد التشكيل والطائفة أقلها ثلاثة وقيل رجل أو اثنان والمراد حصول التشهير فقد يكون التفضيح أكثر تعذيبا من التعذيب . ولما كانت الاشكال تحق الى أشكائها وكان ضعفة المهاجرين قد هموا أن يتزوجوا بغايا يكرهن أنفسهن لينفقن عليهم من أكسابهن على عادة الجاهلية نزل قوله تعالى (الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة) لتقارب الأشكال واتلاف الأخلاق (والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين) فهو مكروه كراهة تنزيه لما يلزم فيه من التشبه بالفساق والتعرض للتهمة والتسبب لسوء المقالة والطعن في النسب وغير ذلك ويجوز أن يراد بالتحريم انصراف النفس عن ذلك فان الزناة يأتلفون والصلحاء كذلك . فهذا تحريم يرجع للطبع والعادة والشرع لا يمنع زواجهن * وقيل ان نكاحهن كان محرما ثم نسخ بقوله تعالى - وأنكحوا الأيامى منكم - ولذلك قال ﷺ لما سئل في نكاح المسافات ﴿ أوله سفاح وآخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال ﴾

﴿ فصل في حكم القذف العام وفي حكم قذف الرجل زوجته وفي الملاعة ﴾

اعلم أن من قذف محصنا أو محصنة بالزنا فقال له يازاني أو يازانية أوزنت فعليه جلد مائة جلدة ان كان القاذف حرا وكان المقذوف محصنا أي مسلما بالغيا عاقلا حرا عفيفا من الزنا ولا فرق بين الذكر والأنثى ويكون الضرب هنا أخف من ضرب الزنا ولا تعتبر شهادة زوج المقذوفة خلافا لأبي حنيفة ثم اذا كان القاذف عبدا

يُجلد أربعين وإن كان المذنب غير محصن فعلى القاذف التعزير وهو يكون برأى القاضي . ومن زنى وتاب وحسنت توبته وقذف لا يجب في قذفه إلا التعزير وهكذا القذف بغير الزنا مثل يافاسق ويشارب الخمر وهذا قوله تعالى (والذين يرمون المحصنات) اللاتي استوفين الشروط الخمسة المتقدمة وكذلك الرجال بهذه الشروط وخص النساء بالذكر لشناعة أمرهن إذا قذفن وقوله (ثم لم يأتوا بأربعة شهداء) أي يشهدون على الزنا (فاجلدوهم ثمانين جلدة) أخف من جلد الزاني (ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون) المحكوم بنفسهم بالقذف إذن من الكبائر فلذلك سمي مرتكبه فاسقاً (إلا الذين تابوا من بعد ذلك) من بعد القذف (وأصلحو) أحوالهم وهذا استثناء من الفاسقين وسيأتي إيضاحه والخلاف فيه (فإن الله غفور رحيم) يغفر ذنوبهم ويرحمهم (والذين يرمون أزواجهن) يقذفون زوجاتهم بالزنا (ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم) أي لم يكن لهم على تصديق قوْلهم من يشهد لهم به الخ (فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين) فيما رماها به من الزنا (و) الشهادة (الخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين) فيما رماها به من الزنا (ويدروا عنها العذاب) ويدفع عنها الحد (أن تشهد أربع شهادات بالله إنه) أن الزوج (لمن الكاذبين) فيما رماها به من الزنا (والخامسة) بالرفع والنصب (أن غضب الله عليها إن كنت من الصادقين) في ذلك (ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم) لفضحك وعاجلكم بالعقوبة ولكنه ستر عليكم ودفع عنكم الحد بالهوان

﴿ فصل في قصة الإفك ﴾

ولما ذكر حكم القذف العام وقذف الرجل زوجته أتبعه سبحانه بالكلام على الإفك في أمر عائشة أم المؤمنين والأفك أبلغ ما يكون من الكذب والافتراء ﴿ومحصل القصة﴾ ما ذكرته رضى الله عنها قالت ﴿فقدت عقداً في غزوة بني المصطلق فتخلفت ولم يعرف خاؤها هودج خلفي فلما ارتحلوا أناخ لي صفوان بن المعطل بعيره وساقه حتى أتاهم بعد ما نزلوا فهلك في من هلك فاعتلت شهراً وكان عليه الصلاة والسلام يسأل كيف أنت ولا أرى منه لطفاً كنت أراه حتى عثرت خالة أبي أم مسطح فقالت تعس مسطح فأنكرت عليها فأخبرتني بالإفك فلما سمعت ازدددت مرضاً وبت عند أبيي لا يرقأ لي دمع وما أكتحل بنوم وهما يظنان أن السمع فالق كبدي حتى قال عليه الصلاة والسلام أبشري يا حيراء فقد أنزل الله براءتك فقلت بحمد الله لا بحمدك﴾ اه وهذا قوله تعالى (إن الذين جاؤا بالإفك) وهو الصرف لأنه قول ما فوقك مصروف عن وجهه (عصبة منكم) جماعة منكم وهي من العشرة إلى الأربعين وكذلك العصبة منهم عبد الله بن أبي وزيد بن رفاعه وحسان ابن ثابت ومسطح بن أثانة وجة بنت جحش . ثم استأنف سبحانه الكلام مخاطباً رسول الله ﷺ وأبا بكر وعائشة وصفوان رضى الله عنهم قائلاً (لا تحسبوه) أي الإفك (شراً لكم بل هو خير لكم) لكم فيه ثواب وارتقاء الأنفس وظهور الكرامة بانزال ثمان عشرة آية في براءتكم وتعظيم شأنكم وفيه أيضاً تهويل وتشديد على من تكلم فيكم وثناء على من ظن خيراً (لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم) أي جزاء ما اكتسب بقدر ما خاض فيه مختصاً به (والذي تولى كبره) معظمه (منهم) من الخائضين وهو عبد الله بن أبي فانه هو الذي بدأ به لأنه يحكى أن صفوان مرّ بهودجها عليه وهو في ملأ من قومه فقال من هذه فقالوا عائشة فقال والله ما نجت منه ولا نجا منها (له عذاب عظيم) أي جهنم . ثم أخذ يوجع العصبة فقال سبحانه (لولا) هلا (إذا سمعتموه) أي الإفك (ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً) أي هلا ظن المؤمنون والمؤمنات الذين سمعوا الإفك خيراً بعائشة وصفوان اللذين هما من المؤمنين الذين هم جميعاً كنفس واحدة فاذا ظنوا بهما خيراً فقد ظنوا بأنفسهم وهذا من أبلغ ما يكون في التلطف من حيث اتحاد المؤمنين (وقالوا هذا إفك مبين) كذب بين لاحقيقة له (لولا) هلا (جاؤا عليه) على ما زعموا (بأربعة شهداء) يشهدون بذلك (فألم يأتوا

بالشهداء فأولئك عند الله في حكمه وشر ربهته (هم الكاذبون) القاذفون لأنهم ليس عندهم أربعة شهود (ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة) فضله في الدنيا بالنعم الكثيرة ومنها إمهالكم للتوبة ورحمته في الآخرة بنعم كثيرة منها العفو والمغفرة (اسمكم) عاجلا (فما أفضتم فيه) خضتم فيه (عذاب عظيم) فالجلد واللوم مستصفران بالنسبة له (إذ) متعلق بـ اسمكم (تلقونه بألسنتكم) يأخذه بعضكم من بعض بالسؤال (وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم) أي يقولون بألسنتهم من الإفك ما ليس في قلوبهم (وتحسبونه هينا) سهلا لا تبعه له (وهو عند الله عظيم) في الوزر . فهذه (ثلاث خصال) التلق والتحدث والاستصغار للذنب مع عظمتهم (ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا) ما يصح لنا (أن نتكلم بهذا) في أمثال هذه الأمور لاسيما ما يخص بابنة الصديق (سبحانك) تنزيها لله من أن تكون حرم نبيه ﷺ فاجرة فإن جفورها يخل بمقصود الزواج (هذا بهتان عظيم) لأن المبهوت عليه عظيم (يعظمكم الله) كراهة (أن تهودوا لماله أبدا) مادتم أحياء مكافين (إن كنتم مؤمنين) وهذا تقرير وتوبيخ فإن الإيمان يمنع من القبائح (وبين الله لكم آياته) الدالة على الشرائع ومحاسن الآداب تعالما لكم (والله عليم) بصفوان وعائشة وبكل الأحوال (حكيم) في تدبيره هذا العالم ومن حكمته أن يجعل زوجته ﷺ طاهرات لأنه يكرم أوليائه . ومن حكمته أنه برأ عائشة وحكم على القاذفين بالحد (إن الذين يحبون) كعبد الله بن أبي وأصحابه (أن تشيع الفاحشة) أي يظهر الزنا (في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة) فيحدثون في الدنيا ويدخلون جهنم في الآخرة (والله يعلم) ما في الضمائر (وأنتم لا تعلمون) فليكن عقابكم لهم على ما تعلمون من الظواهر في الدنيا وهو يعاقب على ما يعلم من حب الإشاعة وعقابه في الآخرة (ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤوف رحيم) بكم لعاجلكم بالعقوبة والخطاب لسطح وحسان بن ثابت وكرره لأنه يترك المعالجة بالعقوبة (يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان) باشاعة الفاحشة (ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر) الفحشاء ما أفرط قبحه والمنكر ما أنكره الشرع (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) بأن شرع التوبة ووقفكم لها فتمحى ذنوبكم وأنزل الحدود وهي كفارات لذنوبكم (ما زكي منكم من أحد أبدا) أي ما طهر ولا صلح قاله بفضله ورحمته شرع التوبة وقبلها وأنزل الزواجر وحكم بها ووقفكم لما يمحوا الذنوب إما بأعمالكم الصالحة وأما بما تصابون به من الرزايا فإنها مكفرات (ولكن الله يزكي من يشاء) بتوفيقه للتوبة وحله عليها وقبولها منه وباقامة الحدود وإنزال ما يخفف من الحوادث المؤلمة (والله سميع) لمقاتلهم (عليم) بنياتهم . ولما حلف أبو بكر رضي الله عنه أن لا ينطق على مسطح بعد وكان ابن خالته وكان من فقراء المهاجرين نزل قوله تعالى (ولا يأتل) أي لا يحلف (أولو الفضل منكم) في الدين (والسعة) في المال (أن يؤثروا) على أن لا يحسنوا إلى المستحقين للأحسان الموصوفين بأنفسهم من (أولى القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله) وإن كانت بينهم وبينهم شحنة لجنابة اقترافوها . ويصح أن يقال « ولا يقصر أولوا الفضل الخ » ثم قال (وليغفوا) أي وليستروا (وليغفوا) يعرضوا وليتجاوزوا عن الجفاء ويعرضوا عن العقوبة (ألا تحبون أن يغفر الله لكم) فليغفوا بهم ما يرجون أن يفعل الله بهم مع كثرة ذنوبهم (والله غفور رحيم) فتخلقوا بأخلاق الله وتأدبوا بأدابه . ولما قرأها النبي ﷺ على أبي بكر قال بلى أحب أن يغفر الله لي ورد إلى مسطح نفقة (إن الذين يرمون المحصنات) العفائف (الغافلات) عما قدفن به (المؤمنات) بالله ورسوله كعائشة رضي الله عنها وغيرها من كل سليمة الصدر نقية القلب لادهاء عندها ولا مكر لأنها لم تجرب الأمور (لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم) فهو لاء القذفة ملعونون في الدارين ولهم عذاب عظيم في الآخرة إن لم يتوبوا فيعذبون (يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون) بما أفكوا أو بهتوا إذ تظهر آثار الأعمال على تلك الأعضاء وهو أبلغ من نطق اللسان فالغتابون والقاذفون وأمثالهم تظهر صور أعمالهم مجسمة يراها المذنب وتراها

وتشاهدها الناس حوله والملائكة بصورة قبيحة بشعة تشعير بالمهانة والدلة ولأمانع من النفاق اللفظي وهو معنى قوله تعالى - ووجدنوا ما عملوا حاضرا - وقوله - كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا - وذلك حاصل بعد الموت بلا توان فيظهر الانسان بمظهره الحقيقي وهذا قد أظهره الكشف الحديث فان علماء الأرواح لما استحضروها أخبرت بما يفيد أن أخلاق الانسان وصورة الباطنة تلازمه ولا تفارقه ويؤدّ لو يتخلص منها وتستقيم حاله فلا يقدر بل تكون له كالهواء يحيط به أينما حلّ . ويقولون إن جسم الانسان بعد الموت عبارة عن صورة طبق الأصل أي مطابقة لهذا الجسم المادّي ويسمى ذلك الجسم ﴿الجسم الأثيري﴾ أي المنسوب للأثير وهي المادة اللطيفة التي هي أخف وألطف من الهواء والعالم كله مفعمور فيها وهذه الصورة تمثل الأخلاق الباطنية للانسان ويؤدّ لو ينخلع منها اذا كانت قبيحة قال تعالى ﴿يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق﴾ جزاءهم المستحق (ويعلمون) علم معينة (أن الله هو الحق المبين) العادل الظاهر عدله ولذلك ينتقم من المظالم لظلمه (الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات) أي الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء أمثال عبد الله بن أبي والطيبات من النساء للطيبين من الرجال والعكس يعني عائشة ورسول الله ﷺ وهذا عام فان الطيور على أشكالها تقع واذا كانت عائشة زوج رسول الله ﷺ فهي مبرأة لأنها مع الطيب وهذا قوله تعالى (أولئك مبرؤون مما يقولون) أي أصحاب الافك (لهم مغفرة) عفو لذنبهم (ورزق كريم) أي الجنة وقد خصت عائشة بأن جبريل نزل بصورتها في راحته وقال هي زوجتك ولم يتزوج ﷺ بكرا غيرها وقبض ﷺ في حجرها وفي يومها ودفن في بيتها وكان ينزل عليه الوحي وهو معها في اللحاف ونزلت برأتها من السماء وهي ابنة الصديق وخلقت طيبة ووعدت المغفرة والرزق الكريم . انتهى التفسير اللفظي وهنا ﴿أربع لطائف﴾

(١) في قوله تعالى - ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا - الى قوله - فان الله غفور رحيم -

(٢) وفي قوله تعالى - أن تشهد أربع شهادات بالله - الخ

(٣) وفي قوله - ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكي منكم من أحد أبدا - الى قوله - سميع عليم -

(٤) وفي قوله - الخبيثات للخبيثين - الخ

﴿اللطيفة الأولى في قوله تعالى - ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا - الى قوله - فان الله غفور رحيم -﴾

(١) ومقتضى هذه الآية أن القاذف اذا تاب قبل شهادته يزول عنه اسم الفسق سواء أكان قبل إقامة الحد أو بعده لأن الاستثناء راجع الى ردّ الشهادة الى الفسق وهذا قول عمر وابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وعطاء وطاووس وسعيد بن المسيب وسليمان بن يسار والشعبي وعكرمة وعمر بن عبد العزيز والزهري ومالك والشافعي

(٢) لا تقبل شهادته أبدا بعد التوبة ولكن يزول عنه اسم الفسق وهذا لأن الاستثناء راجع الى الفسق عند النخعي وشریح

(٣) لا ترد شهادته بنفس القذف مالم يحدّ عند أصحاب الرأي

(٤) هو قبل الحد شر منه حين يحد لأن الحدود كفارات فكيف تردونها في أحسن حاله وتقبلونها في شرّ حاله وهذا هو اعتراض الشافعي على أصحاب الرأي بل قال ان حدّ القذف يسقط بالتوبة وأن الاستثناء يرجع للكل كما تقدّم

(٥) لا يسقط الحد بالتوبة إلا أن يعفو عنه المذنب فيسقط كالتقصاص يسقط بالعفو ولا يسقط بالتوبة وهذا مذهب عامة العلماء وقوله - أبدا - أي مادام مصرا على القذف وذلك على مذهب من يقول بقبول شهادته بعد التوبة وتكون الأبدية في كل شيء بحسبه فالقاذف أبديته حتى يتوب وأبدية الكافر حتى يؤمن

أى لا تقبل مادام على كفره

﴿ اللطيفة الثانية - فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله - الى آخر الآيات ﴾

فقوله - انه لمن الصادقين - معناه على انه من الصادقين - فذف الجار وكسرت ان وعلق العامل باللام تأكيذا * روى عن سهل بن سعد الساعدي أن عويمر الجعاني جاء الى عاصم بن عدي فقال لعاصم أرايت لوأن رجلا وجد مع امرأته رجلا أيقضه فقتلونه أم كيف يفعل سل لي عن ذلك رسول الله ﷺ فسأل عاصم رسول الله ﷺ عن ذلك فذكره رسول الله ﷺ المسألة وعابها حتى كبر على عاصم ماسمع من رسول الله ﷺ فلما رجع عاصم الى أهله جاءه عويمر فقال يا عاصم ماذا قال لك رسول الله ﷺ فقال عاصم لعويمر لم يأتني بخبر قد كره رسول الله ﷺ المسألة التي سألت عنها فقال عويمر والله لا أتهدى حتى أسأله عنها فجاء عويمر رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله أرايت لوأن رجلا وجد مع امرأته رجلا أيقضه الى آخر ما تقدم فأخبره رسول الله ﷺ باللعان فتلاعنا فلما فرغا من التلاعن طلقها عويمر ثلاثا قبل أن يأمره رسول الله ﷺ قال مالك قال شهاب فكانت تلك سنة المتلاعنين . هذا ملخص ماجاء في الصحيحين ومثله ماجاء في البخاري في مسألة هلال بن أمية لما قذف امرأته بشريك بن سمحاء وذكر أن جبريل نزل بالآية بعد أن قال هلال وليزلن الله ما يرى ظهري من الحد فقام هلال بن أمية فشهد والي ﷺ يقول الله يعلم أن أحدكما كاذب فهل منكما تائب ثم قامت فشهدت فلما كانت عند الخامسة وقفها وقال انها موجبة قال ابن عباس فتلكأت ونكصت حتى ظننا انها ترجع ثم قالت لا أفصح قومي سائر اليوم فضت فقال النبي ﷺ انظروها فان جاءت به أكل العينين سايف الاليتين خدج الساقين فهو شريك بن سمحاء فجاءت به كذلك فقال النبي ﷺ لولا مامضى من كتاب الله لكان لي ولها شأن . وخدج الساقين ممتلى الساقين غليظهما

﴿ اللطيفة الثالثة في قوله تعالى - ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكاكم من أحد أبدا - ﴾

يقول علماؤنا رحمهم الله تعالى في هذا المقام انه شرع الحدود وشرع التوبة والتوبة من نوع التهذيب والعقوبة من نوع التعذيب . فالنظر كيف كان التهذيب مع التعذيب سببين لزكاة الناس وطهارتهم . ومعنى هذا أن الله فضله عم الناس ولولا فضله ورحمته لم يطهروا وعليه أصبح كل هم وغم ومصائب وأمراض كل ذلك مما يزكي ويطهر وأيضا كل علم وكل حكمة وكل خلق شريف كل ذلك مطهر . فالمطهرات التي أنزلها الله في الأرض نوعان التهذيب والتعذيب فأضحت المدارس التي في الأرض للتطهير ﴿ قسمين ﴾ قسم الحوادث التي تصيب الناس وقسم المرفيات للعقول الانسانية وقد شرحت هذا في أماكن كثيرة في هذا التفسير

﴿ اللطيفة الرابعة في قوله تعالى - الخبيثات للخبيثين - الخ ﴾

اعلم أن هذه الآية تشرح الغرائر والأخلاق والطباع وبهجتها وعجائبها وتبين أن هذا الانسان بل هذا الوجود لا تلازم فيه إلا بالتناسب ولا اتحاد إلا بصفات متناسبة فكرة الأرض متجاذبة الأجزاء هكذا كرة الهواء وكرة النسيم فكل جزء من أجزاء هذه المواد لاحقة بأصلها مطيعة لمجموعها ذلك للتناسب والتشابه في الصفات هكذا أخلاق الناس انهم اذا تشابكت صفاتهم اتفقوا واذا اختلفت تفرقوا وهكذا يوم القيامة فالتناسق لا يجتمعون إلا حيث يتفقون ولذلك تفرق المساكين اليوم للجهل الذي فشا بينهم ولوتناسقوا في العلوم والمعارف لجمعهم ووحدتهم ولكنهم جهلوا فالجهل فرقههم والله هو الولي الحميد

ثم اعلم أن هذه الحكمة ألهمها الله للأمم وثبتها في العقول فنطقت بها الألسنة وكتبت في الكتب وذاعت في الأمم وانتشرت في الأقطار قديما كما ترى في كتاب ﴿ كليات ودمنة ﴾ فقد جاء فيه مانصه

﴿ حكاية العابد والفارة ﴾

حكى أن عبدا قتل قارة ثم ندم على ما فعل وخرن حزنا شديدا على هذا الذنب ولم يجد سبيلا الى التوبة

في نظره إلا أنه يعلق الفأرة في عنقه مدة ثم دعا الله أن يحبسها فتصير بنتاً فأجاب الله دعاءه فصارت بنتاً ورباها وترعرعت وأن زمن الزواج فسأها أي الأزواج تختار فقالت أختار أقوى الأزواج فقال لها إذن تختارين الشمس قالت . كلا . فالسحاب أقوى من الشمس لأنه يحجبها قال إذن أزوجك للسحاب قالت . كلا . فالريح أقوى منه لأنها ترفعه وتحمّله إلى الجهات قال فلا أزوجك للريح قالت . كلا . فالجبل أقوى منه لأنه يصنعه ويمنعه قال فلا أزوجك بالجبل قالت . كلا . فالقار أقوى من الجبل لأنه يحفره ويفتح فيه حجراً فعرف عند ذلك أنها لا ترغب إلا فيمن هو على شاكلتها فدعا الله فرجعت فأرة وتم الأمر وهذا قول الشاعر

* إن الطيور على أشكلها تقع * وقوله تعالى - الخبيثات للخبيثين - الخ . انتهى الكلام على القسم الأول من السورة

(التَّسْمُ الثَّانِي)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتَسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَزْكُرُونَ * فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ * لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ * قُلِ الْمُؤْمِنِينَ يَفْعَلُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا أَرْوَاجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُلِ الْمُؤْمِنَاتُ يَنْضَعْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ أَرْوَاجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطُّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يُضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَأَنْكِحُوا الْأَيَّامَ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُفْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * وَلَيْسَتُمُفْزَفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُفْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتِياتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْتُمْ تَحَصُّنًا لِنَبْتِغُوا عَرْضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُمْ قَدْ إِنْ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِمْ غَفُورٌ رَحِيمٌ * وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِنْ

الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ *

(التفسير اللفظي)

قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم) التي تسكنونها فليس مؤجر الدار ولا الذي أعارها لها حتى الدخول إلا بأذن فالمدار على السكني لأعلى المالك (حتى تستأمنوا) تستأذنوا أي تستعلموا . يقال آنس الشيء أبصره ويصح أن يكون من الأنس على وزن قفل فان المستأذن مستوحش قبل الاذن مستأنس بعده وأن يكون من الانس على وزن تبر أي تتعرفوا هل ثمة انسان (وتسلموا على أهلها) فتقولوا لهم « السلام عليكم أ أدخل ثلاث مرات » فان أذن له دخل والا رجع (ذلكم) أي ما ذكره من الاستئذان والتسليم (خير لكم) من أن تدخلوا بغتة وتحبوا تحية الجاهلية فتقولوا « حيثم صباحا . حيثم مساء » وربما أصاب الرجل مع امرأته في لحاف لعدم الاستئذان وإنما أنزل عليكم هذا إرادة أن تذكروا وتعلموا بما هو أصلح لكم وهذا قوله (لهلكم مذكرون) * فان لم تجدوا فيها أحدا) يأذن لكم (فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم) حتى يأتي من يأذن لكم (وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا) ولا تدخلوها (هو أركي لكم) أي الرجوع أظهر لكم من الإلحاح والوقوف على الباب فذلك مناف للرؤية (والله بما تعملون عليم) فيعلم ما تأتون وما تذرون فيجازيكم عليه (ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة) كالرباط والخانات والحوانيت (فيها متاع) منفعة (لكم) كابواء الأمتعة بالحوانيت وكاتقاء الحر والبرد في المنازل المبنية للسابلة وكالدخول في بيوت التجار والحوانيت في الأسواق يدخلها الناس للبيع والشراء . فهذه كلها ليس فيها استئذان (والله يعلم ما تبدون وما تكتمون) * قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم عما لا يحل النظر اليه (ويحفظوا فروجهم) - إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم - (ذلك أركي لهم) أنفع لهم وأظهر لما فيه من البعد عن الريبة (إن الله خير بما يصنعون) لا يخفي عليه ما يقصدون من استعمال الابصار وكل جارحة من جوارحهم فليحذروه (وقل للمؤمنات يغضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن) عما لا يحل لهن * روى عن أم سلمة قالت كنت عند رسول الله ﷺ وعنده ميمونة بنت الحارث إذ أقبل ابن أم مكتوم فدخل عليه وذلك بعد أمرنا بالحجاب فقال رسول الله ﷺ احتجاجا منه فقلنا يا رسول الله أليس أعشى لا يبصرنا ولا يعرفنا فقال رسول الله ﷺ أفعمية وان أتما ألسما تبصرانه . رواه الترمذي وأبو داود ثم قال تعالى (ولا يبدين زينتهن) أي ولا يظهرن لغير المحرم الزينة الخفية مثل الخلل والخصاب في الرجل والسوار في المعصم والقرط في الأذن والقلائد في العنق فلا يجوز للمرأة إظهارها كسائر الخلق والياب والأصباغ فضلا عن مواضعها فلا تبدي منها شيئا (إلا ما ظهر منها) عند مزاوله الأشياء كالثياب والخاتم والكحل والخصاب في الكف وكالوجه والقدمين ففي ستر هذه الأشياء حرج عظيم فان المرأة لا تجد بدا من مزاوله الأشياء بيديها ومن الحاجة الى كشف وجهها لاسيما في مثل تحمل الشهادة والمعالجة والمتاجرة وما أشبه ذلك وهذا كله اذا لم يخف الرجل فتنة فان خافها غض أبصره أيضا (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) الخمر جمع خمار أي ليضعنها وذلك كما تقول ضربت يدي على الحائط اذا وضعتها عليه أي ليلقين بمقانعهن على مواضع الجيب وهو النحر والصدر يسترن بذلك شعورهن وأعناقهن وأقراطهن وصدورهن . ولقد كانت جيوبهن واسعة تبدو منها صدورهن ومأحواليها وكن يسدلن الخمر من ورائهن فتبقى مكشوفة فأمرن أن يسدلنها من قدامهن حتى تغطيهن (ولا يبدين زينتهن) هذا بيان لمن يحل لهم الابداء فيرون الزينة الخفية منها ومواضعها كالصدر والساق والرأس ونحو ذلك (إلا بعواتهن) لأنهم المقصودون بالزينة فيجوز لهم النظر الى جميع البدن ويكره النظر للفرج (أو آبائهن أو آباء بعواتهن أو آبائهن أو أبناء بعواتهن أو أخواتهن أو بنى أخواتهن) لأن الطباع تنفر من محاسنة القرائب فلهم أن

ينظروا منهم إلى ما عدا ما بين السرة والركبة . ومثل المذكورين الآباء والأبناء والأخوة وبنو الأخوة وبنو الأخوات من الرضاع . ثم قال تعالى (أونسأهون) أي المؤمنات من أهل دينهن فيجوز للمرأة أن تنظر إلى بدن المرأة إلا ما بين السرة والركبة ولا يجوز للمرأة المؤمنة أن تجرد من ثيابها عند النكحة أو الكافة (أو ما ملكت أيمانهن) من الاماء والعبيد فينظر العبد من سيده ما عدا ما بين السرة والركبة كالامة فهو كالحر وكالنساء المسلمات وهذا ظاهر القرآن وحديث أنس رضي الله عنه إذ وهب النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة عبيدا وكان عليها ثوب إذا قمعت به رأسها لم يبلغ رجليها وإذا غطت به رجليها لم يبلغ رأسها فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك قال انه ليس عليك بأس انما هو أبوك أو غلامك . وقال سعيد بن المسيب هو كالأجنبي معها وتحمل الآية على الاماء دون العبيد ثم قال تعالى (أوالتابعين غيرأولى الإربة من الرجال) أي الذين يتبعونكم ليصيبيوا من فضل طعامكم ولا حاجة لهم إلى النساء كالبهائم الذين لا يعرفون شيئا من أمر النساء والشيوخ والصالحاء وكالغنيين والخصى والمخنث والمحبوب . وفي حديث مسلم انه كان يدخل على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم مخنث وكانوا يعتونه من غير أولى الإربة فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما وهو عند بعض نساءه وهي نعت امرأة قال اذا أقبلت أقبلت بأربع وإذا أدبرت أدبرت بثمان فأمر صلى الله عليه وسلم أن لا يدخل عليهن وأخرجوه إلى البيداء يدخل كل جمعة ليطلع . وأراد بالأربع أن لها في بطنها أربع عكن فهي تقبل اذا أقبلت بها وأراد بالثمان أطراف العكن الأربع من الجانبين وذلك صفة لها بالسمن ثم قال تعالى (أوالطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء) أي لم يعرفوا العورة من غيرها لصغرهم وعدم بلوغهم حد الشهوة والظهور الاطلاع والطفل جنس وضع موضع الجمع والوصف يدل عليه (ولا يضرين بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينةهن) ليتقنع خلقها فيعلم انها ذات خلخال وهذا أبلغ من النهي عن اظهار الزينة وأدل على المنع من رفع الصوت . وقد كانت المرأة اذا مشت ضربت برجلها ليسمع صوت خلخالها فنهين عن ذلك . ثم قال تعالى (وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون) وانما نهى على التوبة هنا لأن آداب هذه السورة لا يتخلو أحد من التفريط فيها (لعلكم تفلحون) بسعادة الدارين لأن النفس الانسانية أشبه بماء نهر النيل مثلا والقوى الانسانية من الشهوة والغضب والعقل أشبه بمجداول تجري من ذلك النهر والشهوة والغضب أشبه بالبحر الأبيض المتوسط يصب ماء النهر فيه سهلا بلا فائدة والكف عن الشهوات كفض البصر وتجنب النساء وقلة الافراط في الشهوات حلالا أو حراما وما أشبه ذلك أشبه بالسدود والجسوس والقناطر الموضوعة في مجرى النيل وسقي الأرض من الجداول النيلية في الوجهين القبلي والبحري وخروج النبات والأثمار والحدائق الغناء والأشجار والأزهار والبهجة والنبات أشبه بتصرف عقولنا في أنواع العلوم والحكم وازدهار الآراء وجمال النفوس واشراق القلوب فكل ما حفظناه من قوانا رجع إلى قوة العقل وكل ما أضعناه من قوى النفس في المبصرات والمذوقات والمعنويات وجميع اللذات نقص من قوة العقل والفلاح يكون بالقوة العقلية والخيبة بالتعادي في القوة الشهوية . وبهذا عرفت الحكمة في غض البصر والكف عن المحرمات . فأن الله تعالى وضع هذه القوى أمانة عندنا فإذا صرفناها في أسفل الأمور سفلنا وإذا صرفناها في أعلاها علونا . وهذه اللذات المذكورة ونحوها لم تخلق إلا لبقاء النسل فهي مقدمات والمقدمات نتائج إذ لا عقول إلا لولود ولا ولادة إلا بهذه الشهوات . فإذا جعل الانسان حياته مقصورة على المقدمات صار آلة ضائعة كما يضيع ماء النيل في البحر الأبيض وإذا حفظها سقى بها حقول العلوم وبساتين المعارف وجنى ثمار اللذات العقلية والثناء العاجل والثواب الآجل بل الأمر فوق ذلك فان أعلى الجنة لأولى الأبواب والعلم أعلى لذة في الجنة كما هو أعلى لذة للأنبياء والحكماء في الدنيا . فتحجب كيف كان هذا التحريم مقصودا به رقى عقولنا والعمامة لا يفهمون مثل هذه الأمور وما يعقلها إلا الحكماء الذين فكروا في الدنيا وخلقها . فالعمامة يخافون من عذاب يوم القيامة وحده والخاصة يخافون منها ومن عذاب الدنيا بالجهالة ونقص القوى العقلية

ويرون الثواب والعقاب أمامهما في هذه الحياة مقدمة لما سيرونه بعد الموت فيكون قوله - لعلمكم تفلحون - معروفا لهم في هذه الحياة يقرؤنه في نفوسهم وفيمن حولهم ويرون الزناة والمسرفين وأمثالهم قد طوّحت بهم طوائع الدهر وقلب الدهر لهم ظهر المحن وأنزل بهم العذاب المون كما أضل عقولهم فعذابهم مهمل في هذه الحياة وإن كانوا لا يهتدون منهم معذبون ويسعدون وهم لا يهتدون أنهم مسجونون . ولما فرغ من الكلام على النهي عما يفضي إلى السفاح الخلل بالنسب المؤدى إلى انقطاع الألفة وذهاب الأسرات أعقبه بما يكون سببا في بقاء النسل وهو المقصود فقال (وأنتكحوا الأيامى) «قارب أياكم كيتامى جمع أيم وهو العزب ذكر اكان أو أنثى بكرا كان أو ثيبا * قال الشاعر

فإن تنكحني أنكح وإن تنأمني * وإن كنت أفنى منكم أنا أئتم

أى زوّجوا من كان أعزب من الرجال والنساء البنات والبنين والاخوان (منكم والصالحين) للنكاح (من عبادكم) عبيدكم (وامائكم) وهذا الخطاب للأولياء والسادة وهذا الأمر للندب

(١) فيستحب لمن تاقته نفسه إلى النكاح ووجد أهبة أن يتزوج

(٢) ومن لا تتوق نفسه إلى النكاح وهو قادر عليه فالتخلي للعبادة أفضل له من النكاح عند الشافعي

(٣) والنكاح أفضل له عند أصحاب الرأي

(٤) تزويج الأيامى خاص بالأولياء وتزويج العبيد والاماء خاص بالسادات عند أكثر أهل العلم من الصحابة

فمن بعدهم كعمر بن عبد الله بن مسعود وابن عباس وأبي هريرة وعائشة وسعيد بن المسيب والحسن وشريح والنخعي وعمر بن عبد العزيز والثوري والأوزاعي وعبد الله بن المبارك والشافعي وأحمد واسحق

(٥) يجوز للمرأة أن تزوج نفسها عند أصحاب الرأي

(٦) إن كانت ذمية جاز لها أن تزوج نفسها وإن كانت شريفة لم يجز عند مالك

ولما كان الناس عادة يتركون الزواج ويتعاشرون خيفة الفقر إذا كان الخاطب أو المخطوبة في فقر أردفه بما يفيد أنه سبحانه وتعالى يغنيهما عند الزواج إما بالثنا والرضا وإما بالمال وإما بهما معا فقال (إن يكونوا فقراء يغنيهم الله من فضله) ففضل الله يسعهما والمال غاد ورائح

وكم يسر آتى من بعد عسر * وفرج كربة القلب الشجي

ورود في حديث (اطلبوا الفنى من هذه الآية) ثم قال تعالى (والله واسع) ذوسعة إذ لا انتهاء لفضله ولا حد لقدرته فهو يسع الزوجين وجميع الناس (عليم) ييسر الرزق ويقدر على ما تقتضيه الحكمة (وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا) ليجهتد في العفة وقع الشهوة من لا يجدون ما ينكحون به من المصداق والنفقة مثل أن يصوم الشاب إذا لم يجد المال لحديث (يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فطليه بالصوم فإنه له وجاء) ومعنى الباءة النكاح أى أسباب النكاح والوجاء رض الانثيين فليستعفف هؤلاء (حتى يغنيهم الله من فضله) فيجدون ما يتزوجون به

(فصل في المسكينة)

المسكينة أن يقول الرجل لملوكه كاتبك على كذا من المال ويسمى مالا معلوما تؤدى ذلك في نجمين أى موعدين أو نجوم في كل نجم كذا فإذا أدت ذلك فأنت حرث ويقبل العبد ذلك فإذا أدى العبد ذلك المال عتق ويصير العبد أحق بكاسبه بعد الكتابة . ومتى عتق بأداء المال فما فضل في يده من المال فهو له ويتبعه أولاده الذين حصلوا في الكتابة في العتق . وإذا عجز عن أداء المال كان لمولاه أن يفسخ ويرده إلى الرق وما في يده من المال فهو لسيده وهذا قوله تعالى (والذين يتبعون الكتاب) المسكينة (عما ملكتم أيانكم) عبدا كان أو أمة (فكاتبوهم)

(١) والأمر للوجوب عند عطاء وعمر بن دينار * وقد روى أن سيرين أبا محمد بن سيرين سأل أنس ابن مالك أن يكاتبه وكان كثير المال فأبى فانطلق سيرين إلى عمر فشكاه فدعاه عمر فقال له كاتبه فأبى فضربه بالترّة وتلا قوله تعالى - فكاتبوهم - الخ

(٢) أول الذنب وهو قول أكثر أهل العلم

(٣) والكتابة تجوز إلى نجم واحد وحالة واحدة عند أبي حنيفة ولا تقل عن نجمين عند الشافعي وقوله تعالى (إن علمتهم فيهم خيرا) أي مالا أو قوة على الكسب أو صداقا وأمانة أو ألا اكتساب مع الأمانة وهذا رأى الشافعي . وأن يكون بالغا عاقلا . وجوز أبو حنيفة مكاتبه الصبي المراهق . وقوله (وأتوهم من مال الله الذي آتاكم) يقول الله آتوا أيها السادة المكاتبين شيئا من مال الله الذي آتاكم فليس لكم فيه فضل فإن الله ربكم ورب عبيدكم وأموالكم ملكه وكذلك أعطوا أيها الحكام المكاتبين سهمهم من الصدقات العامة المذكورة في قوله تعالى - أعما الصدقات للفقراء - فإن عتق الرقاب داخل في الصدقات وهذا الأمر عام لكل امرئ فهو يخص جميع المؤمنين على عتق الرقاب . واعلم أن السيد لأحد للقنار الذي يحط والحط واجب وقتله بعضهم بالرّبع وهو قول علي وقال ابن عباس يحط الثالث وأنت خير أنه لأحد للحط

﴿ فصل في عدم إكراه الاماء على الزنا ﴾

روى انه كان لعبد الله بن أبي بن سبيل المنافق جاريّتان يقال لهما مسيكة ومعادة وكان يكرههما على الزنا لضريبة يأخذها منهما . وكذلك كانوا يفعلون في الجاهلية يؤجرون إماءهم فلما جاء الاسلام قالت معادة لمسيكة إن هذا الأمر الذي نحن فيه لا يخاف من وجهين فإن يك خيرا فقد استكثرنا منه وإن يك شرا فقد آن لنا أن ندعه ويقال إن إحدى الجاريّتين جاءت ببرد وجاءت الأخرى بدينار فقال لهما أرجعا فازينا فقالتا والله لأنفعل قد جاء الاسلام وحرم الزنا فأتنا رسول الله ﷺ وشكنا إليه فأنزل الله قوله (ولأنكرهوا فتياتكم على البغاء) الزنا (إن أردن تحصنا) وذكر هذا الشرط لأنه على مقتضى السبب الذي نزلت لأجله الآية والا فلا كراه محظور سواء أردن التحصن والعفة أم لم يردن ذلك على أن الإكراه لا يمكن إلا إذا أردن العفة فأما التي لا تريد العفة فليست بمكرهة على الزنا بل هي راغبة فيه . يقول الله - لأنكرهوا فتياتكم على البغاء - (لتبتنوا عرض الحياة الدنيا) أي لتطلبوا كسبهن وبيع أولادهن (ومن يكرهن) على الزنا (فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم) يعني بالمكرهات والوزير على المكروه . وكان الحسن إذا قرأ هذه الآية يقول ﴿ لهن والله لهن والله ﴾ (ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات) من الحلال والحرام (ومثلا من الذين خلوا من قبلكم) أي مثالا من أمثال من قبلكم أي قصة عجيبة من قصصهم كقصة يوسف ومريم وهي قصة عائشة رضي الله عنها (وموعظة للفتين) ما وعظ به من الآيات والمثل . ولقد جاء هناك من العظات البالغات ما فيه مزدجر لم تذكر كقوله تعالى - ولولا إذ سمعتموه قلتم - الخ وقوله تعالى - ولولا فضل الله عليكم - الخ وقوله - ولا يأتل أولوا الفضل منكم - الخ انتهى التفسير المألفي للقسم الثاني . وههنا لطائف

﴿ اللطيفة الأولى في قوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم - الخ ﴾

عن قتادة أن الاستئذان ﴿ ثلاثة * الأول ﴾ يسمع الخي ﴿ والثاني ﴾ ليتأهبوا ﴿ والثالث ﴾ إن شاؤا أذنوا وإن شاؤا ردوا فانهم في أول صرة ربما منعهم بعض الأشغال من الاذن وفي المرة الثانية ربما كان هناك ما يمنع أو يقتضي المنع أو يقتضي التساوى فإذا لم يجب في الثالثة يستدل بعدم الاذن على مانع فيسبغ له الرجوع ويجب أن لا يكون الاستئذان متصلا بل يكون بين كل واحدة والأخرى وقت فاما قريح الباب بعنف والصياح بصاحب الدار فذلك حرام لأنه يتضمن الإيذاء وكفى بقصة بني أسد زاجرة وما نزل فيهم من قوله تعالى - إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون - وقد كان ﷺ لا يستقبل الباب من تلقاء وجهه ولكن

من ركنه الأيمن أو الأيسر فيقول السلام عليكم مرتين ومن جاء مع الرسول لا يحتاج الى استئذان وكذلك من جرت العادة له بإباحة الدخول فهو غير محتاج الى الاستئذان ويستأذن الانسان على أخته وأمه لقوله ﷺ لرجل وقد سأله في ذلك « أتحب أن تراها عريانة »

واعلم أن الاستئذان مشروع ﴿ ثلاثة أمور ﴾ الدخول في منزل الغير والنظر الى المحرم شرعا والاطلاع على ما يكره الانسان الاطلاع عليه . فاذن دخول ملك الغير بغير اذنه محظور والاطلاع على المحرمات محظور شرعا هكذا فليكن محظورا على الانسان الدخول على أمه وأخته وزوجته وأمه للنخلة الثالثة فانهم ربما كن في حال لا يحجبن اطلع احد عليهما فنحن نجا من الحُرمة مع هؤلاء بالنسبة لتحريم النظر وحظر الدخول في ملك الغير فليكن ذلك للأمر الثالث وعليه صار الاستئذان على جميع الناس قريبا وبعيدا ومحارم وزوجات وهذا هو المعنى بقوله ﷺ « أتحب أن تراها عريانة »

﴿ اللطيفة الثانية ﴾

قال ﷺ ﴿ تزوجوا الولود الودود فاني مباه بكم الأمم يوم القيامة ﴾ وقوله تعالى - وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم - قد أخذ منه بعض العلماء كما في تفسير البيضاوي « انه يجب تزويج المولية والمملوك وذلك عند طلبها » ويقول عامة السلف ﴿ إن النكاح مستحب لمن تاقته نفسه الى النكاح ووجد أهبه ﴾ كما تقدم . فعلمت من هذا انه قد أوجب بعض العلماء على السيد تزويج عبده وأمه في حال خاصة . ومن المعام أن الانسان اذا خاف الفتنة ولم يجد سبيلا لدرئها وجب عليه النكاح . واعلم أن هذا الزمان الذي نكتب فيه هذا التفسير قد تغيرت فيه طباع أهل المدن فترى الشبان المتعلمين يفتنون ويروحون وقد أسكرهم الصبا وخامرهم الجهل وأحاط بهم الشيطان فأسدل عليهم حجابا من الخزي والعار فترك بعضهم الزواج اكتفاء بالزنا واستخفافا بالدين فأصبح المسلمون المتعلمون في الأمصار أشبه بأهل باريس الذين يفضلون الخلاعة على الزواج . ولما رأت هكذا حكومة الترك سنت قانونا تجبر فيه الشاب الذي لم يتزوج بعد السنة الثامنة عشرة أن يدفع مالا للحكومة لتنفقه على أبناء المزوجين . ولقد بلغنا أن الأمة الروسية التي أصبحت اليوم (بلشفية) أي انها تجرى على حكم الأكثرية تأمر الفتيان والفتيات بالتزويج بعد الثامنة عشرة فان لم تزوج الفتاة قبل هذا السن زوجها لمن يريدون هم . واعلم أن هذا الأمر يجب على علماء الاسلام أن يفكروا فيه فاذا رأوا خلاعة منتشرة وفسوقا واضحا فلا حرج عليهم اذا أفتوا بما يحفظ الأعراض ويشغل الأرحام بالأجنة والذكور بالعفة والنساء بتربية الأولاد وليكن ذلك بحكمة وتفكير . ولقد نرى أئمتنا المتقدمين رضوان الله عليهم قد نظروا في ذلك من عدة وجوه تارة من حيث التخلي للعبادة بترك النكاح وتارة بغير ذلك كما تقدم فليست اليوم علماء الاسلام الى الخطر المهدق بالمسلمين وليعلموا أن الله خلق الذكور بقدر الاناث تقريرا ودليل ذلك تعداد المواليد فانك تراه متعادلا تقريبا في جميع الكرة الأرضية . واذا كان التعداد جائزا ليكون اللواتي لا عائل لهن يجدن من يهولهن . فاذا تزوج جميع الصالحين للنكاح لم يبق هناك نساء لا عائل لهن فاذا نفذ قانون على هذا الوضع وحتم على كل صالح للنكاح أن يتزوج صالحة للنكاح فذلك لا يمنع منه ديننا فان قوله تعالى - وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين - إلخ قد قال بعض العلماء بجعله للوجوب في مسألة الاماء والعبيد ولم يبق إلا أن نعمه فيكون للجميع . واذا صح ذلك أصبح الزواج فرضا لازما للصالحين له كفرض الصلاة والصيام . واذا قلنا يمنع الفقراء الحكومات اليوم أصبحت تساعد الذي لازوجة له فقد زال هذا المانع واذا كانت فيه عاهة فينظر في أمره . وانى لست أقطع في هذه المسألة . وانما أقول ان المجال فيها متسع وديننا صالح له . فهنا أمر بقوله - وأنكحوا الأيامى - وفي الحديث . والترغيب في النكاح كثير في الشرع واذا كانت ألمانيا وتركيا والروسيا يحرمون على اكثار نوع الانسان . ويفرض الزواج عند البعض على كل

صالح له وصالحه . فهل هذه الأمم تكون أحسن على اكثار النسل من الاسلام . كلا . فالتبلي يقول
 (تزوجوا الولود الودود فاني مباه بكم الأمم يوم القيامة) ولعل في قوله تعالى - ان يكونوا فقراء يفهم الله
 من فضله - رمز الى مانعها دولة تركيا اليوم من تفريم الأعزب واعانة المتزوج والنظر الى امبراطور ألمانيا
 (غليوم) الذي كان السبب في الحرب كيف كان يحرض قومه على اكثار النسل وكيف أصرا العلماء فاخترعوا
 صوراً للمتزوج وصوراً للأعزب بفعل الناس يدخلون فيرون رجلاً أشمطاً وامرأة شمطاء منزوين في ركن
 المنزل قد آذاهما البرد وهما متكئان وآخرين معهما أولادهما هذا يعمل وذلك يلعب وهذه تطلق وهذا
 يصنع الخبز وهذه ترتب البيت وهكذا والأبوان مستبشرين فرحان فيرغب الناس في النكاح ولذلك صارت
 ألمانيا نحو (٧٠) مليوناً . أما فرنسا فانها صارت أقل من أربعين مليوناً . فالمسلمون أولى باكثار
 النسل . واعلم أن التعدد المذكور في الآية لا يكون إلا حيث يتخلى قوم عن الزواج لهوا ولها أوفقرا .
 فأما اذا أمر الناس جميعاً بالزواج فلا تعدد إلا نادراً جداً . واعلم أن التعدد اليوم في الاسلام لا يزيد على ثلاثة
 أو خمسة في المائة فاذا تم ما ذكرته نقص التعدد بل ينعدم وأمة الاسلام قابلة لذلك لأنه اذا كان كل امرأة
 لرجل والله قد جعل العدد على هذا المنوال ولم يخلق إلا بقدر خلق الذكور على عدد الاناث كما تقدم فيكون
 التعدد إذن نادراً جداً بل يكون خارجاً عن العدل لأنه اذا كانت عندك امرأة صالحة للنكاح فكيف تحجبها
 عن رجل صالح للنكاح ويكون قوله تعالى - فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة - الخ مقرباً لذلك لأنه اذا كان
 خوف عدم العدل بين الزوجتين يمنع التعدد فيمكن خوف حرمان الأعزب من امرأة صالحة للنكاح غير
 عدل . واعلم أن هذه المباحث أوردتها ولم أعط فيها رأياً . ولكن عرضتها لبحث العلماء وتفكير الحكماء
 ومراعاة مقتضيات الأحوال وتكون الفتيا على حسب الأحوال وهذا يحتاج الى اجماع أهل الحل والعقد في
 الممالك الاسلامية فما أجمعوا عليه بعد البحث والتروي يصبح ديناً ومباحثي هذه مقدمات لمباحثهم المستقبلية
 إن شاء الله تعالى وسيكون في الأمة الاسلامية من قراء هذا التفسير من ينشرون هذه المباحث . وستكون
 مباحثهم اجماعية فما استقر الرأي عليه فلا خلاف فيه . اللهم اهد أممتنا الاسلامية الى سواء السراط . انتهى
 الكلام على القسم الثاني من السورة

(القسم الثالث)

اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ
 الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ
 زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ
 الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * فِي يُتَوَاتَى أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذَكِّرَ فِيهَا أَسْمُهُ
 يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ
 وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا
 وَيَرْيَدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَاهُمْ كَسْرَابٌ
 بِشِيعَةٍ يُحْسِبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ

سَرِيعُ الْحِسَابِ * أَوْ كَذُفَاتٍ فِي بَحْرِ لَجِيٍّ يَنْفَشُهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ
فُلُكَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكْذِبْ رَاهَا وَمَنْ لَمْ يَحْطِلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا قَدْ
لَهُ مِنْ نُورٍ * أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَافَاتٍ كُلُّ قَدْ
عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ * وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ
* أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ
خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ
يَشَاءُ يَسْكَدُ سَكَادًا بَرْقُهُ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ * يُلْقِي اللَّهُ الْآلِيلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي
الْأَبْصَارِ * وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى
رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * أَقَدْ
أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ
وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ * وَإِذَا دُعُوا
إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ * وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا
إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ * أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ أَرْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحْيِفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ أَلَّا
أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ
يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ
فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ * وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَنْ أُعْرِضَنَّهُمْ لَئِنْ لَا تُسَمِّوْا طَاعَةً
مَعْرُوفَةً إِنَّ اللَّهَ سَخِيمٌ بِمَا تَعْمَلُونَ * قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ
مَا مُهِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ * وَعَدَ اللَّهُ
الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا
يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ
وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ * لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا وَاهُمْ

النَّارِ وَلِبَاسُ الْمَصِيرِ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهْرِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَ هُنَّ طَوَافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مَفَاحِشُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةٌ طَيِّبَةٌ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُّاءَ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * أَلَا إِنَّ اللَّهَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ *

﴿ التفسير اللفظي ﴾

قال تعالى (الله نور السموات والأرض) مزين السموات بالنجوم والأرض بالنبات والمياه ومنور قلوب أهل السموات والأرض من الملائكة والمؤمنين (مثل نوره) نور الله في قلب المؤمن (كشكاة) كصفة مشكاة وهي الكوة غير النافذة . ويقال أيضا الأنوبة في وسط القنديل (فيها مصباح) سراج صخيم ثاقب (المصباح في زجاجة) في قنديل من زجاج (الزجاجة كأنها كوكب دري) نجم مضىء من هذه الأنجم الخمسة

زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد وهذه هي الأنجم الدرية منسوبة للدّر في الصفاء (يرقد) المصباح
أو توقد الزجاجة أي مصباحها (من شجرة مباركة زيتونة لشرقية ولاغربية) أي أخذ دهن هذا القنديل
من شجرة الزيتون بفلاة لا يصليها ظلّ الشرق إذا غربت الشمس ولا ظل الغرب إذا طلعت الشمس بل هي
مصاحبة للشمس طول النهار تصليها الشمس عند طالعها وغروبها فتسكون شرقية غربية تأخذ حظها من
الأمسين فيسكون زيتها أضوا وأضي أو لا ثابت في شرق المعمورة ولا غربها بل هي في الشام وزيتونه كما قال
أجود الزيتون (يكاد زيتها يضيء) من وراء قشرها (ولو لم تمسه نار) فالزيت لصفائه ونلاؤه يكاد يضيء
من غير نار و باجتماع المشكاة الجامعة للنور والزجاجة المقوية له والمصباح المتقد والزيت الصافي يكون النور أقوى
فالوا المشكاة لتفرق في الجهات الست ولولا صفاء الزيت لم يكن الضوء باهرا ولولا الزجاجة لم يكن متضاعفا
وهذا معنى قوله تعالى (نور على نور) وقوله تعالى (يهدى الله لنوره من يشاء) لنور المعرفة ودين الاسلام
ونور البصيرة وهذا النور الثاقب (ويضرب الله الأمثال للناس) تقريرا لأفهامهم ليعتبروا (والله بكل شيء عليم)
فيبين كل شيء بالطرق التي يعلم انها توصل اليه . وقوله (في بيوت) أي تلك القناديل المداول عليها بالمشكاة
والمصباح والزجاجة والزيت معلقة في مساجد (أذن الله أن ترفع) أمر الله أن تعظم فلا يذكّر فيها الخنى من
القول وتطهر من الأنجاس والأقدار (وبذكر فيها اسمه) يتلى فيها كتابه ويبحث في أحكامه وأفعاله (يسبح
له فيها بالغدو والآصال) يصلى له بالغداة صلاة الفجر والآصال صلاة الظهر والعصر والعشاءين ووحد الغدو
لأن صلاته واحدة وفي الآصال صلوات وهي جمع أصل كتكتب جمع أصيل وهو العشي وقوله (رجال) فاعل
يسبح ومن قرأ - يسبح - بالبناء للمجهول فيكون مسندا لقوله - له - ورجال فاعل لما دل عليه يسبح
أي يسبح له رجال (لأنهم تجارة) لا تشغلهم تجارة في السفر (ولابيع) في الخضر (عن ذكر الله) باللسان
والقلب (واقام الصلاة) أي وعن إقامة الصلاة وحضور المساجد لذلك (وإيتاء الزكاة) المفروضة (يتخافون
يوما تنقلب فيه القلوب والأبصار) أي هؤلاء الرجال وان بالغوا في الطاعات من الصلاة والزكاة وذكر الله
وجاؤون خائفون لأنهم يعلمون انهم ماعبدوا الله حق عبادته وما قدره حق قدره ويخشون يوما تضطرب فيه
وتتغير القلوب فتفقه مالم تكن تفقه وتبصر الأبصار مالم تبصر وتخشى الهلاك وتطمع في النجاة (ليجزئهم
الله أحسن مما عملوا) يقول اشتغلوا بذكر الله واقام الصلاة وإيتاء الزكاة ليجزيهم الله أحسن مما عملوا وهي
الحسنات كلها وهي الطاعات فرضها ونفلها . وأما غير الأحسن وهي المساوي فهو يفرها لهم أو يجازيهم جزاء
أحسن من أعمالهم من عشرة إلى سبعمائة ضعف (ويزيدهم من فضله) فهو لا يقتصر على مكافأتهم على أعمالهم
(والله يرزق من يشاء بغير حساب) الكمال قدرته وسعة احسانه وفضله (والذين كفروا أعمالهم كسراب) وهو
ما يرى في الفلاة من ضوء الشمس وقت الظهر يسرب أي يجري على وجه الأرض كأنه ماء يجري (بقيعة) جمع
قاع وهو الأرض المستوية (يحسبه الظمآن ماء) يظنه العطشان ذلك (حتى إذا جاءه) أي جاء إلى ما توهم
انه ماء (لم يجده شيئا) كما ظنه (ووجد الله) أي جزاء الله (عنده) عند الكافر (فوفاه) أعطاه (حسابه)
جزاء عمله وأفيا كاملا (والله سريع الحساب) لا يشغله حساب عن حساب * روى انها نزلت في عتبة بن ربيعة
ابن أمية تعبد في الجاهلية والنمى الدين فلما جاء الاسلام كفر . وقوله (أو كظلمات) عطف على - كسراب -
يقول الله ان أعمال الكفار إن كانت حسنة فهي كسراب الخ وان كانت سيئة فهي كظلمات (في بحر لحي)
ذي لحي أي عميق واللح معظم الماء (يفشى البحر) (موج من فوقه موج) أي أمواج مترادفة متراكبة
(من فوقه) من فوق الموج الثاني (سحاب) غطي النجوم وحجب أنوارها هذه (ظلمات بعضها فوق بعض)
أي ان البحر يكون قعره مظلمًا جدا بسبب غمورة الماء فإذا ترادفت الأمواج ازدادت الظلمة فإذا كان فوق
الأمواج سحاب بلغت الظلمة حدا لا يطاق (إذا أخرج يده) وهي أقرب ما يرى اليه (لم يكديراها) لم يقرب أن يراها

ففسلا عن رؤيتها (ومن لم يجعل الله له نورا) ومن لم يوفقه لأسباب الهداية (فقاله من نور) وأما الموفق
فله نور على نور كما تقدم في مثل المشكاة . واعلم أن الآيات المتقدمة قد اشتملت على ﴿نحطين﴾ النمط الأول ﴿
تسبيح الرجال الذين لا نلهمهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله في مثل المشكاة﴾ والنمط الثاني ﴿السحاب المنديج
في مثل أعمال الذين كفروا إذا كان فوق الأمواج الهائجة في البحر اللجج الحل لذلك أخذ يذكر ما يناسب الأول
قائلا سبحانه ان كل من في السموات والأرض يسبحون له وخصص نوعا منها بديع الصنيع عجيب الوضع
والإحكام وهي الطير حال كونها صافات باسقاط أجنتها في الهواء مع ثقل أجسامها فبالحكمة ارتقاءها
وبالنظم البديع طيرانها مخالفة لسائر الدواب الأرضية إذ قويت على مخالفتها ومغالبة القوة الجاذبة الأرضية فقلت
الى الجوّ وعاشت في الهواء الطلق فدلائها على المبدع الحكيم أقرب وابداعها أحكم كل واحد مما ذكر (قد
علم) الله (صلاته وتسبيحه) دعاءه وتزنيه وذلك إما باختياره كالإنسان وأما بطبعه كسائر الحيوان والطير
فانها وإن لم تصل كصلاة الإنسان فان غرائزها المستمدة من النور الأعلى تستمد الرزق والأحوال من المبدع
وهذا الاستمداد والطلب في معنى الدعاء بالفرزة والطبع وهي بما ركب فيها من دقائق الصنعة وبدائع الحكمة
وما حليت به من الريش الناعم البهيج المجوف الخفيف والمناقير المحددة للمساعدة على النهوض في الهواء . بذلك
كله تدل على حكمة نظمها وحكيم أبداعها . ألم تراها كيف كتب الجمل والارضاع على ذوات الأربع ولم تحمل
هي مالا طاقة لها به بل حكم عليها أن تبيض ولم تحمل أذى الجمل والارضاع خيفة أن يعيقها عن الطيران
وخف ريشها وكان محجّوفا ولم يكن لها كرش ولا أمعاء واستغنى عن ذلك كله بغيره من الحوصلة والقانصة . كل
ذلك ابداع واتقان لئتم أمر الطيران بخفة الأجسام . فتبارك الله أحسن الخالقين . (والله عليم بما يفعلون) *
ولله ملك السموات والأرض) فهو يشملهما بعلمه ويملكهما بقوته . فبالعلم يقدر المصالح وبالتدبر يفضل ما
يقضيه العلم من الحكمة فلذلك كان تدبيرها محكما بحيث خصص كلا بخاصة لا يشركه فيها سواه (والى الله
المصير) المرجع . ثم أخذ سبحانه يذكر ما يلائم ﴿النمط الثاني﴾ فقال (ألم تر أن الله يزعج سحبابا) يقول
الله بعد أن ذكر في المثل الثاني أن السحاب فوق الأمواج المتراكمة يزيد الجوّ ظلمات ويوقع الراكب في حيرة
ألم تر أن الله يسوق سحبابا (ثم يؤلف بينه) أى يضم بعضه الى بعض (ثم يجعله ركاما) متراكما بعضه فوق
بعض (فترى الودق) المطر (يخرج من خلاله) من فتوقه جمع خلل كجبال في جبل (وينزل من السماء)
من الغمام وكل ما غلاك فهو سماء (من جبال فيها) من قطع عظام تشبه الجبال في عظمها وألوانها (من برد)
من التبقيض والثان قبلها للإبتداء أى انه ينزل البرد من السماء من جبال فيها . وذلك أن الأبخرة إذا
تصاعدت فبلغت الطبقة الباردة من الهواء وقوى البرد هناك اجتمعت وصارت سحبابا فان لم يشتد البرد تقاطر
مطرا وان اشتد فان وصل الى الأجزاء البخارية قبل اجتماعها نزل ثلجا والآنزل بردا وقد يبرد الهواء بمافيه
من البخار بردا مفرطا فينقبض وينعقد بخاره سحبابا وينزل منه المطر أو الثلج . وهذا المقام قد أوضحته فيما تقدم
في ﴿سورة الرعد﴾ وسيتضح قريبا (فيصيب به) بالبرد (من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنا برقه)
ضوء برقه (يذهب بالأبصار) بأبصار الناظرين اليه من فرط الاضاءة وذلك من العجائب أن السحاب الذى
ضرب به المثل في تقوية الظلمة يكون منه نور يكاد يذهب بالأبصار فبهذا قد اشتق النور من الظلام والهداية
من الضلال . فالسحاب الذى ذكر مثلا لظلمة أعمال الكافرين أضاء الجوّ بنور وأشرق في سائر الأفطار
وكاد يخطف الأبصار ولذلك أعقبه بما هو من قبيله فقال (يقلب الله الليل والنهار) بالمعاقبة بينهما وبأن
ينقص من أحدهما ما زاد في الآخر وبتغيير أحوالهما نورا وظلمة وحرا وبردا وغير ذلك كما كان السحاب
ظلمة واشتق منه نور البرق الذى يبهز الأبصار (إن في ذلك لعبرة لأولى الأبصار) لدلالة أهل العقول والبصائر
على قدرة الله وحكمته

﴿ فصل في علم الحيوان ﴾

اعلم أن الله تعالى لما ذكر مثل المؤمنين بالمشكاة ومثل أعمال الكفار بالسراب وبالظلمات وذكر منها السحاب ثم جعل ذلك السحاب موضوع نظر وبحث وبين نظامه وعجائبه وأن الماء ينزل منه أنبعه سبحانه بذكر الحيوانات لأنها من الماء النازل من السحاب . وذلك أنه ما من حيوان إلا وهو مركب من مواد أهلها الماء فلما نزل من السحاب وسرى في النهر وتفرقت منه أجزاء فدخلت في جسم كل حيوان (١) فن الحيوان ما يتكاثر بالانقسام بمعنى أنه إذا بلغ أشده انقسم إلى اثنين كل منهما إلى اثنين وهكذا على التعاقب

(٢) ومنه ما ينقسم الحيوان منه إلى عدة حيوانات

(٣) ومنه ما إذا بلغ أشده انفجر فخرج منه حيوانات صغيرة تنمو وتناسل ويموت هو

(٤) ومنها ما يتناسل بالتبرعم وذلك أنه ينبت على جسم الحيوان تنوء كالبرعم ثم يبلغ فينفضل ويصير

حيوانا مستقلا

(٥) ومنها ما يتناسل بالبيض إذ يتكوّن الجنين في البيضة كما يحدث في ذوات الفقرات . فنه ما يخرج فيه البيضة من الأتني قبل باوغ الجنين وتم حضانتها في الخارج كالطيور وبعض السمك . ومنها ما تبقى البيضة في الرحم ويتكوّن الجنين فيه ثم يولد كاملا كالإنسان وذوات الأربع من البهائم والوحوش والسيّاح وما أشبه ذلك . فكل هذه تلد الجنين بعد أن يتربى في بطنها وهذه الحيوانات على اختلاف أنواعها مكوّنة من الماء مختلطا بغيره ممزجا به متحدا معه وهي

(١) إما حيوانات فقريّة ذات عظام ودم وهي (أ) الإنسان (ب) وذوات الأربع (ج) والطيور (د)

والسمك (هـ) والزواحف كالحيات

(٢) وأما حيوانات حلقيّة قد تركب جسمها من حلقات (١) وهي الحشرات كالذباب وأبى دقيق من

كل ماله ستة أرجل (٢) والعنكب وهي ذوات ثمانية أرجل (٣) وماله أكثر من ٤ أرجل (٤) وقارض

الخشب (٥) والسود

(٣) وأما حيوانات قشريّة ليس لها عظام ولادم ولا حلقات تركب منها جلدها وإنما جسمها هلامي قد

يحفظ في قشر يحيط به وذلك كالقوقعة وغيرها مما تقدّم شرحه في هذا التفسير

(٤) وأما حيوانات شعاعية تظهر على شواطئ البحار كالحيوان المسمى ﴿سمك النجم﴾ وغيره مما

تقدّم شرحه موضعا ولعلها تنضح بأوسع من هذا قريبا

هذه هي أقسام الحيوانات وقد علمت أنها كلها خلقت من ماء أي أن الماء داخل في تركيبها فتعجب كيف

ذكر الله السحاب في مثل أعمال الكفار ثم شرح السحاب وعجائبه ثم ذكر الحيوان المخلوق من الماء من

حيث تركيبه منه وكذلك أكثر الحيوانات يتولد من نقطة وإنما قلنا أكثر لأن بعضه قد رأيت أنه يتولد من

تنوء في الجسم أو بالانقسام . فهذا ليس تولده من نقطة بل ذلك بالانقسام . وربك يخلق ما يشاء ويختار

ما كان لهم الخيرة سبحانه الله وتعالى عما يشركون . وإذا فهمت هذه المقدمة عرفت أيها الذكي قوله تعالى

(والله خلق كل دابة) حيوان يدب على الأرض (من ماء) وهو جزء مادته أوماء مخصوص وهو النطفة وقد

علمت شرحه وأفيا كاملا (فمنهم من يمشي على بطنه) إشارة إلى الزواحف التي هي من ذوات الفقرات كالحيات

(ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع) وذلك كالطيور وكذوات الأربع كما تقدّم (يخلق الله ما يشاء) مما ذكر وما لم يذكر ومنه ذوات الحلق وذوات القشر والحيوانات الشعاعية وما يمشي على ستة

أرجل وعلى ثمانية أرجل وعلى أربعين رجلا . وهذه تقدم أنها من ذوات الحلق (إن الله على كل شيء قدير)

وهو بقدرته نوع الحياة فلم يخص بها ذوات الفقرات ولا ذوات الحلقات ولا الحيوانات ذوات القشريات التي جسمها رخو فتراها جعل الحياة سارية عامة فلا يحجبها فقد العظم ولا فقد اللحم ولا فقد الحلقات ولا فقد القشريات . وتري الدودة العارية التي لا عظم لها ولا جلد عائشة فرحة . وتري نوع الحشرات وحده كالنمل والذباب والبعوض والناموس والجنادب والخنفس والنحل والجسملان ودود القز ونحوها أصنافا كثيرة ربما زاد عددها على مجموع سائر أصناف الحيوانات من الدود الى الانسان . ولقد وجدوا أن الخنافس وحدها نحو (٨٠٠٠) صنف ولذلك يقتنون الحشرات المعروفة بنحو (٢٠٠٠٠) ويتوقعون أن تبلغ بما يكشفونه من أنواعها الصغيرة مليون صنف . وهذه الحشرات كلها ما علم منها وما لم يعلم يمر في دور التكوين على ثلاث درجات فهو يكون دودة لدنة للممس تنسل بين التراب والأعشاب ثم تصير جنديا صلب القشري ثوب وثبا ثم تصير فراشة ذات أجنحة تتلألأ بالألوان الزاهية . وقد تأكل في دورها الأول التراب فتعضه وتصبح في دورها الثاني لانهمضم إلا أوراق العشب النسدية . ومنها دود الحرير فهو يكون دودا فشرقة ففراشة ثم تبيض الفراشة بزورا والبرور تصير دودا والدود يفرز لها با واللعاب يصير خيوطا وهو الحرير يصنع به غلافا يكمن فيه وهي الشرقة ثم يخرج من الشرقة فراشا بأجنحة يتزاوج ويبيض . ومنها الذباب الاعتيادي فهو يلقى بزورا صغيرة بيضاء تصير دودا أبيض وهو السود المعروف الذي يشاهد في اللحم المتفنن والجبن والمش القديم ثم يتحول ذلك الدود الى جنادب تدب لا أجنحة لها ثم يتحول الى فراش يطير ومنه الذباب الفارسي فانه يكون في الدور الأول دودا ثم يتخلع ثوبه ويصير جنديا يدب تحت الماء يتسلق الأعشاب المائية وله قوائم قصيرة بلا أجنحة ولا يعيش إلا في المياه والأوحال فاذا جاء أجل انتقاله الى فراش تسلق أوراق العشب وخلع ثوب (الجندي) فاذا هو خارج من تحتها ذا أجنحة صغيرة جميلة وبعد قليل تصير كبيرة يطير بها الى حيث يشاء . وكان الناس قبلا يظنون أن كل دور من هذه الأدوار حيوانا مستقلا فالدودة غير الجندي والجندي غير الحشرة الطائرة وهكذا . واعلم أن الناس يأكلون الجبن واللحم ويرون فيهما السود ولا يخطر ببالهم أن هذا الدود هو عين الذباب الذي يطير على وجوههم وطعامهم أنه هو هو وهذا الدود هو الذي يصير جنديا أو شرقة ثم يصير حشرة طائرة وهي التي تبيض وبيضها يصير دودا . ومن ذلك الناموس فانه يضع بزورا في الماء تصير دودا فيه وذلك السود يصير شرقة وهي تصير ناموسة وهكذا . والطريقة لابادة الناموس ردم المستنقعات والآجام أو تغطية سطوحها بالسائل المسمى بترول . وهذه الأدوار الثلاثة لهذه الحشرات مختلفة . فالدودة لا تعمل لها إلا الاغتذاء كالأطفال في بني آدم فهي تموت وتزيد ثم تسكن كما نرى دودة الحرير وقد تسكن ثوبا تنسجه على نفسها من خيوط فهي حينئذ الشرقة وهي كجثة مخنطة ملفوفة بالأكفان ثم لا تلبث أن نرى الحياة أخذت تدب في تلك الجثة رويدا رويدا حتى تبعث من مرقدها وتخلع أكفانها وقد لبست ثوبا جديدا زاهي اللون من أزرق أو أخضر أو أحمر أو ذهبي أو عقيق أو بنفسجي . فتعجب من حشرة بهجة اللون بدعة التركيب منقشة مرقشة نشأت من رمة جافة لا يظهر للحياة فيها أثر . ومن هذا نشأ تقديس المصريين القدماء للجعلان (جمع جعل) فانها تنشأ من رمة مائة فرموا بها للحياة والخصب وأكثروا من رسمها في كتاباتهم ونقشوها على الهياكل وصنعوا لها التماثيل بأقمار مختلفة وكانوا يصلون لها . فاعجب لصنع الله وكيف خلق هذه الجباب ولون الألوان وأبدع الأشكال وحير الأبواب حتى جعل علم الحشرات مدهشا . وقد تقدم بأوسع من هذا في آخر (سورة الحج) ولعمري ان المسلمين أحق الأمم بفهم هذه الجباب

أي عذر للمسلمين في جهالتهم . يقول الله في هذه الآيات - فمنهم من يمشی على بطنه ومنهم من يمشی على رجلين ومنهم من يمشی على أربع يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيء قدير - . فانظر كيف قال انه يخلق ما يشاء وقال انه على كل شيء قدير مشيرا بذلك الى الاختلاف وحسن الصنع الذي رأيت

وكيف كانت الحشرات . وضع الجب للأعم حتى قدس المتسعدون من الأعم . منها لأن عبادهم لم يبينوا لهم عجائب إلا عجائبها ولوانهم فتحوا لهم باب العلم على مصراعيه كما نتحه القرآن لم يقفوا في العجائب عند حد الجعلان فقدسوه بل القديس لصاحب الصنعة الذي زين ونقش وزخرف وأبهج صنعه وأبدع اتقانه وجعل دودة ربما هضمت الطين فتصير فراشة لاتهمضم الطين ولانأكله بل تأكل ما هو أطف . إن هذا العالم عجيب . وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون . وههنا أربع اطائف

(١) في قوله تعالى . الله نور السموات والأرض . الى قوله . كمشكاة فيها مصباح . الخ

(٢) وفي قوله . والله يرزق من يشاء بغير حساب .

(٣) وفي قوله . والطير صافات . الخ

(٤) وفي قوله . وينزل من السماء من جيل فيها من برد . الى قوله . يكاد سنا برقه يذهب بالابصار .

﴿ اللطيفة الأولى في قوله تعالى . الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح . ﴾

اعلم أن هذه السورة قد بين الله فيها أحكام الزانية والزاني وجلدهما وبين حكم من رمى زوجته بالزنا وعقابه وبين حكم الملاعنة وكيف يتفرق الزوجان بها ثم قصة الافك وكيف خاض الناس فيه وجعل هذا الحديث كحديث مريم ابنة عمران في عفتها وانها أحصنت فرجها . ثم أبان كيف يجب أن يعفوا الانسان عمن ظلمه كما امثل أبو بكر الصديق رضي الله عنه فعفا عن مسطع . ثم أمر الرجال والنساء بغض الأبصار وحرم عليهن أن يظهرن زينتهن لغير المحارم ثم بين حكم النكاح والمسكاة تسكيها للنسل في الأول وحفظ الفرج وعقبا للعبيد الذين هم عباد الله وبين انه يجب أن ينفق من المال في سبيل العتق فان المال مال الله والخلق عباده فتحا لباب الحرية لأن نبينا ﷺ أرسل رجة للعالمين ومن رحته لهم أن يكون دينه فاتحا لباب الحرية واطلاق العبيد من رقهم . ثم ختم ذلك بأن هذه آيات مبينات ومواعظ للتقين . ولما كانت هذه الأحكام انما أتت بها لتعليم الأخلاق والآداب وحفظ المجتمع مما يقوِّض دعائه وتقويته بما يكثر النسل فيه وكان ذلك مقدمات لما هو أعلى مراما وأجلا وأعظم وهي المعارف والعلوم أردفه بقوله . الله نور السموات والأرض . كأنه تعالى يقول أيها الناس لاتلهكم الأحكام الشرعية من الحلال والحرام وأحكام الزنا والنكاح والقذف وما أشبه ذلك لاتلهكم عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة كما قال في آية أخرى . يا أيها الذين آمنوا لاتلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله . فههنا كأن الله يقول لاتلهكم أيها الناس أحكام النكاح والقذف والعتق وحده والزنا وعقابه عن شظائير الأمور وجلالها . أيها الناس ارفعوا رؤسكم الى أعلى . انظروا الى جلالى ونورى في شمسى وفي قرى وفي النبات والزهر والنهر . أنالتم أخلقكم في هذه الأرض لتكونوا فيها خالدين وانما خلقتكم لتعيشوا آمنين آمدا ثم أنقلكم الى دار أجمل من هذه وان تناولوا تلك الدار الجيلة إلا اذا انظرتم جلالى وفهمتم بعض حكمى وابتدأ ذلك بقوله . الله نور السموات والأرض . الخ

واعلم أن الله جعل هذا المثل نبراسا للعوالم المشرقة . ضربه بما شاهدته كل يوم في مساجدنا . يقول الله أى عبادى أتريدون أن تعرفوا حكمتى في خلقى . انظروا القناديل المعلقة في مساجدكم . انظروها ألا ترون أنبوبة فيها زيت أحاط بها زجاجة اشتعلت فيها نار فأضاءت المساجد وأنتم تصاون فيها . فهذا نظام مركب تركيبا أنتج هذا النور الذى أشرق على أبصاركم فأضاء لكم مساجدكم هكذا نورى المشرق في عجائب خلقى . وههنا أخذ الناس يفكرون في ذلك التمثيل فقوم خصصوه

(١) فقالوا ذلك تمثيل لمحمد ﷺ

(٢) وقوم قالوا لابراهيم عليه الصلاة والسلام

(٣) وقوم قالوا ذلك لسكك مؤمن فعمموا

(٤) وقوم قالوا . كلا . بل هو لكل انسان أي لقواه الداركة

(٥) وقوم قالوا بل هو لقواه العاقلة

(٦) وقوم قالوا هو للقرآن

اختلفت أنظار العلماء في هذا التمثيل على مقدار فهمهم ومقتضى نظارهم ومقامهم في العلم فمن كان لا يعرف إلا الايمان قال به . ومن كان مغمورا في نور النبوة قال بها . ومن كان ذا نظار في السموات والأرض والعالم عجم المثل فتارة أرجعه لنفس الانسان وتارة لقواه الداركة وتارة لقواه العاقلة وهذا أعم الأقوال لأن الانسان يشمل الأنبياء والايمان القائم بالقلوب . واعلم أن هذا المثل اللفظي الذي جعل مشا كلا للجانب أجزامنا وعقولنا وادراكنا أشبه بما نصبه الله في الأرض من الأجسام الانسانية إذ أحكم صنعها ونظم أعضائها وخلق وسوى وقدر وأحكم جعلها العلماء تمثيلا لأمور وهي

(١) كالسفينه تركبها الروح في بحر الحياة اللجي حتى تصل الى شاطئ الموت

(٢) أو كالدار فيها السكان المختلفون من القوى الداركة وأعضاء الحس وأعضاء الحركة والمأخوذة والمأخوذة وما أشبه ذلك وفيها أمتعة كالصفراء والدم والبلغم ونحوها

(٣) أو كاللوح والنفس تنقش فيها وترسم وتعلم حتى اذا علمت ما تطيقه رمت باللوح وراحت الى ربها كما ان الطفل يقرأ في اللوح ويتعلم حتى اذا عرف القراءة المطاوعة ترك اللوح وذهب الى ما يريد

(٤) أو كالمدينة والروح ملكها والأعضاء منازلها الخ

(٥) أو كالذكان والروح صاحبها والأعضاء الباطنة متاعها والأعمال تجارتها والرج والخسارة في آخرتها وهكذا . هكذا هذا المثل وهو قنديل المسجد

﴿ الوجه الأول من الوجوه السابقة ﴾

إن هذا التمثيل لنور محمد ﷺ فالمشكاة مصدره والزجاجة قلبه والمصباح فيه النبوة توقد من شجرة مباركة هي شجرة النبوة يكاد نور محمد ﷺ وأسمه يتبين للناس ولولم يتكلم به انه نبى كما يكاد ذلك الزيت يضىء ولولم تمسه نار

﴿ الوجه الثانى ﴾

المشكاة جوف محمد ﷺ والزجاجة قلبه والمصباح النور الذى جعله الله فيه لاشرقية ولاغربية لا يهودى ولا نصرانى - توقد من شجرة مباركة - وهو ابراهيم عليه السلام - نور على نور - نور قلب ابراهيم ونور قلب محمد ﷺ وهذان الوجهان متقاربان

﴿ الوجه الثالث ﴾

المشكاة ابراهيم والزجاجة اسماعيل والمصباح محمد ﷺ . سمي الله محمدا مصباحا كما سماه سراجا منيرا والشجرة المباركة ابراهيم لأن أكثر الأنبياء من صلبه - لاشرقية ولاغربية - يعنى ابراهيم لم يكن - يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما - لأن اليهود تصلى الى الغرب والنصارى تصلى الى الشرق

﴿ الوجه الرابع ﴾

انه لكل مؤمن وهذا أرقى مما قبله وأوسع مدى على حسب ارتقاء النظر واتساع الفكر فالمشكاة نفسه والزجاجة قلبه والمصباح الايمان في قلبه والقرآن يوقد من شجرة مباركة هي شجرة الاخلاص لله وحده وهذا التمثيل وان كان أعظم مما قبله فهو قاصر على قوم مختصين

﴿ الوجه الخامس ﴾

إن هذا تمثيل لما منح الله به عباده من القوى الداركة الحس التي بها المعاش والمعاد وهي الحساسة التي

تدرك بها المحسوسات بالحواس الخمس . والقوة الخيالية التي تحفظ صور تلك المحسوسات لتعرضها على القوة العاقلة متى شاءت ثم العاقلة التي تدرك الحقائق السكينة وتستنتج . ثم القوة القدسية التي تجعل فيها لوائح الغيب الخاصة بالأنبياء فهذه مثلها بالمشكاة والزجاجة والمصباح والشجرة والزيت . ألا ترى رعاك الله أن المشكاة بمعنى السكوة قد شامتها محال اسلواس التي قد وضعت فيها ووجهها الى الناس ولا تدرك ما وراءها كالعين فانها لا تدرك ما خلفها ولكن تدرك ما أمامها ثم انك تعلم أن الانسان اذا أدرك المحسوسات وصورت في نفسه صارت في القوة الخيالية كما يحس به كل انسان فانا اذا أغضضنا أعيننا فانا ندرك في أنفسنا تلك الصور التي رأيناها فهذه القوة التي حفظت تلك الصور فسميها الخيالية فهي كالزجاجة تقبل صور المدركات وتنبطها ثم إن قوتنا المنسكرة أكبر من هذه القوة الخيالية فان هذه القوة السكينة فيما تنعكس في الصور التي في قوة الخيال فتقول هذا حسن وهذا قبيح وتستنتج فهي كالمصباح . فأما القوة العاقلة فهي كالشجرة المباركة لأنها تؤدي الى ثمرات لانهاية لها . فأما كونها زيتونة لاشرقية ولاغربية فذلك انها تجرد المعاني عن الصور وتخترع القضايا السكينة التي لا تخص شياً بعينه أى لا تنقيد بالجزئيات . فاذا أدركت أن الكل أكبر من الجزء وأن الشئين المساويين لشئ واحد متساويان فلم يكن هذا المعنى خاصا بشئ دون شئ فهو لاشرقى ولاغربى بل هو عام . فأما الزيت فهو كالقوة القدسية الخاصة بالأنبياء فهي لشدة صفائها تكاد تضيء بالمعارف من غير تعليم ولا تفكر

﴿ الوجه السادس ﴾

إن هذا تمثيل للقوة العاقلة وحدها . فهي في بدء أمرها خالية من العلوم ثم تنقش فيها العلوم بالحواس الخمس فتصير كالزجاجة ثلاثية في نفسها قابلة للألوان ثم تعرف العلوم بفكرها كالشجرة الزيتونة أو بالحدس كالزيت أو بقوة قدسية كالتي يكاد زيتها يضيء فانها تكاد تعلم وان لم تتصل بها العلوم . فان اتصلت بها العلوم بحيث تتمكن من استحضارها متى شاءت فهي المصباح فاذا استحضرت بها كان نورا على نور

﴿ الوجه السابع وهو أسهلها ﴾

قال ابن عباس ﴿ هذا نور الله وهداه في قلب المؤمن كما يكاد الزيت الصافي يضيء قبل أن تمسه النار فاذا مسته النار ازداد ضوءاً على ضوئه كذلك يكاد قلب المؤمن يعلم بالهدى قبل أن يأتيه العلم فاذا جاءه العلم ازداد هدى على هدى ونورا على نور ﴾

هذه هي الوجوه السبعة التي ذكرها العلماء . وأنت ترى أن الآية صالحة لها جميعها لأن الأنبياء ونوع الانسان والعقول كلها تشابه تلك القناديل المعلقة في المساجد . وكأن الله يقول لعباده بهذا المثل انظروا الى هذه القناديل المعلقة في مساجدكم التي نورت أرضها وحيطانها . هكذا أنا أنرت قلوبكم وقلوب أنبيائكم وعقولكم وحواسكم وأنعمت عليكم بنعمة الحواس والخيال والعقل والقوى المدركة ، فابراهيم ومحمد والمؤمنون ونوع الانسان وحواسكم وعقولكم وخيالكم وقواكم العاقلة . كل هذه أنوار مثلت لها بهذه القناديل . اني نور السموات والأرض . أنرت السموات بالكواكب والشموس وأنرت السبل والطرق بالنجوم وجعلتها علامات لكم وجعلت كل شئ بحساب ونظام وجعلت هذا القنديل مثالا لكم وأنتم تصلون في مساجدكم فهذا القنديل أذكركم بنوري في سمواتي بالكواكب والشموس والأقمار . وهو مثال أيضا للأنوار المشرقة في نفوس أنبيائكم كمحمد وابراهيم وقواكم العاقلة والحاسة والخيالية وعجائب نفوسكم . إن نوري مشرق في العالم العلوي والسفلي

﴿ عجائب القرآن في قوله تعالى أيضا - الله نور السموات والأرض - ﴾

انظرأيها النكي الى نظم القرآن وعجائبه . انظر وتعب . انظر كيف أتى بعد آيات العتق والنكاح والنفذ والملاعنة بآيات النور . يقول الله أيها المسامعون . إياكم أن يشغلكم أحكام الشرع واقامة الحدود ونظام

الأسرات والزواج والعقود والمكاتبه وأحكام الحرام والحلال عن النظر إلى عجائب خلقي . إياكم أيها المسامعون أن بصرفكم صارف عن عجائب صنعى . إياكم أن يصدكم علم الفقه عن علم السكائنات . انظروا إلى السراج الموضوع أمامكم في كوة المسجد . انظروا . إن سسوائى فيها سرج من الشمس والأقمار والسيارات . إن عقولكم فيها سرج . إن حواسكم وقواكم الداخلة فيها سرج . إن دينكم سراج . إن أنبياءكم سرج . إن المؤمنين سرج . إنى أضأت كل شئ بأنوارى وعلمى ظاهرا وباطنا . إن مساجدكم يسبح فيها قوم بالغدق والآصال فلا تلهيهم تجارة ولا بيع . هكذا لا يشغلكم ما تقدم من علوم الفقه في هذه السورة وغيرها عن النظر إلى عجائب صنعى . هذا هو الذى فهمته أيها الذكى من هذه الآية وقوله - رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة - الخ

اللهم إني أسألك أن تقدرنى على اتمام تفسير القرآن وأن تنشره بين المسامعين . اللهم إني أسألك أن تنير بصائرهم كما أنرت السموات والأرض وأشرفت الأرض بنورك . اللهم ابث فيهم رجالا منهم يرشدونهم إلى مقاصد القرآن فترتقى الأمة إلى سبل النجاح وطرق الفلاح

﴿ إيضاح الكلام على القنديل والمشكاة في المسجد ﴾

تبين لك فيما تقدم أن الله عز وجل علم قبل أن ينزل القرآن ضعف النوع الانساني وأن المسلمين بعد القرون الأولى سيصبحون قاصرين على الأحكام الشرعية وهم فيها غير موفين ولا منمومين ولكن اليوم والزم انما يتوجه اليهم لقصورهم واقتصارهم على الأحكام الشرعية . لذلك تراه في (سورة البقرة) لما ذكر الحيض والرضاع والنفقات والطلاق والعدة والرجعة وما أشبه ذلك فاجأ المسلمين بقوله - حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وقوموا لله قانتين - ولقد بينا هذا القول هناك فارجع اليه كأنه يقول للمسلمين إياكم أن تشغلكم القضايا والشهود والزواج والطلاق والعدة والمهر والنفقة والعدة وسائر الأحكام الشرعية عن التوجه لله فان هذه أمور لحفظ نظامكم وارتقاء مدنكم واسعادكم في الحياة الدنيا . فأما ارتقاء العقول فاعلموا ان يكون باتجاه النفوس إلى خالق الكون وذلك بالمحافظة على الصلاة والتوجه إلى الله فيها . هذا ما كان هناك . ولكن اسمع ماهو أعجب هنا . هناك ذكر الصلاة وهنا أتى بما هو أعظم مقاما وأبعد إحكاما . ثم يكتف بالصلاة بل ذكر المقصود الأعظم من الصلاة ومن جميع هذه الحياة إذ عبر بالنور الذى عم السموات والأرض نور الشمس ونور القمر ونور السراج . وما نور السراج إلا أثر من آثار أنوار الشمس . ألا ترى إلى الزيت كيف كان في الشجر والشجر كيف كان عناصر أرضية والعناصر الأرضية كانت مادة ساذجة لاصورة فيها والمادة قبس من نور العقول المجردة فاضت من ذلك العالم الأقدس بالنظام الأكل فذكر نور السموات والأرض بالكواكب ومثل بالسراج الذى هو أثر من آثار النور العام مثل به لما هو أتم وأكمل وهو نور العقول والبصائر . وإيضاحه أن نقول . اعلم أن العقل عند الحكماء كآرسطاطليس وأفلاطون وسقراط والفارابى وابن سينا والغزالي والرازي وابن رشد وأضرابهم إما عقل بالقوة وإما عقل بالفعل وإما عقل مستفاد وإما عقل فعال وهذه هي التي ضرب لها مثل المشكاة على حسب الحقيقة وما تقدم انما هو اجمال وهذه المباحث لا يعقلها إلا الحكماء . ولكنى سأضرب لك مثلاً بوضع المقام لك حتى تطلع على عجائب الحكمة وبدائع العلم وتقف على السر المصون والجوهر المسكون فأقول

تصور شابا ذكى الفؤاد رائع الفكر قوى الذهن مستعدا للتجارة فهذه حال أولى وهو في صفه ثم إن هذا الشاب تعاطى التجارة وأخذ يقلب المال لقصد الربح فكسب ألفا وبالألف كسب ألفا أخرى وبهما كسب ألفين وهكذا فهذه حال ثانية . ثم انه اذا اجتمع عنده آلاف ونال الفنى على مقدار طاقته بحيث لا يقبل الزيادة وأخذ يقلب المال كما مرة بعد أخرى فهذه حال ثالثة . فهذه الأحوال الثلاثة يمكننا أن نسميها على الترتيب

غنى بالقوة وغنى بالفعل وغنى مستفاد فهو قبل أن يملك شيئاً غنى بالقوة أى أنه في إمكانه أن يكون غنياً ومتى ملك شيئاً بعد شيء يقال أنه غنى بالفعل بالنسبة لما يملكه وبالقوة بالنسبة لما لا يملكه فإذا تمّ فناء غنى بالقوة ولم يبق هناك ما هو بالقوة بالنسبة له فإذا قلب المثال مرة بعد أخرى يقال إن هذا غنى مستفاد . هذا مثال أول (المثال الثاني) شاب ذكى كالمستفاد هو ابن ملك فهو قبل أن يملك يقال له ملك بالقوة فإذا مات أبوه ولاية يقال له قد ملك بالفعل شيئاً وبالقوة شيئاً آخر فإذا مات أبوه رولى مكانه قيل أنه ملك بالفعل فإذا أتى الأوامر مرة بعد أخرى قيل ملك مستفاد مثلاً . هذان المثالان إذا عقلتهما أدركت ما سأوضحه لك الآن فأقول . اعلم أن العقول الانسانية في أول أمرها مستعدة لاقتناص الصور من هذه المادة التى نعيش فيها فكل أمرىء في أول حياته ينظر ويسمع ويشم ويدوق ويلمس وهذه المدركات والمشورات والمحموسات والمسعوعات والمبصرات صفات المادة ومصورها وهذه الصور جلايب للمادة وقد عدها الحكماء فكانت (٣٦) كالألوان والأصوات الخ فهذه الجلايب التى كسبت بها المادة خلق العقل ليكتسب بها ويلبسها فإن الطفل نراه مستعداً لفهم ما حوله ودراسته فهو قبل فهم الأشياء عقلها بالقوة لا بالفعل أى أنه مستعد للعقل فإذا عقل صورة بعد صورة وعلم بعد علم يقال أنه قد عقل شيئاً بالقوة وشياً بالفعل فاعرفه صار معقولا بالعقل ومالم يعقله صار معقولا بالقوة فإذا انتهت معلوماته بأن درس جميع العلوم الرياضية والطبيعية والفلكية والسياسية والأخلاقية بحيث وصل الى ما يطيقه نوع الانسان يقال ان له عقلاً بالفعل فإذا استحضرت هذه المعقولات التى خزنها عنده بعد أن صارت بالفعل يقال ان هذا العقل مستفاد . هذه هى المراتب الثلاث التى تقدمت فى مثال التاجر وفى مثال ابن الملك . فهذا العقل المستفاد فى نوع الانسان الذى لا يكون إلا كابر الحكماء له نظير فى عالم غير عالمنا وهو العقل الفعال . ومعنى العقل الفعال العقل الذى لم يقتصر علومه من المادة بل علومه مفروسة فيه بفطرته فإن المادة قد كسبت الصور اللاحقة بها من ذلك العقل ورسم فيها ما كان مرئياً فيه وجميع الأحوال القائمة به ترسم فى المادة مقسمة عليها وتلك العلوم فى العقل الفعال غير منقسمة فيه لكنها منقسمة فى المادة موزعة عليها فنراها جعت بين الزرع والحجر والنهر والكوكب الخ ولكن العقل الفعال جمع هذا كله غير مفرق ولا منقسم كما ان عقولنا تجمع هذا وهى غير مقسمة ولا مجزأة بل هى واحدة منزّهة عن التقسيم كما هو مبهر من عليه فى كتب الحكماء . وهذا العقل الفعال نسبته الى عقولنا كنسبة الشمس الى أبصارنا . فإذا كانت أبصارنا مستعدة للأبصار ومعنى كونها مستعدة أنه لو أشرق نور فى الهواء وعلى قرنية العين وعلى عدسيتها وأحضر الصور على شبكيةها أدركته ووصلته للعين فهكذا عقولنا إذا أشرق العقل الفعال عليها اشراقاً معنوياً كاشراق الشمس فى الهواء وفى العين فإن المعانى تتمثل فى عقولنا كما رسمت الصور فى القوة الباصرة فالعقل الفعال كالشمس والعقول كالعيون واشراق العقل الفعال المعنوى كاشراق الشمس الحسى . فصول الصور فى العقول كحصول المرئيات فى أبصارنا . فإذا حصلت المعقولات فى نفوسنا واستتجنا بها علوماً أخرى وهكذا فإنه يقال إن العقل عندنا بالفعل بالنسبة لما عرفناه وبالقوة بالنسبة لما لا نعرفه . فإذا ارتسمت العلوم فى نفوسنا يقال انها عندنا بالفعل ثم يكون العقل المستفاد ثم إن العقل بالقوة كأنه مادة للعقل بالفعل والعقل بالفعل كأنه مادة للعقل المستفاد والعقل المستفاد كأنه مادة للعقل الفعال والعقل الفعال كأنه صورة له .

وعلى ذلك يكون هذا الوجود مرتباً فى عقولنا من الأدنى الى الأعلى فاننا ندرك البسائط ثم المركبات وندرك الصور المحسوسات التى هى أخس من المعقولات ثم ندرك السكليات ثم تتم عندنا وتكمل وتكون عقلاً مستفاداً فأما فى العقل الفعال فإن العلوم فيه تنزل من السكليات الى الجزئيات بلازمان بل هى فيه هكذا أبداً وهى تكون فى المادة من الأدنى للأعلى

﴿ الصورة والمادة والمعاني والعقول ﴾

إياك أن تظن أن المعاني التي تنقش في عقولنا مثل الصور التي في المادة سواء بسواء . كلا . إن الصور التي في المادة منقوشة فيها . ولقد اعتاد الناس أن يقولوا إن الصورة غير المادة . ألا ترى أن نقش الخاتم شيء والمعدن الذي نقش عليه شيء آخر كما أن الإنسان شيء واللباس الذي يلبسه شيء آخر فإنا هنا ليس كذلك فإن المعاني التي تقتبسها عقولنا من المادة تصبح هي نفس عقولنا . وكما أنك إذا رأيت صورتك في المرآة لم يكن هناك شيء غير الصورة فالصورة هي عين المصور (بالفتح) إذ لا مادة هناك فالصورة والمصور شيء واحد هكذا عقولنا . فشكل معنى عقلناه أو قضايانا اقتبسناها فهي هي عقولنا . فإله أخرجنا من بطون أمهاتنا لنعلم شيئا وجعل لنا السمع والأبصار والأفئدة فاقنصنا من المادة معلومات وتلك المعلومات أصبحت نفس عقولنا لاشئ وراءها فليست صفات لعقولنا بل هي نفس عقولنا كما أن صورنا في المرآة ليست شيئا سوى الصورة فإذا نحن عقلنا أنفسنا فالعقل الذي عقلنا به هو نفس العقول . فإذن يكون عقلنا عقلا وعاقلا ومعقولا فإذا تعقل الإنسان نفسه فالعقل هو العاقل وهو المعقول إذ ليس هناك شيئا متغيرا كالجسم واللباس عليه وكالمادة والصورة بل هما شيء واحد . وهذا هو السر الذي تراه في ثنايا الكتب الفلسفية قد أوضحته لك هلى قدر الامكان وبه تعرف كيف انتقل الناس من أدنى الأمور إلى أعلاها . فبينما هم ينظرون الألوان والأصوات إذا هم يرتقون إلى السكيات إذا هم يفكرون في العقول وقد استكملت علومها إذا هم يقولون بالعقول المستفادة التي تحضر المعقول متى شاءت إذا هم يرتقون إلى العالم الأعلى أى الذى ليس في مادة ويقولون إذا نحن قدرنا ههنا الأرض أن نكون عقولا بمنجرد الاطلاع على هذه المادة وأخذ صورها والتصرف فيها واننا نلبس ملابسها وتصبح حللا لعقولنا ونذهب بها إلى عالم آخر فأحر بنا أن نقول ان هناك عوالم لم تكسب علومها من المادة بل علومها فيها كاملة . وإذا كنا نقول ههنا مادة فيها صور تعلمنا منها وأخذنا العلم عنها وهى حاضرة أمامنا وأصبحت عالمين بها فإبانا ننكص على أعقابنا ولا نقول ان هذا العقل الذى كببناه منها على منوال العقل الذى أكسبها هذه الصور ولذلك نرى أنفسنا نحذو حذوه فتطبع بهذه الصور التي طبعتها ذلك العقل في المادة وهذه العقول التي غرست فينا واستهدت لدرس هذه المادة مستمدة من ذلك العقل الفعال والعقل الفعال قد جعل هذه المادة كلوح تقرأه نفوسنا فتقلده وتدرس ما خطه في لوح الطبيعة وتنحون نحو العقل الفعال لأننا نرى أن الأبناء يسرون على طبيعة الآباء . فاذا كنا نرى جميع صفات الحيوان تتبع في نظامها وسيرها نظام آبائها ووجدنا عقلنا لما كان عقلا بالقوة أخذ يسعى سعيا حثيثا حتى استكمل المعقولات فما الذى يمنعنا أن نقول ان العقول الانسانية تحتذى حذو عقل ليس في مادة وتقلده وتستكمل العلم لتبلغ شأوه أو تقرب من ذلك الشأو كما كان صفات الحيوان يتبعن آباءهن وأن ذلك العقل الفعال فيه النظام غير مستحدث من المادة لأنه لا يحتاج إليها . أما عقلنا فهو إليها محتاج وعليها يعول ولقد أوضحت لك المقام والله هو الولي الحيد.

أفلا ننظر ونعجب كيف ذكر الله قنديل المسجد ونور السكواكب وأشار بنور القنديل إلى أنوار انقلوب وإلى ما ينقش في العقول من المعاني وكيف انتقلنا من مقام إلى مقام حتى وصلنا إلى عالم الملائكة . واهمرى ما ضياء القنديل في المسجد إلا لظواهر الحيطان والسقف والأرض وأن الحقائق في العقول لتفصل تفصيلا وتعرف تحقيقا وقد بين الله ما هو أجل بما هو أقل لأن ما هو أقل أعرف عندنا وما هو أجل مجهول لدينا . وهانحن أولاء وصلنا من هذا المقال لعالم الملائكة - والله من وراءهم محيط - * وقال الشاعر

على نفسه فليبك من ضاع عمره * وليس له منها نصيب ولا سهم

﴿ قطرة ماء في تفسير قوله تعالى أيضا - الله نور السموات والأرض - ﴾

اعلم أن الناس اعتادوا أن يعرفوا عظمة هذه الدنيا بالنظر في السموات والأرض . والقرآن طافح بذلك

وهذا التفسير قد عني بهذا أشد عناية . الله أكبر . جلّ العلم . فهل لك أن أحدثك حديثاً جليلاً عجيباً في هذه الدنيا التي نعيش فيها تطبيقاً على هذه الآية ومن هذا الحديث يتجلى لك أن العلم الحديث أظهر أن جميع ذرات هذه العوالم تفسير هذه الآية وأن هذه الدنيا كلها نور خلقه الله وأن هذا العالم كله نور وأننا نعيش في وسط النور وأن ما نراه من حيوان ونبات وسما وأرض ونجر ومدر . كل هذا ما هو إلا نور متجمد كما نجمد الماء فصار ثلجاً . فهذه العوالم التي شرحتها الأم كلها وذكر مجملها القرآن تدخل في هذه الآية . ومتى سمعت ما أقوله لك الآن وتحققته انشرح صدرك وتمت أن ترى هذا النور عياناً وأن تتحجب عنك هذه الدنيا وصورها الزائلة وتمتع بجمال لانهاية له . فهناك اسمع ما يقوله العالم (هنشو) الذي يكتب في «مجلة هاربر» الأمريكية في سنة ١٩٢٦ وهذا القول نشر في مجلات أخرى فأريد أن أسمحك ملخص ما يقوله ولكني أحافظ على الحقائق العلمية والمقادير تماماً وأورد القول بوضوح يناسب هذا التفسير حتى تعرف نور الله وجماله الذي أشرق في الأرض اليوم وأصبحت عاوم الأمم في الشرق والغرب مفسرات للقرآن وهم لا يشعرون . يقول (هنشو) إن بعض قطرات الماء قد يكون قطرها ثلث سنتيمتر . ولاجوم إنك أيها الذكي تعرف هذا المقياس فهو مشهور لأن السنّي جزء من مائة من المتر قال فلنكبّه

(١) وأخذ يكبره تقديراً صراراً حتى أوصل قطره الى (١٥) سنتيمترا . يقول ومتى صارت قطرة الماء هكذا أصبحت كثيرة الارتجاف وظهرت عليها ألوان قوس قزح

(٢) وإذا كبرناها حتى صار قطرها (١٧٠) متراً زال ظهور قوس قزح ولا نرى فيها إلا الماء لا غير
(٣) وإذا كبرنا قطر نقطة الماء فصار مائة ميل . قال حينئذ تظهر جواهر الماء الصغيرة ويكون كل جوهر صغير من الماء قد صار مثل (الجوزة) حجماً ومقياس قطره سنتين ونصف ومعنى هذا أن جوهر الماء المذكور لا يمكن قسمته الى قسمين كل منهما ماء بل لا يمكن الانحلال الى العناصر التي تتركب منها . فهذا هو الجوهر المائي في حده الأدنى الذي لا يقبل القسمة الى قسمين مائتين بل يحلل الى عناصره الأصلية التي لا تسمى ماء وهما الاكسوجين والادروجين . وهذا الجوهر المائي الذي كبرناه وقلنا انه لا يقسم اذا أمسكناه فرضاً وجدناه أشبه بالجر صلابته لاتحاد الاكسوجين بالادروجين اتحاداً قوياً جداً لا يمكن انفصاله إلا بأعمال كيميائية لا محل لذكرها ولكن هذا الجوهر المذكور يجب علينا أن نعرف ما فيه لأن العلم لاحد له وشوق النفس لانهاية له . وفوق كل ذي علم عليم . فما أشوقنا الى أن ندخل هذا الجوهر الصغير من النقطة كما دخلنا النقطة ونفرّجنا عليها ونحن راكبون في سفينة تجري في ذلك البحر العجيب . قال حينئذ نكبر النقطة مرة رابعة

(٤) فنجعل قطرها مائة ألف ميل فيصير قطر كل جوهر مائي من النقطة المذكورة أكثر من أربعين قدماً بعد أن كان سنتين ونصفاً . ولكن هذا التكبير لا يفيدنا إلا أمراً واحداً وهو أننا نرى كل جوهر مائي مؤلفاً من «ثلاثة جواهر» أحدها وهو الاكسوجين في الوسط والآخرا واحد عن يمينه وواحد عن يساره وهما من الادروجين . وهذه الثلاثة جواهر فردة أي انها لا تنقسم ومعنى انها لا تنقسم انها اذا حلت لا تكون أجزاءها أكسوجينا وأدروجينا بل أشياء أخرى ستعلمها . هذه الجواهر الثلاثة أشبه بخلاء ومسافات لا غير لامادة فيها وجوهر الاكسوجين الذي في الوسط عبارة عن قنديل في المركز تحيط به ست دوائر تبعد عنه (٢٠) قدماً وهذه الدوائر هي سطحه والجوهران اللذان من الهيدروجين حوله ما هما إلا دوائرتان من النور قطر كل منهما سبعة أقدام تدوران حول مركز من النور . إذن نحن الآن عرفنا الجوهر المائي أولاً ولما كبرناه وجدناه مركباً من أشياء ليست ماء ولكنها أشياء أخرى في علم الكيمياء يحلل الماء اليها في جميع المدارس في العالم وتكون عبارة عن مواد أشبه بالهواء وهذا معلوم مستفيض ولكن النفس لاتزال تريد الزيادة في العلم كما قال تعالى - وقل رب زدني علماً - وقال ابن سينا في قصيدة النفس

البحث أن قوله تعالى - ومن كل شيء خلقنا زوجين - قد وصل هنا إلى قرار مكين ، فالكهرباء الموجبة والكهرباء السالبة المذكورتان كل منهما زوج وهما زوجان كالذكر والأنثى وهذان الزوجان اتحادا كالذكور والاناث من الحيوان والنبات . وهذا السر الذي ظهر الآن هو الذي ظهر في الدين المجوسى قبل دخول الخرافات عليه كما تقدم في (سورة الأنبياء) إذ جاء فيه أن الله خلق أصليين وهما الخير والشر وليس يقوم العالم إلا بهما . ثم جاء المتأخرون منهم فجعلوا الخير والشر لإيهان لا لواحد كالمقدمين وهكذا طبع العدد زوج وفرد وعلم الحساب جمع وتفريق والعالم مركب من المتماثل والمختلف . فشكل هذه عبارات ترجع إلى معنى واحد وهو الذي جاء في قوله تعالى - ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تدركون - فمن علماء اليونان من قال أصل العالم العدد . ومنهم من قال السكراته والحب . هذا مافتح الله به في هذا المقام والحمد لله رب العالمين ﴿ النور قديما وحديثا في أرضنا ﴾

(١) المشاعل

(٢) مصابيح الزيت

(٣) قناديل الشمع

(٤) زيت البترول المعروف

(٥) الغاز الذي هو خلاصة الفحم المحترق الجارى في الأنابيب لانهارة المدن

(٦) خلاصة المادة الكحولية المسماة (اسبيرو) أى بخارها الذي يغشى عادة بغشاء يحفظ ضوءه

(٧) ضوء الكهرباء الذي عمّ الأقطار الآن أيام كتابة هذا التفسير . انتهى الكلام على اللطيفة الأولى

﴿ اللطيفة الثانية ﴾ في قوله تعالى - والله يرزق من يشاء بغير حساب - انظرها في (سورة آل عمران)

﴿ اللطيفة الثالثة في قوله تعالى - والطير صافات - وهى جوهرتان ﴾

(الجوهرة الأولى في تسبيح الطير)

إن مقام تسبيح الحيوانات وغيرها قد تقدم في (سورة الاسراء) عند قوله - تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن - وهكذا في (سورة هود) واستبان هناك أن التسبيح والتحميد من المخلوقات لا يعرفان إلا بقراءة جميع العلوم ومن ذلك دراسة الألوان التى وضحت في (سورة المؤمنون) ومسألة نغمات الأشجار في (سورة الرعد) وبيان أن التسبيح والتحميد لغز الوجود وفيهما مسألة الخير والشر وأن الجوس تخلصوا منها بأن للعالم إلهين والاسلام أرجعها للتسبيح والتحميد . وبيان أن المسبح والحمد وهو جاهل كالحشرة المستدفئة بالزهر الملقحة للشجر ولا علم لها . وبيان أن هذه الانسانية اليوم جاهلة هذا الوجود . وبيان أن الصوفية الذين يتبعهم أكثر المسلمين ينهونهم عن العلم فأرسل الله على لسان الشيخ الخواص وهو منهم مايفيد أن الجاد يعقل وأن الأشجار تتعاشق وقد ظهر في الكشف الحديث ووضح في هذا التفسير تعاشق الأشجار أما ان الجاد يعقل فهذا لم تصل له عقولنا . نعم عقولنا عرفت أن النبات يحس ويتحرك كالحيوان كما أثبتته العالم الهندى بمصر وتقدم في (سورة الحج) أما كونه يسبح وكون الجاد يعقل فهذا لم نصل له غاية الأمر أن الأهم اليوم تعرف أن كل جاد متحرك حركات سريعة تعد بمئات الألوف في ثانية . وقد استبان فيما تقدم لماذا ظهر هذا على ألسنة الصالحين من المسلمين وأن حكمة ذلك إقامة الحجة على الصوفية في زماننا إذا هم قصروا في معرفة العلوم التى هى فروض كفايات . وبيان أن المفتوح عليه منهم نادر وهم كالمبتلين من أهل الهند البوذيين الذين رفعوا أنفسهم عن الشعب (انظره هناك في سورة الاسراء) انتهت الجوهرة الأولى

﴿ الجوهرة الثانية في الطيور الرحالة . مترجم عن الانجليزية ﴾

إن الطيور على ﴿ نوعين ﴾ نوع يصرف حياته في مكان واحد ولا يفارقه ولا يذر شجرته أو المستنقع

التي ينبت فيه بطنه ويبيض فيه أكثر من خطوات معلودات الإندرا جدا . ونوع آخر لا يأكل جيفاً في الخط والتصال مدة الحياة وفي جميع العصور فيكون في مكان بضعة أشهر ثم يرتحل آلافاً من الأميال ليصرف بقية السنة في ملكة أخرى . وهذه الطيور تسمى (طيورا رحالة) لأنها دائماً على هذه الحال وهذا النوع طائفتان طائفة تألف رحلة الشتاء وأخرى تألف رحلة الصيف . فالأولى تسكن البلاد الحارة وترحل إلى الباردة شمالاً والثانية تسكن البلاد الباردة وترحل للحارة جنوباً طلباً لحرارة الشمس . إن الإنسان عند سفره يدفع أجرة السفينة في البحر أو القطار في البر . ولكن الطيور الرحالة لا يعوزها إلا أجنحتها . فلا أجرة تدفعها ولا سفينة تقاها ولا قطار يحملها في البر . فتراها أسراباً تطير في جوف السماء مارة بالبحار وبالمدائن المختلفة . إن ارتحال الطيور من أعجب العجائب العظيمة المدهشة في هذه الدنيا وبدائعها وعجيب نظامها . ففي فصل الربيع من كل سنة في يوم معين يصل إلى أوروبا طوائف من الطيور وتبدي قفني أعشاشها في الأمكنة التي بنت فيها في السنة الفائتة وقد ينبت العش طير صغير على الطريقة التي بنى أبواه بها العش الذي تربى فيه هو في العام السابق بحيث يكون قريباً منه . وقد يقوم بعض الناس بتجارب لمعرفة بعض عادات هذا الطير فيصطادون منها جماعة ثم يعملونها بعلامات خاصة كدوائر وغيرها ليعلموا هل هذه هي التي تصل في العام القليل . وقد ثبت لهم بهذه الطريقة أن الطائر المسمى (الخطاف) بالمرية و(سوكو) بالانجليزية الذي يصرف زمن الشتاء بالقرب من (بحيرة تشادو) في أواسط أفريقيا ينبت أعشاشه لتربية صغاره سنة بعد سنة في حائط من منزل مخصوص في قرى الفلاحين ببلاد الانجليز . إن طرق السفن البحرية الرئيسية في البحر الأبيض من أوروبا إلى أفريقيا (ثلاثة) مبتدئة من شبه جزيرة اسبانيا وإيطاليا واليونان . والمسافرون في هذه الطرق على السفن بالبحر الأبيض المتوسط من الخريف غالباً يرون أسراباً كثيرة من (الطيور الرحالة) طائرات جنوباً إلى بلاد الجزائر وبلاد تونس وبلاد مصر

﴿ ما سبب رحلة الشتاء والصيف ﴾

وهنا يرد هذا السؤال فيقال لم رحلت هذه الطيور . ولقد أجاب على هذا السؤال علماء الحيوان الذين هم أقرب إلى العلم بأحواله من سائر الناس فقالوا إن تلك الأقطار التي يرحل لها ذلك الطير أوفى إلى تربية صغاره وتغذيته بالأغذية الموافقة لها . وهذا السبب ذهبوا إليه لأنهم لم يعرفوا الحقيقة يبحث أوفى وطريق أقرب فليس من الناس من يعرف السر في ذلك على حقيقته والله أعلم . انتهى (ترجم من الانجليزية)

﴿ حكمة ﴾

إن سفر هذه الطيور الأوروبية إلى أفريقيا وسفر الطيور الأفريقية إلى أوروبا أشبه بسفر الناس من إحدى الجهتين إلى الأخرى ارتياداً لطلب الرزق وجداً في طلب العلم وذلك كله مما يعلم الإنسان أن الأرض كلها منزل واحد وقد عرف هذه الحقيقة الطير فعمل بها وقال لي رحلتان رحلة الشتاء ورحلة الصيف . ولكن الناس يقاتلون بعضهم بعضاً على الأمكنة وفاتهم بل جهلوا أنهم أسرة واحدة وسيعرفون هذه الحقيقة في مستقبل الزمان حيناً تم الرحلة أهل الأرض (انظر شكل ١) و (شكل ٢)



(شكل ١ - صورة الخطاف)

فوق (الاستانة) والغداء فوق (مديريه) ويصل (نيويورك) الساعة التاسعة زوالية مساء وهذا ميعاد دخول الاوبرا وقد حرك اكتشاف هذه الحشرة اهتمام المهندسين والمخترعين وأخذوا يتحدثون متسائلين «لماذا لا نصنع الفكرة فنصنع طائرة بسرعة هذه الحشرة أو أسرع» وعسى أن يتحقق اهتمامهم رغبتهم هذه فيقوموا للانسانية بخدمة جليلة لا تقدر ولا تخمن

﴿ مقاييس السرعة ﴾

نظم القائد (ارنولد) الأمريكى قائمة بمقاييس السرعة وهى كما يلى

- (١) أعظم سرعة للانسان الراكض ٢١ ميلا فى الساعة
- (٢) سرعته على المزجة ٢٢ ميلا فى الساعة
- (٣) أعظم سرعة للحصان ٣٩ ميلا فى الساعة
- (٤) أعظم سرعة للدراجة (بيسكيت) ٧٥ ميلا فى الساعة
- (٥) أعظم سرعة للدراجة البخارية ١١٢ ميلا فى الساعة
- (٦) أعظم سرعة للقطار الحديدى ١٢٠ ميلا فى الساعة
- (٧) أعظم سرعة للطيارة ٢٨٨ ميلا فى الساعة

﴿ أسرع طيارة فى العالم لاجناح لها ولا مراوح ﴾

صنع المسيو (شبادلين) وهومهندس فرنسى شهير نموذج طيارة بلاجناحين ولا مروحة فى مقدمتها ومع هذا فهى تعبير . ويعتقد هذا المخترع أن الطيارة التى تصنع على نمط نمودجه هذا يمكنها أن تقطع من سبعائة الى ألف ميل فى الساعة . فهى والحالة هذه تسبق الشمس اذا بارتها فى شوط بين باريس ونيويورك . وقد قال المخترع ضاحكا « انه يتسنى لركاب طيارتى أن يتناولوا الغداء فى الجراندى بولفارد بباريس ويشربوا الشاي فى برودواى بنيويورك »

والمسيو (شبادلين) مقتنع بأن طيارته التى أسماها « جيروتر » ستكون طيارة المستقبل القريب . وقد أبد النموذج الذى صنعه لهذه الطيارة أقواله بكيفية مذهشة . و يبلغ طول نمودجه هذا نحو عشرين قيراطا ولا يزيد ارتفاعه على قدم واحد وهو يحاكي الطيارات العادية فى هيكلها . وعلى كل من جانبيه دولاب كرف البواخر النهرية أو كالتى كانت مستعملة لبواخر البحار فى أول عهد البواخر . وكان يقتضى لهذا النموذج محرك تكون قوته ١ من ٧ حصان ووزنه أوقية وربع . ولما كان محرك كهذا معدوم الوجود جهز المخترع نمودجه بمحرك كهربائى وأوصل اليه التيار بأسلاك لينة من ديمو صغير وضعه على المائدة وما كاد يوصل التيار به حتى أخذ رفاها يدوران بسرعة ٧٠٠٠ دورة فى الدقيقة وأخذت تلك الطيارة الصغيرة ترتفع وتدور فى الحجرة . وقد جعلت مغالق متحركة حول أغطية الرفاسين تستخدم لتحويل مقدم الطيارة الى أعلى الى أسفل . ومبدأ المخترع فى طيارته هذه العجيبة هو من قبيل مبدأ المركبة الألمانية المسماة (روكن) فالرفان فى الطيارة التى نحن بصدددها يقومان مقام المروحة التى تكون فى مقدمة الطيارة العادية وهما اللذان يدفعان الطيارة ويسيرانها . ويقول المخترع « إن سرعة هذه الطيارة يمكن أن تزداد اذا استعمل الغاز الهالك الذى ينساب من المحركات على مبدأ الصاروخ » . ولهذا الطيارة ميزة أخرى كما يقول مخترعها وهى ان رفاها وأغطيتها تقوم مقام المظلة الواقية (الباراشوت) فى حالة اصابة المحرك بعطل فتنزل الطيارة الى الأرض ببطء يقيها خطر الاصطدام الشديد ولا يحرق ما لهذا الاختراع من الأهمية الكبيرة فى عالم الطيران . انتهت الفائدة الأولى

﴿ الفائدة الثانية ﴾

جاء فى الأنباء البرقية فى ١٠ يونيو سنة ١٩٢٧ مانصه

﴿ ارتداد القلب الشمالى ﴾

عاد السكتين (جورج ولكسن) بعد ماضاه ضباب الدائرة المتجمدة الشمالية وردّه على أعقابهِ وترك وراءه
احدى طياراته وسط التلوج المتجمدة فى ساحل (الاسكا) الشمالى وقد قال ﴿ إن دليله جزيهام طار فى ٣٨
مايو الى ابتاه فى جرينلند ومن هناك الى مستودع الرقود والمؤنة فى رأس بارو ليحاول حلّ الدالة الغامضة عن
مهاجرة الطيور الى أقصى الشمال ويتثبت مما اذا كانت قارة الانفتيك التى ورد ذكرها فى الأساطير موجودة
فى مكان لم يصل اليه بنو البشر ولكن البعثة عدلت عنها الآن كما عدلت فى السنة الماضية من جراء الضباب
الكثيف وطبقات الثلج المسترة والطيارات يطيران فى عالم كهـ ضباب لا يخترق ﴾ انتهت الفائدة الثانية
وانما نقلت لك هذا الخبر البرقى لتطلع على غرام الأمم التى يعيش معها المسلمون أولئك الذين يخاطرون
بأنفسهم ويعرضونها للتهلكة فى سبيل العلم . وأى علم هو . هو علم الطيور فى مهاجرتها . تلك الطيور التى
ذكرها الله فى القرآن انها مسبحات مصليات فكان على المسلمين أن يعشقوا العلم ليعرفوا عجائب صنع ربهم
وليتهجوا بالجمال والبهاء والحكمة والنور . فهـل الأمم التى تدرس كل علم كالأمم النائمة . يقول الله تعالى
- قل هـل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر أولوا الألباب - ويقول - أفلم يسيرا فى
الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لا تعصى الأربار ولكن تعصى القلوب التى
فى الصدور -

﴿ اختراع الطيارات ﴾

فى سورة (المائدة) فى آية الغراب وفى (النحل) عند قوله تعالى - ويخافق ما لا تعلمون - تقدم الكلام
على البالون والطيارات ورسم بعضها فى سورة النحل اهـ

﴿ اللطيفة الرابعة فى قوله تعالى - وينزل من السماء من جبال فيها من برد - الخ ﴾

لقد ذكرت لك فيما تقدم فى ﴿ سورة الرعد ﴾ ما يناسب قوله تعالى - وكل شئ عنده بمقدار - من أمر
الثلج . وذلك أنك ترى هناك أشكالا منظمة عجيبة مستدسة الشكل مرسومة فى القرن الماضى بهجة المناظر
حسنة الأشكال . ولكنى هنا أريد أن أريك ما يناسب هذا المقام من عجائب العلم فى هذه الآية ﴿ أولا ﴾
أبين لك ما كان يعلمه علماء القرن الثانى عشر الهجرى من أهم الاسلام إذ كان العلم لديهم قليلا وقد جاء على
لسان صلحائهم ما يناسب كشف العصر الحاضر ﴿ ثانيا ﴾ أذكر لك الجبال الثلجية من كتاب علوم الجميع
تأليف العلامة (روبرت براون) الانجليزى ومقالا لغيره فى ذلك ﴿ ثالثا ﴾ أذكر ما أبدعه صديقنا مصطفى بك
منير فى الجمعية الجغرافية أمام ٢٥٠ عالما من علماء أوروبا تفسيرا لهذه الآية . فهذه ﴿ ثلاثة فصول ﴾

﴿ الفصل الأول فيما جاء فى أقوال علماء الاسلام فى القرون المتأخرة ﴾

قد ذكرت سابقا فى هذا التفسير أن الشيخ أحمد بن المبارك الذى عاش فى القرن الثانى عشر الهجرى كان
عالما من أكابر علماء الاسلام وقد لقي الشيخ عبد العزيز الدباغ الذى لم يدرس ولم يتعلم وأن الأول قد أدهشه
الثانى بعلمه . فلا سمعك ما أجاب به فى هذا المقام وأقدم لك مقدمة فأقول

لقد ذكرت فى هذا التفسير أن العالم الدينى فى الاسلام يجب أن يكون علمه أوسع من علم الفقه وهاهى ذه
الحادثة الآتية تبين لك كيف كان الناس فى العصور المتأخرة يسألون علماء الاسلام فى أغور وأصعب مسائل
الطبيعة العويصة . فانظر كيف سئل ابن المبارك المذكور فى ذلك . وكيف بحث عن الجواب فى كلام الفلاسفة
الاسلاميين وعلماء الحديث وغيرهم فلم يجد طلبته ثم كيف سأل الشيخ الدباغ فأجابه بما لم يعلمه إلا علماء العصر
الحادث . فهناك البيان وهذا هو السؤال الذى ورد اليه

﴿ الحمد لله . سادتنا الأعلام . أدام الله بكم النفع للأنام (١) جوابكم في الثلج ما أصله (٢) هل ينزل كذلك من محله منعقدا (٣) وما يحله الذي ينزل منه ؟ (٤) ولأى شئ خصّ بالبلاد الشديدة البرودة ؟ (٥) ولأى شئ خصّ بالجبال (٦) ولماذا نراه تارة يجتمعها مع المطر وتارة وحده وهو الأغلب (٧) ولأى شئ خصت الجبال وعلو الأرض بالبرودة دون السهل (٨) وأيضا الصاعقة لا تنزل إلا في البلاد الباردة والجبال ومواقع الشجر بخلاف الأرض المستوية الحارة مثل الصحراء فإن أهلها يقولون أنها لا تنزل فيها فاصدا ﴿ هذا ملخص السؤال . فلما أخذ يبحث في كلام علماء الاسلام رأى ما يأتي

﴿ أولا ﴾ أن أهل السنة والجماعة لم يفتيدوا في هذا فائدة . قال إنه قرأ كتب التفسير والحديث وعلم الكلام فما عثر على شئ فيها . ومن هؤلاء الحفاظ السيوطي مع علو درجته في الآثار لم يتعرض لذلك لاني كتابه المسمى ﴿ الهبة السنية في الهيئة السنية ﴾ وقد وضعه في علم الهيئة لأمثال هذه المسألة ولا في حاشيته على البيضاوي ولا في ﴿ الدر المنثور في تفسير القرآن بالمأثور ﴾ ولا في كتبه الأخرى مع أنه أكثر فيها من الكلام على الرعد والصواعق والمطر والسحاب والبرق . وأيضا لم يتكلم على الثلج والبرد ولا على سببهما . قال وإنما رأيت ذلك في كلام البيضاوي نقله عن الحكماء . وملخص ذلك أن البخار المائي إذا وصل الى الطبقة الباردة صار سحبا ونزلت الأجزاء المائية فهي على أحوال إما أن يكون بردها قليلا فتكون مطرا وإما أن يكون بردها شديدا فإن جدت قبل الاجتماع فهي ثلج وإن جدت بعد الاجتماع فهي البرد . ولما نقل كلامه كله اعترض على البيضاوي في نقله كلام الفلاسفة . هذا هو الذي رآه ابن المبارك في كلام المتقدمين . ثم رجع الى الشيخ الدباغ فعلمه وأجاب بما يأتي

(١) « إن الثلج ماء عقده الرّيح وأصله غالبا من ماء البحر المحيط . وهنا أخذ يشرح ارتفاع البخار في الجوّ وأنه يصير مثل الهباء ثم تجتمع أجزاؤه لأجل ما فيه من النداءة وينزل على هيئة الصوف أحيانا وعلى هيئة أخرى أدقّ منها أحيانا . فهذا أصل الثلج . أما البرد فإن المسافة بين انعقاده ونزوله غير طويلة وهو من مياه البحور والغدران وأنه إنما ينزل على هيئة الطعام المفقول الغليظ وإنما غلظ لأجل مصاكة الرياح له فراجت أجزاؤه في الهواء تحت أيدي الرياح مثل روجان أجزاء الطعام تحت أيدي المرأة في الصحيفة فحصل فيه قتل مثل ما يحصل في الطعام . قال ولوانه تأخر نزوله ودامت المصاكة لانههقت أجزاؤه وصار ثلجا » فهذا بيان أصل الثلج وبيان الموضع الذي ينزل منه وبيان البرد

(٢) وأما قولكم ﴿ لأى شئ خصّ بالبلاد الشديدة البرد الخ ﴾ جفوابه أن الثلج لا يزال على انعقاده حتى يطرأ عليه مانع والمانع يجمله مطرا وذلك المانع هو الأجواء البخارية الصاعدة من الأرض الحاملة للحرارة فإذا لقيت الثلج كسرت برودته فصار مطرا وهذا البخار الحارّ يكثر في البلاد الحارة والسهول ولذا لا يرى فيها ثلج . ولو فرض أنه رأى ذلك لا يطول مكثه بخلاف البلاد الباردة والجبال المرتفعة فإنه لا مانع فيها من بقاء الثلج على انعقاده

(٣) فأما كونه ينزل مع المطر أو وحده فذلك لما يأتي . إما ذوبان بعض أجزائه بالأجزاء البخارية المذكورة فينزل الذي لم يذب ثلجا والذي ذاب مطرا ولذلك يكون المطر النازل معه في الغالب ضعيفا رفيعا مسحوقا مثل الثلج . وأما أنه نزل قبل تمام انعقاده فإن الرياح تحمل ماء فينقصد ثم تحمل ماء آخر فإذا نزل نزل الأوّل ثلجا والثاني مطرا

(٤) وأما اختصاص الجبال وعلو الأرض بالبرودة دون السهل . فخرابه أن ذلك لقرب الجبال والأرض العالية من الجوّ الذي هو في غاية البرودة . فأما السهول فهي بعيدة منه

(٥) وأما الصاعقة التي ذكرتموها فإن القول بعدم نزولها في الأرض السهلة المستوية الحارة غير صحيح

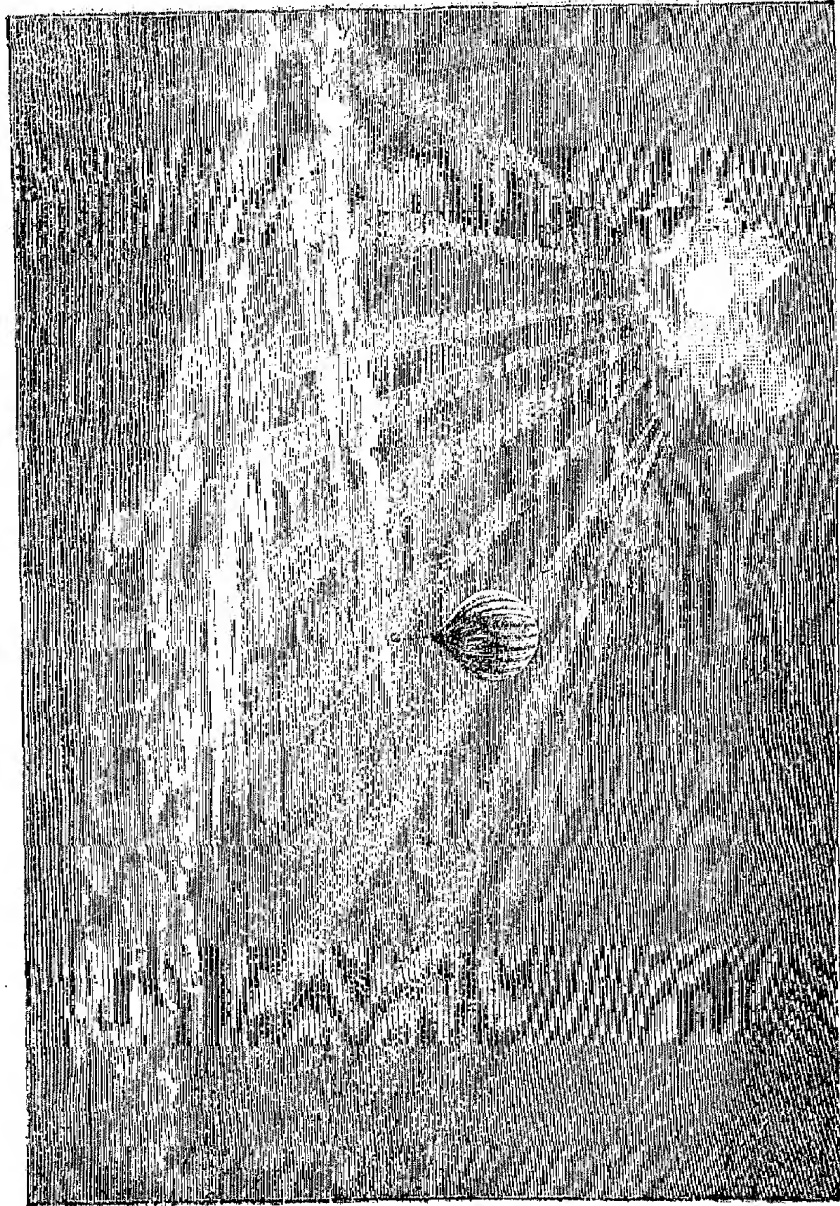
فإنها نزلت بسلاسل (سلاسل) وهي أرض مستوية سهلة كانت صحراء . ولما أتمّ الجواب قال واعلم أن هذا أخبر به من عاين الأمر على ما هو عليه من أرباب البصرة الخ (يريد الشيخ الدباغ) وقد سأل الشيخ الدباغ أيضا قائلا « هل في السماء جبال من برد كما قاله بعض المفسرين » أجاب ليس فيها ذلك . والمراد بالسماء في الآية ماعلاك فسكانه يقول من جهة العاوق وجبال البرد تسكون في جهة العاوق بحمل الرياح لها من الأرض إلى الجهة المذكورة . انتهى الفصل الأول

﴿ الفصل الثاني في مقال بعض علماء الطبيعة في عصرنا ومادبجه العلامة (روبرت براون) الانجليزي ﴾

في كتابه علوم للجميع ﴿

قد جاء في كتاب « الفلسفة الطبيعية » في تعريف البرد انه قطع من الجليد متفاوتة الحجم فمنها ما هو أصغر من الحصى . ومنها ما هو بقدر البرتقال . ومنها ما هو بين هذين الحجمين . ولا يعرف كيف يتكوّن . والظاهر انه يحدث من هبوب ريح شديدة البرد وتتخللها ريح أخرى أحر منها جدا وهي مشبعة رطوبة تقريبا ولكن تحليل هذه الرياح الباردة عسر وغير معروف . فانظر إلى علماء الطبيعة في عصرنا الحاضر كيف تحيروا في تحليل البرد ووازن بين هذا وبين كلام (الشيخ الدباغ) الذي قال ان السماء ماعلاك وأن البرد ما هو إلا ماد حرجته الرياح من المواد المائية ولم يطل زمنه وشرح شرحا طويلا ضافيا . فلنفض القول في مسألة الثلج والبرد من كتاب « علوم للجميع » فنقول

اعلم انني قدّم لك في (سورة الرعد) عند الكلام على الثلج انه عند القطبين يكون دائما يأخذ في الارتفاع شيئا فشيئا . ومعنى هذا أن الثلج دائم في جميع أنحاء الدنيا غاية الأمر أنه مرتفع عند خط الاستواء وهو على الأرض عند القطبين وما بينهما يكون بالنسبة لهما ارتفاعا وانخفاضاً . فاقرا ما ذكرته هناك ثم انظر هنا ما يقوله فستري عجبا عجبا . ستري ما قاله الله في القرآن يشاهد عيانا ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ ستري ما عجز عنه خول العلماء سابقا وانما شرحه (الشيخ الدباغ) الذي لم يتعلم . قد ظهر له بالمعينة . ستري أيها الذكي ما جاء في القرآن من أن هناك جبالا فيها من برد حقا وصدا . ومعنى هذا أنك الآن ستشاهد صورة الجبال الثلجية المرتفعة فوقنا وتجب من المسلمين الذين تركوا جميع العلوم وجهلوا حق الجهل . واذا قرأ المتعلم هذه الآية تحير وقال في نفسه هل السماء فيها جبال من برد . واذا كان المطر ليس من نفس السماء فكيف يكون البرد منها . وكيف تكون هناك جبال فوقنا من برد . كل هذا كان يحيرني أنا ولم أعرف تمام هذه المعاني إلا من ايضاح (الشيخ الدباغ) ومشاهدة المناظر التي سترها الآن وهي منقولة من الكتاب الانجليزي المذكور . أفلمست بعد ذلك أيها الذكي توقن أن ذل المسلمين اليوم انما جاء لجهلهم الفاضح وانهم معاقبون في الدنيا والآخرة على هذه العلوم . فاسمع إذن كلام ذلك العلامة . قال ﴿ إن الثلج يظهر في أعلى الجوف في كل مكان في الأرض وعند كل خط من خطوط العرض غايبة الأمر أن ذلك الثلج قد يذوب قبل نزوله إلى الأرض إذ يقابل الطبقات المنخفضة الحرارة فهذه الحرارة تذيبه . إذن ما من بقعة في الأرض إلا وفوقها ثلج . فنه ما ينزل اذا لم تقابل الحرارة في الأماكن المنخفضة . ومنه ما لا ينزل ﴿ وهذه صورته (شكل ٣)



(شكل ٣ - صورة ألواح الثلج في الأفقار العالية من الجو قد تغطتها أشعة الشمس)

ويقول المؤلف قبل ذلك في صفحة ١٧٩ مانصه ﴿ إن جسم الثلج لطيف جدا حتى انه يشغل مسافة أكبر من المسافة التي يشغلها الماء (٢٤) مرة . أما عمق الثلج فان الماء الذي يكون منه لا يشغل إلا عشر عمق الثلج . فاذا كان مقدار الثلج هسربوصات فهذا القدر لا يعادل إلا بوصة واحدة من الماء ﴾ هذا كلامه إذن بهذا عرفنا السر في أن الثلج مرتفع في أعلى الجو . ذلك لأنه خفيف جدا فارتفع . هذا ومن عجب أن الشيخ عبدالعزيز الدباغ المتقدم ذكره يقول فوق ما تقدم في صفحة ١٣٩ من الكتاب المذكور مانصه ﴿ وكما مرة أنظر الى طرف الماء الموالى للجو الذي فيه الرياح فأرى فيه جبلا من الثلج لا يعلم قدر عظمتها إلا الله ﴾ ونرجع الى مانحن فيه فنقول . ثم إن هذا الثلج الذي رأيته في الشكل المتقدم معروض لأن ينزل الى الطبقات المنخفضة الحارة فيرجع بخارا . فاذا فعل الله لحفظه . خلق له الجبال فتتصادف ذلك جبل

مرتفع اختطفه وضمه اليه ورسا فوقه حتى لا ينزل ويبقى ثابتا دائما فوق الجبل وهذه صورته (شكل ٤)



(شكل ٤ - هذه صورة هضبة (موت بلانك) من جبال الالب وجبال المتصلة بها والثلج الدائم المغطى لها)
(جبال الالب تمر بإيطاليا وفرنسا وسويسرا وهذه الهضبة بالآخرة)

واهلك تقول عرفنا أن الثلج مرتفع وهو كالجبال . وعرفنا أن الجبال تحفظه ولكن مافائدة هذا الثلج ومافائدة حفظه . أقول لك . فائدته أن يحيا الانسان والحيوان والنبات بذلك الثلج الذي نزل من الجوق على الجبل ومن الجبل نزل الى النهر ثم ذاب وجرى وهذه صورته (انظر شكل • في الصفحة التالية)

هذه هي معاني الآية . فالثلج شاهدته وشاهدت نظام الله وحفظه له ثم انزله في النهر . أليس هذا معنى قوله تعالى - سريهم - آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم - وقوله - ثم إن علينا بيانه - وقوله - وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها - اللهم إنا نحمدك فقد أرينا الآيات وعلمتنا على مقدار درجتنا الأرضية التي خلقتنا فيها فلك الحمد ولك الشكر . كل ذلك أيها الذكي جاء في الثلج ولكن الآية لم يذكر فيها الثلج بل المذكور فيها هو البرد . فأين البرد إذن . نقول . لقد علمت مما تقدم أن الماء يكون مطرا وبردا وتلجا . فهذه الثلاثة متجاورة وغاية الأمر أن البرد يكون نزوله أسرع . لقد علمت أن أمر البرد من الصعوبة بمكان . لقد حار فيه القوم حيرة شديدة فتارة تراهم

(١) يقولون إن الفكرة الأولية في ذلك أن يقال كما ان نسبة الصقيع الى الندى كنسبة الثلج الى المطر هكذا يقال ان البرد ماهو إلا مثل لصقيع المطر (و بعبارة أخرى) هو مطر منعقد

(٢) ثم تراهم يتعمقون في البحث فيقولون إن البرد لا يكون مباشرة من نفس المطر . ذلك لأنهم رأوه عبارة عن كرات صغيرة جدا من الجليد الصلب منسوجة متجانسة مصمتة ذات سطح أملس وقد عللوا ذلك بأن المطر كان أولا في طبقة حارة من الجوق الأعلى ثم سقط فجأة الى جوادنى منه فيه تيار شديد البرودة فأثر فيه

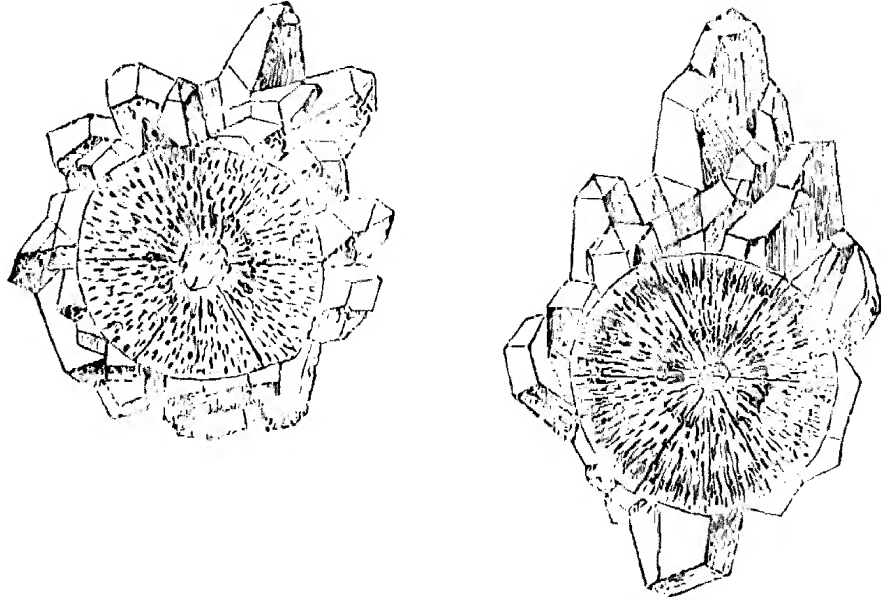


(شكل ه - صورة الطرف الأدنى من الجرف الثلجي في (الرون) بجاي (فركا) منحدر إلى رأس واد من الأودية حيث يتدفق منه النهر)

فكثوره مرات جليديه ثم نسيجه نسيجا كما تقدم
(٣) ثم انهم شاهدوا أنواعا من البرد بهيئات حبوب بيضاء غير شفافة أي انها لا ترى ما وراءها كأنها صور صغيرة لسكرات الثلج لا انها صور اقطرات المطر وهذه تشاهد كثيرا نازلة مع قطرات المطر والقطعة من البرد إذ ذاك مركبة من حبات صغيرة منه بحيث لا يزيد قطر الواحدة منها عن عشرة البوصة أي نحور بع سنتيمتر وقد غطيت بطبقة من الجليد . وقد عللوا ذلك بأن البرد أولا كان ألواحا ثلجية في أعلى الجو الذي اشتدت برودته ثم نزل الى جو حار فأخذ يذوب فيه . وقبل أن يتم ذوبانه نزل الى جو بارد قرب الأرض . هنالك جدد فصار بردا ولكن آثار الثلج لا تزال ظاهرة في خلال أجزائه . هذا آخر ما ذكروه . إذن يكون الأمر دائرا بين هذه الأحوال . مطر جدد فصار ثلجا . مطر جدد فصار جليدا . والجليد اجتمع فصار بردا متجانس الأجزاء الداخلة فيه . ثلج نكوّن ثم ذاب ثم برد ثانيا قبل تمام ذوبانه فصار بردا . هذا ملخص ماجاء في كتاب (علوم للجميع)

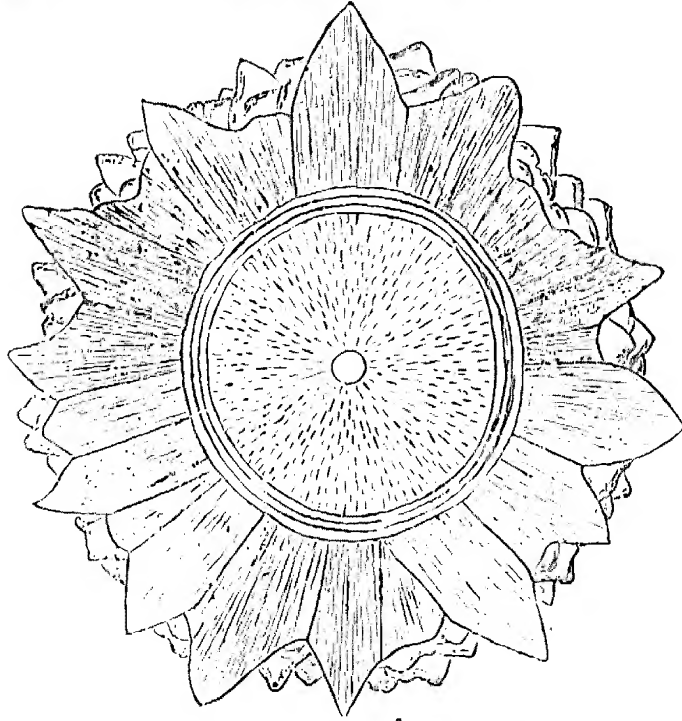
والدليل على أن البرد كان أولا ثلجا ماستراه في هاتين الصورتين الجليتين الحسنتي الشكل البهجتى المنظر

المتلألئين المشرقين اللتين هما من أعاجيب آيات الله تعالى اللتين رأيتهما المسير (هـ . ابك) الروسى المغرم بالعلوم وقد نزل في أثناء عاصفة قوية في جبال (اثر بات) بالقرب من (بجاولى كابتسك) في القوقاز بالقرب من (نفلبس) في (جورجيا) في التاسع من شهر يوليو سنة ١٨٦٩ فرسمهما ونشرهما في المجلة الروسية العلمية في تلك السنة ونقلهما العلامة (روبرت براون) الانجليزى ومنه نقلهما . وقد قال في وصفهما انهما صورتان بلوريتان هندسيتان مرسومتان بشكلهما في الطبيعة وهما ربما كانا أبهى وأكثر تأثيرا في النفس من كل مارآه الناس من أنواع البرد على الأرض الى اليوم (انظر شكل ٦) و (شكل ٧)

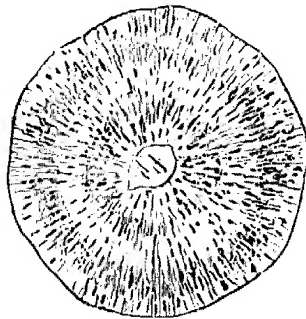


(شكل ٦ وشكل ٧ - صورة البرد الجبرى البلورى الشفاف الذى سقط على الأرض في ٩ يوليو سنة ١٨٦٩ م بالقرب من نفليس)

ثم قال « إن هاتين الصورتين قناركتا من جزأين القلب والغلاف . أما القلب أو النواة فهو عبارة عن مادة ثلجية تضامّت واجتمعت بهيئتها المسدسة . وأما الغلاف الخارجى فليس بثلج كالأول وإنما هو جليد بلورى الشكل طويل الحجم بهيئة صور هندسية منتظمة جميلة جدا . وكثيرا ما ترى لها صافيا صغيرا من الجليد المسطح الهيئة في داخل البورات الخارجة . وهاتان القطعتان المرسومتان قد سقطتا في إناء من الحديد والتقطتا وأخذت صورتها فورا وهما معتمتان في النواة الداخلية وفي الغلاف الخارجى فأما ما بينهما فإنه جليد شفاف ذو خطوط مست متقاطعات على هيئة ست زوايا كل زاوية ستون درجة وهذه الخطوط تنعدم عند التقائها بالقلب الداخلى وعند اتصالها بالغلاف الخارجى ويحيط بكل منهما أعمدة مسدسات منتهية بأجسام منشورية الشكل ذات زوايا مختلفة وأضلاع يتساوى كل اثنين متقابلين بها . وهناك قطعتان برديتان أخريان جيلتان . أما أولاهما فقد رسمها الضابط (الكابتن ديكاسكوز) الاستاذ الفرنسى في الهندسة سنة ١٨١٩ ونشرها في ذلك التاريج في المجلة العلمية الاستاذ (اراجو) وهذه صورتها (شكل ٨)



(شكل ٨ - صورة الرسم الهندسي الذي أبان قطعة من البرد الصخري البلوري الذي سقط في كورة (مديرية) من كورات فرنسا الغربية في الرابع من شهر يوليو سنة ١٨١٩)
ولما سقط ذلك البرد الصخري في تلك المديرية كسر سقوط المنازل، والشبابيك وأضر بأغصان الأشجار ودمر مزارع الحقول وقتل الحيوانات وهي ترعى في مراعيها . وهذه القطعة البردية الحجرية مركبة من جليد أبيض غير شفاف متضام بهيئة باورية الشكل ذات نواة صغيرة يحيط بها حجم كبير أزرق ذو خطوط لامعة تمتد من المركز الى محيط الدائرة وفوق ذلك يحيط بها طبقات متضامات وهذه الطبقات الخارجية المحيطة ذات أشكال هندسية ظريفة متصلات بأشكال صغيرة بارزات بينهما . أما ثانيتهما فهي مركبة من طبقات بعضها فوق بعض كطبقات البصلة طبقة زرقاء صافية تليها طبقة بيضاء غير شفافة من الجليد وهذه الطبقات المتعاقبات وصفها العالم الألماني في الظواهر الطبيعية (كيمتز) بأنها من جليد وثليج وتحيط بها طبقة من الجليد . وهذه صورتها (شكل ٩)

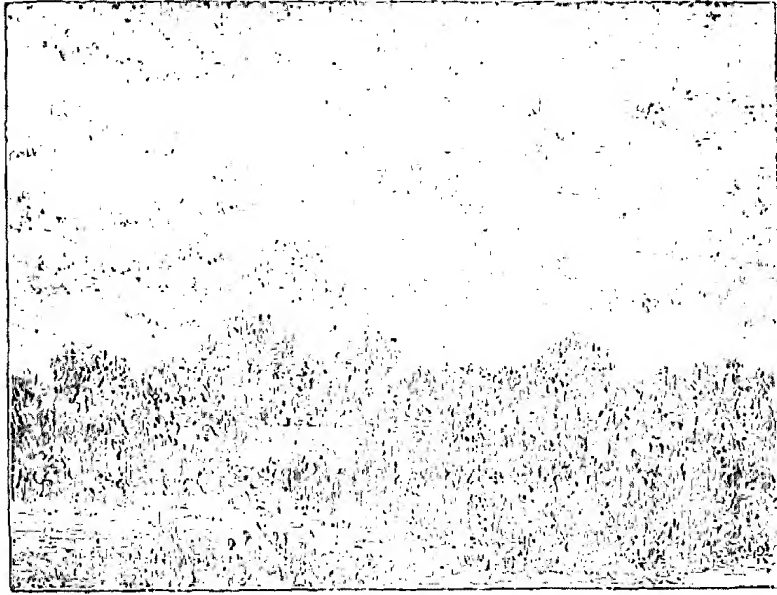


(شكل ٩ - صورة البرد الصخري ذي الطبقات المتجدات المركز المركبات من جليد أزرق صاف وأبيض غير شفاف الذي رسمه العلامة (ابك) المتقدم ذكره وتاريخ رسمه)
﴿ بهجة العلم في البرد الصخري ﴾

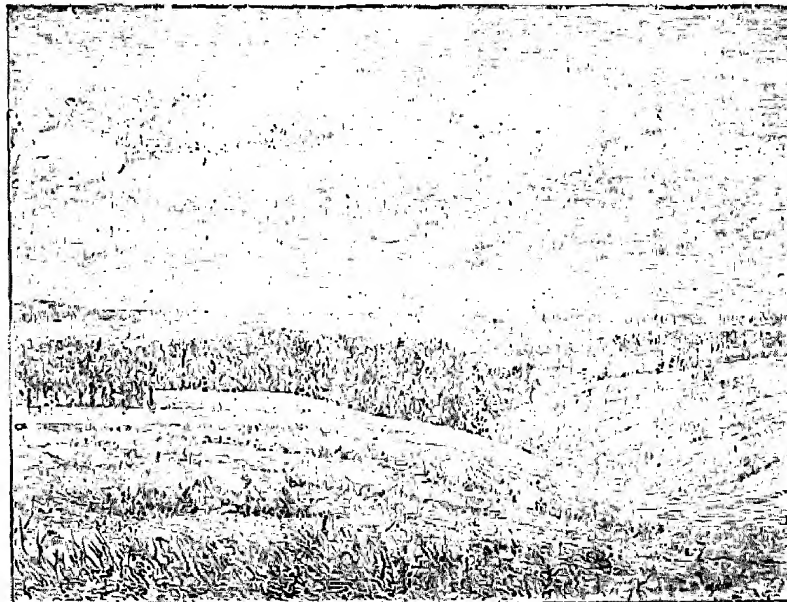
قال المؤلف المذكور أيضا ﴿ إن بعض القطع البردية التي رآها الناس كانت تزن ثلاثة أرطال انجليزية تقريبا ﴾ ثم قال في صفحة ٢٩٤ من المجلد الثالث ﴿ وقد قيل إن بردا صخريا سقط في (كازورتا) في بلاد

اسبانيا سنة ١٨٢٩ كان وزنه أربعة أرطال ونصف انجارية تقريبا (وقال العالم الألماني بالظواهر الطبيعية (كيمتز) ان قطعة من البرد سقطت سنة ١٨٥٢ فحالت مساحتها (٣٩) بوصة من ناحيتين وسمكها (٢٨) بوصة) انتهى

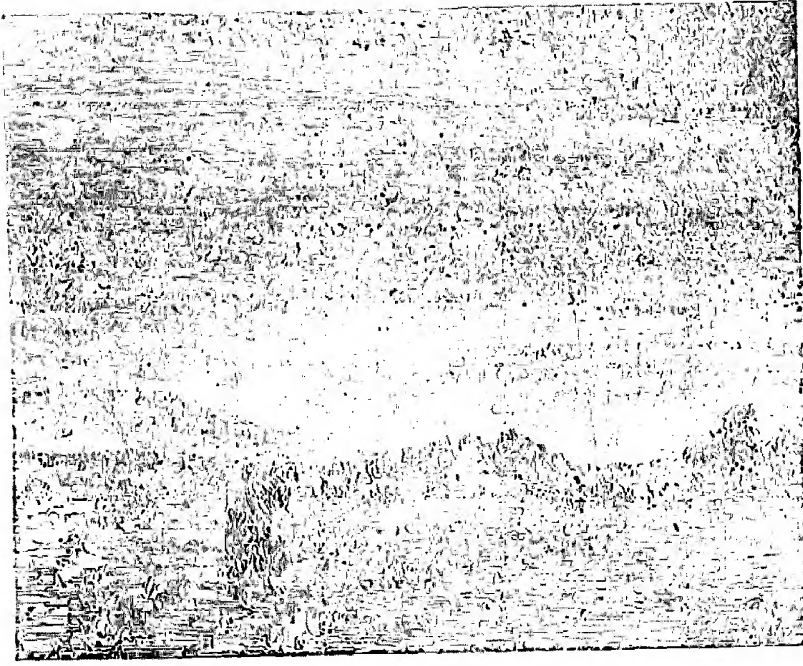
واذ فرغت من الكلام على جبال الانج وعلى البرد فبالك تفسير الآية بالصور الطبيعية المرسومة فيما تقدم والتي سترسم الآن . قال الله تعالى - ألم تر أن الله يرزق سحابة ثم يرزق بها - هذه صورته (شكل ١٠)



(شكل ١٠ - صورة السحاب المتجمع من قطع منفصلة . منقولة من كتاب روبرت براون)
وقوله تعالى - ثم يجعله ركاما - هذه صورته (شكل ١١)



(شكل ١١ - صورة السحاب المركوم من الكتاب المذكور)
وقوله تعالى - فتري الودق يخرج من خلاله - هذه صورته (شكل ١٢ انظره في الصفحة التالية)



(شكل ١٢)

وقوله تعالى - وينزل من السماء من جبال - انظر في شكل (٣) و(٤) و(٥) فهناك جبال الثلج الدائم في شكل ٣ ونزولها على جبال الأرض من السماء أى أعالي الجو شكل ٤ وهذه الجبال تحفظها واستمداد الأنهار منها تراه في شكل ٥ إذ يخرج منه نهر الرين . وقوله - فيها من برد - انظره في شكل ٦ و٧ و٨ و٩ فهناك أشكال البرد المذكور وقوله - فيصيب به من يشاء - الخ قد تقدم كيف كان البرد يفتك بالبهائم في مراعيها ويكسر الشبايك وسقوف المنازل والمزارع وقوله - ويصرفه عمن يشاء - هذا هو الأعم . وأما قوله تعالى - يقلب الله الليل والنهار - الخ فهو ظاهر فيما تقدم في التفسير . وهنا جوهرتان

﴿ الجوهرة الأولى في قوله تعالى - وينزل من السماء من جبال فيها من برد - ﴾

قد قدمت لك أن العقول لا تقبل أن يكون في السماء جبال . وأزيدك على ذلك اني حينما كنت أقرأ هذه الآيات أقول لعل الجبال جعلت مجازا عن السحاب . أما الآن فقد ظهر أن جبال الثلج دائمة في الجو ولكن العجب أن يقول - فيها من برد - فلم يقل جبالا من البرد لأن الحقيقة أن الجبال المتقدمة من الثلج لاهن البرد والبرد كما تقدم داخل في الثلج كما شرحه العلماء وأوضحه العالم الألماني في الظواهر الطبيعية فيما تقدم آنفا إذن قوله تعالى - فيها من برد - لم يتضح إلا في هذا العصر لأن جبال الثلج انما يكون البرد محولا عن بعضها لا كلها . إذن ذكر - من - في الآية قد ظهر سره الآن . انتهت الجوهرة الأولى

﴿ الجوهرة الثانية ﴾

اللهم انك أنت ذو الجلال وذو الجلال . خلقت الانسان من الجبال على الجبال في الجبال فعالمنا كله جبال ولكننا غافلون . فإذا يفعل الله معنا . هو برحيم . فتح لنا أبوابا كثيرة وهدانا الى كل سبيل عسى أن نرى ذلك الجبال . أذكر أني بعد ما كتبت هذا الموضوع خرجت للرياضة مساء على شاطئ النيل فلمحت الدراري الحسان لامعات في جو السماء ترقص وهي في جلايب لازوردية مشرقة اللون . فإذا خطر لي قلت في نفسي عجا وألف عجب . أنت يا الله حكيم ورحيم . أحطنا بكرة سمينها سماء وكلها مرصعة بالدراري وهي آثمن من الدر فلم ندرك الجبال وأغلبنا غافلون فأخذت نفتح لنا أبواب النظر . ومنها انك عمدت الى بخار الماء في الجو فجمعه بالبرودة وصنعت منه ججارة لامعة سمينها باردا وأخذت تكسرها الشبايك والسقوف في

المنازل وتقتل بها البهائم في سراعها . لماذا هذا . لأنك لم تتفكر في هذا العالم إلا للبحث والعلم . هذا نتيجة هذه الدنيا . وإذا خربت بيوت وماتت نفوس وهلكت حقول فذلك باب للاسم . لولا هذه العجائب ما تنبه الناس لهذه الحوادث ولذلك رسمها العلامة (ابك) الروسية سنة ١٨٦٩ والضايط (ديككوز) الفرنسي سنة ١٨١٩ وبقى ذلك للناس ليذكروا . أهلك البرد بعض ما ينفع الناس في الأرض ليقظهم فإذا رسموا هذه الصور كما رأيت فقد أتوا بعلم دائم نشره القوم في أور وبا ونحن هنا نفسر به القرآن . إذن كل هذه العوالم إنما يراد بخلقها في النهاية العلم ولا حادثة تحدث في الأرض إلا لما قدم صدق في العظة والاعتبار والاعتبار هنا أكثره علمي كما عرفت والحمد لله رب العالمين

﴿ اتمام الجبال في هذا المقال ﴾

لقد تبين في هذا المقال وفي واضع كثيرة من هذا التفسير أن جبال الثلج تكون على الأرض عند القطبين وكما تباعد الانسان عن القطبين واقترب من خط الاستواء ارتفعت تلك الجبال فأعظم ارتفاع لها يكون عند خط الاستواء أي أن جبال الثلج الذي تقدم أنه كالقطن المنسوف وشاهدت رسمه يكون بعيدا عن سطح الأرض جدا ولا يزال يقترب منها حتى يكون على سطحها عند القطبين فأريد الآن أن أزيد هذا المقام جالا فأقول

ورد في كتب الجغرافيا الحديثة أن تكون الشواطئ الشمالية القصوى من آسيا وأوروبا وأمريكا أشبه بتاج حول القطب الشمالي . ولقد اتجه العلماء لكشف تلك الأقطار من ابتداء القرن السادس عشر الميلادي إلى الآن ولم ينالوا من العلم بها إلا قليلا لأن الثلج الذي نحن بصدد الكلام عليه يصد السائحين أو يهلكهم وغاية الأمر أن (دافيس) كشف البوغاز المسمى باسمه في القرن السادس عشر وفي القرن السابع عشر كشف (بغان) بوغاز (لنكاستر) واسكن الثلوج قامت عقبة في طريقه فارتد إلى أوروبا . وفي القرن التاسع عشر توجه (جون فرانكلين) إلى القطب الشمالي ومات . وهكذا قصدت بعثة القطب عن طريق (بوغاز بهرنغ) فهلك بين الثلوج . وفي سنة ١٨٦٩ قصدته بعثة أخرى على سفينة ألمانية فخطمت الثلوج السفينة وألقت العناية الإلهية بركابها إلى ظهر جزيرة سباحة من الجليد سارت بهم حتى ألقتهم على شواطئ جرونلند الجنوبية سالمين . وفي سنة ١٨٧٢ كشف (واير) و (تايرخت) جزائر (فرانسوا جوزيف) ولم يقدر أن يجتازا أكثر من الدرجة (٨٢) والدقيقة (٥) . وقصد (كان الأمريكي) القطب سنة ١٨٥٨ فصادفته المصاعب فرجع وقال ﴿ هناك بحرسائر في القطب الشمالي ﴾ . والدكتور (هيس) قصد القطب في مركبات تجرى على الثلج سنة ١٨٧١ فبات عند الدرجة (٨٠) والدقيقة (١٦) فرجع أصحابه بعد ما حطمت سفينتهم فتلقتهم جزيرة من الجليد عاتمة فلبثوا عليها ستة أشهر وهي سباحة حتى صادفتهم سفينة على شواطئ (البرادور) فنقلتهم إليها وقد كادوا يهلكون . وفي هذه الأقطار يرى البحردا بياض ناصع لكثرة الثلوج وترى سطحه مغطى بقطع ثلجية مختلفة الأشكال وقد يكون شكل جبال بمفاوزها ومضائقها ووديانها وقممها . ومنها ما هو على شكل سهول واسعة لامعة . وفي الصيف قد يبلغ سطح بعض هذه الثلوج مئات من الكيلومترات المربعة وارتفاعها ينوف على مائة متر وحجمها جلة آلاف آلاف من الأستار المكعبة ويضطرها ثقلها أن تغطس في الماء . وقد يكون المختفي منها في الماء ثلاثة أمثال ما على ظاهره . وتأتي الرياح والتيارات بهذه الجبال الثلجية إلى بلاد المنطقة المعتدلة فيشاهدها سكان الأرض الجديدة بأمريكا (٤٥) درجة وغيرهم والبرمغطي بالثلج كالبحر هناك . فترى الرياح تأتي مشبعة ببخار الماء من البحار فيتكاثف بخارها فينزل على الأرض كأنه نديف القطن فيجتمع ويصير جليدا . ومن العجائب أن هذه الأقطار إذا كان الليل فيها (ومعلوم أنه ستة أشهر كالنهار) تلتطف حاستا السمع والبصر فتظهر لالعين مناظر غريبة كالسراب والهالات والشموس

والأقطار الكاذبة والشفق الشمالى المتقدم ذكره ورسمه في (سورة السجدة) ويكون لهذا الشفق كما تقسم هناك ألوان بهجة وأشكال عجيبة فيظهر كأنه زينة في الأفق أبواب من نور فتفتح في السماء . فأما قوة السمع فانها تكون عجيبة فإذا سقط حجر كان له صوت كصوت المدفع وإذا تكلم النسان سمع صوته وفهم كلامه على مسافة ألف متر . وليس هناك أبهج من شروق الشمس والنمر فتظهر أنوار الشمس أولاً شفقا ثم تعظم بالتدريج ولا تعاد الأفق بل تدور حوله والقمر يظهر نوره جلياً جداً حتى يستطيع الانسان أن يرى على مسافة (كيلومتر) وسكان تلك الأقطار يحتفون بظهور الشمس فيوقدون النيران ويقيمون الأعياد . وأما القطب الجنوبي فإن المعروف عن أرضه قليل جداً . وأهم الرحلات الى القطب الجنوبي كانت في القرن الثامن عشر فكشف ثلاثة من الفرنسيين بعض الجزائر . وتبعهم (كوك) وكشف جلة أرضين . وأثبت أن هناك قارة عظيمة . وآخر درجة وصلوا لها (٧٨) والدقيقة (٩) والثانية (٣٠) (١٨٣٩ - ١٨٤٣) وقطع الجليد أضخم وضخامة الطبقة الثلجية أكشف فيه والضباب هناك مخيم دائماً . والقول العام أن هناك أرضاً بالقرب من القطب الجنوبي واستنتجوا من بعض الظواهر أن هناك جبلاً ورأوا بعض براكين . وكل ذلك يدل على قارة جنوبية كما عرف علماء طبقات الأرض أن الأقطار الشمالية المتقدمة فيها مناخ للفحم الحجري مما يدل على أن الغابات كانت في قديم الزمان موجودة بهذه الأصقاع

﴿ بهجة العلم وظهور سر من أسرار القرآن في قوله تعالى - ألم تر أن الله يرحى سبحانه - الخ ﴾ خرجت من المنزل صباحاً للرياضة منذ شهر هذه السنة ١٩٢٨ م وكانت المطبعة لم تصل في طبع التفسير إلا الى (سورة الاسراء) فوقفت على شاطئ نهر النيل بالقرب من (جزيرة المنيل) وكان نظري مبتهجاً بالأنوار الشمسية المشرقة على سطح ماء النهر المنعكسة على الشاطئ القريب من سطح الماء فكنت أرى الضوء المنعكس وقت الصباح يعطى ضوء الشمس الأصلي ضوءاً أظهر بياضاً وأحسن اشراقاً . فأما فكري فقد كان مبتهجاً بمسألة (المحار) وتناسله في البحر وأن (المحارة) تلد آلافاً من صغارها بلا ذكر وهذه المسألة تناسب مسألة المسيح ونمته . فبينما أنا كذلك إذ قابلني هناك صديقي مصطفى بك منير ذاهباً الى ديوان التنظيم فسألني قائلاً . فيم تفكر . فأجبت بما ذكرته فسر وقال هذا أمر لم أسمع من تفكر فيه من قبل . هنالك أخذنا نتجاذب أطراف الحديث من قديم وحديث فأخذ يقص لي قصصاً عجيباً . قال ﴿ لقد اجتمع سنة ١٩٢٥ أي منذ ٣ سنين ببلادنا المصرية باسم الحكومة المصرية نحو (٢٥٠) علماً من علماء الأمم الأوروبية كلهم أعضاء الجمعية الجغرافية التي أنا من أعضائها . ونا التأم جمعهم وتكامل وانتظم الاحتفال أتى كل واحد منهم خطبة في موضوع جليل جليل . ولما كنت أنا منهم ألقى موضوعي في أمر النيل وخروجه من خط الاستواء وأن آية - وينزل من السماء من جبال فيها من برد - الخ منطبقة على نيل مصر انطباقاً تاماً

(١) ألم تر أن الله لم يخلق نهراً مبدؤه يمر به خط الاستواء إلا النيل
(٢) ألم تر أن تلك الأقطار الاستوائية لاتفتأ أنواع البرق تتلأأ فيها بهيئة فوق المعتاد تمتاز عن برق الدنيا كلها بحيث تكاد تخطف الأبصار وتبهرها مدة عشرة أشهر في السنة

(٣) وأيضاً هناك أخاديد في الأرض غائرة ينزل فيها ماء غزير جداً لا يدري الناس أين يذهب وهكذا
(٤) يخرج البخار من المحيط الاطلاطلي والمحيط الهندي أي من جانبي افريقيا فيلتقيان في الجو فيمطران في خط الاستواء . وللاول الإشارة بقوله تعالى - يقلب الله الليل والنهار - ومعلوم أن ذلك التقلب في خط الاستواء لأن حركة الشمس هالك . وللثاني - يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار - وللثالث - يصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء - وللرابع بقوله - ألم تر أن الله يرحى سبحانه ثم يولف بينه - الخ . قال وكانت الخطبة لكل خطيب لاتتجاوز (٢٠) دقيقة فلما سمعوا هذه الخطبة آمنوا بالاجماع على قولي واعتبروا هذا نوراً

اسلاميا . فقلت له أيها الصديق كيف تقول ان نهر النيل هو الوحيد الذي يمر بمنابعه بخط الاستواء مع أن هذه المنطقة ينبع منها أنهار كثيرة . فقال تدفع أنهار ولكن ذلك ليس من نفس خط الاستواء أى ان نهر النيل هو الوحيد الذي يمر في خط الاستواء فعلا بمنبعه . أما غير فيميل قليلا أو كثيرا ثم تبسم وقال لانتس أن هؤلاء علماء الجغرافيا الذين يشطبون لكل ما يقال على علمهم . فقلت له فإذا عملوا بعد ذلك قال لما رأوا انطباق نهر النيل على الآية وقد كنت رسمت خريطة رسميا بحسب ما حيث صارت الخريطة أطول من ثلاث حجرات على الأرض وقد رسمتها بحسبة وجبالها مرتفعة وبحيراتها منخفضة وكل ذلك بألوان . وهاهي ذه أريكمها الآن في دار الجمعية الجغرافية التي مفتاحها بيدي فأخذني إليها وتفرجت عاينها ودهشت لخريطة عظيمة مرتفعة عن الأرض بقوائم مستطيلة ضخمة وابست في حجرة بل هي في بهو المكان فقال انظر فنظرت السقف ومنه تدخل أشعة الشمس فقال ان علماء الجغرافيا الذين أتوا من جميع ممالك أوروبا كما أخبرتك هم الذين نقاوها بأنفسهم من الداخل الى هنا اعظاما لها وجعلوها ملاقية لأشعة الشمس إشارة لأنها مناط العالم والتقديس وسموها ﴿ الخريطة المقدسة ﴾ وذلك لأن لها آية في كتاب مقدس وهو القرآن . قال وقد فرحوا فرحا عظيما . فقلت له يا سبحان الله . أليكون هذا في بلدي وعلى مقربة من منزلي ثم اني أجهله مع انك أنت صديقي . إن هذه أحسن فرصة أن أقصّ هذا القصص في التفسير وأن ترسم هذه الخريطة لي مع بعض المعلومات معها فتفضل ورسمها وأرسلها لي فشكرته على صنعه ورسمتها هنا وذكرت ما كتبه على مقتضى ما أفاد به علماء الجغرافيا . ومن عجب أن يجتمع في هذه السورة ﴿ ثلاث عجائب ﴾ الخريطة المقدسة هنا . ثم خطبة صديقي الاستاذ (جاد المولى) في شرف الدين الاسلامي في جمع حافل من عظماء علماء أوروبا وقد أقرّوه ولم يناقشوه وذلك عند قوله تعالى - وكذلك أنزلناه آيات مبینات - فسأذكرها هناك لأن هذا من التبيين الذي نزل به القرآن . ثم ما كتبه الجبهة الآسيوية الفرنسية على الدين الاسلامي بمناسبة كتابي ﴿ نظام العالم والامم ﴾ فلابدأ بالخريطة المقدسة وان كان مفسر به ليس على النهج الذي قدمناه ولكني أردت أن يقف الناس بعدنا على آراء أهل عصرنا

(الخريطة المقدسة)

لما أرسلها لي صديقي مصطفى بك منير قال بعد الديباجة . وبعد فرسل معه صورة لوحة (خريطة منابع النيل) التي أبصرتموها في دار الجمعية الجغرافية ومعها نسخة من مختصر المحاضرة التي ألقيتها في الجمعية على أساتذة المدارس والله يحفظكم ويهدينا الى العمل بارشاداتكم المخلص . مصطفى منير أدهم وهذا نص الخطبة المذكورة

﴿ القرآن الكريم و منابع النيل ﴾

من ألطف الخارطات المعروضة في دار الجمعية الجغرافية الملكية المصرية لوحة مجسمة تمثل منابع النيل عند خط الاستواء . فتري جبال (رفنزور) الشاهقة التي ارتفاعها (٥٥٠٠) متر وفي جنوبها جبال (اريزمي) وارتفاعها (٤٥٠٠) متر . وفي شرقها (جبال الجون) وارتفاعها (٤٣٠٠) متر وقد كساها البرد طيلسانا أبيض حتى اذا ما أزجى السحاب وتألفت أجزاءه وتراكمت خرج المطر من خلالها ونزل من السماء من تلك الجبال الشاخطة بلعمان له بريق يخطف الأبصار . وتري على هذه الجبال تجاوير الماء وقد انحدر منها وجرى الى مجار تنتهي الى بعض البحيرات وتنصرف عن الأخرى ، تري بحيرة (فيكتوريا نيانزا) ومساحتها (٦٠٠٠٠٠) كيلومترا مربعا وارتفاعها عن البحر (١١٤٥) مترا وقد أصابها ماء تلك الجبال لأن البحيرة وقعت بينها . وتري بعض هذا الماء وقد انصرف من جبال (رفنزور) و (اريزمي) الى بحيرات (تفجانيقا) وارتفاعها (٦٧٣) مترا و (كييفو) وارتفاعها (١٤٥٠) مترا و (ادوارد) وارتفاعها (٩١٥) مترا والبرت ومنسوها

كمفسوب بحيرة (ادوارد) ، وكذلك انصرف بعض ماء (جبال الجون) الى بحيرة (رودلف) وترى الماء في بحيرة (فيكتوريا) يجري شمالا الى بحار تصب في بحيرة (كيوجا) وارتفاعها (١٠٣٠) مترا ويخرج من هذه البحيرة نهر فيكتوريا فيصب في بحيرة البرت . ثم ترى نهر البرت وقد خرج من بحيرة البرت وانتهى الى أول مجرى النيل السعيد . وتجذ فوق اللوحة خط الاستواء حيث يستوى النيل والنهار مارا بالجزء الشمالي من بحيرة (فيكتوريا نيانزا) قاطعا جنوب جبال الجون الواقعة شرقي البحيرة وجبال (رفنزور) و (اريزمبي) التي في غربيها . اختارت الجمعية لهاته اللوحة أحسن مكان عندها فوضعتها تحت روشن قاعة المحاضرات الكبرى فنرى أشعة الشمس وقد سقطت عليها نهارا فأكسبتها هبة ووقارا . ويحيل الى الناظر اليها كأنه في طائرة عالية عند خط الاستواء وتحت تلك الجبال الشاخنة وقد كساها الثلج وتراكت عليها السحب وخرج من خلالها المطر ونزل من أعلاها بلعانه الماجيني الذي يخطف بالأبصار متنها الى بعض الجهات ومنصرفا عن الأخرى بحسب ما هيأه له يد القدرة من مرتفعات ومنخفضات وأخاديد كانت غامضة علينا لولا أن كشفها أخيرا المستر هرست مدير مصلحة الطبيعيات سنة ١٩٢٧

هذا المنظر الهائل بل السر الإلهي العظيم يستمر على هذه الحال عشرة أشهر في العام . وضع بطليموس سنة ١٥٠ ق م خارطة النيل الموجودة صورتها في دار الجمعية الجغرافية ورسم عليها منها واحدا للنيل فحسب ثم جاء بعده بنحو اثني عشر قرنا الادريسي ذلك الجغرافي الشهير وقال ان النيل يخرج من بحيرتين تصبان في بحيرة ثالثة وهو أقرب الى الحقيقة ومطابق للوصف المبين على لوحة منابع النيل المذكورة

هذا ما أمكنني على قدر طاقتي أن أصفه لك أيها القارئ الكريم عن هذه اللوحة وإخالك مالت وصفي وإن كان قرب لك على قدر الامكان تصوير اللوحة . ولكن انظر اذن الى ما وصفها الله تعالى به منذ ١٣٤٧ عاما في كتابه العزيز فقال تعالى وهو أصدق القائلين - ألم تر أن الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق (المطر) يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار * يقلب الله الليل والنهار إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار -

لم تترك هذه الآية الكريمة نقطة واحدة من وصف اللوحة وما يحصل عند النيل من العوامل الطبيعية من أول ما يزجي السحاب الى أن يجري ماءه في الليل إلا وذكره - ولا سيما ما يحصل من الليل والنهار لمناسبة مصادفة خط الاستواء لمكان تلك المنابع وما ينصرف من الماء الى تلك الأخاديد التي كشفها المستر هرست وما يحصل لأهل اقليم (فيكتوريا نيانزا) من تأثير لمان البرق على أبصارهم . وهذا الوصف لا ينطبق على منبع أي نهر آخر غير النيل السعيد قال تعالى - ما فرطنا في الكتاب من شيء - ولكن أين من يفتح الكتاب ويقرأ انتهى خطابه (انظر شكل ١٣ في الصفحة التالية)



(شكل ١٣ - صورة الخريطة المقدسة لنبل مصر رسم مصطفى بك - نيرادهم)

﴿ مقال عام في هذه الآيات من قوله تعالى - الله نور السموات والأرض - الى قوله تعالى - يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيء قدير - وبيان أن هذه الآية هي سر

ملخص ديانات الأمم القديمة لاسيما دين قدماء المصريين ﴾

انظر أولا في دين الصابئين وهم عباد الكواكب وتجب لما في لغة العائلة (الآرية) أو الهند الجرمانية فان الله عندهم هو النور أو الشمس وتجد اللفظة الأصلية للنور (ديف) ومعناها النور أو اللامع ويشق منها عند الشعوب المذكورة ألفاظ للدلالة على الله . ففي لغة (السنسكريت) (ديفاس) أو (ديواس) أو (ديوا) ويعبرون عن السماء بلفظة (ديوس) وعند اليونان (ذيو) وعند اللاتين (دووس) أو (ديوفيس) ثم قالوا (جوفيس) ومنه (جوبيتر) وفي الألمانية القديمة (ذيو) وفي السلان (ديواس) ولفظة (تير) المشتقة منها معناها إله الحرب عند أم الشمال والفرنسيون يعبرون عن الخالق (ديو) مترجمة والاطاليون (ديو) والاسبانيون والبرتغال (ديوس) وكلها مشتقة من أصل واحد . ولا جرم أن نار الفرس ذات علاقة بالنور فترى هذه الأمم في مبدأ أمرها لما بهرهما من جبال النجوم عشقت مبدعها وعبدته وسمته باسم النور على مقتضى تعاليم أنبيائهم ثم طال عليهم الأمد فنسوا تلك التعاليم فعبدوا العوالم المنظورة المضيئة ثم عبدوا الأصنام انتهى من كتابي ﴿ أصل العالم ﴾ مع إيضاح آتم

فانظر لتعاليم القرآن وكيف أنزل الله هذه الآية ليدلنا على أصل فطرنا . إن فطرة الانسان كلها عاشقة للنور لأن النور جيل والنور مبدأ الحياة . فاولا أنوار السماء والحرارة المنبعثة من الشمس لم يكن على وجه الأرض نبات ولا حيوان . لذلك كان الناس مغرمين بالأنوار سواء أعرفوا الحقيقة أم لم يعرفوها . فاذا أسماوا الله بالنور فهي تسمية أقرب الى الفطرة . فانظر جميع أديان الصابئين التي ذكرتها لك فانها ترجع الى النور المذكور في هذه الآية فهي آية جعت ديانات الأمم الفطرية التي تلائم عقول الناس جميعا ثم اعترأها ما يعترى كل حي من البوار فاختلفت تلك الديانات وعبدوا الشمس والكواكب ثم الأصنام ثم ذهبت وحل محلها الاسلام . ذلك دين الانسانية جميعها . فانظروا عجب لهذا الدين . نبي أمي في جزيرة العرب تنزل عليه آية - الله نور السموات والأرض - ونفس هذا المعنى هو ملخص كل دين نزل على نبي قبله . وإياك أن يصدك عن هذا المعنى أن الأديان ضالة أو خاطئة أو منسوخة . كلا . ثم كلا . فهذه الديانات كلها كانت في أول أمرها حقا صحيحة والله عز وجل أشرق نوره العلمي على كل طير وكل دابة وكل حشرة وهكذا على الأمم الانسانية . الله لم يستثن من رحمته أحدا وكيف يستثنى وهو نور السموات والأرض . هو رحم كل مخلوق ورحم الأمم السابقة وأسبغ النعم عليها ظاهرة وباطنة . ولكن كلما اختلف دين وضل أهله أرسل رسولا آخر حتى جاء الاسلام فشرح كل دين وقال الله فيه - الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة - الخ أي فلا تظنوا أن الله هو الشمس أو الكواكب . كلا . بل هذه ضرب أمثال ثم ضمن حفظ هذا الكتاب وبقائه باللغة العربية ثم خلط أمم الشرق بأمم الغرب وقال لهم أيها الناس لا تخافوا من الضلال فكل من حصل له شك في دينه فوجده غير معقول عنده . فها هو ذا حصن وهو القرآن فاقروا أيها الناس في هذه الأرض . ولقد كنت أرسلت آلافا من الأنبياء ومئات من الرسل فغيرتم أديانهم - ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك - لا تسجدوا للشمس وللنجم واسجدوا لله الذي خلقهم - والله تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا * وأنه كان يقول سفيها على الله شططا -

﴿ الكلام على دين قدماء المصريين وظهور أسرار هذه الآية فيه ﴾

اللهم انك قد سحرت بجمالك الذي أشرق في الآفاق عقول العقلاء من جميع الأمم وانه يظهر لي أن الله أناسا في كل جيل وأمة يحنون اليه ويطربون لمنظر جماله الذي أشرق في هذا الكون العظيم . اللهم ان

نجومك الجيلة وشموسك المشرقة وأقمارك الباهرة وعالمك الساحرة وبهجتك السابعة قد امتلأت بها قلوب وقلوب فظهر على ألسنتهم وصف ذلك الجبال . اللهم إن هذه الدنيا كلها مشهود عرس وموسم أفراح قد نصبت فيه الثريات المشرقات وهن يرقصن بتلاؤن ويتواجدن بترنح حتى أن أرضنا في الحقيقة لاززال راقصة آناه الليل وآناه النهار فهي كمن قال الله فيهم من الملائكة - يسبحون الليل والنهار لا يفترون - فهي لا تنهدأ ولا تنقتر عن الجرى بما حلت على ظهرها حول الشمس وحول نفسها فرقصها مزدوج كأنها في عرس دائم وفرح هائم . تدور الدورتين على نهات الراقصات الحسان من كواكب السماء وهي فرحة بما حلت به من تلج كالناس في قطبيها وجبال منه كأنها القطن المذوف في جوها وفوق أعلى جبالها فهي حسناء وشحت بالباس والجواهر من جيع جوانبها قد كلت آنا فأنا بقوس قزح والأزهار الجيلة وأرج الزهر وبهجة السحاب ولطف الهواء زينة وبهاء . الكون كله في عرس متى لحظه العقلاء . كله نور عند من يعقلون . ليس يشهد هذا العرس من الناس إلا قليل أولئك هم الذين يعقلون لم يخلقوا ويدركون لحة من جبال مبدع هذه الكائنات لذلك ترى جميع الديانات بحسب حقائقها ترجع إلى هذا المبدأ الذي وصفناه ولذلك قال الله تعالى - قل ما كنت يدعا من الرسل - فهذا الدين شأنه شأن الديانات الحقبة السابقة قبل تبديلها . انظر ماذا ترى في دين قدماء المصريين فإنه قبل أن يشتد فيه التبديل جاءت أناشيد على منهج هذه الآية - الله نور السموات والأرض - فانظر ما نقلته لك عنهم في (سورة البقرة) من كتاب (الأدب والدين) عند قدماء المصريين المترجم حديثا عن كتب الاوروبيين وذلك في أواخر السورة عند قوله تعالى - مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة - الخ فهناك وصف الله بأنه قد أشرفت شمس في الأرجاء وتبع ذلك وصف الشمس ونورها وبهجة الحيوان بها إلى آخر ما هناك . وهذا ما كتبت هناك فافره تجد العجب . وأقول هنا قد جاء في الكتاب المذكور مانصه (ومن رأى بعض المؤرخين أنه لم يكن اعتقادهم أن توت هو الشمس نفسها بل هو الجوهر الذي لا شكل له وهو أصل كل شئ والذي أنزل الحبة على الأرض . وقد مثلوا (توت) على شكل قرص الشمس) انتهى

أقول . إذن هؤلاء أصل دينهم كديننا فإنا نقول إن الله مقدس عن كل الحوادث ولكن هم جعلوا الشمس ضرب مثل له واتون اسم من أسماء الله عندهم وقال في صفحة ٩٢ (وقد وصفوا اتون بالرحمة والشفقة وحب الخير والملاطفة مع خلائقه وأنه أب لهم عطوف جيل بلاء السموات والأرض بالخير والبركة ولطيف بخلائقه يأسرهم بحبته ويلطف بالطفل في الرحم وفي المهد ويعطف على الفرخ في البيضة وأجرى النيل وأنزل الأمطار وعمم المنافع لسائر البلاد وجميع العباد) اه وجاء فيه أيضا في صفحة ٩٧ (إن قدماء المصريين وإن عتدوا الآلهة قد وحدوا فعلا أيام الملك مينا فأنه في مدينة (عين شمس) أتوم وفي مدينة منفيس (فتاح) وفي مدينة الاشمونين (نحوت) وفي مدينة طيبة (أمون) . وفي الأقصر (حورس) وفي جزيرة اسوان (ختوم) وهذا كان سبب تعدد المعبودات عندهم والافلاصل هو التوحيد) انتهى

وجاء في هذا الكتاب صفحة ٩٧ ما ملخصه

(من هنا يتضح أن معبود الجميع في الحقيقة إله واحد وما هذه الأسماء إلا رموز ومظاهر للإله الحقيقي الواحد الجامع في ذاته كل الصفات الإلهية) وإلى القارئ أناشيد أهل طيبة للمعبود (أمون) ومنها يتضح حقيقة عقيدتهم في الله الفرد الصمد وهما

(الأنشودة الأولى)

(الإله العظيم سيد جميع الآلهة (لعل القصد جميع الملائكة) أمون رع الأزلي الحق الواحد الخالق كل

شئ السيد المسيطر الذي لم يكن قبله شئ بل هو الموجود قبل كل شئ وكان منذ الخليقة هو قرص الشمس الذي يحيا جميع البشر بظهوره ﴿ ترجمت من كتاب (نافيل)

﴿ الأنشودة الثانية ﴾

﴿ الإله الذي أوجد العشب للحيوان وثمار الأشجار للإنسان ويسرقوت الأسماك في البحور وهيا الغذاء للطيور ووضع الروح في البيضة وأطعم البرغوث والبعوض وحنانه شامل لكل ملتجئ إليه . حيي الضعيف من القوى وهو المجد المحبوب في السماء والأرض والبحار وتخضع له الآلهة (أقول أي الملائكة) لجمده تعظم الخالقهم وتبتهج بقرهم منه وتمجده الحيوانات الضارية في فيافي الصحراء . بهر جالك العقول وخب القلوب ﴾ (ترجمت من كتاب أرمن الألمانى) انتهى ما أردته من الكتاب المذكور

أفلمت ترى أن هذا الهيام وهذا الحب والغرام يمدح هذا العالم ناشئ من قلوب أدركت جماله في هذا الوجود ورجسته الشاملة . فالأوصاف في هاتين الأنشودتين ترجع للجمال الظاهر الذي أبرزوه بهيئة الشمس وللجمال الباطن الذي يرجع للرجة الشاملة لما في الأرحام ولكل من على الأرض . ومن عجب أن آية - الله نور السموات والأرض - وماتبها من أن الطير صافات تسبح لله وتصلى له فيها كثير من معاني هذه الانشودة بل فيها جميع معانيها لأنه ذكر ما يمشى على رجلين وما يمشى على أربع وما يمشى على بطنه بعد ما ذكر الطير ففي هذه الآيات معاني هذه الانشودة والانشودة التي ذكرتها في (سورة البقرة) فمعانيها تقرب مما هنا ولولا خوف التكرار لذكرتها هنا ولكني أقول انهم فيها (أولا) وصفوا الليل وظلامه وأن الله يحفظ أرواح الناس وهم نائمون (وثانيا) وصفوا طلوع الشمس وفرح الناس به فيتوضئون ويلبسون ملابسهم ويرفعون أيديهم الى السماء (وثالثا) ذكروا أن المواشي تستقر في مرعاها والأشجار تزدهي والطيور ترفرف تمجيда لك وتنهض الحيوانات على قوائمها (ورابعا) أن الشمس اذا أشرقت تسبح الأفلاك في بحارها وتمجح الأسماك في لججها وتتلاأ الأتوار على صفحات الماء (وخامسا) ذكروا تصوير الأجنة كما تقدم وارضاع الأم لمن بعد الولادة ثم تعليمهم اللغات . ثم ذكروا انه خلق سائر البلاد لامصر وحدها وهكذا ذكروا النيل الذي يحياه المصريون ونزول الأمطار على الجبال وتقسيم الفصول بأضواء الشمس . وانتهى النشيد بهذه العبارة ﴿ خلقت الأرض لأبنائك (يريد عبادك) ومتى أشرقت علينا تشخص العيون لجمالك ﴾ انتهى

فهذا المعنى الذي تضمنه ذلك النشيد يرجع الى النور والى الحياة والى الحيوان والطير وانه كله مسبح بحمده . إذن هذه الآيات تضمنت هذه المعاني . وهذا عجب أن تنجبه الأفتدة في الأم قديما الى المعاني التي نزل بها الوحي حديثا على خاتم الأنبياء ﷺ لهذا ولغيره قال الله له - قل ما كنت بدعا من الرسل -

ثم اعلم أن هذه المعاني التي تنشرها قلوب عقلاء وحكماء الأمم غذاء لهم وبهجة في الحياة الدنيا بل هي السعادة العظمى . اللهم ان أمثال هذه البدائع والدتر والجواهر نعم عجبت لأناس أنت اصطفتهم في الدنيا يحبونك حبا جادا وقلوبهم وأله بك وامقة لك بهجة بأنسك مشربة للقائك ترى الدنيا عروسا أنت جلوتها وكؤسا أنت أدرتها ونورا أنت أبدعته وعرسا أنت أفتته وزينة أنت نصبها . سبحانك اللهم جعلت هذه الدنيا دارا تجمع بين حاليين حال الجنة وحال النار . فأما الأمم والدول والممالك وأكثر الناس فكل هؤلاء يكتون بنارها في احتدام وخصام وجدال وحسد على متاع قليل . وأما الحكماء الذين اصطفتهم فوالله انهم مع الناس بأجسامهم وظواهرهم وهم الآن في جنة المعارف . فهم في الدنيا معك في أنس وحبور وجمال وبهاء . بك يأنسون وبقر بك يفرحون وشموسك وأقمارك ونجومك بهم يطوفون . هؤلاء هم صفوة الانسانية ومقر الأنوار الالهية . فهم مع الناس في شقاء وظواهرهم ومعك في جنة بيواتهم . إن الحسد والحقد والغيظ والعداوة والطمع والحرص قد أحاطت بالناس فسلبتهم السعادة . فأما هؤلاء فانهم غلبت عليهم

تلك الأنوار المشرقات فازدانت قلوبهم . فهم في جنة يحبرون . وهؤلاء وحدهم هم الذين يعقلون قولك - الله نور السموات والأرض -

﴿ بهجة العلم في تفسير قوله تعالى - الله نور السموات والأرض - الخ ﴾

اللهم انك أنت المحمود على نعمة العلم والعرفان وجمال الانقان وأبداع النظام . هذه الآيات أبانت لنا ﴿ جالين ﴾ جالا يدرك سببه بالابصار وجالا يدرك سببه بالبصار . فأما الجلال الذي يدرك سببه بالابصار فهي هذه الأنوار المشرقات من الكواكب المحيطة بأرضنا كما أوضحناه . فهذه تدرك أسبابها أبصارنا وهي التي ضربها الله لنا مثلا للأنوار الباطنة التي مصدرها هو الله بلا واسطة هذه المشرقات . وأما الجلال الذي يدرك سببه بالبصار فهو ذلك الابداع الذي ظهرت آثاره في جمال الوجوه واتقان الصور والعطف واللفظ والرافة والرحمة والهام الحشرات والأمتها وخلق الأجنة في البطون والرحمة التي لاحد لها والتي قد وضحت في هذا التفسير أيما وضوح وهذه هي التي ضرب الله المثل لها . فالشمس والكواكب وأنوارها ضربت مثلا للنفحات الباطنة والإلهامات العجيبة واحسان التصوير والنقش والابداع . فقوله - مثل نوره - الخ هو الذي ضرب به المثل . وذكره الطير صافات وازجاء السحاب والتأليف بينه وجعله ركلا وانزال الودق منه وكذلك البرد وتقلب الليل والنهار وخلق الدواب كلها وتقسيمها الى من يمشى على بطنه ومن يمشى على رجلين ومن يمشى على أربع . كل هذا التدبير لاتصلح الشمس ولا الكواكب لاحدائه . كلا . إذن الشمس والنجوم والكواكب أسباب الأنوار الظاهرة . فأما ذلك التدبير والابداع فأسبابه خفية تدركها العقول والأفهام . ولقد ذكرت لك آنفا أن قدماء المصريين ذكروا الأمرين معا أمر الأنوار الظاهرة في أناشيدهم من اشراق الشمس وظهور الحركات الحيوانية بها . ومن ظهور اللطف والرافة والتدبير في خلق الأجنة في الأرحام وأزيد عليه الآن بأنهم لم يكتفوا بذلك النشيد بل انهم فوق ذلك أبدعوا رقصا دينيا في معابدهم . وذلك الرقص ليتشبهوا بالكواكب الجاريات حول الشمس لأن أظهر الأنوار ما تراه العيون من الكواكب فاذا تشبهوا بها فقد نسجوا على النوال الرباني في نظرمهم وذلك ليكون ذكر الله قولاً بالأناشيد وعملا بالرقص الديني وهذا (مع وجود الفارق) كما اتنا ذكر الله بالسنتنا ونسلى له بحركاتنا في القيام والقعود والصلاة أقوال وأفعال فهم كذلك أقوالهم النشيد وأفعالهم ما يشبه الرقص . ولاندرى هل ذلك كان عن أنبياء مثل سيدنا ادريس (سيزوستريس) وغيره أم من اختراع علماءهم استنادا على دينهم ونصوص أنبيائهم . وسيأتي ايضاح هذا الرقص في (سورة الفرقان) عند قوله تعالى - تبارك الذي جعل في السماء بروجا - ولقد عرف الناس الآن أن تاريخه يرجع الى (٥٠٠٠) سنة . جاء في كتاب ﴿ الأدب والدين ﴾ المتقدم أن ذلك لم يكن خلاعة وشهوة بل جعلوه نموذجاً للحركات الفلكية وتمثيلا للأفهام الموسيقية . ونقل في هذا الكتاب عن (كستيل بلاذ) أن تمجيد الخالق عند قدماء المصريين أداهم الى انشاد الأناشيد المقدسة واحداث الرقص اظهارا لسرورهم وأفراحهم وقياما بشكر النعم واظهارا للعبودية والخضوع لمقام الربوبية حتى اعتبر قسما الشعوب أن الرقص جزء جوهرى من دياناتهم بل اعتقد المصريون انه من التعاليم المنزلة . انتهى ملخصا

ثم انظر ماذا جرى في الأمم الاسلامية في هذا المقام فانك تجد الرئيس (ابن سينا) في كتاب الاشارات يقول مملخصه ﴿ إن مما يعشق النفوس الانسانية في الحضرة الالهية ويجذبها اليه العشق العفيف والصوت اللطيف والعبادة مع الفكر ﴾ وقال شراحه إن المراد بالعشق عشق التماثل لعشق الصور فان عشق الصور موجب للفسوق والهيام بالمحسوسات . أما عشق التماثل فهو الذي يدعو الى الجلال الالهى . وأضرب لك مثلا الآن فأقول : اتنا نرى الزهرة والشجرة والكواكب فلا تهيج شهواتنا ونفرق طبعنا بين هذه وبين الصور الجميلة الانسانية . فلزهرة نحبها ولكنها لاتثير شهواتنا مباشرة بخلاف منظر النساء فانه مثير للشهوات مباشرة

فجئنا للشماثل بعقولنا أشبه بجئنا للزهرة المبصرة . ثم إن الصوت اللطيف الذي ذكره (ابن سينا) شرحه العلامة الغزالي في الاحياء في « كتاب السماع » في الجزء الرابع منه فأباح السماع ولم يحرمه ولكنه شرطه شروطا كلها ترجع الى أمر واحد وهو أن لا يثير الشهوات فقد ذكر شروطا في السماع وشروطا في المغنى وشروطا في نفس القول المسموع وأبان أن السماع لا يكون فنى بهتاج بالسماع وأن المغنى اذا كان امرأة هيج الشهوة وأن القول اذا كان فيه خلعة كذلك ، وقد أطل في ذلك وفصله تفصيلا فارجع اليه . ومن عجب أن العلامة (ابن الطفيل) في نحو القرن الخامس على ما أذكر في كتابه (حى بن يقظان) الذي لخصته لك في (سورة البقرة) عند قوله تعالى - أولم تؤمن قال بلى - الخ قد ذكر أن (حى بن يقظان) لما ترعرع في الجزيرة ونظر الكواكب مشرقة مغربة أدهشه جمالها وقلدها في حركاتها ودورانها وصار يدور على نفسه تشبها بها حتى يغشى عليه لأنه لم يجد من يقتدى به في حب خالقه وعبادته إلا هذه السيارات الجارية ودورانها حول الشمس هوعين عبادتها لله . وهذا التخيل جعله يقلدها في القرب من ربه . أفلا تعجب مع أيها الذكي كيف رأينا علماءنا السابقين قد بحثوا في العالم العلوى والسفلى ودققوا وكتبوا لنا آراءهم فلم يذروا بابا من أبواب العلم إلا ولجوه وبحثوه . وإنما كتبت لك هذا لتعلم أن آباءنا لم يكونوا نائمين وأن سلسلة العلم قد انقطعت بيننا وبينهم وآراؤهم قد خبت في كتبهم وأن قراء هذا التفسير وأمثاله سيحدثون للشرق نهضة لم يحدث مثلهام من قبل . ثم انظر قول العلامة (ابن سينا) « ان العبادة مع الفكر عند الفلاسفة موازية للعشق العفيف والصوت اللطيف » وذلك في أواخر كتاب الاشارات وكيف كان الناس اذا لم يجدوا نبيا يعلمهم العبادة قلدوا الكواكب كما حصل لحي بن يقظان . هذا ما أردت ذكره في هذا المقام استطرادا

﴿ الأنوار الظاهرة والأنوار الباطنة التي ازدانت بها أرضنا ﴾

لقد ذكرت في هذا المقال أن أرضنا قد أحاطت بها أنوار الكواكب والشمس والقمر وهكذا الهواء اللطيف والثلج والبرد والسحب . ثم أقول أيضا هنالك أنوار الماء المتلألئة في البحار الاستوائية التي تلمع أنوارها بأشكال كالقمر وهاله والبرق وأنواره المشرقات بما هنالك من الفسفور المتحلل من الحيوان البحرى وهذه هي الأنوار الظاهرة التي صارت مناطق تمنطقت بها أرضنا

أما مناطق الأنوار الباطنية فهي الحيوانات والنباتات التي أحاطت بالأرض من جميع جهاتها كما في (شكل

١٤) و (شكل ١٥) و (شكل ١٦) و (شكل ١٧)

هذه الأشكال الأربعة وما يليها الى شكل (٢٦) منقول من « الأطلس الحديث » المقرر في المدارس المصرية تأليف الاستاذين (ليب أفندى العسال) و (محمد أفندى حمدان)

المناطق الخمس وحَيوانها



(شكل ١٥ - صورة مناطق الحيوان حول الأرض)

(فلينظر الانسان الى طعامه أنا صببنا الماء صبا * ثم شققنا الأرض شقا * فأنبثنا فيها حبا * وعنبا وقصبا * وزيتونا ونخلا * وحدائق غلبا * وفاكهة وأبا * متاعا لكم (ولأنعامكم)



(شکل ۱۶ - نبات افریقا)

(إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها)



(شكل ١٧ - حيوان افريقية)

(وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون)

ففي شكل ١٤ مناطق فيها أسماء النبات حول الأرض وهي (ثلاثة أقسام) نبات في المناطق القطبية ونبات في المناطق المعتدلة ونبات في المناطق الحارة . وفي شكل ١٥ مناطق فيها أسماء الحيوان حول الأرض وهذه تقسم الأقسام السابقة بعينها . والشكل السادس عشر فيه صور وأسماء نباتات افريقيا . والشكل السابع عشر فيه صور وأسماء حيوانات (افريقيا) . وسيأتى في أشكال (١٨ و ١٩ و ٢٠ و ٢١ و ٢٢ و ٢٣ و ٢٤ و ٢٥ و ٢٦) صور وأسماء نباتات وحيوانات أوروبا وآسيا وأمريكا الشمالية والجنوبية وأستراليا فانظر كيف زين الله أرضنا (بزيتين) زينة أهم أسباب أنوارها ظاهرة وهي الكواكب السماوية وهي الثلوج والسحب والأنوار وهكذا . وزينة أهم أسباب أنوارها باطنة وهي صور الحيوانات والنباتات التي أحدثت مناطق حول الأرض زينة لها . وانما قلت ان السحب والثلوج وأمثالها أهم أسبابها ظاهرة لأن حرارة الشمس سبب لها ولكن هناك إحكام في الصنع ونظام في الوضع أسبابه خفية فلا يشبه عليك . ثم ان المناطق الحيوانية والنباتية التي جعلها الله محيطة بأرضنا زينة لها بديعة . فظاهرها جميل ولكن باطنها أجل لما فيها من التدبير والاحكام في ادراكاتها ومنافعها فضلا عن صورها والاحكام في تعقلها أمور معاشها وتدبير ذريتها مما ظهر كثير منه في هذا التفسير . وفي هذا المقام (خمس فصول)

(الفصل الأول) في ذكر أنواع الحيوان بطريق أوسع وبيان أجل نهجا على طريق تقسيمه في الآية (الفصل الثاني) بهجة العلم . إن الانسان محبوس في عاداته تاركاً عقله كما حبس الحيوان في غرائزه وهو في ذلك أقسام على منهج القرآن الكريم

(الفصل الثالث) في عجائب هذه الحيوانات وآثارها في الانسان . وأن الأرض كراقة بما حلت حول الشمس

(الفصل الرابع) في أن الحيوان كتاب مفتوح للناس قاطبة . وفيه بيان نعيم الحرية وجحيم الاستعباد

(الفصل الخامس) في أن ما كتبناه هنا نسجنه على طريقة أكابر المتقدمين

(الفصل الأول في ذكر أنواع الحيوان بطريق أوسع وبيان أجل نهجا على منهج التقسيم في الآية)

ها أنت ذا أيها الذكي رأيت بعض صور الحيوانات في افريقيا وأمريكا وتقيس عليها ماسواها . سبحانك اللهم أنت ضربت نور القناديل أمامنا مثلاً لنورك الذي أشرق على قلوبنا وعلى كل حيوان ونبات وسما وأرض ثم قلت - ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شئ عليم - . نعم أنت تعلم كل شئ لأنك تعلم ما خلقت . أما نحن فانك تضرب لنا الأمثال وليس ضرب الأمثال قاصراً على ماضيه لنا في القرآن . كلا . إن النجوم التي نراها مشرقة في أكناف السماء والقمر والشمس لم نر حقائقها وانما رأيناها مصفرة جداً . فلكوكب الجوزاء الذي نراه في السماء أصغر من البرقعة أكبر من شمسنا (٢٥) مليون مرة والكواكب الثابتة كلها كبيرة كشمسنا أو أكبر أو أقل . فهذا الذي نراه في الجوّ المحيط بنا ليس نفس الكواكب بل هو ضرب مثل لها . فاذا كان القنديل في مساجدنا يضرب الله به المثل لنوره فكم ضرب لنا مثلاً لمخلوقاته بتصغير صورها في أعيننا . ذلك لأنه يقول - وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً - والعلم بضرب الأمثال علم قليل . فاذا قيل لنا فلان كالقدر فليس في هذا معنى إلا أن وجهه مشرق ولم نعرف صفاته . ولقد قرب الله عز وجل العلم للناس اليوم بكثارة ضرب الأمثال بالصور الشمسية مثل الصور التي رأيتها هنا (شكل ١٥ و ١٦ و ١٧ الخ) فهي إلهام للفرق وعجل البحر والنمر الأمريكي والبيغاء وأضرابها ولكنها لا تعطينا إلا ضرب مثل وهو علم قليل فقله تعالى - ويضرب الله الأمثال للناس - يفتح لنا باب الكواكب والحيوانات والنباتات التي ترسم لنا صورها في عصرنا . ذلك العصر الذي امتاز بأب أن الله يرينا آياته فيه إذ قال - وبريكم آياته فأبى آيات الله

تذكرون - وقال - وقل الحمد لله سببكم آياته فتعرفونها - فنحن الآن مأمورون أن نحمد الله لأنه أرانا آياته بالعلوم المنتشرة اليوم . ولا معنى للحمد إلا بالعلم بالمحمود عليه بقدر طاقتنا . فلنقرأ علوم هذه الحيوانات والنباتات ولنحجب من تقسيم الحيوان الى ماش على بطنه وعلى رجلين وعلى أربع . وهذه الطريقة هي التي سار عليها علماء الطبيعة في عصرنا إذ يقولون ان الحيوان أدناه خلق قبل أعلاه . فالماشى على بطنه قبل الطيور والطيور قبل ذوات الأربع

﴿ تفصيل الكلام على الأقسام الثلاثة الماشى على بطنه وعلى رجلين وعلى أربع ﴾

لما وصلت الى هذا المقام حضر صديقي العالم المدقق الذي اعتاد أن يحاورني في المسائل الهامة في هذا التفسير فاطلع على هذا فقال ما هذا التطويل . أريد أن تجعل هذه الآية كتاباً ضخماً . فها هذا الاكثر . إن هذا يورث السآمة والملل . فقلت له أنا أسألك في قوله تعالى - وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة - فهل تجد في القرآن تفصيل الصلاة والزكاة - . قال لا . قلت فمن الذي فصلهما . قال النبي ﷺ فقد بينت السنة الصلاة فقال ﷺ ﴿ صلوا كما رأيتموني أصلي ﴾ وهكذا بين الزكاة فقال ﴿ في كل أربعين شاة واحدة ﴾ وهكذا . قلت ألم يؤلف علماء الاسلام في ذلك كتباً شتى . قال بلى ولوجعت كتب المذاهب من الشيعة وأهل السنة في الصلاة والزكاة وحدها ملأت مكاتب عظيمة تملأ مساحات واسعة . قلت الصلاة والزكاة فرض عين وعلم الحيوان والنبات يكونان فرض كفاية بحيث يكون في الأمة من يكفيها بحيث يضارعون في علمهم بهذه العلوم في كثيرتهم من يعلمون هذه العلوم في أوروبا والصين واليابان وأمريكا أو أكثر هذا من جهة ﴿ ومن جهة أخرى ﴾ لا يقتصر الوجوب على الوجوب الكفائي بل هناك وجوب عيني على كل قادر متفرغ لذلك للتوحيد وللشكر . فشكر الله واجب وكل يشكر على مقدار وسعه لانكاف نفس إلا وسعها . ولا معنى للشكر بغير علم بنعمة المشكور . إذن هذه العلوم تجب وجوباً كفائياً على مجموع الأمة وعينياً على أفراد ممتازين ذكاء وفراغاً بالمعرفة الله ولشكره ومعرفة الله بهذه العلوم وهكذا شكره وازدياد المعرفة واجب كازدياد الشكر قال تعالى - وقل رب زدني علماً - فهذا من ازدياد العلم الذي يجب علينا بنص الآية لأننا أمرنا أن ندعوا الله بالازدياد ولا معنى للدعاء بأمر نحن لا نطلبه ولا نتوجه اليه فنحن أمرنا بالاستقامة كما قال تعالى - فاستقم كما أمرت ومن تاب معك - وأمرنا بالدعاء بالاستقامة فقلنا - اهدنا الصراط المستقيم - وأمرنا بالعلم قال تعالى - اعلموا أن الله يحمي الأرض - الخ وهكذا آيات كثيرة . فقال صاحبي هذا القول موضح في مواضع أخرى من هذا التفسير ونحن سلمنا به ولكني أقول اني أخاف سآمة القارئ . فقلت قد ذكرت لك أن الصلاة والزكاة واجبان . فالصلاة على الجميع والزكاة على من عنده مال فمن ليس عنده مال لا تجب عليه الزكاة هكذا من ليس عنده قدرة على دراسة علم الحيوان لا تجب عليه . فأما القادر على الدراسة فعليه التعلم للشكر . إذن فلماذا نرى المسلمين ملؤا خزائنهم بالعلوم العملية ولم يملؤوها بالعلوم العلمية التي عليها يبنى أصل العقيدة وأصل الحياة الدنيا . فهذه العلوم تنفع من جهة ثبات العقيدة وازدياد الشكر ﴿ ومن جهة أخرى ﴾ أنها تزيد الناس ثروة وغنى وسعادة في الحياة الدنيا . وقد قال امام الحرمين وبعض العلماء ﴿ إن هذه العلوم أفضل من علوم فروع العين لأن نفعها أعم ﴾ فلماذا اقتصر المسلمون على ما ينفع نفعا خاصاً وتركوا ما ينفع نفعا عاماً الصلاة تنفعني وحدي والزكاة تنفعني في الآخرة وتنفع أناساً فقراء محدودين في الدنيا . أما هذه العلوم فانها تنفع الأمة كلها . وعليه يكون قول امام الحرمين ومن نحانحوه وجبها ويكون بعض المسلمين هم وحدهم الأمة المقصرة النائمة الجاهلة الغافلة المسكينة الفارقة في بحر لحي من الجهالة وهم ساهون

فقال صاحبي إن هذا القول حق وأحسن بآثار في نفسي منه . ولا بد من نتائج له تحصل في الاسلام . قلت إذن لا يسأم الانسان من بيان الحيوان . ولماذا لم يسأم من معرفة أركان الصلاة وبيان الزكاة . قال انه لم

يسأله لأنه يسمع ذلك من النبوة . فالنبي ﷺ وأصحابه هم الذين شرحوا الصلاة والزكاة ومحورها فلذلك أقبل الناس عليها وألفوا كتباً جمة فيها . قلت والبيع والأجارة والرهن والقضايا . قال كذلك فهذه قد نقل الناس أحاديث عن رسول الله ﷺ فيها فرغبوا وحققوا ودققوا . أما هذه العلوم فلم يجدوا فيها نصوصاً . قلت له قال الله تعالى - أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون - ألم يقل الله تعالى في القرآن - فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون بالبينات والزبر - . قال بلى . قلت إذن الله لم يوجب علينا أن تقتصر على قول النبي ﷺ وأصحابه في كل شيء بل في الشرائع وحدها . أما النظر في هذه الدنيا فهذا علم عام . ألم تسمع قوله تعالى - قل انظروا ماذا في السموات والأرض - فنحن ننظروا إذا جهلنا سألنا أهل العلم . ألم تذكر ماقلته لك في (سورة البقرة) عند آية النسخ إن النبي ﷺ أخذ بقول سلمان الفارسي في حفر الخندق ولم يبال بأخذ العلم عن المجوس لأن حفر الخندق إنما كان من عمل الفرس . فهاهوذا رسول الله ﷺ يعمل بعمل عباد النار وسمع كلام أهل العلم بالحرب في واقعة خاصة . أفلا يسعنا مايسع رسول الله ﷺ وندرس هذه العلوم ونأخذها عن أربابها ما دامت ليست شرائع كما أن حفر الخندق ليس من الشرائع . قل حقاً يجب علينا الأخذ عن أهل العلوم في كل علم وهم أهل الذكرفيه . قلت وأيضاً يقول الله تعالى - فبشر عباد الذين يستمعون أقول فيتبعون أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب - . إذن المؤمنون المبشرون هم المسلمون بعدنا الذين يقرؤون علوم الأمم ويتبعون أحسنها وهؤلاء هم أولوا الألباب وهم المهديون وهؤلاء يكونون أرقى من المسلمين الذين في زماننا وفي القرون المتأخرة فقال نعم هذا حق . قلت إذن فلنفصل هذا المقام بعض التفصيل بحيث لا يكون مكرراً مع ما تقدم في علم الحيوان من هذا التفسير

﴿ أقسام الحيوان ﴾

إن الآية كما قدمنا جعلت الحيوان ﴿ ثلاثة أقسام ﴾ (١) ماش على بطنه (٢) ماش على رجلين (٣) ماش على أربع . إني أدرك أيها الذكي بما تقدم في (سورة الحج) عند قوله تعالى - إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً - الخ فقد تبين هناك أن النباية بدراسة جسمها أمكن تقسيم الحيوان إلى قسمين قسم له دم وعظم وهي الحيوانات الفقرية . وقسم لادم له ولاعظم وهي الحيوانات الحلقية والمفصليّة والرخوة والنباتية . فقال صاحبي ليس هذا عين ما هناك بل هنا بعض تغيير في اللفظ . فقلت له إن القول هنا سيكون أوضح . إنما أحب أن تقرأ ما هناك ثم تقرأ ما هنا ليحصل عندك من جلال العلم ما به ينشرح صدرك . فقال سأفعل إن شاء الله . فقلت إذن الحيوانات هكذا

(١) فقريّة (٢) حلقية (٣) مفصليّة (٤) رخوة (٥) نباتية



(شكل ١٨ - نبات أوروبا)

(وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضرا نخرج به حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنت من أعناب والزيتون والرمان مشبهها وغير متشابه انظروا الى ثمره اذا أثمر وينعه إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون)

الحيوانات الفقرية فيها الأقسام الثلاثة في الآية من يمشى على أربع ومن يمشى على رجلين ومن يمشى على بطنه . فهذا القسم استوفى أقسام الآية . قال وكيف ذلك . فقلت إن فيه ١٢ قسما (الأول) الحيوانات ذات اليدين وهو الانسان الذي قسموه الى الصنف القوقازى وهو الأبيض والى الصنف المغولى وهو الأصفر والى الصنف الأفريقى وهو الاسود والى الصنف الأمريكى وهو الأحمر والى الصنف (الأيبيد بورى) وهو ساكن القطب الشمالى الاسكىمو (القسم الثانى) ذوات الأربع الأيدي وهى القرود وهى أصناف (الحيون والاورانج أوتان والغوريلا والشمبانزى) (القسم الثالث) الحيوانات آكلة اللحوم وهى تشمل الحيوانات الكاسرة كالاسود والنمور ولها أسنان ناقة وهى القواطع والأنياب والأضراس (القسم الرابع) الحيوانات الثديية البحرية وأطرافها قصيرة ولها أرجل قصيرة كفية كأنها المجاذيف تعينها على السباحة وغذاؤها اللحوم وتخرج الى الشاطئ للراحة ورضاعة أولادها . وهذه (نوعان) العجول البحرية والبقر البحرى (القسم الخامس) الحيوانات ذوات الأيدي الجناحية وهو حيوان واحد وهو الخفاش يرضع أولاده وهو ليلى ويتغذى بالحشرات وهو يطير بسبب غشاء عريض ممتد بين أطرافه المقدم والمؤخرة وكذا أصابعه المستطيلة على شكل أجنحة يطير بها ويقضى الشتاء وهو نائم (القسم السادس) الحيوانات الثديية آكلة الحشرات ومنها القنفذ والنار الغيطى وغذاؤه الحشرات ولها أنياب وأضراس (القسم السابع) الحيوانات الثديية . القرطاضة لا أنياب لها وأضراسها كحجر الطاحون مفرطحة وتعيش فى الأشجار وتتغذى بالنبات وبالحمار وهى تشمل ذوات الترقوة كالبربع والسنجاب والكاستور وهذه تنسلق على الأشجار . ومالاترقوة له ومنه حامل الشوك والأرانب وهذه لاتنسلق على الأشجار (القسم الثامن) الحيوانات الثديية عديمة الأسنان ومنها آكل النمل والكسلان وأم قرفة وهو نوع مغطى بصفائح كقشور السمك وبعض له درع مثل (التاتو) (القسم التاسع) الحيوانات التى لا أطراف لها ذات الجلد النخين وتتغذى بالنبات وهى (١) ذات الظلف الواحد كالفرس والحمار وحمار الوحش والخريت (٢) وذوات الأرجل المشقوقة وأطرافها تنتهى بأصابع من اثنين الى أربعة مثل الخنزير وجاموس البحر (٣) وذوات الخرطوم وهو الفيل (القسم العاشر) الحيوانات المجتررة . ليس لها ترقوة وتتغذى بالحشائش والنبات من غير مضغ ومعدتها أربعة أقسام تقدم رسمها وشرحها فى (سورة النحل) وليس لها قواطع فى الفك العلوى ولا أنياب لها إلا حيوان المسك الذى يتميز ذكره عن انثاه بنايين طويلين فى الفك العلوى وتحمل تحت بطنها كيسا فيه مسك وعدد الأضراس ستة من كل جهة لطحن الغذاء والفك يتحرك حركات جانبية وبعض هذه معدة خامسة لخزن الماء كالجل واللاما . ويدخل فى هذا القسم الجاموس والبقر والغنم والماعز والزرافة وحيوان المسك والمها واللاما

﴿ القسم الحادى عشر ﴾ الحيوانات القيطسية وهى حيوانات بحرية تتنفس فى الهواء آنا فآنا وتضع أولادها أحياء وهى إما أن تتغذى بالنبات مثل اللامنتين . وإما أن تتغذى باللحوم مثل القيطس والكشالو والدلفين أما القيطس فهو الذى يستخرج منه زيت يصنع منه شمع شفاف وهو يتغذى بصغار الحيوان و يصعد الماء من أنفه كالنافورة . وأما الكشالو فهو كالقطس ورأسه مقدار ثلث أواصف جسمه ويستخرج منه العنبر السجاني وهو فى الأعور فى هذا الحيوان . وأما الدلفين فهو الدرفيل المشهور يتغذى بالسماك والحكومات حرمت صيده لأنه ينقذ الناس من الغرق ﴿ القسم الثانى عشر ﴾ الحيوانات ذوات الرجين وهى فى (دونلاند الجديدة) وهى تضع أولادها وهى أجنة لا تتحمل أحوال الجوف فتضعها فى جيب خاص فى مؤخر البطن والذى أمام هذا الجيب والابن يسيل من ذلك الثدي بغير اختيار لتغذية الصغار وبعد أمد معلوم تترك أولادها ذلك الجيب وترجع اليه متى رأت خطرا . ومن هذه الحيوانات (الفنقر) وهو كالأرنب الكبير إذا جلس معتدلا وهو فى استراليا وتسمانيا . هذه أنواع الحيوانات الثديية التى هى قسم من أقسام خمسة للحيوانات ذوات الفقرات

﴿ القسم الثانى من الحيوانات ذوات الفقرات الطيور ﴾

وهى (١) إما دجاجية مثل الدجاج والطاووس والحجل والسمان والحمام واليمام (٢) وأما ذوات أرجل كفية مثل البط والأوز والجمع (٣) وأما شاطئية مثل أبى قردان والقلق وأبى مغازل والنعامه والبشاروش (٤) وأما دورية مثل البلبل والعندليب والخطاف والقنبر والغراب والهدهد (٥) وأما متسلقة مثل البيغاء ونقار الخشب (٦) وأما جارحة مثل النسر والحدأة والبوم والمصاص والعقاب والصقر

﴿ القسم الثالث من ذوات الفقرات الزواحف ﴾

وهى السلاحف والورل والثعابين . فالسلاحف لها درق على جسمها والورل مستطيل له ذيل وأربع قوائم قصيرة والثعابين مستطيلة اسطوانية عديدة الأطراف . ومن الثعابين ذوالجرس إذ له آلة رنانة فى ذنبه يعيش فى أصربكا وهو سام . ومن الثعابين مالا سم له مثل (البوا) وهو كبير جدا ويتغذى بالحيوان بالضغط والازدراء ومثل الثعبان ذى الطوق وهو يتغذى بالسماك والدود والحشرات

﴿ القسم الرابع ﴾ من الحيوانات ذوات الفقرات الضفادع

﴿ القسم الخامس ﴾ السمك . انتهى قسم الحيوانات ذوات الفقرات

هأنذا ذا أيها الذكى اذا تأملت فى هذا النوع من الحيوان تجده مرسوما أمامك والرسم مثل من الأمثال التى ضربها الله لنا فتجد فى حيوانات أمريكا الجنوبية مثلا الغنم وهى من ذوات الأربع والأفعى وهى من التى تمشى على بطنها والبيغاء وهى من التى تمشى على رجلين وبقية الحيوانات الفقرية المتقدمة ملحقة بهذه



(شكل ٢٢ - نبات أمريكا الشمالية)

(وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحته حتى اذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتي لعلكم تذكرون * والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكاحا كذلك نصرّف الآيات لقوم يشكرون)



(شكل ٢٣ - حيوان أمريكا الشمالية)

(والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون * ولكم فيها جبال حين تريحون وحين تسرحون * وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالفيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرؤوف رحيم)

(القسم)

﴿ القسم الثاني ﴾ من أنواع الحيوان (الحيوانات الحلقية) ومنها ما يسكن البحار وما جاورها مثل السربيل له خياشيم ذات ألوان زاهية ومثل (السابل) وهو يسكن أشجار الشواطئ ويعيش فرقا . ومثل (الامفريت) ومثل (السكولوبندر البحري) وهو الذي يبحث عنه الصيادون ليستعملوه طعما للسماك . ومثل (دودة السباخ) وتسمى دودة الأرض جسمها أبيض يميل للحمرة لماع لمعانا معدني . ومثل (دود العلق) يسكن في المياه العذبة ويقرب من هذا الدود (١) الدود الذي يعيش في أجسام الخنازير والأرانب والإنسان وهكذا (٢) والدود السكوي وهو يعيش متطفلا على الحيوانات المختلفة وفي كلا الإنسان . وهكذا أنواع كثيرة من الدود التي تسبب أمراضا مختلفة كما وضع كثيرا في هذا التفسير فكلاهما من أنواع الديدان وكلاهما من الحيوانات الحلقية كالتي تحدث (البلهارسيا) و (الانكستوما) وغيرها . انتهى القسم الثاني من أقسام الحيوانات العامة وهي الحلقية . وهذا القسم دمه إما أحمر أو أصفر أو أخضر وهي خنثى فلكل حيوان عضوا للتذكير والتأنيث معا وبعضها يحتاج لجماع متبادل . ومنها ما يتولد بطريق الإزرار كأزرار النبات

﴿ القسم الثالث . الحيوانات المفصلية ﴾ وهي العنكبوتية والقشرية وذوات الأرجل الكثيرة والحشرات فالأولى منها العنكبوت والعقرب وأبو شبت والقراد وحيوان الجرب . والثانية منها أبو جهب و السرطان والجبري فلكل منها (٨) أرجل وهيكلها صلب وتعيش في الماء . والثالثة لها أرجل كثيرة وتعيش على الأرض . ويدخل في هذه ذات المائة رجل وأم أربعة وأربعين وذات الألف رجل . وأما الحشرات فهي معروفة في هذا التفسير وتقدمت كثيرا فلانعيد الكلام عليها فانظرها في آخر (سورة الحج) وغيرها

(شكل ٢٤)



(شكل ٢٤ - نبات أمريكا الجنوبية)

(هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسمون * ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون)

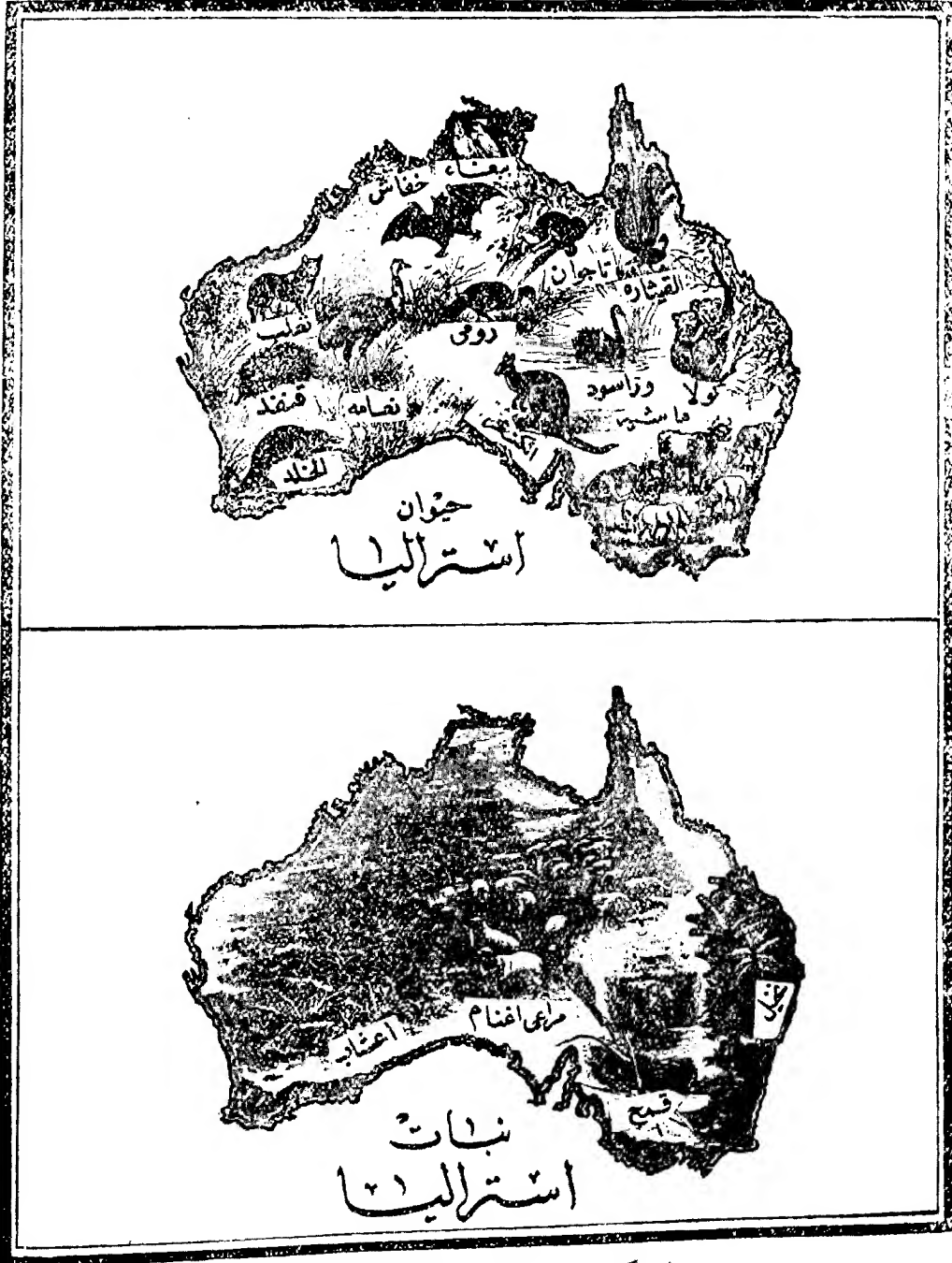


(شكل ٢٥ - حيوان أمريكا الجنوبية)

(والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخاق ما لاتعلمون * وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين)

ومن الحشرات ما لا جناح له . ومنها مستقيمة الأجنحة كالصرصار والجراد وفرس النهر والحفار . ومنها نصفية الجناح كالنمل والقمل . ومنها ما أجنحتها غشائية مثل النحل والزنبور الأصفر والأحمر وزنبور الطين ومنها غمدية الأجنحة مثل الجعران وخنافس الفول . ومنها ما لها جناحان فقط مثل البراغيث والزعقومة . انتهى الكلام على القسم الثالث وهي الحيوانات المفصلية

(القسم الرابع الحيوانات الرخوة) مثل المحار وصدف اللؤلؤ وأم الحلول وبعض هذه مشروح شرعا وافيا في (سورة مريم) في أولها (شكل ٢٦)



(شكل ٢٦ - نبات وحيوان أستراليا)

(والذي خلق الأزواج كلها وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين * وإنا إلى ربنا لمنقلبون)

(القسم

﴿ القسم الخامس الحيوانات النباتية أو الشعاعية ﴾ ومنها الزبوفيت وتقدم شكلها في آخر (سورة الحج) بهيئة خسة أشعة منتظمة جميلة . انتهى الكلام على أقسام الحيوان

وبدراسة هذه الحيوانات يعلم المسلمون معنى قوله تعالى - فمنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجلين ومنهم من يمشى على أربع يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيء قدير - فهذا هو الذي يفهمنا القدرة أى قدرة الله على التنوع فهو ينوع الحيوان أنواعا لا حدها ويعطى كل ذى حق حقه . وهذا هو الذى نزل لأجله القرآن وفتح باب علم والحيوان وتقسيمه بهذه الآية . أما النبات فلم نذكره فى هذا المقام إلا استطرادا لأنه غذاء الحيوان ولقد تقدم الكلام عليه فى سورة البقرة عند قوله تعالى - إن فى خلق السموات والأرض - إلى آخره عند مسألة إبراهيم والطير وفى سورة الأنعام عند قوله تعالى - إن الله فائق الحب والنوى - وعند قوله تعالى - انظروا إلى ثمره إذا أثمر - وفى سورة الحجر عند قوله تعالى - وأنبتنا فيها من كل شئ موزون - وفى سورة الحج عند قوله تعالى - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة -

هذا ما أردت شرحه فى تفسير قوله تعالى - والله خلق كل دابة من ماء - فبأيها المسلمون أذكركم خير بحيث يرى الطالب حكمة الله واضحة له كأن يقرأ ذلك الحيوان المتقدم الذى ينزل اللبن له ليسقيه لضعفه لأنه لا يزال جنبنا لأن أمه ذات رحمة كما تقدم أم نضيع زمانه فى حفظ القدرة والارادة والعلم والحياة والسمع والبصر وكونه قادرا وكونه مريدا وكونه عالما وكونه حيا لا لا . أيها المسلمون هذا لا ينفع أطفالنا وأنا الآن أكتب هذا وعندى اعتقاد تام أن تعاليم المسلمين ستكون على النهج الذى يوافق منهج أمثال هذا التفسير - ولتعلمن نبأه بعد حين - والحمد لله رب العالمين . انتهى يوم الخميس ٦ ديسمبر سنة ١٩٢٨

﴿ محادثة مع أربعة فضلاء من رجال المعارف مفتش وناظر مدرسة ومدرسين ضحى يوم الأحد (٩) من شهر ديسمبر سنة ١٩٢٨ أوردها هنا (لغرضين الأول) أنها إيضاح لهذا المقام (الثانى)

ان خير العلم ما أخذ من نتائج آراء المفكرين المجريين ﴾

قال المفتش بلطف وأدب (وهو ممن آمنوا علومهم فى أوروبا) أيها الاستاذ لقد حل كثير من المفسرين القرآن ما لا يحتمل وأدخلوا فيه ما لا سبيل لدخوله حتى ان بعضهم أخذ يستنتج من الآيات أن الفهم موجود فى القرآن . ولا جرم أن أمثال هذا التمثل ترفض العقول وتنفر منه النفوس ولقد رأيتك اليوم ترسم هذه الخرائط فى التفسير مبينا حيوانات ونباتات إفريقيا وأوروبا وآسيا وأمريكا والاقيانوسية وهذا لا سبيل الى ادخاله فى القرآن إلا بتكلف . فقلت له هناك فارق بين اثبات أن الفهم فى القرآن وبين بيان أن الحيوان مقسم على القارات فى الأرض . فقال أين البيان . فقلت إن الله يذكر لنا أن الحيوان منه ما للأرجل له ومنه ماله رجلان ومنه ماله أربع . هل هو يريد أن تقف على تعداد الأرجل . كلا . بل يقول العلماء ان العدد لا مفهوم له وإذا عددنا للحيوان أربعة أرجل فهناك ماله (٦) وماله (٨) وهكذا . فقال أنا لست أعارض فى اتمام مبحث الأرجل ولكنى أعارض فى ادعاء أن معرفة تفرق هذه الحيوانات على القارات يطلبها القرآن . فقلت إن هذا تقسيم للحيوان من حيث عدد أرجله وهو فتح باب للتقسيم . ولا جرم أن معرفة العلوم كلها (كما نص عليه علماء المنطق) ترجع الى أربعة تحليل وتعريف ورسم وتقسيم وقياس . فالتحليل للأشخاص كهذه التفاحة وهذه النخلة لا يجوز أن تقول عرف هذه النخلة ولا قسمها ولا برهن عليها وإنما تقول حلها فالتحليل كتحليل الماء الى الأكسوجين والادروجين هو السبيل الى معرفة الأشخاص . والتعريف وهو الحد ويتبعه الرسم وهو التعريف الناقص يعرف بهما الأنواع كما تعرف الانسان بأنه حيوان ناطق أو ثنائى له برسم فتقول هو حيوان عريض الأظافر يمشى على رجلين وهكذا . وأما القياس كالبرهان والجدل فهو للاجناس كما تستدل بأن للعالم محدثا . وأما التقسيم فهو لتمييز الكليات المختلفة كأن تقسم الكلمة الى اسم وفعل وحرف وتقسم

النبات الى نجم وهو ملاساق له والى شجر وهو ماله ساق وهكذا والتقسيم مستعمل في جميع العلوم . فالتقسيم الذي ورد في الآية اليه يرجع ربيع العلم . وهنا نقول هل الله يريد أن تنظر تقسيم الحيوان من حيث عدد أرجله فقط أم يريد أن تفكر في أمره والتفكير في أمره يحتاج الى دراسته كما بقدر طاقتنا فلنقرأ علم الحيوان ونقسمه من كل جهة من جهات التقسيم . فنقسمه من حيث موطنه في البحر وفي الهواء وعلى الأرض ومن حيث منافعه ومضاره وهكذا كما تقدم . فقال هذا حسن ولكنك قد استعنت بعلم المنطق على إيراد هذه الخرافات في التفسير وفيه بعض التكلف غير من هذا أن يكون نفس القرآن هو الذي يصريح بالتقسيم الذي أوردته هنا بلا احتياج لعلم وضعه الناس . فقلت له إن الله ذكر المني فهل يمتنى الحيوان على الهواء أوفى الأثير بل هو يمتنى على الأرض . فإذا رسمنا الماشي رسمنا أرضه معه . وإذا رسمنا بقعة من قارة لم يكن لها فضل على الأخرى . وإذا رسمنا قارة يقال لنا ولماذا لم ترسم القارات الأخرى . فغير لنا أن ترسم الجميع . فقال هذا أحسن مما قبله ولكن فيه بعض تكلف . فقلت له يقول الله تعالى - حم * تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم * إن في السموات والأرض لآيات للمؤمنين * وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون - فها هو ذا سبحانه جعل الايقان وهو أرقى من الايمان مرتبطاً بمعرفة الدواب المفروقة في الأرض فقال هذا أقرب ولكن أريد ما هو أبين من هذا . فقلت إذن تريد أن تسمع قوله تعالى في (سورة البقرة) - إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة - فذكر الأرض وذكر أنه فرّق الدواب فيها . فهذه الأرض مرسومة أمامك وهذه هي الدواب وهل هذا غير القرآن وهل الآية التي نحن بصدد الكلام عليها فيها غير هذا . أليس ترى الله يقول - والله خلق كل دابة من ماء - فهنا ذكر الكل والكميات لا تعرف إلا بالتقسيم وهما في هذه قسمتها على المناطق نارة وعلى القارات نارة أخرى وهكذا يقول الله تعالى - ومن آياته خلق السموات والأرض وما بث فيهن من دابة - أفكفاك هذا البيان . فهذه هي الأرض أمامك في الرسم وهذه هي الحيوانات عليها . فقال نعم لقد انشرح صدرى له . فأقرّ الحاضرون على ذلك البيان وهم مستبشرون . فقال لقد كنت في أوروبا ورأيت القوم يجعلون قصص أنبيائهم في مسارح السينما وهم يظهرون لهم قصص الأنبياء كموسى وعيسى عليهم السلام والرجال والنساء والأطفال يتأثرون من الوقائع والحوادث ويكون . فبالله كيف يثبت الدين في القلب إلا بنقشه في النفس من الصغر كمثل ما رأينا هناك . أما المسلمون فهم لذلك محرمون ومنه محرمون . فقلت التصوير الشمسي قد نشر في هذا التفسير وتلقاه المسلمون بالقبول وقد ذكرت في (سورة يونس) فتوى علماء المذاهب بالأزهر وأبنت أن ذلك يكون واجباً إذا كان للتعليم . فها هو ذا التصوير الشمسي أصبح في نفس التفسير وقد قلت هناك * إن من حرمه فقد انحلع من دينه وعقله لأنه ظل مصوّر بتصور الله صوره هو بشمسه ومن حرم الظل والنظر إليه فقد أصبح مجرداً من العقل ومن الدين . وأما اظهاره بطريق (السينما) وهي الصور المتحركة فليس يزيد شيئاً عن ظهوره في هذا التفسير إلا أن التفسير يقرؤه آحاد . وأما في محال الصور المتحركة فانه يقرؤه مئات مجتمعون وإذا جاز ظهور الصور للأحاد جاز للآلاف * فهذا التحريم لا معنى له الآن . فقال آخر إن المرحوم الشيخ محمد عبده قال « إن التصوير المجسم لا يحرم في هذا الزمان لأنه منع بالحديث الشريف في الأزمان الأولى حينما كان الناس أقرب الى الوثنية . أما الآن فقد تنور الناس فلا يخاف عليهم ذلك » فقلت اني لم أطلع عليه ولست الآن مضطراً لهذا المبحث فقد اكتفيت بما احتاج اليه في هذا التفسير وهو التصوير الشمسي فأما كون قصص الأنبياء تظهر في الصور المتحركة عند الفرنجة فقد ألفت قديماً المسلمين كتباً شتى فيها روايات تحجب المسلمين في الدين مثل ما جاء في كثير من حكايات * ألف ليلة وليلة * وخرافات سيف بن ذي يزن وأمثالها

فقد جعلوها روايات تحجب المسلم في الدين وما أكثرها فلهذه كتب تلك الكتب وينشر أمثالها بين العامة وإذا كانت في الصور المتحركة لم يضر ذلك شيئا كما قدمناه . فقالوا الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات اهـ

﴿ هذا التفسير وأمثاله بامثال هذه العلوم يرجع المسلمين الى العصور الأولى ﴾

لما أتممت هذا المقال قابلتني صديقي العالم الذي اعتاد أن يتحدث في المسائل المهمة في التفسير مرة أخرى فقال ما أجل ما اخترت هنا من الرسم الجليل والبهجة . ولعمري لم أجدر روضة أجل ولا مجلسا أهمل من مجلس أطلع فيه على عجائب هذه الصور البديعة الحسنة . ماشاء الله كان . فبينما أنا أطلع منظر الصحراء في افريقيا وجبالها وشجر جوز الهند وحقل القمح وشجر النخل والقطن اذا أنا أرى الخربث والتساح والفهد وفرس الماء وأنواع القروود والفرقوى العنق حاد الأسنان خشن اللسان مبطن الأقدام طويل الذيل يبلغ طوله على الأرض نحو (٣) أمتار . ذلك الذي يسبح في البحر فيعلو السفينة في النهر ويهاجمها وتقف الماشية أمامه حائرة اذا نظرها ومع ذلك كله يخاف من الصوت الغريب عليه كالخشخشة والجلجلة ان لم يكن جائعا

﴿ الأسد ﴾

ولما نظرت الأسد تذكرت انه سيد السباع . رمى اللون عظيم القوة حتى انه يقضم ظهر ثور حتى وهو قنوع . حافظ للجميل محب بنفسه كريم ولا يفتقر إلا اذا جاع ، ينام النهار كالنمر ويسعى للقوت ليلا شديد البطش عظيم المهابة

﴿ الثعلب ﴾

ولما رأيت الثعلب تذكرت انه عدو الطيور والسباع مشهور بالمكر والخبث والخييل مثل أن يتظاهر بالموت ليتخلص من الصياد وهو يجول للصيد ليلا ويختفي بالنهار ويحفر له حجرا منفرجا قريبا من جذور الأشجار العتيقة وهو سريع العدو واذا لم يجد نحو الدجاج تغذى بالفيران والضفادع وهو يأكل الفواكه كالغلب ولذلك يتلف الكروم

﴿ الذئب ﴾

ولما رأيت الذئب تذكرت انه هو الجبان الذي لا يسوقه الى الافتراس إلا الجوع وهو لجنبه يدخل صوامع الدجاج برجليه الخلفيتين وهكذا لا تصيد الذئب غالبا إلا وهي قطعان فتفترس الغنم والحيوان الأضعف وقد تصيد الخيل والبقر والانسان وقطعان الذئب اذا جاءت لانهاب خطرا والذئب قوى ما كره كالثعلب . واذا تعرض للانسان وعجز عنه استعان بالذئب . واذا رمى الانسان ذئبا أكلته الذئب ولم تأكل الانسان وهكذا اذا مرض واحد منها افتترسته ولذلك اذا مرض واحد منها اعتزل الباقي

﴿ الجمل ﴾

ثم لما رأيت الجمل تذكرت صبره على العمل وعناده اذا أهين وحقده وانتقامه ممن ظلمه وتذكرت أنه يعيش (٢٥) يوما بلا شرب ماء اذا كان الورق الذي يأكله مملوا بالعصير النباتي وهو لا يعيش إلا في البلاد الحارة . وهكذا تذكرت صفات البقر والجاموس والغنم والمغز المجتر التي لها أربع معدات تأكل الحشائش وتبلعها فتزلق في الكرش ثم تذهب الى تجويف يسمى القلنسوة وتذهب الى الفم فتضع ثانيا ثم تذهب الى تجويف ثالث يسمى أم التلايف ثم الى تجويف رابع يسمى الأنفحة . كل ذلك تذكرته لما رأيت هذه الأنعام في هذه الصور وهي مرسومة في مراعيها . بذلك ذكرت قدرة الله وحكمته وكيف خلق لكل حيوان ما يليق له . فلم يعط القروود ولا الانسان ولا الآساد هذه المعدات الثلاثة لأن هذه ليست في حاجة اليها ولم يعط الطير أسنانا بل جعل له القانصة والحوصلة يهضمان الطعام عوضا عنها وعن المعدة والامعاء . وجعل الحيوانات آكلة الحشائش طعاما لا آكلة اللحوم وقلل هذه وأكثر تلك ولم يخلق سبحانه عضوا إلا لمنفعة فترى الأنبياء القوية في السباع للحاجة اليها ومنعت المجترات ذلك لعدم احتياجها اليها . هذه هي المعلومات الأولية التي

تعلمها في الصبا تذكرتها الآن بهذه الصور المرسومة أمامي . تم الفصل الأول
(الفصل الثاني)

(بهجة العلم في صور هذه الحيوانات وما أعد لها من النبات في هذه القارات وغراثرها
وفي عادات الانسان التي جعلته في سجين)

جل ملكك يا الله وابتهج حيوانك بنباتك وابتهج كل مخلوق بنعمك خرسهم برجتك وحفظتهم بنعمتك
لا إله إلا أنت ذو الجلال والجلال الذي ظهرت آثاره في الآفاق فعمرت بها القارات كلها آسيا وأفريقيا وأوروبا
وأمریکا والاقیانوسية . هاهي هذه الحيوانات رائعة في بحبوحة النعيم وأظلالها في كنفك وأبحت لها الحشائش
والمرامى والأشجار وهي رافلات في حلل السعادة والنعيم . هذه نعمك ماثلة أمامنا نحن قراء هذا التفسير التي
أنعمت به علينا بعد شوقنا إليه آمادا طويلة وألهمت أناسا رسموا خرائط أرضك بأقسامها وآخرين رسموا
حيوانك ونباتك ثم هيأت هذا كله وجعلته تفسيراً لكتابك المنزل . الله أكبر . أحاطت آيات القرآن بالقارات
وبحيواناتها ونباتها احاطة السوار بالمعصم . أصبحنا يا الله نشاهد بعد اليأس آيات القرآن معانقات قاراتك
وحيواناتك ونباتاتك . يحيط كتابك المنزل بحبيب كتابك المبدع في الطبيعة . نعم ظهر الآن كيف كان
الاسلام دين الفطرة . حار هذا الانسان المسكين منذ أزمان في أمر دينه وفي أمر دنياه . ظن المسلم وغير
المسلم أن الطبيعة شيء والدين شيء آخر . ظنت الأمم كلها ذلك الظن لما رأوا مخالفة الديانات للعلوم وللطبيعة
ولكن هذا الدين الاسلامي لكونه لم يتغير كتابه المنزل وأخذ الناس يوضحون علوم الطبيعة أصبحت هي
تفسيرها له وهذه هي الحجة القائمة والآية البالغة . آيات قرآنية يكون تفسيرها نفس العلوم الطبيعية وإذا لم يتم
هذا تكون الديانات مفتراة أو مغيرة لأن القائل ينطق بما يعرف فإذا خالف القول العمل دل على أحد أمرين
إما أن القائل كاذب وإما أن غيره كذب عليه . وهذه كانت فمكرتي في أول حياتي فكنت أقول ان لم يكن
دين الاسلام ملائما للطبيعة فهو غير حق . هذه كانت فمكرتي من غير معلم وأخذت أبحث في الطبيعة وفي
القرآن فامتزاج الآيات القرآنية بالعلوم الطبيعية أجل نعمة علي وعلى قراء هذا التفسير . هي سعادة الدنيا
وسعادة الآخرة وخير سعادة لي ما شاهدناه اليوم من ازدواج آيات الوحي وآيات الكون . فهاهي هذه آيات القرآن
تحيط بالحيوان والنبات والناس يشاهدونها في هذا التفسير وستصير هذه أمرا شائعا بين المسلمين وسيكتبون
هذه الآيات على حيطان حدائق الحيوان في الحكومات المختلفة على طراز ما كتب هنا . وهكذا في الحدائق
العامة النباتية ويكون ذلك ديدنا للمسلمين

(جهل أكثر هذا النوع الانساني وغفلته بالتقليد الأعمى)

اللهم إن أهل هذه الأرض من أنواع الحيوان والانسان عيال في ملكك . ان ملكك واسع وأرضنا
كما عرفناه من آراء علماء الفلك ذرة ضئيلة ليست في العير ولا في النفير . نسبتها الى ملكك كله كنسبة الجوهر
الفرد الذي يدق عن أن نراه بالناظير المعظمة الى ألف مليون أرض كأرضنا هذه . لذلك كان علمنا وإدراك
حيواننا ضئيلا ضعيفا . فأما الحيوان فانك أنت ألهمته منافعه فعاش بها وهو يسير بارشادك ووحيك على قدر
ما قسمت له فالفريرة هي التي توجهه مدة الحياة . فأما الانسان وان أعطيته العقل وهو به حر فهو مسكين مني
بالتقليد . ذلك انه وان أعطيته ملك الأرض وأبحثها له ومنحته العقل والحرية قد حبس نفسه في محابس التقليد
وضل وغوى فقال في نفسه بدل أن أفكر وأضني عقلي وجسمي فإلى وما للنصب والتعب فلا قلد الآباء فأنا
لست خيرا منهم . هنالك هام الانسان أكثره على وجهه ووقع في هاوية الجهالة . فرأينا أهل هذه القارات
المرسومة في هذه الآيات من نوع الانسان قد اتخذت كل أمة من الأمم فيها عادات وديانات وأخلاقا بلا علم ولا
هدى ولا كتاب منير . وتابع الأول الآخر في الضلال وقلت أنت فيهم - ومن أعرض عن ذكرى فان له

معيشة ضئلا * ونحشره يوم القيامة أعمى * قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا * قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى - عبرته بالتقليد وأبنت حاجة الرؤساء والمستضعفين - فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار الخ وأوضحت قيمة التمسك بآراء الآباء إذ قلت - قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون - فطبائع الانسان تكاد تشبه طبائع الحيوان . فالحيوان بالغريزة لا يتزحزح عنها والانسان لكونه في عالم متأخر مثل هذه الأرض أخذ يشابهه فدار في مدار واحد بتقليد الرؤساء والآباء كأنه إذن اختط لنفسه خطة تشابه خطة الحيوان فالحيوان بالغريزة والانسان بالتقليد . هذا هو السبب في أن الحيوان من نوع واحد يرى متشابهها في أفعاله شرقا وغربا كالذئب والآساد . أما الانسان فلا تشابه بين عاداته بل هناك اختلاف شاسع لأن العادات التي اتبعها والتقاليد التي رسمت له غير متفقة بل هي مختلفة اختلافا بينا فزئير الآساد في الشرق والغرب واحد ومكر الثعالب في هذه القارات كلها لا يتغير لأنها جارية كلها على ما رسمت أنت لها بخلاف هذا النوع الانساني فقوم تراههم يتزوجون بناتهم وأمهاتهم وآخرون يحرمون ذلك وقوم يأكلون مرضاهم وموتاهم وآخرون يدفنونهم مع ان الغربان مثلا جميعها تدفن جثث موتاهها . فالفرق الشاسع بين كل الآباء والأمهات عند المتوحشين في أواسط افريقيا وبين احترامهم واعظامهم ودفنهم واجلالهم عند الأمم المتمدينة ليس مثل اتحاد الأعمال عند الغربان في دفن الجثث الذي لا يختلف فيه أنواعها ولا مثل اتحاد الذئب في أكل مامرض منها ولا مثل اتحاد النمل في العطف والرافقة على ضعفائها ومرضاهها . إذن هذا الانسان قد ضل عن فطرته لأن فطرته أن يفكر لأن يكون ذا غريزة تسيره فهو حبس نفسه في سجن التقليد وكان من آثار هذا التقليد أن الناس أشتات كما قال شاعرهم

الناس شتى اذا ما أنت ذقتهم * لا يستويون كما لا يستوي الشجر
هذا له ثمر حلو مذاقته * وذاك ليس له طعم ولا ثمر

وهذا وان كان مرادا به أخلاقه الفردية فهو منطبق على عاداته القومية التي طبع عليها بالتقليد فأنسته ملكة العقل والتفكير فانحط كثير من هذا النوع عن صاحب الغريزة وهو الحيوان . ومن آثار التقليد أن أهل الأرض الآن لما كان هذا دأبهم اذا اطلع غير المسلم منهم على ما كتبه الآن ورأى هذه القارات وعليها الآيات وفي داخلها الحيوان والنبات ورأى أن الطبيعة هي نفس الوحي المنزل وأن القول السماوي موافق للعلوم الطبيعية لا يستطيع أن يكتبه في كتاب ولا يرى في قلبه قبوله له ولا يحبه مع أن فطرته شاهدة أن كل قول منطبق على الطبيعة مناسب لها موافق لحقائقها يكون مقبولا لأن الانسان جزء من الطبيعة والطبيعة محبوبة ومنها وبها وعليها خاق وتغذى وتجمل وحل فهو يذكرها مفرم ولعلها محب ولكن التقليد الذي أخرجه عن دائرة عقله بمنعه من كتابة هذه الآيات أو الاستشهاد بها أو اعارته التفاتة فلا يصنع كما صنعت في هذا التفسير بل يراه جريمة ودليلا على التقليد . - قتل الانسان ما أكفره - إنه كان ظلوما جهولا - بل كثير من المسلمين الذين تعلموا نصف تعليم بأنفون أن ينطقوا بهذا لأنهم يريدون أن يتظاهروا بأنهم أعظم من الأنبياء فيعظمون في أعين ضعفاء الأمم الشرقية الذين أخذوا الآن يقرؤون بعض العلوم فيوهمهم رؤساؤهم بأنهم صاروا كرجال الأمم الأخرى الذين غلبوا الشرقيين بالمدافع والاحياء لهم في هذا الادعاء إلا أن يتظاهروا باحتقار الدين تظاهرا بالعظمة أمام صغار الأمم الشرقية . إذن أمثال ما كتبه الآن حول القارات من الآيات تختلف فيه الأمم ولا ينحون نحوها إلا المسلمون ومن على ساكنهم وهم قليل بخلاف الشعرفان الشعر بأي لغة كان يفرح به جميع الأمم . فشاعر الشرقيين من مسلمين وبوذيين ويهود وغيرهم يسمعه كل غربي . وشاعر الغربيين من أي أمة كان يسمعه ويفرح به كل شرقي وحكماء الشرق وحكماء الغرب كشعرائهم كلهم محبوبون مقبول كلامهم عند جميع الأمم

فهذا (شكسبير) شاعر الانجليز وهذا (سينسر) فيلسوفهم . وهذا (هومير) شاعر اليونان . وهذا (أرسطاطاليس) وهذا ابن رشد والغزالي وابن سينا . كل هؤلاء يسمع شعرهم وفلسفتهم كل أمة سواء أكانت على دينهم أم خلافه . أما الدين فلما كان له رجال يحملونه وكان لهم في تأييده وارتقائه وشيوعه في الأرض منفعة مادية كأن يزيدهم جاهها ومالها وكثرة اتباعهم وكثرة الاتباع لاتهم إلا باحتقار كل دين سواه لذلك كانت أهل الديانات الأخرى إذا قرؤوا ما أكتبه الآن لم يحلوه المحل الذي يحلوه للشاعر أو للفيلسوف الشرقي إذن التقليد في أمم الأرض بمنعمهم عن فطرتهم وهذا الدين الاسلامي الذي ينطبق على الفطرة كما نطق به هذه القارات وحيواناتها وكما تستمعه قريبا هنا في كلام فلاسفة أوروبا في تقريب كتابي ﴿نظام العالم والأمم﴾ أن الاسلام . بهذا التأليف ثبت انه دين الفطرة لا يعبره غير المسلمين أدنى التفات مع ان فطرتهم شاهدة به ولله الأمر وله الحول والقوة - ولول شاء ربك ما فعلوه - والحمد لله رب العالمين . كتب يوم السبت ١٥ ديسمبر سنة ١٩٢٨

﴿ الفصل الثالث في عجائب هذه الحيوانات وآثارها في الانسان وأن الأرض أشبه براقصة

حول الشمس بما حلت ﴾

فاذا رأيت الأرض راقصة حول الشمس بحركتها اليومية والسنوية لا تفتقر ولا تهدأ والنجوم حولها والكواكب كأنها تصفق لها وهي دائرة فانها وهي في رقصها قد حلت بالناطق الهوائية والسحابية والثلجية والنباتية والحيوانية . فهي أبدا راقصة وهي أبدا عليها حليتها وحولها نعماتها وفيها قلت صباح يوم الجمعة (٧) ديسمبر سنة ١٩٢٨ ما يأتي من الآيات

الأرض ترقص حول الشمس من فرح * بنورها وبنور الشهب في الظلم
تنأى وتقرب أحيانا بما حلت * من ناضر النبت أو من باهر النسم^(١)
فالنور مؤتلق والطير محترق * والنبت مقسق بهدى الى النعم
والحوت في لجج الأمواج يقطعها * ويقطع الليث قفرا وهو في قرم^(٢)
والأرض أمهم طرا تسير بهم * خوفا عليهم واشفاقا من العدم
في الصيف تدفهم بالنور محترقا * وفي الشتاء يرون السحب من أمم
سوطان حر وبرد سيق بينهما * مافي الخلائق بين الحوت والرخم
والريح هزعت الأشجار مائلة * تشدومع الطير في الروضات والاجم^(٣)
في كل أرض وفي كل البحار وفي * جو السماء أفانين من النعم
من كل مائسة الأغصان والهة * تختال في حلل الأزهار كالغنم^(٤)

﴿ نظرة في قوله تعالى - فمنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجلين - الخ فوق ما تقدم ﴾

(١) إن كون الحيوان يمشى على رجلين وكونه يمشى على أربع وكونه يمشى على بطنه . هذه أمور يشاهدها الجهلاء والعلماء . في الانسان مع الطير وفي ذوات الأربع وفي الحيات . وأعجب من ذكر القرآن هذه الثلاثة التي يعرفها الخاصة والعامة . الله يرشدنا الى أن الأشياء المشاهدة غرض الناس عنها الطرف لأنهم في هذه الأرض حكم عليهم بالسجن في البحث عن أقواتهم وعن المال والولد . فاذن هم في غفلة ساهون فقال الله . كلا . أيها الناس إن باب العلم هو التقسيم والتحليل . أما التحليل فقد جاء في (سورة البقرة) عند ذكر الطير وبرايم فاقروا هناك وهو الذي يعرفه تلاميذ المدارس النظامية في العالم كله في علم الكيمياء وأما التقسيم فهو الذي فتح بابه القرآن هنا . اللهم إنا نحمدك على العلم وعلى الحكمة . أنت الذي فتحت

(١) النسم جمع نسمة وهي كل ذى روح (٢) شدة الشهوة لأكل اللحم (٣) الشجر الملف (٤) نبت أحر

لنا باب التقسيم . الله أيها المسلمون فتح باب التقسيم فقسم الحيوان الى الأقسام المذكورة (٢) فانظر تقسيمه على المناطق في صورة (١٥) فهو (ثلاثة أقسام) قسم في المناطق الحارة . وقسم في المعتدلة . وقسم في الباردة وهكذا يقسم من حيث الأخلاق الانسانية

(٣) ان للانسان شهوة وله غضب وله حكمة وعقل فالحيوانات التي تأكل النباتات تمثل فينا القوة الشهوية والحيوانات التي تأكل أمثال الغزلان والأرانب كلاسود والنمور تمثل فينا القوة الغضبية والقوة المودعة في العالم علوية وسفلية التي بهارتبت هذه الأنواع وحفظت وبقيت بحيث لا تنفئ أنواع الأنعام وأمثالها بأكل الحيوانات التي تقتدى منها بل يبقى الأكل ببقاء الماء كقول ولا يفنى الماء كقول مع تبادى الأكل في التغذية به . فهذه القوة المنظمة قد أودع نور يشبهها في عقول بنى آدم سميناها عقلا . إذن عقولنا أشبه بالملائكة وقوتنا الغضبية أشبه بالآساد ونحوها وقوتنا الشهوية أشبه بالبهائم ونحوها . فهذه ثلاث مراتب كمراتب الأرجل في الآية وكراتب المناطق فوق الأرض . فهذا يشيرله القرآن ولهذا نزل الكتاب ولهذا وأمثاله جاء أمثال هذا التفسير من الكتب التي تؤلف في عصرنا . تباركت يا الله في نظامك وعجائبك في هذه الدنيا

(٤) ويلحق بهذا أمر اللذات فهي (ثلاثة أقسام) لذات دنيئة سفلى ولذات وسطى ولذات عليا . فأما اللذات السفلى فهي ما يزاوله الحيوان من السفاد وضروب النزوان . فالانسان وهو يزاوها قد شارك الحيوان فيها وهي أدنى اللذات . ألا ترى أن هذه اللذة عمت النبات وسائر الحيوان واللذة كلما كانت أعم كانت أدنى منزلة وكلما كانت أخص كانت أرفع منزلة . وأما اللذة الوسطى فهي لذة الغلبة والقوة والسطوة وهي التي تمتعت بها الآساد والنمور والصقور فلها الحكم على الحيوانات الآكلة النبات ولها عليها فضل لأنها وإن أكلت من القطيع الذي يبلغ (٥٠٠) نهجة مثلا واحدة كل جمعة أو شهر أو سنة قد كانت سببا في احدث ارتباط المجموع بروابط المحبة والاخاء والاتحاد لأن الخوف من المهاجم يجمع القطيع كله على رأى واحد فإذا آتست أسدا فزرت الجوع من وجهه ولا يقع فريسة إلا الضعيف . هكذا جعل الله في الناس من هم أولوا قوة وأولوا بأس شديد فيحفظون الأمم والدول والممالك ويساعدون في ارتباط المجموع واتحادهم بالقوانين والأوامر فهؤلاء الملوك وهؤلاء الأمراء لذتهم إذا خلت من الشهوات البهيمية أرقى من لذة الفتيان بالمطاعم والملابس والتزوج المقتصرين على ذلك . وإنما كانت هذه وسطى لأنها خاصة بطائفة من الحيوان ولم ترق الى المرتبة العليا وهي اللذة العلمية وهي اللذة التي لا يعرفها إلا الحكماء والأنبياء والملائكة . فالانسان إذن إما بهيم وإما أسد وإما ملك

فكن رجلا رجله في الثرى * وهامة همته في الثريا

(٥) تقسيم الحيوان على حواس الانسان وحاجاته

(١) فنه ما ينفع الانسان من حيث حاسة اللمس فيلبس الجلود والأوبار والأشعار والأصواف كالإبل

والمعز والغنم

(ب) ومنه ما ينفعه من حيث حاسة الشم كحيوان المسك في البروحوت العنبر في البحر

(ج) ومنه ما ينفعه من حيث حاسة الذوق وحصول الغذاء بالألبان واللحوم وهذا معروف

(د) ومنه ما ينفعه من حيث حاسة السمع كالطيور المغردة من الفواخت ونحوها

(هـ) ومنها ما ينفعه من حيث حاسة البصر كالطيور الجلية من أمثال الطاووس وهناك منافع عقلية لأنواع

الحيوان تكسبه حكمة وعلمها وذلك كالألوان التي شرحتها لك في أول سورة المؤمنون . فهذه تدهش عقل العقلاء وتدعوهم للتفكير والتأمل والاعجاب بما أبدع الله فيها

(و) انظر ألوان الحيوان وصوره . هناك تر العجب العجيب . ترى الحيوان أعطى لونا خاصا لحفظه هو

فانظر هناك حشرة تعيش على (البقدونس) كيف لَوْنَت بلون أزهاره حتى لا يمتاز عنها ، وانظر هناك صورة لحشرة أشبهت غصنا من نفس الشجرة قد قطع حديثا وهي بذلك قد حفظت من الهلاك وكيف يكون بعض الحشرات مشبها في الشكل زرق الطيور الآكلات لها حتى لا تنقع عليها فتفترسها . وهكذا مما شرحت لك هناك ثم انظر من جهة أخرى صور أجسامها وتركيب أسنانها وجهازها الهضمي تجدها مفصلة بحساب متقن على حسب مصلحة نفس الحيوان لاعلى مقتضى الوسط فلم يكن لون سواد الفار والالوان الزاهي في الزنبور رمية من غير رام كما أقرّبه فلاسفة القرن العشرين

إذا عانت ذلك في النظرات الست المتقدمة هنالك تعرف لماذا يقول الله تعالى - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرايب سود ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء - وتعرف قوله تعالى - ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين - هذا هو الذي نزل له القرآن وهذه العلوم التي أظهرها الله في زماننا هي التي بها يفسر القرآن الذي جعل اختلاف الألوان لا يعرفه إلا العلماء ولا يدرك أمثال هذا إلا العلماء به لاعموم العقلاء والحمد لله رب العالمين انتهى الفصل الثالث

﴿ الفصل الرابع في أن الحيوان كتاب مفتوح للناس قاطبة وفيه بيان نعيم الحرية وبحيم الاستعباد ﴾
اعلم أن الله عز وجل خلق الحيوان قبل أن يخلق الانسان وألهمه معاشه وعلمه صنائعه وقسمه أقساما وكل ذلك قبل أن يخلق هذا الانسان على الأرض . إن الله قد فعل مع الانسان ما فعله مع الطفل من احضار ما يحتاجه قبيل الولادة حتى اذا وضعت أمه وجد القابلة التي تساعد في وضعه والثدي واللبن واللهاق وجميع أنواع الراحة له حتى يعيش في الأرض . هكذا الانسان كله خلق له قبل أن يخلق الحيوان وخلق للحيوان النبات كذلك حتى يدرس الانسان هذا الكتاب المفتوح فضلا عن أن يكون غذاء له ومركبا وزينة ومتاعا الى حين . واقد مرّ في (سورة طه) أنواع الصناعات التي تعلمها الانسان من الحيوان في شؤون الحياة فقلده فيها فانظرها هناك فانك تجد الانسان ماصع مركبا في البحر ولا طيارة في الهواء ولا حصنا لمدينة ولا سردابا تحت الأرض فيها إلا وقد سبقه اليها الحيوان . وأقول الآن إن الحيوان على ﴿ قسمين ﴾ قسم يعيش في الخلوات والغابات حرا طليقا سعيدا قويا معززا وقسم يذله الانسان ويستخدمه ويكون مساعدا له . فالأول كالغزلان والآساد والثاني كالسكّلاب والغنم فالأول بحريته صار أعزّ نفسا وأشرف وأجل وأكل وأقدر على التدبير من الثاني الذي حرم قوّة الحيلة والتدبير لأن الانسان قام بحاجته وتكفل بغذائه فانحطت ملكاته وساءت حياته ففرق بين العز والاعزال . هكذا أتم على الأرض ﴿ قسمان ﴾ قسم اعتاد التواكل والكسل فألهم الله من هم أقوى عقولا وأحسن تدبيرا فاحتلوا بلادهم وساموهم سوء العذاب وقالوا لهم أيها الناس عليكم العمل وعلينا التدبير فعيشوا كما تعيش الأنعام وكونوا خاضعين . وكما انقسم الحيوان الى ذليل وعزيز حرّ هكذا انقسم الى ما أعطاه الله صناعة والى ما لا صناعة له . فالأول كالنحل والعنكبوت فترى النحل عزّزا أينما حلّ في البدو والحضر فهو معظم مكرم حتى ان الانسان اذا استأنسه قام له بكل خدمة وعظمه وأكرمه ذلك لصناعته العجيبة فأما العنكبوت فانه لقوّةه الصناعية يحتل كل مكان في الحقول والمنازل ويصطاد الحشرات

﴿ اشارات القرآن لهذين القسمين ﴾

إن الله عز وجل لم يسم في القرآن السورة باسم (البقرة) وهي مما استنله الانسان إلا وقد ذكر معها الذبح فقال - إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة - ثم قال - فذبحوها وما كادوا يفعلون - هكذا الأثم التي تركت مواهبها وعقوبها سلط الله عليها من الأثم من يقودونها ويقومون بشؤونها - سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا - فهو لاء المسلمون المستضعفون في الأرض قد ضرب الله لهم مثلا في الأنعام أمامهم فانهم يعرفون

الفرق بين الأسد والكلب وبين الغزال والعنز فالغزالة أنقى لونا وأجل شكلا وأوفر ذكاه وأوسع حيلة من أخذها العنز التي استذلها الانسان . ذلك هو كتاب الله الذي أنزله للناس قبل أن ينزل كتابا واحدا من السماء وهكذا لم يذكر الحيوانات الصانعة في التقسيم الثاني إلا مقرونة بما يشرفها ويعظمها . ألم تره لم يذكر النمل في (سورة النمل) إلا وقد شرفها بأن سمعها نبي من الأنبياء وهو سليمان - فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك - وقال الله في النمل - قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون - كما انه لما خاطب الهدهد وهو من نوع الطيور الحرة في التقسيم الأول هنا بعد أن توعد بالذبح أو التعذيب الشديد لم يهنه ولم يذله لانه سمع منه الجواب المحكم والعلم إذ قال له - أحطت بما لم تحط به وجئتكم من سبأ نبأ يقين - بخلاف (البقرة) فانها لم تفد العلم بالقتيل إلا بعد الذبح . يقول الله تعالى - فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيى الله الموتى - فقلت لم يخبر بقائه إلا بعد ذبح البقرة وهو هدّد بالذبح ولكن لم يذبح وأتى بعلم وهو حى . ذلك فرق ما بين الحرّ وغير الحرّ . الحرّ لا يذبح فنفيد حياته وغير الحرّ يكون طعاما للآكلين فلذلك أفاد الهدهد سليمان بما لا يحيط به علما . هذا تشبيه ظاهر للأمم الاسلام أن سمو الفكر والحكمة وعلوّ القدر والعظمة كلها تابعات للحرية التي يتبعها صفاء الذهن وحضور البديهة والصدق في العمل ولم ينزل القرآن لنا للتفككه بل نزل للحكمة ولم يختار الله الهدهد في حكاية سليمان رمية من غير رام . كلا . ثم كلا . بل الهدهد رمز للنفوس الصافية التي ليست تحت إمرة غيرها حتى يكتموا أنفاسها ويذلّوها ولو كان علماء الاسلام فكروا في هذا قبلا ما ذلّ المسلمون ولاضعفوا ولا استكانوا ولكن الله عزّ وجل هو الذي يعطى من يشاء ويمنع من يشاء - وكل شئ عنده بمقدار - ولقد كان من الجائر أن يذكر الله بدل الهدهد حمامة فالحمام هو المعهود لتبليغ الرسائل في السلم والحرب قديما وحديثا ولكن الله عزّ وجل يريد أن يعلمنا بطريق ضرب الأمثال بالحيوان فذكر الهدهد لهذا وأمثاله هو الفتح العليم . ثم تأمل كيف ذكر الله الهدهد والنمل مع سليمان حتى يكون ذلك شاهدا على التقسيم الأول في هذا المقال وعلى القسم الثاني فيه حتى يكون هذا المقال كاه مقتبسا من (سورة النمل) مرتبطا بأية النور هنا عند تقسيم الحيوان الى الماشى على بطنه وعلى رجلين وعلى أربع وهكذا . ولا جرم أن التقسيم العام هنا يدخل فيه ذلك التقسيم الخاص في (سورة النمل) الذي تضمنه حديث سليمان مع الهدهد وتبسمه من سماع النملة . فهنا عموم وهناك خصوص وهذا المقال خاص دخل في العام . فأنا أحذرك يا الله على نعمة العلم وبديع الحكمة إنك أنت اللطيف الخبير . وهكذا لما ذكر الله العنكبوت أردفها بقوله - وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون - وقال في النحل - وأوحى ربك الى النحل - فهذه أمثلة لأفادنا أن في ذكر العنكبوت ونحوها ضرب أمثال وأن تلك الأمثال لا يعقلها إلا العلماء وأفادنا في النحل انه يوحى اليه كما أنه في (سورة المائدة) أفاد أن الغراب معلم للانسان إذ قال سبحانه وتعالى - فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوءة أخيه قال يا ويلتنا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخى فأصبح من النادمين - وعلى مقتضاه يقول يا ويلتنا أعجزت أن أكون مثل هذا الهدهد والغراب فأكون حرا طليقا قوى الغزيمة أخطب ملكا عظيما كسليمان فلا أخشاه لعلمي ولصدقتي ولقوة عقلي ويقيني ولحرّيتي وأيضا أعجزت أن أكون كالنحل والنمل وكالعنكبوت في الصناعات حتى أستخرج مواهب الكامنة فيّ وهناك يلهمني الله رشدي ويزيدني علما بما أزاوله كما أوحى الى النحل لما زاولت عملها والى العنكبوت لتتن نسيجها والى النمل لتربي أولادها . هذا ما فتح الله به صباح يوم الخميس ١١ ديسمبر سنة ١٩٢٨ والحمد لله رب العالمين

﴿ حفظ القوة الشهوية في الانسان حسن كما حفظها الحيوان ﴾

ولعمري - إن الانسان لفي خسر * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر -

الله يقول - إن الانسان لئى خسر - لماذا؟ لأنه جهول - قتل الانسان ما أكفره - . ويقول أيضا - وحلها الانسان إنه كان ظلوما جهولا - . اللهم انا نحن سكان هذه الأرض أسرى التقليد والأوهام والجهالة أفكر يارب في هذه السن فأرى انك قويت صحتي وأتذكر أيام شبابي فأجد الأمراض كانت تحيط بي . ولما فكرت في ذلك وجدت أن المرض في الشباب كان بالجهل بعلم الصحة وأن الصحة اليوم بسبب انك عرفتني بعض علم الصحة وعملت بشئ منه . وكما رأيت في صحتي اعتدالا قليلا أو كثيرا بعد أن أكون عملت ببعض ما أكتب في هذا التفسير من قوانين الصحة أقول يا سبحان الله وسعداته . إذن أمراض الناس بجهلهم ومرضى بجهلي وكل انحراف عقلي أو صحتي أو خلقى عندي الآن أو من قبل ليس له سبب إلا جهلي . إذن شقاء الناس كلهم بالجهل . ومن عجب أنى أرى عظماء الأمم وكبراءهم في عصرنا يتبعجون بالاعلان عنهم في الجرائد انهم شربوا المرطبات أو الحلوى في مجالسهم العامة وهكذا فإذا سمعت هذا الاعلان أقول في نفسي . يا عجبا . مالى أرى هذا الانسان ساهيا لاهيا . شرب القوم المرطبات . شربوها جميعا . هل كانوا عند الشرب جميعا مسوقين له بالعطش أم ذلك شهوة لاغير فن شربها للعطش فيها ومن شربها للذة أورتته مرضا دفيناً واختلالا وهكذا مرة بعد أخرى حتى يظهر أمره بعد حين . فلماذا لا ينظر الناس الى الحيوان . ذلك الذى لا يأكل إلا اذا جاع ولا يشرب إلا اذا عطش والانسان لغاونه وجهله يشرب لغير سبب إلا اللذة وهذا له عقاب عظيم في هذه الحياة . هكذا في أمر التناسل ولذة الوقاع يقول الأطباء ﴿ إن حفظ هذه القوة يقوى الجسم والعقل ويصدها تميز الأشياء ﴾ ومن عجب أن الناس يشاهدون الأنعام لا يقرب الذكر أنثاء مادامت حاملا كأنها قرأت نظام العالم وعرفت منه أن هذه الشهوة ليست مقصودة لذاتها لذلك حفظت قوة تلك الحيوانات . أما هذا الانسان المسكين فهو أسير شهواته بواقع كثيرا لغير ما سبب إلا الشهوة وهى ترديه . نعم أما است أقول انا نقل الوقاع كما نقل الأنعام أى عند ارادة الحمل فقط ولكن أقول الأفضل أن يكون ذلك تابعا لعلم الصحة حتى تقرب من حكمة الله فى أرضه التى أظهرها لنا فى الأنعام التى اقتصرت على طلب الولد والله أشار لذلك فقال فى (سورة البقرة) - وقدموا لأنفسكم - بعد قوله - نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم -

اللهم إنا على الأرض أمانا ﴿ كتابان ﴾ كتاب منظور وكتاب مسموع والكتاب المسموع الذى أوحيت وجه عقولنا الى كتابك المنظور . فتوجه به برحمتك عقول المسلمين من الآن الى نظامك فى كتابك المنظور حتى يعقوا ويفرحوا بجمالك وليتخلقوا بأخلاقك العالية الشريفة وليقفوا عند حد أدبك الذى فرقته على حيواناتك فى أرضك وقلت - قل انظروا - فهانئ أولاء يارب نظارنا فوجدنا أن النوع الانسانى حاد عن الجادة فى تصرفه واتبع العادة ولم يفكر منه إلا الأقول . يشربون وهم لم يعطشوا ويأكلون وهم لم يجوعوا والحيوان لم يفعل ذلك وأكثر ما يكون ذلك منهم فى ولائهم وأفراحهم ومجتمعاتهم العامة

ويدخلون دخان (التبغ) فى أفواههم بدور فى دورة الدم فيؤذيهم ويشربون المراد المتخمرة التى تضر أجسامهم ويفعلون ما به يستضرّون . وقد تمتحننا بالجوع الكاذب بين الأكلتين أو العطش الكاذب بين المرتين من الشرب فنطبع تلك الداعية فنستضرّ واذ ذاك نضلّ القوة العقلية ويفتر الذهن وتقصّر الآجال على حسب الأقدار الجارية . ولقد قلت فى كتابك - وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير - فهذا مما كسبناه بأيدينا وقلت أيضا - وإن تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله - وسبيلك يارب فى كل شئ بحسبه - إن ربى على صراط مستقيم - وقد ذممت التقليد فقلت - واذ قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون - . إن هذه الأمة سيكتفون فيها المفكرين فى أمر هذا الحيوان والاقباس مما جبل عليه ليرجع المسامون الى الفطرة - فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون - انتهى صباح يوم الجمعة ١٤ ديسمبر سنة ١٩٣٨

(نداء الى أمم الاسلام)

(تذكرة ١٥ ديسمبر سنة ١٩٢٨ وازدياد لليقين)

إن من أعجب العجب أنى بعد ما كتبت ماتقدم اطلعت على محاضرة مسهبة ألقاها الاستاذ (فينج فيشر) الأمريكي الاختصاصى فى علم الصحة أظهر فيها بالبرهان الجلى المحسوس أن الناس فى القرن الحادى والعشرين سيكون متوسط أعمارهم (١٠٠) سنة على الأقل وقال اتنا الآن نقصر أعمارنا باستعمال الكحول والتبغ والشاى والقهوة فضلا عن اتنا نكثر من تناول الأطعمة ونقلل من ممارسة الألعاب الرياضية وننام قليلا ونرتدى ملابس غير صحية وأن علم الصحة يقود الى اطالة العمر ولا يأتى الموت إلا اذا فقد الجسم النشاط الحيوى عند ماتصبح الحياة كعقرب الساعة المكسور . وختم محاضرته بقوله (إن أحفادنا وأولادهم سيعيشون جيلا أوجيلين لأنهم سيدركون أكثر منا ويحافظون على الوسائل الصحية وينبذون استعمال المواد المهلكة لتلك الأجسام) انتهى

أقول . عجى أن تنشر هذه المقالة فى بلادنا عند كتابة هذا الموضوع ولعمر الله كم من علم ينشر والناس به يستهزئون وليعلم المسلمون أن دين الاسلام سياتى زمانه أما هذا الزمان فانما هو مقدمة لا غير . إن المسلمين قرؤا آيات الخمر وتحريمه والربا وتحريمه ولكن كان الخمر هو أجل ما يفرح الأمراء ورؤساء الدول الاسلامية فضلا عن الفساق وأصحاب الخلاعة . كل ذلك لأنهم لم يدركوا السر فى هذه المحرمات ولم يعلم كثير منهم أن ذلك التحريم لاسعادهم فى الحياة الدنيا قبل الموت وصار شعراؤهم يتغنون بالخمر ويقول أبو نواس شاعر العباسيين (أيام صولتهم ومجدهم والقوم لا يزولن أقرب الى البداوة منهم الى الحضارة ولم يبلغ الترف منهم مبلغا عظيما) ألا فاسقنى خرا وقل لى هى الخمر * ولا تسقنى سرا اذا أمكن الجهر

وكتاب الأغاني بما فيه من أحاديث الخلاعة والفجور المنقولة زورا عن الرشيد وأمثاله قد انتشر فى دولتهم ودولة الأمويين فى الأندلس فافسد أخلاق القوم فساء صباحهم ومساءهم وخلت منهم الديار وبئست عاقبة الغافلين . فبالت شعرى أى أثر يتركه أمثال ما نكتبه الآن من النظرات فى الحيوان وعاداته وأنه كتاب مفتوح كتبه الله بيده لنا وقال - قل انظروا - وقسمه الى زاحف وماش على رجلين وأربع وتبين لنا انه مترفع عن الدنيا فى مطعمه ومشربه وملامسة أنثاه . هنالك يكون الخجل من الجهل ومن المرض وقصر الأعمار الذى كسبناه بأيدينا وسوء التربية والملسكة . فاذا انضم الى ذلك قراءة أمثال ما ألقاه (الدكتور فيشر) الأمريكى من اظهار جهل هذه الأجيال . هنالك يعلم أبناءنا بعدنا اتنا ما كان لدينا علم ولادين اللهم إلا ألفاظ القرآن محفوظة تنقلها لمن بعدنا بأمانة كأن الله سخرنا لهم وهم الراحون . أنت يا الله خلقت الحيوان وقلت - انظروا - وأنزلت القرآن وقلت افهموا وخلقت أمما وأما ففسكر الجميع فعرفت روسيا ضرر الربا وأمريكا الخمر بقولهم فأدوا بعض ما جاء به القرآن والمستقبل أجل وأكمل وسيرتقى المسلمون والحمد لله رب العالمين

أيتها الأمم الاسلامية . اسمعى . هذه هى صحيفة الحيوان أنزلها الله فى الأرض لتدرسوها وقال لكم انه مقسم الى زاحف وماش الخ وقال لنبيه ﷺ - فذكر انما أنت مذكر * لست عليهم بمسيطر - كأنى بكم قرأتم هذه الصحيفة وأخذتم تعجبون من نظام وضعها وبهجة حكمتها فتقولون ان فى الحشرات كاللدود والجراد والنمل والنحل لعبرة وكذلك فى الطيور كالحمام والغراب هكذا فى الأنعام وفى الآساد والفيلة . اتنا نرى هذه الأنواع تجري على وتيرة واحدة فكما كانت أنقص مرتبة كان عملها قاصرا وكلما كانت أعلى مرتبة كان عملها متعديا . فاذا كانت الجرادة والذبابة والناموسة لا تربي ذريتها والنحل والنمل يعطف الفرد منها على المجموع ويربى ذريته ويحفظ دولته هكذا نرى هذين النوعين فى الطيور . فانا نرى الدجاجة والبطة والحمام تربي أبناءها ولكن لاعلم لها بنظام الغراب وأمثالها من كل ما لها به نظام عام يجمع طائفة ويساعد الفرد

المجموع . هكذا نرى البقرة والشاة والعنز والجل لا يعرفن إلا أنفسهن وذرياتهن الى أمد معلوم ولكن الفيلة والذئاب والقردة وأمثالها قد كوّنت لها أمة وأقامت حكومة وانتظمت منها الجاعات ثم يقولون إن الشرف يتبع الفضل والمنفعة العامة فنحن نرى النحل والغرابان والقردة أفضل وأشرف من الجراد والحمام والأنعام ثم ينظرون في هذا الانسان نظرة فيقولون ان الطفل منه والشيخ الهرم كلاهما لضعفه يشبه الدود والجراد إذ لا همّ له إلا حفظ حياته . والأقوياء من هذا الانسان يرتقون فيلدون الذرية وتكون لهم أسرات ثم جاعات ثم أنفاد و بطون وقبائل وهؤلاء أرقى ممن يقتصرون على أسراتهم وقياسا على جاعات الحيوان يكون الانسان كلما ازداد جمعه ازداد شرفه . فاذا رأينا أمم أوروبا كالجرمان والانجليز وأهل فرنسا . وإذا رأينا أهل الشرق الأقصى كاليابان والصين ووجدنا أن هذه الأمم كلها يحافظ الفرد منها على المجموع قلنا لقد أحسنوا وهم أعظم شرفا ممن صغرت جاعاتهم بأن حافظوا على نظام القبيلة ولم يرتقوا عنه . ثم يقولون إن هذه الأمم جميعها لم تزد عن الغرابان وعن الفيلة وعن النمل والنحل

اللهم انك أنت الذى ألهمت النحل وألهمت النمل وألهمت الفيلة وألهمت الغرابان وألهمت هؤلاء جميعا نظام جاعاتهم وقلت لنا - وما من دابة في الأرض - كالفيلة والقردة - ولا طائر يطير بجناحيه - كالغرابان والنحل - إلا أم أمثالكم - فلهم نظام ولكم نظام . انك تريد بذلك أن توجه عقولنا الى دراستها . هانحن أولاء درسنا هذه الحيوانات باعتبار التقسيم كما قسمتها أنت هنا بالمشى على البطن وعلى الرجلين . فلما درسناها وازانها بالانسان وجدنا أمما في الشرق ارتقت كما ارتقى الحيوان ولكننا لم نرها ارتقت عنه

أيها المسلمون . هذه مبادئ التفكير عند آبائكم في المستقبل . ثم هم سينظرون ويقولون ما بالنا نرى آباءنا (يريدون أمثالنا وأمثال آبائنا وأجدادنا) لم يرتقوا في الأسباب ولم يعقلوا ما عقلت الأم في الشرق والغرب . لماذا نرى الأمم كلها قد أدركت هذه الحقائق من نفوسها وخطت خطوات واسعة في الاجتماع وهم بقوا جامدين على القديم العتيق البالي من نظام الجاهلية الأولى حتى ان الأمم العربية مثلا متفرقة متشاكسة يجهل بعضها بعضا . فهم في شمال افريقيا متقاطعون متدابرون . فالمصري والطرابلسي والتونسي والجزائري والمرأكشي كل هؤلاء يجهلون انهم أمة واحدة كأمة الصين واليابان والألمان والانجليز . لا لا إن آباءنا كانوا غافلين نائمين لم يدرسوا الحيوان ولم يدرسوا الأمم . فلاحهم عرفوا كيف يؤلفون أممهم كالغرابان والفيلة والنحل ولا كالألمان والانجليز والصين واليابان . فهم إذن أقرب الى طباع الصبيان والشيوخ الهرمين الذين يحافظون على أقل أنواع الحياة

﴿ آراء فلاسفة المستقبل في أم الاسلام ﴾

الى هنا نقف آراء أهل العلم ورجال السياسة في الأمم الاسلامية المستقبلية . أما فلاسفتهم وحكامؤهم فيرمون ﴿لغاييتين﴾ إحداهما أبعد من الأخرى ﴿الغاية الأولى﴾ ان كل أمة من أمم الشرق تجمعها لغة أو دين أو وطن تحافظ على مجموعها وهذه تضارع نظام أرقى الحشرات والطيور وذوات الأربع وهكذا أرقى نوع الانسان الآن ﴿الغاية الثانية﴾ التي هي أبعد مدى أن يجعلوا أهل الشرق كله أمة واحدة بحيث يكونون متعاونين بينهم اتحادا أشبه بالملك المتحدة في أمريكا الشمالية . وانما يرون ذلك لأنهم يقولون ان الجماعة كلها كانت أكبر كانت أشرف والشرف لاحدله والأمم الحاضرة في الشرق والغرب لم يزدوا جميعا عن الحيوان شيئا . فأى فرق بين جاعات اليابان والصين والألمان ونحوهم وبين جاعات النحل والغرابان . فنحل الشرق لا اجتماع له مع نحل الغرب لقصوره وغربان الشرق لاصلة بينها وبين غربان الغرب . لا لاهذه الأمم الحاضرة لم يرتقوا عن الحيوان ولكن نحن أرقى وأرقى منهم ومن الحيوان معا . ذلك لأننا أعطينا ﴿نعمتين﴾ نعمة العقل ونعمة الدين . أما نعمة العقل فانها هي الموهبة التي بها أدركنا أن آباءنا قصروا عن أعلى الحيوان وعن الأمم المحيطة

بهم شرقاً وغرباً فتحزن أعظم من أن نسير على منهج آبائنا الذين لم يجدوا من علمائهم من يوقظونهم ويخرجونهم من الظلمات إلى النور . من ظلمات الدل إلى نور الحرية . من ظلمات الجهل إلى نور العلم والعرفان . من ظلمات الاقتصار على نظام الأسرات والقبائل البدوية المتفرقة إلى نظام الأمم الكبيرة والجماعات العظيمة الوفيرة ونحن سمعنا الله يذم التقليد للرؤساء وللآباء إذا كانوا مخطئين - إذ يقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعاً فهل أنتم مغنون عنا نصيباً من النار * قال الذين استكبروا إنا كل فيها إن الله قد حكم بين العباد - وسمعناه يقول - وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون - فهذان البايان أقفلناهما فكل ما يضر بنا من آراء آبائنا ورؤسائنا نرفضه ولا نقبله لأنه ينزلنا عن مصاف أرقى الحيوان وأرقى الانسان في زماننا ولكننا نحافظ على كل شرف ورثناه من المتقدمين وأما نعمة الدين فانا سمعنا الله كما أنه قال لنا - ومامن دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا آثم أمثالكم - قال لنا - يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم - فهذه كتابنا المقدس في الآية الأولى يجعل الانسان أمماً كآثم الحيوان سواء بسواء والانسان الذي يعيش معه قد وصل لهذه المرتبة وان لم يصل لها آباؤنا المسلمون بعد العصور الأولى حين فرقت جوعهم وخضدت شوكتهم وملكتهم البطنة ومالوا للذة وشربوا في المال ونسوا مجدهم القديم وعزتهم الموروث لما غرهم فتوح البلدان وحقت عليهم كلمة التفريق والهوان التي أشار لها حديث * إن أخوف ما أخاف عليكم ما يفتح عليكم من زينة الدنيا الخ * فان ماخفه نبينا ﷺ قد تم فعلاً وأيقننا به ووقعنا فيه تبعاً لآبائنا في نحو ألف سنة بعد العصور الأولى . وفي الآية الثانية أرانا علماً فوق علم أرقى الحيوان وأرقى الانسان الحالي إن الانسان في هذا العصر لم يرتق عن أرقى الحيوان كما قررناه إذن انسانيته ضعيفة حقيرة والقوى الادراكية التي في أرضنا * (ثلاثة أنواع) فهي إما غرائز كغريزة الحشرات وغريزة الأطفال والشيوخ وسائر الحيوان واما فكر وروية كما هو شأن نوع الانسان واما قوة ملكية قدسية تسمو على قوى الحيوان وقوى الانسان فهذا الانسان اليوم بفكره لم يصل إلى أرقى مما وصل له الحيوان ثم وقف فأين الفضل له إذن اذا كنا نجده لا يزال طفلاً في هذه الأرض بالنسبة لما ينتظر منه غدا . هاهوذا يحارب بعضه بعضاً كما يحارب النمل ويتخذ الأسرى مثلها ويسخر غيره لنفسه كتسخير النمل إذن هذا الانسان اليوم جد جاهل فوالله لا فرق بين قبيلتين بدويتين في الصحراء تفتخر كل واحدة منهما بمجد آبائها الغافلين وبين أمتين في الشرق أو الغرب تمجد كل منهما السابقين فيها وتقتصر على ذلك . إن مفاخر الآباء محمدة لامدمة واتباعها شرف لامنقضة ولكن الاقتصار على ذلك والوقوف عند حدّه صغر في النفوس وحقارة في الانسانية . فلتحافظ على شرف أسرتك الموروث وعلى فضل أمتك اليهود ولكن الوقوف عند ذلك نقص ومذمة وعار

ثم يقولون إن ذكاء الانسان لم يرق به في النظام العام عن نظام أرقى الحيوان فانه يقبل موهبة أعلى أما الحيوان فلا . فغربان الغرب لا ينتظر منها أن تتصل بغربان الشرق ولا نمل الغرب بنمل الشرق لأنه لامصلحة في ذلك . أما أمم الغرب وأمم الشرق فن مصالحهم جميعاً أن يكونوا ممالك كالممالك المتحدة في أمريكا الشمالية هذا هو الحق الصراح . هنالك تكون هذه هي الانسانية الحققة . ثم يقولون علم الله أن عادات الانسان وتقاليد تمنية عن الارتقاء عن الحيوان فاصطفى رجالاً قديماً وحديثاً حكماء تارة وأنبياء أخرى فذكروا الناس بما قررناه الآن وقالوا لهم أيها الناس أنتم ضالون ليخدم المجموع المجموع . وقامت في الأمم الغربية جماعات الاشتراكية ومن بعدها البلشفية وكل هؤلاء يحاولون الارتقاء عن هذه الأمم التي لم ترتق عن نوع الحيوان ولكن هذه المحاولات لم نعرفها ولم ندرسها وليست منزلة بوحى أما الوحي فهو الذي يؤثر في النفوس وهو الذي يكون نوراً تهتدى به العقول

إن عقول الناس في الشرق والغرب مستعدة لقبول الفكرة ولكنها تحتاج الى ﴿أمرين﴾ أمر وحي جاء من قوة فوق العقل حتى تسوقه الى هداية والى حكمة وعلم . أما الحكمة فهنا نحن أولاء درسنا العلوم التي عند الأمم المحيطة بنا من علوم الرياضة والطبيعة وغيرها لاسيما بعد ما نشرت كتب تحت على العلم والحكمة كما في هذا التفسير . وأما أمر الوحي فانا سمعنا قرآنا عجبا . سمعناه يقول - فاذا قضيت مناسكتكم فاذكروا الله كذا كذاكم أو أشد ذكرا - فهذه هوذا القرآن يقول لنا إياكم والعصبية الناقصة بل اذكروا الله . ثم سمعناه يقول - إن أكرمكم عند الله أتقاكم - فلم يذكر شرقيا ولا غربيا ولا بحميا . وسمعنا نبينا ﷺ يقول ﴿لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى﴾ وسمعناه يأمر باللا وهو غير عربي أن يؤذن في الكعبة والعرب يسمعون ويعون ويرون القديم كله ينسخ مرة واحدة ويحل محل نظام جديد وهو نظام التقوى والكفاءة إذن مستقبل الأمم سيكون هكذا كل أمة تعمل فيها استعدادت له وكل قوة من قوى النفوس لابد من استخراجها والله يقول - لا تكاف نفس إلا وسعها - إذن جميع النفوس يجب توجيهها الى الأعمال التي تناسبها فلا يكون في الأرض كسل ولا بطلالة . ولا تبقى في الأرض أو الهواء أو الماء قوة يمكن استخراجها إلا وجب على الانسان استخراجها وهذا كله لا يتم إلا بأن جميع الأمم في المستقبل يراقب بعضها بعضا بهيئة مشكلة من حكماء مصطفين منهم ويحكمون على الأمم المقصرة في استخراج المواهب العقلية والمنافع المادية من الطبيعة لأن الله يقول - وما خلقتنا السموات والأرض وما بينهما لالعبيد * ما خلقتناهما إلا بالحق - فاذا كان بنو آدم لا يستخرجون قوى نفوسهم ولما كمن في المادة فهم لا يزالون يلعبون وقد خالفوا حكمة من أنعم عليهم بهذه الحياة وتكون نتيجة ذلك أن يقول أبنائنا في نهاية مباحثهم لابد لنا من ﴿أمرين * الأول﴾ أن نجد في تعليم كل ذكر وكل أنثى في بلاد الاسلام العلوم والصناعات هذا أصبح فرضا لازما ويكون شعارنا - وقل رب زدني علما - وقل عسى أن يهدين ربى لأقرب من هذا رشدا - و - قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون - ومتى أتممتنا هذه الخطوة وهي قربة المنال لا يعوزها متى صدقت العزيمة أكثر من عشرين سنة نوجه هممتنا إذ ذاك الى نظام النوع الانساني كله ونتفاهم مع جميع الأمم ونضع معهم النظام العام لاصلاح الأمم كلها شرقا وغربا . هذا هو الذي جاء له دين الاسلام . وهذا هو المقصود من قوله تعالى - وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين - وقوله - وأرسلناك للناس رسولا - وقوله - يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا * وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا * وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا - وقوله - ولكن رسول الله وخاتم النبيين - لانه اذا جعلت الأمم كلها نظاما واحدا فأى حاجة الى رسول . إن الرسول يأتي بوحى والوحى أرقى من الفريزة ومن العقل والفكر . والوحى يحرك العقول ويخرجها من قيودها ومتى خرجت من قيود العادات وصلت الى ما ذكرناه وكان السلام العام

﴿ تذكرة ﴾

ولقد أومأ الحديث الشريف لهذا المعنى في رواية البخارى ومسلم عن أبي موسى قال قال رسول الله ﷺ ﴿لأتين على الناس زمان يطوف الرجل فيه بالصدقة فلا يجد أحدا يأخذها منه﴾ وورد أيضا ﴿تصدقوا فيوشك الرجل أن يمشى بصدقه فيقول الذى يعطاها لوجئتنا بالأمس قبلتها منك فأما الآن فلا حاجة فيها فلا يجد من يقبلها منه﴾ ورواه البخارى ومسلم والنسائى فيأليت شعرى هل ذلك هو الزمان الذى ستظهر فيه الأمم الاسلامية بالمظهر الذى ذكرناه بحيث يقومون بنظام هذه الدنيا مع عموم التعليم وحفظ الصحة ومعرفة قدر نعمة الحياة ويكونون مع الأمم إذ ذاك في حال أحسن من هذه بحيث يقل الطمع ويعرف الناس ما المقصود من المال

﴿ عجيبة من عجائب أخبار اليوم ﴾

أليس من العجائب النادرة أن أقرأ اليوم عن ﴿البلاغ السماوى﴾ في بمباى بالهند أن المسلمين في شمال

(البرازيل) كانوا سنة ١٩٢٥ ثلاثة آلاف وهم الآن أضعافهم نحو (١٧) مرة أى (٥٠) ألفا وهم الآن ينون جامعا كبيرا وأن الاسلام انتشر انتشارا سريعا في أمريكا وله مبشرون ما أكثرهم هناك . وقرأت أيضا أن المستر (ولز) الكاتب الانجليزى الكبير كتب يقول ﴿ كل دين لا يسير مع المدنية فاضرب به عرض الحائط لأنه يضرب المستمسكين به وأن الديانة الحقّة هي الاسلام فالقرآن كتاب دينى علمى اجتماعى تهذيبى خلقى تاريخى حتى قيام الساعة . ألم يقل النبي ﷺ « نحن قوم لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع » وهذا هو الأساس القوى لعلم الصحة ولم يستطع الاطباء أن يأتوا بخبر من هذه النصيحة وصاحب الشريعة الاسلامية استطاع في ربع قرن أن يهزم دولتين فارس والروم ﴾ انتهى

وانما ذكرت هذا هنا لأبين أن الاسلام كما انتشر في أمريكا ومدحه بعض علماء أوروبا فربما كان ذلك مبدأ نهضة الأمم ورقى الاسلام فيتعاون المسلمون في أوروبا والشرق على اصلاح الأمم كلها . واذ ذاك بحسب ما كتبناه هنا ترتقى العقول والأخلاق والصحة التى يطالبها علماء العصر . وهناك لا يجد الناس من يأخذون الصدقة . وذلك لأنهم جميعا يعملون لأن الفكرة التى هنا تؤذن بأن الناس جميعا يعملون والمادة تستخرج منها منافعها . فاذن يكون الناس جميعا اخوانا يساعد بعضهم بعضا كما فى كتابي ﴿أبن الانسان﴾ كل ذلك لمناسبة تقسيم الحيوان الذى أصبح درسنا في هذا المقال . ومن هذا الدرس شرحنا مواهبه ومن مواهبه استخلصنا درجاته في العمل لنفسه ولنفسه وانتقلنا من هذا الى أن الانسان الخالى لم يرتق عن الحيوان ثم زدنا عليه أن نبينا ﷺ يقول المدار على التقوى لا على النسب . ومن هذا كله استخلصنا زبدة المقال المصطفاه منه كله وهو استخراج جميع قوى العقول ومنافع المادة واذن يصبح الناس اخوانا في العمل والحياة بفضل الاسلام لا بفضل الفلسفية والاشتراكية لأن التعاون العام اذا جاء من طريق الدين عم انتشاره واذن يكون نشر الاسلام بالافئاع والعقل والحمد لله رب العالمين

﴿ لطيفة . صباح يوم الاربعاء ١٩ ديسمبر سنة ١٩٢٨ ﴾

في الأرض أشرق ﴿نوران﴾ نور ظاهري ونور باطني ، أشرفت الكواكب وأشرقت أرواحنا . بنور الكواكب ازدان الأفق وبنور أرواحنا ازدانت قوانا الباطنة بالخيال والقوة المفكرة والذاكرة وأمثالها . في الجوّ الذي نراه حول أرضنا صور النجوم صورت مرصعة فيه . وفي نفوسنا نفس هذه الصور . نحن نتخيلها . نتخيلها ونتخيل كل ما حولنا . كل ما رأيناه أو سمعناه أو لمسناه أو ذقناه نجد له صورة في نفوسنا إذن هناك عالم واسع في نفوسنا كالعالم الذي نراه حولنا . النور المبصر والنور الذي لا يبصر كلاهما من السماء . لانور حول الأرض إلا من السماء بالشمس والقمر والنجوم فهكذا ما الانوار في نفسى وفي خيالى وفي قوى المفكرة إلا من السماء . أبصرت يارب حولى صورة جميلة في جؤك وفي سمائك . ولكن هذه الصور لم تظهر لى إلا بأنوار أشرفت من السماء لامن الأرض . هكذا أحسست في نفسى بصور تماثلها بنور آخر إذن هو حقا من السماء وعلى ذلك تكون هذه النفس لها اشراق عام على هذه العوالم المحيطة بي واذا كنت أرى نور المشرقات مسيطرا على الأرض وأهلها فهكذا نور نفسى الذي هو من السماء مسيطر على هذه الأرض وما حولها بل على سائر الكائنات

هذا مخبوء في نفسى أحس به من ابان صغرى وهو ملازم لها وقد ازدراه أكثر الناس . ان أكثر الناس يحقرون ويزدرون ما لم يتعبدوا في تحصيله . فهم لا يعيئون بما حولهم من هواء وماء وأنوار ولا يعتدونها نعمة هكذا لا يعتدون قواهم الباطنة نعمة ولا يحسون بأنها كرامة . إن الكرامة محصورة عند أكثر هذا الانسان فيما منع عنهم . فشرية ماء وكسرة خبز أعطيا لهم بعد المنع أعظم نعمة يحمدون الله عليها وقتطار من ذهب لم يتعبدوا في تحصيله يبدرونه تبذيرا - وحلها الانسان إنه كان ظلوما جهولا - . والدليل على ذلك أن نفسى فيها آلاف الآلاف من الصور ولا قيمة لها عندى ولكنى اذا رأيت مصورا صور عصفورا أو شجرة أو انسانا أعظمته

جدا وأخذت أتفرج عليها بشغف عظيم . ذلك لأنها جاءت بكبد ونصب وجاءت بعد منع فلها قيمة عندنا . فأما
 صوري المرسومة في نفسى فلا قيمة لها لأنها مبذولة لى ولجميع الناس . ان نفسى من عوالم غير عالم الأرض
 نزلت اليها لتدرسها وتدرس نفس قواها . ودراسة العوالم المحيطة فى تعيننى على درس قواى الباطنة التى هى
 المقصود الأعظم ، إذن هذه الأرض لوح كتبه الله وأظهره وقال اقرأ وارق فأنا أقرؤه اليوم ولكنى ماكدت
 أشرع فى القراءة حتى رأيت العقبات تحول بينى وبين نفسى فخفا ماهى صحية ومنها ماهى منزلية ومنها ماهى
 سياسية تعم أمتى كلها ولكنى مع هذا كله أحسّ بأن نفسى ليست من هنا بل هى من السماء . ونور السماء
 الظاهر الذى جاء لنا من الشمس اذا حجبته سحب ساعة فانه يضىء بعدها . إذن روحى لاحد لرقبها ولا مانع
 لاسعادها ولا نهاية لاشراقها . واذا كانت الشمس وهى النور الحسى لاحد لأنوارها فكيف تنف أنوار نفسى
 إذن فلا بحث فى قواها ولا استعداد لاسعادها ولأعلم علما ليس بالظن أنى واصل الى ما أريد . أما العقبات التى
 تقوم بين نفسى وبين مطلوبها فأنا لا أبالى بها . وأهم العقبات ملجاء من طريق الوراثة والتقليد . ورثت
 بعض آباءى الأولين وبعض الأشياخ الغابرين أن الأعمال الدنيوية لا تقرب العبد من ربه وأن أكثر من
 رأيهم فى بلاد الاسلام لا يتقربون الى الله إلا بالذكر وحده أو بقراءة الأوراد . ورأيت شيوخا فى كل قطر من
 أقطار الاسلام يوجبون على تلاميذهم أن يقرؤا أورادا فى أوقات خاصة وأكثرهم شغلوا عن معانى القرآن .
 أنا لا أذم الأوراد فهى تشغل الشرير عن الشر ولكن الروح أوسع من هذا . إن حصر الفكر باب من أبواب
 الجهل . إن روحى لاحد لها فكيف تنف عاكفة على ورد خاص قابعة بالجهل منتظرة أن يفتح لها العلم
 بالعوالم جميعها من غير تعلم . الاسلام أوسع من ذلك فاقرا هذا المقام فى (سورة الكهف) ففيها بيان ما
 يقوله الشيخ الخواص والشيخ الدباغ فى قيمة الأوراد وحصر التلميذ فيها من صفحة (١٣٣) الى (١٣٩) فى
 المجلد التاسع وكذلك فى (سورة الاسراء) صفحة (٦٥) فهناك ترى هذا المقام مشروحا شرحا مستفيضا
 فلا نعيده هنا . وعلى ذلك أنا لأقف عند حد فى النظر والفكر ولا أحصر فكرى فى عالم واحد بل أطلق نفسى
 لتعرف العوالم كلها ولكن نفسى وحدها لا تستطيع أن تعرف كل شئ ولأن تعمل كل شئ . فالعلوم لاحد
 لها والأعمال الدنيوية كثيرة فإذا أصنع إذن ؟ هنالك ظهر لى أن هذا فى الأرض معى نفوسا أخرى فنفسى
 ونفوسهم أشبه بجسم واحد . والدليل على ذلك أن كل علم من العلوم أكتبه فى هذا التفسير ظهرت مساعدة
 الناس لى فيه فأنا أستمد من الشرق والغربى وأصطفى من علوم الشرقيين وعلوم الغربيين ما أراه جيلا
 وأكتبه . هنالك تبين لى أن هذه الروح المرسلة من السماء التى أمدها الله بنوره لا يتم لها هذا النور إلا
 باتحادها مع الأرواح المرسلة معها الى الأرض . واذن عرفت لماذا دعا الأنبياء أممهم الى العلم وهكذا العلماء
 والحكماء فأتى رأيت كل عالم وكل حكيم وكل نبي مغرمين بتعليم غيرهم لأنهم يعلمون أن النوع البشرى أشبه
 بجسم واحد شاؤا أم أبوا بدليل أن الدول القوية تغتصب حقوق الضعيفة وتحاربها ولكن العلماء فى الأمتين
 ينقل بعضهم عن بعض فالتعاون طبيعة فى الانسان وليس يمنع هذا التعاون إلا نقائص وجهل يورث طمعا
 واغتيال الحقوق الضعفاء

ملخص هذا كله أن الاعمال والعلوم لابد فيها من اتحاد المجموع وتعاونهم وأن اقتصار الشيوخ على تلقين
 المسلمين أورادا خاصة وحجبهم عن العلم وعن الأعمال العامة خسران مبين . الأرض التى نسكنها قد خبئت
 فيها المعادن . خبأها الله عنهم فلم يعطها إلا لمن بحث عنها والانسان عاش على الأرض كما يقال ثلثمائة ألف سنة
 ولم يره أخرج من الأرض للناس نعمة الا بعد بحثهم عنها وذلك ليعرفوا قيمتها . فالذهب والنحاس والحديد
 والكهرباء والمغناطيس عرفها الناس بعد الدأب على استخراجها ولذلك لم يتركوا استعمالها مع أن أكثر
 العمر الذى عاشه هذا الانسان على سطح الأرض لم يستعمل إلا الحجر فالحجر العصر الحجرى هو الاصل أما عصور المعادن

وما بعدها من الكهرباء والمغناطيس فهي قليلة . ذلك لانه لاير يدأن يعطيهم الا بجدتهم ليعرفوا قيمة ما يعطيهم لأن ما أعطوه من غير نصب لا يشكرون عليه كهذه الروح وقواها الجميلة التي هي أعظم من هذا العالم المادي فهم لا يهتمون إلا بما نصبوا في تحصيله

﴿ القرآن والعالم المادي ﴾

وهنا نظرت في أمر القرآن وفي عالم المادة كأرضنا هذه وقلت ان الارض صنع الله وهكذا كل عالم المادة والقرآن كلام الله والمسلمون الذين نزل القرآن لهم قد ناموا نوما حقيقيا والأثم استيقظت الآن فهل خبا الله لهم في القرآن ما يثير عزائمهم بحيث لا تقوم قائمتهم إلا اذا استخرجوه كما خبا في الأرض المعادن ولم يعطها للناس عموما إلا بعد استخراجها . واذا علمنا أن القرآن والمادة من عند الله فليكن في الكلام من الحكم الخبوءة مثل ما في المادة بل أعظم فلنبحث عنها الآن كما بحث الانسان قديما في الأرض فاستخرج المعادن فاذا نرى ؟ رأينا الله عز وجل لما أنزل القرآن ومضى له (١٣) قرنا نظرا كثر المسلمين للقرآن نظرة ضئيلة فهم قالوا ان القرآن جاء للأحكام الشرعية والأحكام الشرعية قام بها الأمة المجتهدون ولا يجتهد بعدهم بل الذين عندهم يجتهدون كالشيعة يكون المجتهد هناك مراعيًا عادات الأمة لئلا يندوه . وعليه أصبح القرآن يقرأ لمجرد التبرك والعبادة والاعظام . أما الاقتباس منه فلا والمقتبس انما يتبع صاحب مذهبه فيما يقتبس لا غير وتلاميذ الصوفية يتبعون شيوخهم في بعض الآيات التي يسمعونها من شيوخهم مثل أن يقولوا لهم - قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون - ويفهمونهم أن يذكروا الله ويتركوا ما عدا الذكر ومثل أن يقولوا لهم - ليس لها من دون الله كاشفة - ويرجعونها للذكر وحده والله لم يقل ذلك وانما يقول - الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم - ويتفكرون في خالق السموات والأرض - فهو سبحانه جعل الذكر مقدمة للفكر ولكن الجاهل من هذه الطائفة وغيرها وقفت عقولهم عند آراء شيوخهم وأكثرتهم جاهلون

في القرآن قصص وفي القرآن مواضع وفي القرآن حكم . فلا ذكر الآن ما فتح الله به الليلة حتى اذا قرأه العقلاء أيقنوا إيماننا تاما أن الله لما أنزل القرآن فعل فيه ما فعله في العوالم المادية لأن المادة منه والروح منه فهو خبا في مادته معادن فبرزت فانتفع بها الناس قبل أن ينزل القرآن وخبا في القرآن حكما وسينتفع بها المسلمون بعد انتشارها في أمثال هذا التفسير . فاعلم أن أعمال الانسان في هذه الدنيا ﴿ أربعة ﴾ زراعة وتجارة وصناعة وإمارة . هذا هو النظام المدني وبه يكون نظام الأمة كلها . واذن روي باتحادها في هذه الأعمال مع الارواح الأخرى ترقى معهم مادما في هذه الارض فاذا فارقتها طرنا معا الى عوالم أخرى لاندري ماذا نفعل فيها . نرى الله في (سورة النحل) أسمع سليمان عليه السلام النملة فلما سمعها تبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي

جل الله وجل العلم وجلت الحكمة . إذن أنت يا الله أسمعنا هذه القصة لمقصود أشرف ومقام أسمى مما يفهمه الجاهل في أمة الاسلام الحالية . اذن هذه القصص ما تليت في القرآن لمجرد البركة أو العبادة . هذا رأى خطأ . يا الله أدركنا أن هذه القصص لأمر أعلى . غاية الأمر أن بعض أفراد الأمم الاسلامية تنظر اليها نظر الديك الى الجوهرة فان الديك يطلب الحب ولا يطلب الجوهرة . ولا جرم أن هذه الآية يراد بها العلم والمعرفة والحكمة . سليمان يقول ان سماع كلام النملة أوجب على الشكر بل قال في مسألة العرش واستقراره عنده انه من الله لأن العلوم اذا أعطيها الانسان ولم يفهم قيمتها دل ذلك على حقارة قدره وانه ليس أهلا لها فيسلبها كما يسلب الله الملك ممن ليسوا أهلا له والمال ممن ليسوا أهلا له . هكذا سمع سليمان كلام النملة فعرف قيمة هذا السماع فان هذا أدراك للحقائق وأدراك الحقائق أعلى ما في هذا العالم وطلب من ربه أن يلهمه الشكر وشكر النعمة لا يتم إلا بعرفتها أولا ثم قبولها والعمل لها ثانيا كما استخرج الناس المعادن وعرفوا قيمتها واستعملوها

﴿ قصة سيدنا سليمان عليه السلام مع الهدهد ﴾

ولما أرسل الهدهد إلى بلقيس ثم جاءت وجاء عرشها ورآه مستقرا عنده - قال هذا من فضل ربي ليبلوني أ أشكر أم أكفر ومن شكر فأنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم - فسأله الهدهد انتهت بالقوز السياسي كما أن مسألة النملة كانت فوزا علميا . إذن النملة والهدهد مع سليمان انتهيا بفوز علمي وفوز سياسي أوجبا الشكر وذلك بمعرفة أن هذه نعمة وجهل النعمة يوجب عدم قبولها وعدم العمل بها والاسلمها لله تعالى ولذلك لما خطرت لي هذه المعاني كتبته اليوم خيفة أن تسلب مني إذا تركتها لأنها أعطيت لي الليلة وهذا من الله ليبتليني أ أشكرها بالكتابة والنشر أم أكفرها فلا أعيرها التفاتا كما أتى إبان صغري لم أعرف هذه النفس وقواها التفاتا ولم أشكر نعمتها بالبحث عنها ولم أشكر على نعم الأنوار والجمال في هذا العالم المحيط بي

إن (سورة النمل) متصلة بسبأ اتصالا علميا لا قرآنيا لأنهما غير متجاورتين في الترتيب . وذلك لأن مسألة الهدهد متعلقة بأمر الملكة بلقيس وهي من سبأ والهدهد يقول - وجئتك من سبأ بنباً يقين - إذن نظرنا في (سورة سبأ) فرأينا الله يذكر أن الشياطين يعملون لسليمان ما يشاء من محارِب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات ثم ختم القول بهذه الآية - اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور - ثم ذكر بعد ذلك أمة سبأ وقال - لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال - وأعقبه بقوله - كلوا من رزقي ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور - فهنا ذكر الشكر في ﴿ موضعين ﴾ في موضع إبان فيه الصناعة واتقانها وموضع إبان فيه الزراعة في الجنتين اللتين كانتا لسبأ وسألتني بينهما هناك . إذن شكر الله عز وجل جاء في القرآن مقرونا بالعلم وبالسياسة في سورة النمل وبالصناعة والزراعة في سورة سبأ

الله أكبر . جلّ الله وجلّ العلم . أيها المسلمون . هاهي ذه أعمال الناس في الدنيا والآخرة لا تخرج عن هذه الأربع العلم والزراعة والصناعة والامارة والله قد ابتلانا بالأمور السياسية وبالأمور العلمية وبالأمور الصناعية وبالأمور الزراعية . ولقد قدمت ذكر التجارة ولم يذكرها لأن التجارة ماهي إلا انقلب المال لأجل الربح ولكن أصول الصناعة وأصول الزراعة هما اللذان بهما حياة الأمم

أيها المسلمون . هل من سميع . هذه بعض المعادن التي خبأها الله في القرآن وأذن باستخراجها اليوم وأرانا أن نفوسنا نفوس سهاوية قد جاءت إلى الأرض ولن تستطيع العروج منفردة فلا بد من تعاوتها مع الأمة التي تكون فيها والأمم كلها متعاونات وبهذا التعاون يقتسمون العلوم والزراعة والصناعة والامارة وهذه هي التي بها الحياة في الدنيا والسعادة في الآخرة

أيها المسلمون . تبسم سليمان ضاحكا لما سمع كلام النملة وطلب من الله أن يلهمه شكر هذه النعمة وأنما طلب من الله لعله أن النوع الإنساني محجوب بالعادات يحتقر ما يصل إليه ومتى احتقره جهله ومتى جهل أصبح أدنى من الحيوان وعلم النملة وعلوم الحيوان كلها مزدرة عند الأمم الإسلامية المتأخرة التي نزل لها القرآن فأسمعهم دعاء نبي عظيم يطلب من ربه أن يلهمه شكر نعمة معرفة خطاب النملة ﴿ وبعبارة أوضح ﴾ ان أكثر هذا الإنسان جاهل لا يهتم به أمر هذه الحيوانات ولا يدرسها وليس يعرف الإنسان قيمة هذه الهجائب إلا إذا ألهمه الله وقد ألهم الله اليوم كثيرا من المسلمين أن يتعلموا هذه العلوم . فإذا جاء لهم أيضا من طريق القرآن لاسيما من قصة سليمان وسبأ كان ذلك أقوى وأوسع مدى

استقرّ عند سليمان عرش بلقيس فلم يفرح بالنعمة ويطرب بل قال هذا امتحان من الله فان عرفت النعمة وحافظت عليها كنت شاكرا ومن لم يفعل ذلك فقد كفرها . وسبأ أعطوا سدّ العرم وأعطوا جنتين هناك فإذا فعلوا تركوا السدّ فلم يحافظوا عليه ولم يدرسوا العلوم التي درسها آبائهم ولم يتحدوا بالحفاظة على هذه النعمة فسلها الله منهم وقال - فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق -

هذا بعض السر في قوله تعالى - وقليل من عبادى الشكور - وقد اتصل بآية - الله نور السموات والأرض - الخ من ﴿ وجهين ﴾ وجه أمر الروح التي هي نور من الله ووجه الطيور والدواب التي تشمل هدهد سليمان والخلة التي سمعها وتبسم ضاحكا والهدهد متصل بسبأ وفي هذه جاع نظام الأمم أيها المسلمون . في هذا المقال مجامع العلم في الأمم التي حولنا ففيه الصناعات والعلوم والسياسة فكل من نظم سياسة أمته وإمارتها فهو قائم بشكر الله وكل من رقى صناعاتها فهو قائم بشكر الله وكل من نشر العلوم فهو قائم بشكر الله وكل من رقى زراعتها فهو قائم بشكر الله . هذه هي بعض كنوز القرآن . خبأها الله لكم وأبرزها الآن لما استعدتكم لقيادة أهل الأرض بعد نوم آبائنا نحو (٨٠٠) سنة . فها هو ذا اليوم الموعود لاسعاد أمم الاسلام واخراجهم من سجون الجهالة التي حبسهم فيها شيوخ غافلون ومنعوهم من التفكير في القرآن ومن التفكير في الأمم المحيطة بنا وفي الأرض التي سخرها الله لهم . فهانحن أولاء الآن عرفنا أن مقومات الممالك من زراعة وصناعة وسياسة وعلم . كل هذه تركها كفر للنعمة واقامتها شكرها والله يقول - وان تشكروا يرضه لكم - ويقول - واشكروا لى ولانكفرون - ويقول علماء الاصول ﴿ شكر المذمم واجب ﴾ فالشكر بأنواعه المتقدمة واجب على المسلمين وان لم يشكروا حل بهم ما ذكره الله في نفس قصة بلقيس مع سليمان (التي جزأ اليها ذكر الهدهد الذي هو من الطيور المسبحات المصليات في هذه الآيات في سورة النور) إذ يقول الله - إئت الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون - إذن ذل بعض الممالك الاسلامية اليوم انما جاء من جهلهم بشكر النعم وأجل النعم هي ممالكنا التي ساءها الله لنا كما سلم العرش لسليمان فلما رآه مستقرا عنده قال ان هذا ابتلاء من الله لى وامتحان . هكذا نحن باعطاء الملك لنا نمحنون فان قومناه بما يلزمه (من صناعة أشار لها بالصرح المرد من قوارير وبصناعة الحاريب والتمائيل وبزراعة أشار لها بالجنيتين في قصة سبأ وبسياسة تحفظ البلادو بعلم أشار لهم لما تبسم ضاحكا بقوله - رب أوزعنى أن أشكر نعمتك - الخ) أبقاه لنا وان أهملناه وتركنا مقوماته أدخل الملوك والأجانب فاستولوا على عروشنا وأفسدوا بلادنا - وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون - وأما واثق أن المسلمين اليوم غيرهم بالأمس إذ أقبل زمن نصر الله والفتح والحمد لله رب العالمين ﴿ بهجة العلم في هذا المقال ﴾

(في يوم الجمعة ٢١ ديسمبر سنة ١٩٢٨)

أحمدك اللهم على نعمة التوفيق والحكمة وأحمدك على الإلهام وتلى ما شرحت به صدرى وما أفضته من نورك للأمم الاسلامية التي بعوزها الصدق في القول والجد في العمل . لقد ذكرت في المقال السابق أن الشكر في الاسلام يرجع الى جميع الأعمال في هذه الحياة والى جميع العلوم وأقول الآن انه من أعجب العجائب أن المسلم في كل صباح يخاطب ربه ويناجيه ويدعوه بنفس ما كتبته فيما تقدم . يتناجى المسلمون ربهم في صلواتهم بهذه العلوم التي أكتبها في هذا التفسير . نعم يخاطبون الله العظيم ولكن أكثر الناس يخاطبون ولا يعلمون بماذا يخاطبون . نعم أنا الآن في تفسير (سورة النور) وهى الآن مقدمة للطبع وطال المقال في آية - الله نور السموات والأرض - الخ وطال في مسألة تقسيم الطير الى ماشى على رجلين وعلى أربع وعلى بطة . نعم هو طال ولكن الحمد لله لم أخرج عن الموضوع كثيرا لأن المقصد هو الهداية وبهذا التقسيم أى تقسيم الحيوان على منهج القرآن وصلنا الى كل ما عشى وكل ما يطير وكل ما يدب وانتهى بنا المقال الى الهدهد والغمل وأمرهما مع سليمان عليه السلام فنحن على حق اذا بحثنا في هذه الحادثة لأن الغمل يمشى على الأرجل والهدهد يمشى على رجلين ولها حادثة تاريخية مع نبي عظيم له . لك لا ينبغي لأحد من بعده . نحن مهما طال بنا المقال لم نخرج عن نط القرآن . لم نخرج عنه كما لم يخرج أصحاب العلاقات بوصفهم الناقه (التي تحملهم الى محبوباتهم من النساء)

بأوصاف ربما تصل الى (٢٩) بيتا في بعض القصائد . هذا أسلوب العرب والقرآن كتاب عربي . فنحن اذا بحثنا في حادثة الهدد مع سليمان عليه السلام لسنا خارجين عن سنن النظام والقرآن لاسيما بعد ماسمعهنا ﷺ يقول ﴿ أوليت جوامع الكرام واختصر لي الكلام اختصارا ﴾ فالقرآن كله جوامع كلم ومختصر وهكذا الأحاديث الصحيحة وقد سمعنا الله يقول - ثم إن علينا بيانه - وسمعناه يقول - وقل الحمد لله سبيريكم آياته فتعرفونها - فالآن أشرع في شرح مافتح الله به في هاتين الليلتين . ذلك أن المسلم يقول في صباح كل يوم ﴿ اللهم اهدني فيمن هديت وعافني فيما عافيت ﴾ فهو ليس مهديا وحده ولا معافى وحده بل مع غيره ثم يختم الدعاء بقوله ﴿ ولك الشكر على ما أنعمت به وأوليت ﴾ فهاذا الشكر . أليس هذا هو المذكور في علم الأصول « ان شكر النعم واجب » أليس هو الشكر المذكور في قصة سليمان الذي ذكرته في المقال السابق . سبحانك اللهم يا الله أنت القائل - فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلا ممن أنجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين * وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون -

أنت يا الله قد ضمنت بقاء الأمة مادامت مصلحة . فبالت شعري ما هو الاصلاح . الاصلاح يرجع الى ما تقدم من انظام الأمة الذي اشتملت عليه قصة سليمان مع بلقيس وقصة سبأ والمحافظة على العروش أن يزول وعلى العلم وعلى الصناعة وعلى أمر الزراعة ومن لم يحفظ هذه النعم كأهل سبأ جعلهم حديثا ومن قهقهم كل عجز في الله أعطى آل داود صنعا يعملون لهم ما يشاؤون من محاريب الخ فقال لهم - اعملوا آل داود شكرا - وسليمان شكر الله على نعمة العلم إذ سمع كلام الغلة وعلى نعمة الملك في حديث الهدد وأهل سبأ مزقوا لأنهم لم يشكروا نعمة الجنتين وذلك بعدم المحافظة عليهما . جع الله ذلك كله في قول المصلي صباحا كل يوم ﴿ فلك الحمد على ما قضيت ولك الشكر على ما أنعمت به وأوليت ﴾ وأنا أقول ، أيتها الأمم الاسلامية . هلاككم من القرون المتأخرة من قبل عصرنا من شرحوا للخاصة والعامة معنى هذا الشكر الذي يقوله المصلي كل يوم وهو يناجي ربه . لماذا أيها العلماء لم تشرحوا للناس معنى الشكر كما شرحه الله في (سورة سبأ) وفي (سورة النمل) نعم بعض القائمين بأمر الأمم الاسلامية مترفون فكانهم اتبعوا ما أرفوا فيه وهذه الآية التي جاءت في (يونس) خاطب الله بها المسلمين يريد بها توجيه الهمم الى النهي عن الظلم الذي يقوم في أمتنا بتوجيه الهم الى الأمم السابقة . يقول لماذا لم يقم فيها هادون علماء حكماء - ينهون عن الفساد في الأرض - ثم ويخ تلك الأمم قائلا ان الظالمين في تلك الأمم مترفون واتبعوا الترف وتركوا النصيحة والتعليم

الله قرن الظلم بالترف والمترفون ظالمون . إن الترف وحب الراحة هو الذي أضرت بأمتنا الاسلامية كما أضرت الأمم السابقة وأنا أقول الآن ألا فليقم في الأمم الاسلامية من يقولون لهذا المجموع الاسلامي أيها المسلمون الشكر الذي تكرروه كل صباح وكل مساء هو القيام بحفظ النعم التي أنعم الله بها عليكم جميعا وهي نعمة الأرض التي تسكنونها والممالك التي سالت لكم فلا تعطلوا نعم المزارع والأنهار بترفكم وتنعمكم وإهمالكم وجهلكم بالعلوم والصناعات التي تحفظ تلك الأرض بل تعلموا كل علم وكل صناعة حتى تصير بلادكم كبلاد الأمم التي تعيش معكم رقيا والافانتم ظالمون مترفون والله يعطي أرضكم لمن هم أقدر منكم على نفع عباده بها ، وأيضا هو القيام بأمر الصناعة التي لاتم حياة إلا بها وأمر آل داود أن يشكروا الله عليها . وأيضا هو القيام بأمر الدولة التي منحكم الله إياها وعرش الملك الذي سالت اليكم مقاليد الله والله ما سلمكم هذه الممالك إلا اختبارا لكم فحسب فان فتم به حق القيام أبقاه وان أنتم قصرتم في نظامه أخذ منكم وسامه لغيركم . واذا كان سليمان الذي أعطى ملكا لم يعطه الله لأحد بعده وقد وعده الله بذلك يقول أنا مبتلي والله يخبرني أشكر أم أكفر فمن هو المسلم الذي ليس بنبي هو مخبر من باب أولى . لهذا نزل القرآن ولهذا أنزلت أمثال هذه الآيات بل ما ذكره الآن من أعجب

ما جاء به القرآن . يقول سليمان الذي هو نبي وهو موعود من الله بالملك وأن هذا الملك لا يعطاه أحد بعده اني مبتلى هل أشكر نعمة الملك بالمحافظة عليه أم لا

فأين الثريا وأين الثرى * وأين معاوية من علي

فإذا كان الأنبياء يخافون وهم أنبياء فإياك بالمسلم المسكين . من هذا تعلم السر في قول المسلمين يارب نحن مسلمون وموحدون وماذا أخذت مما لكنا وأعطيتهما لغيرنا وأذللتنا في بلادنا فيقال لهم لأنكم غير شاكرين ولو كنتم تفهمون ألفاظ الصلاة لماضت بمالككم . أظنتم أن قول المصلي ﴿ ولكم الشكر على ما أنعمت به وأوليت ﴾ أمر بسيط وذلك أن نطق بها وكفى . الله لا يقبل إلا طيبا . والافهامنى - ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر . أليست الصلاة مذكرة . أليس الشكر المذكور في دعاء الصبح هو الذي يقوله علماء الاصول وهو الذي جاء في قصة سليمان وقصة سبأ وكله راجع لحفظ الدولة كلها زراعة وصناعة وإمارة الى آخر ما تقدم . هذا بعض معنى - ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر - فما الفحشاء والمنكر خاصين بالذنوب الفردية . إن الذنوب العامة بترك المنافع العامة أعظم جرما . وتجد الله يقول في (سورة هود) يعبر بلفظ - ينهون عن الفساد في الأرض - كما عبر في الصلاة بلفظ - تنهى عن الفحشاء والمنكر -

إن الصلاة ذكر فيها الحمد . والشكر والجدلا يكونان إلا بالقيام بحق النعمة والقيام بحق النعمة يوجب حفظها فلا يترك الانسان مواهبه ولا النعم العامة وهذا كله واضح في قول المصلي ﴿ اللهم اهدني فيمن هديت ﴾ وفي قوله - اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم - لاصراطى وحيدى وفي قوله ﴿ السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ﴾ انه لا سلام في بلاد الاسلام أو في أى بلاد أخرى اذا أهمل أهلها رقيها بالعلوم والصناعات لأننا قد أوضحنا في كتاب ﴿ أين الانسان ﴾ أن الأرض يجب أن تستخرج منها جميع ما يمكن من النعم ومن مواهب عقول بني آدم . فالأمة التي تهمل من أهم الاسلام تتعد الأمم التي حولها على اقتسام أرضها . ذلك أمر لا مفر منه . فكيف يكون فيها سلام ولا سلام إلا بحافظة الأمم الاسلامية على أن تكون بلادهم مساوية لمن حولهم في الرقي . فتى انحطت عنهم جاء غيرهم وأخذ أرضهم . فاذن لا يسر النبي ﷺ من أمة الاسلام ولا يسر الصالحون . فقول المسلم في الصلاة ﴿ السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ﴾ يلزمه حفظ بلاده ورقيها فان لم يتم ذلك وتركت وضعفت عما جاورها من الأمم فلا سلام علينا ولا على عباد الله الصالحين وكيف يتم السلام إلا للشاكرين الذين حافظوا على تلك النعم الجسمية والعقلية والدولية والمدنية حتى ان النبي ﷺ نفسه يتألم في البرزخ لأجل أمة فكيف نخاطبه بالسلام عليه وأعمالنا ترفع له ناقصة لا شكر فيها بالمعنى الذي ذكرناه إن المسلم يستعيز في الصلاة من فتنة الحيا وأى فتنة أعظم من فتنة الجهل التي أوقعت المسلمين في الدل وكيف يستعيز من فتنة المسيح الدجال وقد أحاط الدجال في السياسة وفي الدين بنا . وكيف يقرأ المسلم في القرآن - واجعلنا للمتقين إماما - وهو عينه مستعد للإمامة . مع جهله ما تقدم من أنواع الشكر ونظام السولة سبحانهك اللهم وبمحمدك . أنت الذي علمت وأرشدت وأوليتنا نعم لا تحصى فألهما اللهم شكرها حتى نقوم بما يجب علينا ولا تجعلنا ممن قات فيهم - أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال * وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال -

اللهم إنا نحن معاشر المؤمنين اليوم سكننا في مساكن أمة قبلنا فيجب علينا أن ندين ما فعلت بهم ولا يكون ذلك إلا بالعلم . فكل قطر من أقطار الاسلام اليوم حل المسلمون فيه محل أمة سبقت وهذه الأمم لم تسقط إلا بالظلم والظالم مقرون بالترف كقافي آية هود . والترف والتنعيم مورثان ترك العلوم والصناعات ونظام الدول . اللهم ألهما الصواب وارشد هذه الأمم أن تدرس نظم الأمم السابقة عليها بحيث يعقلون ما وصلوا اليه من الرفعة ثم ما حصل لهم

من الترف فظلموا أنفسهم فهلكوا وبناء على ذلك يعتبرون « والسعيد من وعظ بغيره »
 اللهم ان الشكر لك المذكور في الصلاة وكذلك الحمد موجبان حفظ جميع النعم التي أشارت لها قصة الهدد
 مع سليمان وقصة سبأ وهذا الشكر لك أنت والمسلم اذا عرف ذلك وجه قصده لله وحده وعلى المسلمين جميعا
 أن يعلم ذلك حكماؤهم (وبعبارة أوضح وأصرح) يجب على العلماء بعدنا أن يقولوا لشعوبهم الاسلامية
 ان الهندسة والحساب والفلك والطبيعة وعلم طبقات الأرض ونظام الترع والجور . كل ذلك دين اسلامي عليه
 ثواب وتركه يوجب غضب الله على الناس في الدنيا والآخرة وأن قصص الأنبياء موجهة لهذا المقصد وحده
 وأن غضب الله على الناس في الدنيا بسبب التقصير في هذا والله هو الذي يتوجه اليه المسلمون بهذا كله كما أن
 صلاة الوتر (١١) ركعة وختمها ركعة واحدة اشارة الى أن جميع الأعمال ترجع الى واحد وهو الله
 اذا عرف المسلمون ذلك وشاعت فيهم هذه الآراء لم يقعوا فيما وقعوا فيه في القرون الأخيرة . ذلك أن
 أمراءهم اذا كانوا صالحين نراهم في ناحية والشعب كله في ناحية . فأمراء الصالحون يعلمون مصالح الدولة
 وصغار العلماء يجادلون ما قلناه الآن فيفهمون الشعب أن هؤلاء ظلمة بخار وأنهم هم والصوفية والذين ينقطعون
 للصلاة والقراءة هم الصالحون وحدهم . بهذا وحده انحطت أمة الاسلام في القرون الأخيرة إذ أصبح الشعب
 في ناحية والأمراء في ناحية بهذا وحده ضاعت هذه الأمة

لقد ذكرت لك أيها الذكي في (سورة الحجر) أن أمان الله خان ملك الأفغان قد كان في معمر وأنه سافر
 الى الأقطار الأخرى وأنا قلت لك هناك ماملخصه عند آية - إن في ذلك لآيات للمتوسمين - أنه يريد الاصلاح
 وأن علماء الدين ربما يقاومون اصلاحه وذكرت النسبة بين ضعف أمة الاسلام وورق أمة أوروبا وأن علماء
 الدين اذا قاوموه تأخرت الأمة

ألا تعجب معي اني أنا الآن في تفسير (سورة النور) وبين طبع السورتين حوالى سنة . فانظر ماذا جرى
 رجع الى بلاده بعد أن طاف أقطار العالم وعرف أن الترك قد قتل فيها بعض العلماء لأنهم يقفون في طريق
 الاصلاح . فانظر ماذا جرى . وقف العلماء في طريق الاصلاح الذي رآه (أمان الله خان) فقتل منهم طائفة
 مثل ما حصل ببلاد الترك سواء بسواء فأشاعت الجرائد في العالم والتلغرافات (البرق) انه أتى بأشياء خلاف
 الدين وفي هذه الأيام بل في هذا اليوم نفسه أشاعوا أن الثورة قد طغت في بلاده وعمت وأنهم قد طلبوا منه
 أن يتنازل عن العرش . وهاهي ذه الجرائد أمامي وفيها ما نصه

(يبحث الموقف الحالي في أفغانستان على القلق في الدوائر العلمية في لندن . وآخر الأنباء الواردة من كابل
 مؤرخة بتاريخ مساء السبت وفي ذلك الحين وصل الثائرون الى ضواحي العاصمة واحتلوا موقعين وأذيع حينئذ
 أن الملك أمان الله والملكة ثريا سلمان في قصرهما الخ)

ثم جاء نبا آخر مقتضاه أن العصاة قاتلتهم الحكومة ففازت عليهم فأسرفريق منهم وقتل آخر . هذا ما
 جاء يوم ١٨ ديسمبر سنة ١٩٢٨ وأنا أكتب هذا يوم ٢١ ديسمبر أي بعد (٣) أيام من وصول هذه الاخبار
 أفلا تنظر الى ما ذكرت لك في (سورة الحجر) وما توقعته إذن ظهر لك صدق قولي ان تعاليم الأمم الاسلامية
 مخرفة خاطئة وأن هذه الطرق يجب تغييرها حالا

اللهم اني أجدك إذ وفقتني لهذا التفسير . يا الله هذا ما في طاقتي . اني ألفت هذا التفسير باعانتك وهو
 يساعد المصلحين في الأمم الاسلامية على رقيها . فأما القتال والحرب والضرب في هذه الأمم الجاهلة وقتل صغار
 العلماء فهو لا يفيد بل يضر ضررا بليغا فعلى من يطلعون على هذا التفسير أن يسرعوا بتربية ناشئة جديدة
 على هذا المشرب فأولئك يكون عاقبتهم وعلمائهم وملاوكتهم على مشرب واحد وحينئذ يرجعون لعصر الصحابة
 رضوان الله عليهم أجمعين

إن هذه الأيام مبدأ نهضة تقوم بها الأمم الإسلامية . فليخضع المسلمون ذلك الخلق وليلبسوا ملابس جديدة وهل أتاك نبأ ما ذكرته الجرائد في هذه الأيام أيضا فإنه بينما تأتي بأخبار ثورة الأمة الأفغانية وقيامها على ملكها لأجل الإصلاح نجد جرائدنا المصرية تذكر تاريخ مصر منذ مائة سنة أيام (محمد علي باشا) بمناسبة وضع الحجر الأساسي لمدرسة الطب بالجزيرة لمدرسة قصر العيني لأنهم أزمعوا أن يوسعوها ولهذا المناسبة ذكروا الطب إذ ذاك وكيف قام العلماء واعترضوا على (محمد علي باشا) لأنه أجاز للأطباء أن يكشفوا على المرضى بالطاعون وأن يكون للبلاد محجر صحي كما تفعل الأمم كلها وكما فعله سيدنا عمر رضي الله عنه وقد روى له أبو عبيدة الحديث الدال على ذلك وقد تقدم ذلك الحديث في (سورة الحج) عند آية - فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر - الخ فأجابهم محمد علي باشا بأن الأمم الإسلامية عملت هذا الحجر الصحي فقل الموت بالطاعون عندهم ومن رفع صوته بعد ذلك غربته عن البلاد . فانظر لأهم الإسلام كيف يتبع السابقون اللاحقين . يقرؤون قليلا من الدين ويعترضون على ما لم يعلموه من نفس الدين . فالجرح الصحي في حديث عمر وفي الإسلام وعند الأمم كلها والعالم علما ناقصا ينكره ثم الرجل الذي لا يعرف الدين وهو (محمد علي) يأتي لهم بالحقيقة الموافقة لنفس الدين - كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم - فعلماء مصر منذ مائة سنة هم هم علماء الأفغان في أيامنا هذه

وينشأ ناشئ الفتيان منا * على ما كان عودُه أبوه

كل هذا من سوء التقليد وضعف التعليم والجهل العام في أمة الإسلام . ومن عجب أن محمد علي باشا أرسل للعلماء خطابا يقول فيه ﴿ ان النبي ﷺ قال فر من المجذوم فرارك من الأسد ﴾ فعرف ما لم يعرف أكثر علماء زمانه . فالجد لله على نعمة العلم وعلى أن قيض الله للأمة الإسلامية نهضة حديثة بها سيكون كلهم أمة مفكرة . وسينقرض ذلك الجيل الجاهل وتحل محله أجيال أعلى مراما وأوفى ذماما والحمد لله رب العالمين

﴿ الفصل الخامس في أن ما كتبناه هنا نسجنه على طريقة أكابر المتقدمين ﴾

سأنتي صاحبي قائل هذه هي العلوم التي يدرسها الناس للتلاميذ وهم دغار فهل تعتبر ديننا اسلاميا وإذا قلت نعم كما هي طريقتك فهل تسمعي ما يناسب من كلام القدماء . فقلت له قال الامام الغزالي في الاحياء ﴿ قد كان يطلق لفظ العلم على العلم بالله وبآياته وبأفعاله وخلقه حتى انه لما مات عمر رضي الله عنه قال ابن مسعود رجة الله عليه لقد مات تسعة أعشار العلم ﴾ فعرفته بالألف واللام ثم فسره بالعلم بالله سبحانه وقد تصرّفوا فيه أيضا بالتخصيص الخ ﴿ الى أن قال ﴾ ولكن ماورد من فضائل العلم والعلماء أكثره في العلماء بالله تعالى وبأحكامه وبأفعاله وبصفاته الخ ﴿

وقال أيضا ﴿ ان أنس بن مالك قال لم تكن مجالس الذكر مثل مجالسكم هذه يقصّ أحدكم وعظه على أصحابه ويسرد الحديث سردا . انما كنا نقعد فتذكر الإيمان وتذكر القرآن ونتفقه في الدين ونعدّ نعم الله علينا نفقها ﴾ قال الامام الغزالي فسمى تدبر القرآن تفقها . فلما سمع صاحبي ذلك قال أريد من كلامهم أئين من هذا بحيث تكون الطريقة التي اتبعها أنت سلكها بعض العلماء قبلك . فقلت اسمع ما قاله الغزالي في الاحياء في (باب التفكر) قال مانصه

﴿ ومن آياته أصناف الحيوان وانقسامها الى ما يطير والى ما يمشي وانقسام ما يمشي الى ما يمشي على رجلين والى ما يمشي على أربع وعلى عشرة وعلى مائة كما يشاهد في بعض الحشرات . ثم انقسامها في المنافع والصور والأشكال والأخلاق والطباع . فانظر الى طيور الجوّ والى وحوش البر والى البهائم الأهلية فانك ترى فيها من العجائب ما لا تشك في عظمة خالقها وقدره مقترها وحكمة مصورها وكيف يمكن أن يستقصي ذلك بل لو أردنا

أن تذكر عجائب البقرة والحمة أو النحلة أو العنكبوت وهي من صفات الحيوانات في بنائها بيتها وفي جمعها غذاءها وفي ألقائها زوجها وفي أذخارها لنفسها وفي حذقها في هندسة بيتها وفي هدايتها إلى حاجاتها . لم نقدر على ذلك ففكر العنكبوت ببنائه بيتا على طرف نهر فيطلب أولا موضعا بين متقاربين بينهما فرجة بمقدار ذراع فما دونه حتى يتمكن أن يصل بالخيوط بين طرفيه ثم يبتدىء وبقي اللعاب الذي هو خيطه على جانب لياتصق به ثم يمدو إلى الجانب الآخر فيحكم الطرف الآخر من الخيط ثم كذلك يتردد ثانيا وثالثا ويجعل بعد ما بينهما متناسبا هندسيا حتى إذا أحكم معاقد القمط ورب الخيوط كالسدى اشتغل باللحمة فيضع اللحمة على السدى ويضيف بعضه إلى بعض ويحكم العقد على موضع التقاء اللحمة بالسدى ويراعي في جميع ذلك تناسب الهندسة ويجعل ذلك شبكة يقع فيها البق أو الذباب ويقعد في زاوية مترصدا لوقوع الصيد في الشبكة فإذا وقع الصيد بادر إلى أخذه وأكاه فان عجز عن الصيد كذلك طلب لنفسه زاوية من حائط ووصل بين طرفي الزاوية بخيط ثم علق نفسه فيها بخيط آخر وبقي منكسا في الهواء ينتظر ذبابة تطير فإذا طارت رمى بنفسه إليه فأخذه ولف خيطه على رجله وأحكمه ثم أكاه (أقول وستره في سورة العنكبوت مفصلا تفصيلا) . ثم قال وما من حيوان صغير ولا كبير إلا وفيه من العجائب ما لا يحصى . أفترى أنه تعلم هذه الصنعة من نفسه أو تكون بنفسه أو كونه آدمي أو علمه أولا هادى له ولا معلم . أفبشك ذو بصيرة في أنه مسكين ضعيف عاجز بل القيل العظيم الظاهرة قوته عاجز عن أمر نفسه فكيف هذا الحيوان الضعيف . أفلا يشهد هو بشكته وصورته وحركته وهدايته وعجائب صنعة لفاطره الحكيم وخالقه القادر العليم . فالبصير يرى في هذا الحيوان الصغير من عظمة الخالق المدبر وجلاله وكمال قدرته وحكمته ما تحير فيه الألباب والعقول فضلا عن سائر الحيوانات وهذا الباب أيضا لا حصر له فان الحيوانات وأشكالها وأخلاقها وطباعها غير محصورة وإنما سقطت تعجب القلوب منها لانها بكثرة المشاهدة ثم إذا رأى حيوانا غريبا ولودودا تجدد عجبهم وقال سبحانه الله ما أعجبه والإنسان أعجب من الحيوانات وليس يتعجب من نفسه بل لو نظر إلى الأنعام التي ألحقها ونظر إلى أشكالها وصورها ثم إلى منافعها وفوائدها من جلودها وأصوافها وأوبارها وأشعارها التي جعلها الله لباسا لخلقها وأكناها لهم في طعنهم وأقامتهم وآنية لأشربتهم وأوعية لأغذيتهم وصوانا لأقدامهم وجعل ألبانها ولحومها أغذية لهم ثم جعل بعضها زينة للركوب وبعضها حاملة للأثقال قاطعة للبوادي والمغازات البعيدة لأكثر الناظر التعجب من حكمة خالقها ومصورها فانه ما خلقها إلا يعلم محيط بجميع منافعها سابق على خلقه إياها فسبحان من الأمور مكتشفة في علمه من غير تفكير ومن غير تأمل وتدبر ومن غير استعانة بوزير أو مشير فهو العليم الخبير الحكيم القدير فلقد استخرج بأقل القليل مما خلقه صدق الشهادة من قلوب العارفين بتوحيده فما للخلق إلا الأذعان لقهره وقدرته والاعتراف برؤيته والاقرار بالهجز عن معرفة جلاله وعظمته ﴿ انتهى

هذا نص كلام الامام الغزالي في هذا المقام . وقد جاء في (كتاب التفكير) الذي ذكر فيه ما تقدم مانعه أيضا ﴿ قد أنشئ الله على المتفكرين فقال تعالى - الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا - وذكر في حديث عائشة أن النبي ﷺ بكى وهو يصلي بالليل حتى بل لحية ثم سجد حتى بل الأرض ثم اضطجع على جنبه حتى أتى بلال يؤذنه بصلاة الصبح فقال يا رسول الله ما يبكيك وقد ذكر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال ويحك يا بلال وما يعنيني أن أبكي وقد أنزل الله تعالى علي في هذه الليلة آية - إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب - ثم قال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها * ونقل عن الحسن « تفكر ساعة خير من قيام ليلة » وقال إبراهيم « الفكر مخ العقل » * ونقل عن طاوس قال قال الخواريون لعيسى ابن مريم ياروح الله هل على الأرض اليوم مثلك فقال نعم من كان منطقة ذكرا ودمته فكرا ونظره عبرة فانه مثلي

وقوله تعالى - سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق - قل الغزالي معناه أمتع قلوبهم التفكير في أمري * وقال عمر بن عبدالعزيز « التفكير في نعم الله عز وجل من أفضل العبادات » وقال الغزالي بعد ذلك « إن ذكر القاب خير من عمل الجوارح » إذن التفكير أفضل من جلة الأعمال بل هو أشرف العمل ولذلك قيل « تفكر ساعة خير من عبادة سنة » انتهى

فلما سمع الاستاذ ذلك قال هذا القول يدل دلالة واضحة على أن التفكير أشرف من العمل . فقات نعم وهذا اجماع العلماء « ان العلوم أفضل من الأعمال » فقال ولكن قولهم « تفكر ساعة خير من عبادة سنة » مبالغة ثم حديث عائشة الذي ذكرته هل هو صحيح . فقلت له أنا الآن لست في مقام تصحيحه وتحسينه . انك طلبت مني آراء المتقدمين هل كانوا يجعلون أمثال ما كتبناه الآن ورسمناه بالتصوير الشمسي في هذه الآية علوما دينية فأجبتك بما كتبوه أنفسهم وانهم يقولون إن هذا أفضل من العبادة . هذا هو اجماعهم فأما كون كلامهم فيه مبالغة أو أن الحديث صحيح أو ضعيف فهذا ليس مقام الكلام فيه وانما ملخص ما فيه أن هذا رأي المتقدمين فأما الحديث فتشهد له الآيات كلها فاذا لم يصح فالآيات تدل عليه وعليه أصبح ما كتبه في هذه الآية وأمثاله انما لما ابتدأه علماء الاسلام منذ نحو (٩٠٠) سنة فهم ابتدؤا يترقون المسلمين بهذه العلوم ثم سلط عليهم أعداء من الداخل وهم صغار العلماء وصغار المتصوفة وأعداء من الخارج كأمة التتار وغيرها ثم لما أراد الله انقاذ المسلمين من الدال وأنه سيرفعهم الى العلا ألهم الأمم الاسلامية الحاضرة فهاهي ذه تريد ارجاع مجدها وكان من جلة نهضتها المباركة هذا التفسير الذي ليس بدعا في هذه السبيل . فاذن نحن الآن نريد إعادة مجد ذهب وعلم ترك وهذه نعمة أنعم الله عز وجل بها عليّ أنا وعليك أنت أيها الدكي وعلى المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها

(موازنة بين آراء المسلمين وعلماء أوروبا في هذا المقام)

أذكرك بما مضى أيها الدكي في أوّل (سورة المؤمنين) فاني نقلت لك هناك عند ذكر خلق الانسان عشرين قولاً من أقوال علماء القرن العشرين وهو القرن الذي نحن فيه . ان أكثر علماء القرن التاسع عشر كانوا بالنسبة لعلماء القرن العشرين أطفالاً في العلم فقد أثبتوا بالبرهان أن التعليقات التي عللوا بها ألوان الحيوان واختلاف أشكاله مقضى عليها بالفشل بل صرح بعضهم بأن تعليل أولئك العلماء بالانتخاب الطبيعي أو نحوه لا يعلو عن قيمة أقوال المرضعات والمجائز وأثبتوا اثباتاً تاماً أن هؤلاء العلماء قد أثبتوا عجزهم عن تعليل الغرائز المودعة في الحيوانات . وأبانوا أن الكون محكم الوضع واحكام الوضع لا بدّ له من عقل يدركه وأجمع على ذلك أكابر علماء الألمان والفرنسيين والانجليز وأبطالوا آراء صغار العلماء التي انتشرت في الشرق ولم يصل لهم أمثال ما نقلناه عن العلماء المعاصرين لنا فهم مقتدون لمن ماتوا ولم يعلموا بعلوم من بعدهم من المعاصرين الذين يقولون إن الحشرات التي تنقل من دودة الى شرنقة الى فراشة وتنقل من عالم الماء الى عالم الهواء مرة واحدة تكذب مذهب القائلين بالتحوّل التدريجي الذي لا مستند له إلا الوهم لأن البط خلق منسوج الأرجل أولاً ثم مشى لأنه مشى على شاطئ البحر ثم خلق له النسيج بين الأرجل فارجع اليه هناك فهو واضح أشدّ الوضوح . أوليس من العجب أنك ترى ما يقوله الامام الغزالي هنا ونقلته لك عنه آتفاً هو بنصه وفصه ما يقوله علماء أوروبا

فقل لمن يدعى علماً ومعرفة * عرفت شيئاً وغابت عنك أشياء

وقل لأبناء الشرق إما أن تقرأوا العلم كله وإما أن تبقوا مقلدين فأما الاطلاع الناقص فهو ضار وهاهوذا أصبح علماء الشرق وعلماء الغرب على اتفاق تام في أمر نظام العالم ومعجائب الخلقة وحكمة الخالق والحمد لله رب العالمين . انتهى ليلة الأربعاء ١٢ ديسمبر سنة ١٩٢٨

(إيضاح أتم لما تقدم)

قال الامام الغزالي في الجزء الأول من الإحياء ما نصه
 ﴿وأعظم علوم القرآن تحت أسماء الله تعالى عز وجل وصفاته إذ لم يدرك أكثر الخلق منها إلا أموراً
 لا تفقه بأفهامهم ولم يعثروا على أغوارها وأما أفعاله فكذلكه خلق السموات والأرض وغيرها فليفهم التالي
 منها صفات الله عز وجل إذ الفعل يدل على الفاعل فتدلى على عظمته فينبغي أن يشهد في الفعل الفاعل دون
 الفعل فمن عرف الحق رآه في كل شيء فهو منه واليه وبه وله فهو الكل على التحقيق ومن لا يراه في كل ما يراه
 فكأنه ماعرفه ومن عرف أن كل ما خلا الله باطل وأن كل شيء هالك إلا وجهه لا أنه سيطل في ثاني
 الحال إن اعتبر ذاته من حيث هو إلا أن يعتبر وجوده من حيث أنه موجود بالله عز وجل وبقدرته فيكون
 له بطريق التبعية ثبات و بطريق الاستقلال بطلان محض وهذا مبدأ من مبادئ علم المكاشفة ولهذا ينبغي إذا
 قرأ التالي قوله تعالى - أفرأيت ما تبحرون - أفرأيت ما تمنون - أفرأيت الماء الذي تشربون - أفرأيت النار
 التي تورون - فلا يقصر نظره على الماء والنار والحرق والمشي بل يتأمل في الشيء وهو نقطة متشابهة الأجزاء ثم
 ينظر في كيفية انقسامها إلى اللحم والعظم والعروق والعصب وكيفية تشكل أعضائها بالأشكال المختلفة من الرأس
 واليد والرجل والكبد والقلب وغيرها ثم إلى مظهر فيها من الصفات الشريفة من السمع والبصر والعقل وغيرها
 ثم إلى مظهر فيها من الصفات المذمومة من الغضب والشهوة والكبر والجهل والتكذيب والمجادلة فيتأمل هذه
 الجوانب ليترقى منها إلى عجب المجائب وهو الصفة التي صدرت منها هذه الأعاجيب فلا يزال ينظر إلى الصنعة فيرى
 الصانع ﴿أقول وهنا أذكرك أيها الذكي بما تقدم قريبا هنا من ذكر قطرة الماء وانها عبارة عن ذرات
 تعد بمقدار آلاف الآلاف وبينها مسافات هائلة ثم نفس هذه الذرات عبارة عن كهرباء مضية والضياء حركات
 في الأثير والحركات أعراض لا غير . إذن المادة غير موجودة بنفسها . فاعجب لقول الصوفية كالامام الغزالي
 ولأقوال علماء العصر الحاضر . لقد تشابه القوم وإن لم يجتمعوا زمانا ومكانا . ومن هنا تعرف تقارب العلماء
 في الأتم . ونرجع إلى كلام الامام الغزالي فنقول

ثم ذكر أن المانع من الفهم في القرآن قد يكون

(١) بسبب انصراف الهم إلى اخراج الحروف من مخارجها وهناك يتولاه شيطان وكل بالقراء ليصرفهم

عن فهم معاني القرآن

(٢) أو بسبب أنه مقلد لمذهب سمعه بالتقليد وجد عليه وثبت في نفسه التعصب له بمجرّد الاتباع للسموع
 من غير وصول إليه ببصيرة ومشاهدة . فهذا شخص قيده معتقده عن أن يجاوزه فلا يمكنه أن يخطر بباله غير
 معتقده فصار نظره موقوفا على مسموعه فان لمع برق على بعد وبدا له معنى من المعاني التي تبين مسموعه حل
 عليه شيطان التقليد حلة وقال كيف يخطر هذا ببالك وهو خلاف معتقد آبائك فيرى أن ذلك غرور من الشيطان
 فيتأباعد منه ويحتجز عن مثله . ولهذا قالت الصوفية ﴿إن العلم حجاب﴾ وأرادوا بالعلم العقائد التي استمرت عليها
 أكثر الناس بمجرّد التقليد أو بمجرد كلمات جدلية حررها المتعصبون للذاهب وألقوها اليهم . والتقليد قد
 يكون باطلا لكن يعتقد في الاستواء على العرش الاستقرار والتسكن فان خطر له مثلا في القدوس انه المقدس
 عن كل ما يجوز على خلقه لم يمكنه تقليده من أن يستقر ذلك في نفسه ولو استقر لا نجرت ذلك إلى كشف ثان
 وثالث وتواصل ولكن يتسارع إلى دفع ذلك عن خاطره لمناقضته تقليده الباطل وقد يكون حقا ويكون أيضا
 مانعا من الفهم والكشف لأن الحق الذي كلف الخلق اعتقاده له مراتب ودرجات وله مبدأ ظاهر وغور باطن
 وجود الطبع على الظاهر يمنع من الودول إلى الغور الباطن قال كما ذكرناه في الفرق بين العلم الظاهر والباطن
 وأشار إلى أن الاصرار على الذنوب أو التكبر أو اتباع الهوى كل ذلك يمنع وصول الحقائق للقلوب وذكر أن الذي

يفهم ذلك هو المنيب كما قال تعالى - تبصرة وذكري لكل عبد منيب - وقال - وما يتذكر إلا من ينيب - وقال - انما يتذكر أولوا الألباب -

(٣) أو بسبب انه قرأ تفسيراً ظاهراً واعتقد أن معاني القرآن لا تتناول إلا ما نقل عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما وأن ما وراء ذلك تفسير بالرأى وأن من فسر القرآن برأيه فقد تبوأ مقعده من النار . قال فهذا أيضاً من الحجب العظيمة مع أن ذم التفسير بالرأى لا ينافي قول علي رضي الله عنه إلا أن يؤتى الله عبداً فهما في القرآن ولو كان المعنى هو الظاهر المنقول ما اختلف الناس فيه ثم أثبت هذا الفهم بقوله تعالى - اعلمه الذين يستنبطونه منهم - فأثبت لأهل العلم استنباطاً ومعلوم أنه وراء السماع وذكر قول أبي الرداءة (لا يفتقه الرجل حتى يجعل للقرآن وجوهاً) وقول ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى - ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً - يعني الفهم في القرآن ثم أعقب ذلك بالأخبار التي وردت النهي فيها عن التفسير بالرأى ثم قال ان أريد الاقتصار على المنقول والمسموع وترك الاستنباط فهو باطل لأنه يشترط أن يكون مسموعاً من رسول الله ﷺ وذلك لا يصادف إلا في قليل من القرآن وأما تفسير الصحابة كابن عباس وابن مسعود فهم من أنفسهم فاذا أردنا أن كل ما لم يقله النبي ﷺ فهو بالرأى وجب أن نقول انه بالرأى أيضاً لأنهم لم يسمعه من رسول الله ﷺ ولا قائل به وأيضاً ان الصحابة اختلفوا في بعض الآيات بأقوال لا يمكن الجمع بينها ومحال أن يكون الجميع مسموعاً من النبي ﷺ ولو كان أحدها مسموعاً لرد الباقي . إذن تفاسيرهم باستنباط منهم كما استنبطوا في (الر) انها حروف من الرحمن أو ان الألف لله واللام لطيف والراء رحيم وهكذا . والجمع بين الكل غير ممكن فكيف يكون الكل مسموعاً . وأيضاً قد دعا ﷺ لابن عباس فقال (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل) فان كان التأويل مسموعاً كالتزويل ومحفوظاً مثله فما معنى تخصيصه بذلك . ثم بين أن النهي عن التفسير بالرأى يرجع (لأمرين اثنين * أولهما) أن يقصد مبتدع التليس على خصمه وهو يعلم أن الآية لم يقصد بها المعنى أو يجمل ذلك وعلى كلا الحالتين يميل فهمه الى الغرض الذي يرمى اليه فهذا حتماً اتبع القرآن هو . وقد يكون غير مبتدع وله غرض صحيح فيطلب له دليلاً من القرآن ويستدل عليه بما يعلم انه مأر يد به كمن يدعو الى الاستغفار بالأسحار فيستدل بقوله ﷺ (تسحروا فان في السحور بركة) ويزعم أن المراد به التسخير بالذكر وهو يعلم أن المراد به الأكل وكالذي يدعو الى مجاهدة القلب القاسي فيقول قال الله تعالى - اذهب الى فرعون انه طغي - يشير الى قلبه ويومئ الى أنه المراد بفرعون ويستعمله الوعاظ في المقاصد الصحيحة وهو ممنوع وتستعمله الباطنية في المقاصد الفاسدة لتغري الناس ودعوتهم الى مذهبهم الباطل فينزلون القرآن على وفق رأيهم ومذهبهم على أمور يعامون قطعاً انها غير مرادة به . هذا هو الرأي الفاسد الموافق للهوى (وثانيهما) أن يفسر القرآن بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغراب القرآن وما فيه من الألفاظ المهمة وما فيه من الحذف والاختصار والاضمار والتقديم والتأخير فن لم يحكم ظاهر التفسير وبادر الى المعاني بمجرد فهم العربية كثر غلط انتهى ملخصاً

فيأياها الذكي انما أوردت لك هذا بناء على سؤالك لتطلع على طريق التفكير في التفسير عند أسلافنا الكرام وعلمائنا الفخام وما هو التفسير بالرأى وما التفسير بالنقل واستأكتب هذا لآخذ بكل ما فيه ولكن لتقف عليه وتعرف الحقائق وطرق المتقدمين فيشرح صدرك وتبلغ أملك

ففر بعل تعش حيا به أبدا * الناس موتى وأهل العلم أحياء

(فصل في قوله تعالى - لقد أنزلنا آيات مبینات - الى آخر السورة)

وهذا الفصل مفصل الى أربع جواهر

(الجوهرة الأولى) في تفریع قوم وتوبيخهم من قوله - لقد أنزلنا آيات مبینات - الى قوله - وما على

الرسول إلا البلاغ المبين -

﴿ الجوهرة الثانية ﴾ في وعد الله المؤمنين بالمكين في الأرض ونحو ذلك من قوله - وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات - الى قوله - ومأواهم النار ولبنس المصير -

﴿ الجوهرة الثالثة ﴾ في آداب عامة كالاستئذان في الدخول وذم التبرج من القواعد اللاتي لا يرجون نكاحا وكالاذن بالأكل من بيوت بعض الأقارب من قوله - يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم - الى قوله - لعلكم تعقلون -

﴿ الجوهرة الرابعة ﴾ الأدب مع رسول الله ﷺ فأوجب عليهم أن يستأذنوه وانهم اذا دعوه فليكن ذلك بأدب خاص الخ وذلك من قوله - انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه - الخ

﴿ الجوهرة الأولى في قوله تعالى - لقد أنزلنا - الى قوله - وما على الرسول إلا البلاغ المبين - ﴾

يقول الله تعالى بعد أن أبان جلال صنعه وبديع حكمه وحسن ابداعه وباهر نقشه ورقشه وأحسن خلقه من الأنوار الباهرات والمحاسن الظاهرات وأضواء الكواكب وجمال الشمس وسماء البرق وأنوار القلوب وجمال العلم وبهاء الأقدسة العامرة بالمعارف الساطع اشراقها وزينتها بالعلوم العالية وكيف كانت النفوس الانسانية مشتهلة على جواهر هذه العوالم مقتطفة ما فيها من المحاسن وكأنها قائمة مقام المادّة بحيث تحمل كل ما حلت من صور ونقوش وكأن الناس في الأرض خلفاء ربهم قد كفهم أن يعملوا ويعلموا مستخلقين بأخلاق من خلقهم . لما ذكر ذلك كله سبحانه وتعالى شرع يذكرنا بأنه أنزل هذه الآيات مينات للحقائق ودلائل الخالق وأنه يهدي من يشاء بتوفيقه للنظر فيها والتدبر في معانيها ، وكأنه عز وجل يقول إن هذا المثل المضروب للمؤمن والمضروب للكافر وعمله وهذه المجانب في الطير والسحاب والبرق . كل ذلك ليس لكل انسان فهمه بل الناس ﴿ فريقان ﴾ فريق لا يرفع عقله الى هذا المستوى الرفيع ولا يعقل ذلك المعنى البديع وفريق استحق رتبة العلم فأظمه الله وعلمه (والله يهدي من يشاء) هدايته لأنه على استعداد للهداية (الى صراط مستقيم) وهو دين الاسلام وادراك الحقائق ثم أخذ سبحانه يوضح طائفة كبشر المناق الذي خاصم يهوديا في أرض فقال اليهودي نتحاكم الى محمد ﷺ وقال المناق بل نتحاكم الى كعب بن الأشرف فان محمدا يحيف فنزل قوله تعالى (ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا) يقولونه بالسنتهم من غير اعتقاد (ثم يتولى فريق منهم) أى يعرض عن طاعة الله ورسوله (من بعد ذلك) من بعد قولهم - آمنا - وهم يدعون الى حكم غير حكم الله قال الله تعالى (وما أولئك بالمؤمنين) بالمصدقين (واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم) أى ليحكم النبي ﷺ الذي حكمه في الحقيقة حكم الله (اذا فريق منهم معرضون) أى فاجأ من فريق منهم الاعراض اذا كان الحق عليهم لعلمهم أنك لا تحكم إلا بالحق (وان يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين) أى متقادين لعلمهم بأنه يحكم لهم (أفى قلوبهم مرض) كفرا أو ميل الى الظلم (أم ارتابوا) أى شكوا وهذا استفهام للذم والتوبيخ (أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله) فالأمر يرجع في صدورهم الى النفاق أو الريب في أمر النبوة أو الخوف من الحيف ثم أبطل هذا الأخير بقوله (بل أولئك هم الظالمون) أى لا يخافون ظلمه ﷺ ولا يكرهون أن يظلموا من له الحق عليهم والنبي ﷺ يأبى عليهم ذلك فلذلك لا يريدون أن يتحاكموا اليه . ثم ذكر أخلاق المؤمنين في مثل هذه الحال فقال (انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا) - قول - خبر كان وأن يقولوا اسمها أى سمعنا قولك وأطعنا أمرك (وأولئك هم المفلحون) وأما من قبلهم فهم ليسوا بمفلحين لأنهم ظالمون (ومن يطع الله ورسوله) فيما يأمران به (ويخش الله) لما صدر منه من الذنوب (ويقتقه) فيما بقي من عمره (فأولئك هم الفائزون) أى بالنعيم

المقيم (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) جهد مفعول مطابق لفعل محذوف أى يجهد اليمين بهذا ثم حذف الفعل وأضيف المصدر الى المفعول فقبل جهد اليمين أى جاهد اليمين أيمانهم فهو منصوب على الحال . يقول الله حلف المنافقون بالله جهد اليمين أى بذلوا فيه مجهودهم أى أقصى وسعهم (لأن أمرتهم ليخرجن) أى أقسموا لأن أمرنا محمد بالخروج الى الغزو لخرجنا (قل لا تنقسموا) لا تحلفوا كاذبين لأنه حرام انما المطلوب منكم (طاعة معروفة) لا اليمين والطاعة الكاذبة (إن الله خير بما تعملون) فلا يخفى عليه سرائركم (قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) أى بقلوبكم وصدق نيائكم (فان تولوا) أى أعرضوا عن طاعة الله ورسوله (فانما عليه) على الرسول (ما حل) أى ما كلف وأمر به من تبليغ الرسالة (وعليكم ما حلتكم) أى ما كلفتم به من الاجابة والطاعة (وان أطيعوه تهتدوا) تصيبوا الحق في طاعته (وما على الرسول إلا البلاغ المبين) أى التبليغ الواضح البين (لطيفة في قوله تعالى - لقد أنزلنا آيات مبينات والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم -)

إن تبين القرآن قد ظهر اليوم أشد الظهور عند علماء الغرب ولا كشفه الآن هنا بموضوعين

الموضوع الأول محاضرة في القرآن الكريم

(وأثره في اللغة والعلم والاجتماع والأخلاق)

ألقاه في مؤتمر المشرقين بأكسفورد الاستاذ محمد أجداد المولى بك المفتش بوزارة المعارف العمومية ومندوب الحكومة المصرية والمؤتمر كان فيه (٧٠٠) منهم (٢٠٠) تمثل الحكومات والجامعات العلمية والباقي أعضاء والمحاضرات التي أقيمت بشأن مصر والاسلام (٤٤) محاضرة والمراد بمصر قديما وحديثا وحضر من الألمان نحو (٧٠) عالما . والخطبة أقيمت في يوم الجمعة آخر أغسطس سنة ١٩٢٨ في مدينة (أكسفورد) بالانجلترا وكانت العادة أن كل محاضرة تتلوها مناقشة في موضوعها فكان من الممجزات انها قوبلت بالاستحسان العام إذ أن علماء أوروبا الرسميون أقرتوا ما في هذه الخطبة بالاجماع . وهالك نصها بالحرف لتعرف مقدار اعتراف علماء أوروبا بفضل الاسلام وبعظمة نبينا ﷺ وهاهي ذه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين * والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين

(القرآن الكريم)

(١) وصفه (٢) محتوياته (٣) أثره في اللغة العربية (٤) أثره في الأحوال الاجتماعية والخلقية والعلمية

(١) وصفه

القرآن الكريم - كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير - آية الله الدائمة وحجته الخالدة - لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد - . الم * ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين * الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون * والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالأخرة هم يوقنون * أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون -

(٢) محتوياته

احتوى القرآن ما يحتاج اليه الانسان في معاشه ومعاده - ما فرطنا في الكتاب من شئ - ويمكن حصر ذلك فيما يأتي

(١) (العقائد) وهي مبينة في الآيات التي توجب الايمان بالله واحد وبملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر مثل قوله تعالى - قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفوا أحد - وقوله تعالى - آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله لانفرق بين أحد من

رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير -

(٢) (الفرائض الدينية) وهي موضحة في الآيات التي توجب الصلاة والصوم والحج مثل قوله تعالى - وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وامتدوا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله - (البقرة)
وقوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون * أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون - (البقرة)
وقوله تعالى - والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين - (آل عمران)

(٣) (الأوامر والنواهي الخلقية) وهي مفصلة في الآيات التي تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر مثل قوله تعالى - ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون - (آل عمران)

وقوله تعالى - إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون - (سورة النحل)
(٤) (الإنذار والتبشير) في الآيات التي ذكر فيها ما أعد للكاافرين والمؤمنين مثل قوله تعالى - من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون - (سورة النحل أيضا)

وقوله تعالى - ومن يعص الله ورسوله وينته حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين - (النساء)
(٥) (الجدل والتحدى) في الآيات التي دعى فيها المخالفون إلى الإتيان بآيات ولو مفتريات فجهزوا مثل قوله تعالى - وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فائتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين * فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين - (سورة البقرة)

وقوله تعالى - أم يقولون افتراء قل فائتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين - (هود)
وقوله تعالى - قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا - (الاسراء)

(٦) (القصص) كالذي ورد في تاريخ الأنبياء والرسل وذوي القرنين وأصحاب الكهف مثل قوله تعالى - وألقا آتينا داود منا فضلا ياجبال أوبي معه والطير وألنا له الحديد أن يعمل سبغات وقدّر في السرد واعملوا صالحا إني بما تعملون بصير - (سبأ)

وقوله تعالى - واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا * فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا * قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا * قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا * قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم أعقب * قال كذلك قال ربك هو على هين وانجذه آية للناس ورجه منا وكان أمرا مقضيا * فحملته فانتبذت به مكانا قصيا * فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا * فناداها من تحتها ألا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا * وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا * فمسكته وقرئ عينا فاما ترين من البشر أحدا فقولى إني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا * فأنت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد

لقد جئت شياً فرّياً * يا أخت هارون ما كان أبوك أمراً سوء وما كانت أمك بغياً * فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبياً * قال إني عبد الله أتاني الكتاب وجعلني نبياً * وجعلني مباركا أين ما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً * وبرّ ابوالدني ولم يجعلني جباراً شقياً * والسلام علىّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً * ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون - (مريم)

(٧) (التشريع الاجتماعي) وهو في الآيات التي توجب الزكاة وإخراجها لمستحقها مثل قوله تعالى - إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم - (التوبة)

وقوله تعالى - يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربى واليتامى والمساكين وابن السبيل وما نفعلوا من خير فإن الله به عليم - (البقرة)

(٨) (التشريع السياسي) وهو في الآيات التي توجب الطاعة لأولياء الأمور والوفاء بالعهد والمواثيق مثل قوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً - (النساء)

وقوله تعالى - وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعل الله عليكم كفيلاً إن الله يعلم ما تفعلون - (النحل)

(٩) (التشريع الجنائي) وهو ما جاء في الآيات المبينة للحدود والقصاص مثل قوله تعالى - وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص - (المائدة)

(١٠) (التشريع المدني) وهو ما تكفلت به آيات الربا والميراث وما أوماً إليها مثل قوله تعالى - وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون - (سورة الروم) وقوله تعالى - يحق الله الربا ويربي الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم - (البقرة)

وقوله تعالى - يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلث ما ترك وإن كانت واحدة فلها النصف ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث فإن كان له أخوة فلأمه السدس من بعد وصية يوصي بها أو دين أباًؤكم وأبنائكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا فريضة من الله إن الله كان عابداً حكيماً * وإنكم نصف ما ترك أبواؤكم إن لم يكن لهم ولد فإن كان لهم ولد فللكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصي بها أو دين ولهن الربع مما تركن إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركن من بعد وصية توصي بها أو دين * وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس * فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث من بعد وصية يوصي بها أو دين غير مضار وصية من الله والله عليم حكيم - (النساء)

(١١) (التشريع الحربي) وهو في الآيات التي تؤذن بالقتل وتشير بالسلم وتبين معاملة الأسرى وتوزع النية مثل قوله تعالى - وأما تخافن من قوم خيانة فأنبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين * ولا يحب الذين كفروا سبقوا إنيهم لا يعجزون * وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لانهلونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شئ في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون * وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم - (الأنفال)

(١٢) (المواعظ والارشاد) وهي في الآيات المشتملة على الأمثال والحكم مثل قوله تعالى - ألم تتركب ضرباً من الله مثلاً كمشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون * ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من

قرار - (إبراهيم)

وقوله تعالى - ولا يحق المكر السيء إلا بأهله - (فاطر)

وقوله تعالى - قل كل يعمل على شاكلته - (الاسراء)

وقوله تعالى - وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون - (البقرة)

وقوله تعالى - كل نفس بما كسبت رهينة - (الذثر)

وقوله تعالى - لا يكلف الله نفسا إلا وسعها - (البقرة)

وقوله تعالى - واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب - (الأنفال)

وقوله تعالى - لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم - (آل عمران)

وقوله تعالى - وأن ليس للإنسان إلا ما سعى * وأن سعيه سوف يرى - (النجم)

وقوله تعالى - إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم - (الرعد)

(٣) ﴿ أثره في اللغة العربية ﴾

(١) كان قریش عظیم الأثر وكبير الفضل في توحيد لهجات اللغة العربية لأنها كانت تسكن بلاد الحجاز التي كانت محط رحال الحجاج والتجار فكان يجتمع فيها أكثر أشرف العرب والشعراء والخطباء من الرجال والنساء للفاخرة بالشعر والخطب في الحسب والنسب والفصاحة وغير ذلك فأخذت قریش المستعذب من لهجات العرب حتى لظفت لهجتهم وجاد أسلوبهم واتسعت لغتهم لأن ينزل بها خير الكلام . وكان طبعيا أن ينزل القرآن بلغة قریش لأنها خلاصة اللغة العربية ولأن الرسول ﷺ قرشي وليكون هذا الكلام زعيم اللهجات كلها فقد امتازت قریش بكثير من خصائص الزعامة وأقر لهم العرب بذلك فأولى لهم أن يقرروا مثل ذلك في كلام الله تعالى

(٢) لو نزل القرآن بغير لغة قریش التي ألفها النبي ﷺ ما كانت تستقيم الموازنة بين أساليب القرآن

وكلام النبي ﷺ ولما كان ذلك مدعاة إلى أن قبائل العرب تجد كل واحدة منها مذهباً للقول فيه فتتشق الكلمة

(٣) اختلفت لغة القرآن الكريم على وجه يستطيع العرب أن يقرؤوه بلحونهم مع بقاءه على فصاحته في الوضع التركيبي وتلك سياسة لغوية جعت العرب على منطق واحد ليكونوا جماعة واحدة

(٤) من أجل ذلك كان للقرآن الكريم الأثر البالغ في توحيد اللغة ونشرها وترتيبها من حيث أغراضها وألفاظها وأساليبها وفوق ذلك ضمن لها حياة طيبة وعمر طويلا

(٥) قد جمع القرآن العرب على لغة واحدة بما استجمع فيها من محاسن هذه اللغة فأصبح عندهم مثلا كاملا ومن شأن المثل الكامل أن يجتمع عليه طالبوه مهما فرقت بينهم الأسباب المتباينة . وقد كانوا قبل ذلك تنوهم كل قبيلة منهم أنها أسلم فطرة في اللغة وأوضح مذهباً في البيان لعدم وجود مقياس عام يرجعون إليه ولم يكن في طوق إنسان أن يقيس قدرة أقوام وعجزهم في أمر معنوي كاللغة إلا إذا كان بالفاحة الكمال ولما كان الكمال لله وحده كان كلامه جل شأنه هو المثل الكامل

(٦) لولا القرآن الكريم لما وجد على الأرض أحد يعرف كيف كانت تنطق العرب بأساليبها وكيف تقيم أحرفها وتحقق مخارجها فتواتر أداء القرآن الكريم حفظ لنا كيفية الأداء العربي

(٧) إن الشعوب العربية في مصر وسورية وبلاد المغرب وغيرها يتكلمون باللغة العربية ولكن تختلف لغة كل شعب منهم عن لغات الآخرين اختلافا قليلا أو كثيرا بنسبة البعد بينهم والاختلاف في أحوالهم . ولولا القرآن لاستقلت لغة كل شعب حتى لم يعد الشعب الآخر يفهمها كما حصل في فروع اللغة اللاتينية (الفرنسية

والاسبانية والاطليانية وغيرها) ولكن محافظة المتكلمين في اللغة العربية على لغة القرآن والرجوع اليها فيما يكتبون ويخطبون جعل في لغاتهم المولدة مرجعا يجمع لغاتهم الى أصل واحد

(٤) ﴿ أثر القرآن في الأحوال الاجتماعية ﴾

جاء القرآن والعرب قد وقعت بينهم الفارقة وتشنت الألفة واختلفت كلمتهم واضطربت أحوالهم فكانوا إخوان دبر ووبر أذل الأمم دارا وأجدهم قرارا لا يأوون الى جناح دعوة يعتصمون بها ولا الى ظل ألفة يعتمدون على عزها فأحوالهم مضطربة وأيديهم مختلفة وكانوا في بلاء عظيم من جهل مطبق وبنات مؤودة وأصنام معبودة وأرحام مقطوعة وغارات مشنونة . فلما استضاء بنور القرآن الكريم اجتمعت أملاؤهم وانفتحت أهواؤهم واعتدلت قلوبهم وترادفت أيديهم وتناصرت سيوفهم وعقد بملته طاعتهم وجع على دعوته ألفتهم وأصبحوا ينعمون في ظل سلطان قاهر ثابت وصاروا حكاما على العالمين وملوكا في أطراف الأرضين قد ملكوا الامور على من كان يملكها عليهم وأمضوا الأحكام فيمن كان يفضيها فيهم

جاء القرآن وقد تمكنت من العرب عصبية الجاهلية فما عدا أن سفه أحلامهم ونكس أصنامهم وذهب بجل ما ألفوه حتى كأنما خلقهم خلقا جديدا وكأنهم على آدابه نشؤا وهم أغفال وأحداث بل كأنهم كانوا أسالة أجيال كان القرآن في أوليتهم المتقدمة وكانوا هم الوارثين لا الموروثين مصداقا للحديث الشريف وخير القرون قرني ثم الذين يلوهم

كان من أثره فيهم أن أذهب عنهم العصبية المقنونة وأحل محلها التعصب لمكارم الخصال ومحامد الأفعال ومحاسن الامور وخلال الحمد من الحفظ للجوار والوفاء بالنمام والطاعة للبر والمعصية للكبر والأخذ بالفضل والكف عن البنى والاعظام للقتل والانصاف للخلق والكظم للغيظ واجتناب الفساد في الأرض لهذا كله انعقدت عليه قلوبهم وهم يجهدون في نقضها واستقاموا لدعوته وهم يبالغون في رفضها فكانوا يفترون منه في كل وجه ثم لا ينتهون إلا اليه . ذلك بأنه قد جاءهم بما لا قبل لهم به مما يشبه أساليب الاستهواء في علم النفس فغلب على طباعهم وحال بينهم وبين قديمهم

ولعمري لو كان القرآن غير فصيح أو كانت فصاحته غير معجزة في أساليبها التي ألفت اليهم خلا من موعظه الذي هو فيه وكان سيده بينهم سبيل القصائد والخطب والأقاصيص ولتقصوه كلمة كلمة وآية آية دون أن تتخاذل أرواحهم أو تراجع طباعهم

بين القرآن لهم أن الطبيعة مسخرة لهم فعلمهم كشف ما فيها واستخراج أسرارها - قل انظروا ماذا في السموات والأرض - وكأن من آية في السموات والأرض يمرّون عليها وهم عنها معرضون - والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شئ موزون - وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين - (الحجر)

نادى فيهم القرآن الكريم أن النبي ﷺ ابن يومه وابن عمله وعقله . فلا هو مفاخر ولاواهم ولا شاعر وخاطبهم بالآية الكريمة التي هي روح الثبات في أمم العلم والعمل - وإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بري مما تعملون -

قد وصل العرب قبل نزول القرآن الكريم الى هاوية الاخلال الاجتماعي بما لم يعهد له مثيل في تاريخ الأمم فكانوا في جهل مطبق بأحكام الدين الصحيح ومبادئ السياسة والحياة الاجتماعية ولم يكن لهم فن يذكر أو صناعة تنشر ولم يكونوا يعرفون شيئا من العلاقات الدولية وكانت كل قبيلة أمة قائمة بنفسها تتحفر لشن الغارة على جارتها . فما لبثوا أن جاءهم الكتاب الكريم حتى خالطت أحكامه قلوبهم وأيقظت أرواحهم وجعلتهم يتلمسون الحق وتصبون نفوسهم الى رفع مناره ونشره في أطراف الأرضين

قد بلغوا في العبادة مبلغا بذوا به أهل الرهبة والتسك وصاروا أولى قوة في دين وحزم في لين وإيمان في يقين وحرص في علم وعلم في حلم وقصد في غنى وخشوع في عبادة وتجمل في فاقة وصبر في شدة وطلب في حلال ونشاط في هدى وتخرج عن طمع . ومع بلوغهم هذه الدرجة الروحية العالية لم يهجرُوا الدنيا وشؤونها بل عملوا لها بصدق وإخلاص فأبدلهم الله أعز مكان الذل والأمن مكان الخوف فصاروا ملوكا حكاما وأئمة أعلاما

وان تعجب فحجب أن يتم ذلك المجد العظيم للعرب في أقل من مائة سنة . وفي هذا برهان قاطع على أن أحكام القرآن خير طريق إلى تنمية الملكات الانسانية واعدادها لكسب الحياتين الدنيوية والروحية فقد جعل الأمة العربية تضع أعناقها للحق الذي لم تألفه حقا وأن تعطيه مع ذلك محض ضمائرها وتسلم له في تاريخها وعاداتها . إن نظرة بامعان فيما جاء به القرآن الكريم من الآيات اليبينات تدل على أنه ليس هناك في الانسان من نقص إلا والقرآن كفيل بإصلاحه فهو طبيب الانسانية وليس أخص الأطباء من يدعى هذه الصفة لنفسه لحسب بل من يستطيع مداواة أعظم الأدواء في أكثر الحالات وكذلك فعل القرآن فقد بلغ من أثره في العرب أنه حول طبائعهم وغيّر أخلاقهم فلم يشهد التاريخ جيلا اجتماعيا مثل الجيل الأول في صدر الاسلام حين كان القرآن هو المنار الذي يهتدى به ولم تستطع الفلسفة على اختلاف ضروبها في أي عصر من العصور أن تنشئ جيلا من الناس كالذي أخرجه القرآن الكريم فكانوا مثالا حسنا في علو النفس وصفاء الطبع ورقة الجانب ورجاحة اليقين وطهارة الخلق وشدة الأمانة وإقامة العدل والخضوع للحق ومماثل إلى ذلك من أمهات الفضائل

﴿ محمد ﷺ أعظم مصلح ظهر ﴾

أما وقد بان أن الكتاب الكريم أحدث أوفر قسط من الإصلاح في أقصر زمن عرفه التاريخ فلا بدع أن كان الذي نزل عليه ذلك الكتاب أعظم مصلح . واليك البيان

(١) اقتضت حكمة الله أن يرسل إلى كل أمة آنا بعد أن هاديا يرشدتهم ويصلح حالهم فيدوم النور الذي جاء به زمانهم نجو قليلا قليلا حتى إذا كاد ينطفئ أنقذ الله هذه الأمة برسول بعده يجتدد لها الهداية وقد تواتت الدهور والأحقاب والأمم منفصلة بعضها عن بعض زاعمة كل واحدة أن العالم كله فيها وأنها أفضل من سواها لأن الله خصها بالرسالة والهداية فنجم عن ذلك القول بأن الله - تعالى عما يقولون علوا كبيرا - حابي بعض الأمم وخصها بمزايا لم يمنحها غيرها

من أجل ذلك أرادت الحكمة الإلهية أن تقضى على ما خالج نفوس بعض الأمم من أنها أفضل من غيرها جنسا وخللا ودينا وأن تجعل من الانسان جسما واحدا فنّ الله على الخلق جميعهم برسول عام معه رسالة عامة وهكذا كانت رسالته عامة لا يخصصها زمان ولا مكان - وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين - وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا -

كان مثل من سبقه من النبيين صلوات الله وسلامه عليهم مثل المصاييح كل منها وضع في حجرة لا يضيء سواها . فلما ظهرت شمس الرحمة من البلاد العربية لم يبق هناك من حاجة إلى هذه المصاييح المحدودة المدى وليس في مقدور أي نور آخر أن يخلف هذه الشمس

بعث كل رسول ممن تقدموا المصطفى ﷺ لتهذيب أفراد أمته وجعلهم صالحين لتكوين أمة متجانسة . ولعمري هذا عمل جليل . غير أن محمدا وهو خير المرسلين أرسل ليجمع هذه الأمم ويجعلها أمة واحدة متكافئة مرتبطة برابطة الاخاء . جاء كل رسول لتقويم خلق معين في أمة فكانت حياته أسوة للخلق الذي أرسل لتقويمه . أما محمد ﷺ فقد جاء لتنمية الفطرة الانسانية جميعها واستخدام ملكاتها وتقويم غرائزها وكات حياته العملية ﷺ ملأى بالمثل الصالحة الكفيلة بتقويم أخلاق بني الانسان جميعها ولذلك كان مثالا كاملا

للإنسانية اجتمعت فيه الفضائل التي كانت في أنبياء بني إسرائيل وغيرهم . تجمعت فيه شجاعة موسى وشفقة هارون وصبر أيوب وإقدام داود وعظمة سليمان وبساطة يحيى ورحمة عيسى عليهم جميعا الصلاة والسلام (٢) إن كانت العظمة تتحقق بإصلاح أمة قد وصلت إلى غاية الانحلال الاجتماعي فليس هناك من يبارى محمدا في أنه أُنقذ الأمة العربية من هاوية الدمار وجعلها مصابيح الحضارة والعرفان . وإن كانت العظمة تتحقق بجمع شمل أمة قد تآصلت فيها الفرقة وتمكنت منها العداوة والبغضاء فمن يجارى محمدا في أنه جمعهم تحت ظل الإسلام إخوانا متساندين - واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها -

كان مثل العرب في تفرقهم كمثل رمال بلادهم فلامم الإسلام بينها وجعلها من القوة بحيث لا تؤثر فيها الزلازل العنيفة . إن كانت العظمة تتحقق بإقامة ملك الله في الأرض فمن يطمح إلى منافسة محمد ﷺ في أنه نكس الأصنام وأبطل عبادة الأوثان وطهر الجزيرة العربية من الشرك وملأ القلوب بالتوحيد والنور إن كانت العظمة تتحقق بحسن الأخلاق فمن ذا الذي ينكر على محمد أن أعداءه وأصدقاءه أجمعوا على تسميته بالأمين

إن كانت العظمة تتحقق بالفتح وبسط الملك فالتاريخ أصدق شاهد على أن أحدا غيره لم يبلغ مبلغه فقد نشأ يتما لا قوة له ثم صار فاتحا عظيما أسس أعظم دولة لبثت تزد مكاييد الأعداء أكثر من ثلاثة عشر قرنا إن كانت العظمة تتحقق بما لصاحبها من رفعة الاسم وانتشار الصيت فمن يجارى محمدا في ارتفاع اسمه الذي تحبه قلوب أربعمائة مليون من الناس منتشرين في أطراف الأرضين مرتبطين برابطة الاخاء مع اختلاف قوميتهم وألوانهم وألسنتهم

﴿ أثر القرآن الكريم في الأحوال الخلقية ﴾

لما كان المنزل هو المربي الأول الذي يتعلم فيه الإنسان الآداب الخلقية ويألفها أوجب القرآن الكريم طاعة الوالدين - وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما * واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا - ولم يرخص في عصيانهما إلا إذا أرادا أن يحملاه على الإشراف بالله - وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا -

هذا الاحترام العظيم للوالدين هو الأساس الذي بنيت عليه فضيلة الطاعة لأولياء الأمور - يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم - وليس المراد بأولى الأمر الحكام فقط بل يشمل كل من أعطى سلطانا ونفوذا . يشير إلى ذلك قوله ﷺ « كالكم راع وكل راع مسؤول عن رعيته » ومن هذا يتبين أن دين الإسلام يطالب الناس جميعهم بالطاعة لمن فوقهم ليجتث بذلك أصول الفوضى والمخالفة ويثبت دعائم الطاعة . بنى القرآن الكريم الأخلاق على فضيلة واحدة هي التقوى وقد دلّ تصفح الآيات الكريمة التي وردت فيها هذه الكلمة وما اتصل بها من المشتقات على أن المراد منها أن يتق الإنسان كل ما كان فيه ضرر لنفسه أو إضرار لغيره لتكون حدود المساواة قائمة في المجتمع الإنساني لا تحصل فيها ثمة ولا يطرأ عليها وهن - يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم - * وقد جاء في الحديث « لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى » والآية صريحة في أن الغاية الاجتماعية للناس شعوبا وقبائل هي التعارف وتلك كلمة لا تشذ عنها فضيلة من فضائل الاجتماع قاطبة ولا يمكن أن تدخل في مدلولها رذيلة اجتماعية . وفي هذه الآية الكريمة أقام القرآن الأساس الخلق العظيم لجعل أكرم الناس المتساوين في الحالين الفردية والاجتماعية هو أتقاهم أي أعظمهم خلقا لا أوفرهم مالا ولا أكثرهم

رجالاً ولا أقطابهم فكراً ولا أعظمهم علماً ولا شيئاً من ذلك مما لا يصح أن يكون سبباً للتفاضل إلا في إداربار
الدول واضطراب الاجتماع وفساد العمران . فالحقيقة أن التقوى هي الخلق الكامل . ومن أجل ذلك كان
العدل في رأى القرآن أقرب شئ إلى التقوى إذ يقول الله جل شأنه - ولا يجرمكم شأن قوم على ألا تعدلوا
اعدلوا هو أقرب للتقوى - وقد ردت القرآن مظاهر التقوى إلى (ثلاثة أشياء) الأمر بالمعروف والنهي عن
المنكر والإيمان بالله . وهذه الأشياء الثلاثة هي المبدأ والنهاية لكل قوانين الأدب والاجتماع قال تعالى
- كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله - والمعروف كل ما يعرفه
العقل الصحيح حقاً ولا يتأتى الأمر بالمعروف إلا إذا توافر استقلال الإدارة (كذا) وقوتها . والمنكر هو ما ينكره
العقل الصحيح ولا يمكن النهي عن المنكر إلا باستقلال الرأى وحرية والإيمان بالله هو الاعتقاد بوجوده
ووحديته ولا يتم ذلك إلا إذا استقلت النفس من أسرار العادات والأوهام بالنظر والفكر في مصنوعات الله وهذا
هو الإيمان الذى يبعث على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بثقة إلهية لا يعترضها شئ من عوارض الاجتماع
التي تعترى الناس من ضعف الطباع الانسانية كالجبين والفاق وإيثار العاجلة وما إليها فان هذه الصفات لا تتحقق
مع صحة الإيمان بل هي أنواع من العبادة للقوى والمستبد والشهوات والغزوات وما شابهها وذلك لا يتفق والإيمان
الصحيح بالله . ما تدبر أحد القرآن إلا وجده يمنح كل انسان ارادة اجتماعية أساسها الحرية - وقل الحق من
ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر - فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما
انا عليكم بوكيل - ولذلك لما اتخذ الجليل الأول في صدر الاسلام مثالا لهم واتخذوا آدابه الخلقية شعارا لهم
حقق لهم هذه الارادة الاجتماعية . ولأن العلوم كلها والفلسفة وأهلها كانت لأولئك العرب مكان القرآن ما
أغنت عنه شئاً لأن الفضيلة العقلية التي أساسها العلم لا توصل حتماً إلى الارادة العملية

أما الفضيلة الخلقية التي جاء بها القرآن فانها تسوق إلى الارادة العملية لأن هذه الارادة مظهرها ولا سبيل
لظهورها غير العمل . ومتى صحت إرادة الفرد واستقامت له وجهته في الجماعة فقد صار بنفسه جزءاً من عمل
الامة والامة التي تتألف من مثل هذا الفرد تشغل مكانة سامية في تاريخ الاجتماع

والتأمل في القرآن الكريم يرى أن جميع آدابه وعظائمه ترمى إلى بث الروح الاجتماعية في نفوس أهله
فكانت هذه الروح هي السبب الأول في انتشاره حتى بين أعدائه الذين أرادوا استئصاله كالنتار والمغول
وغيرهم ممن اشتدوا عليه ليخزلوه فكانوا بعد ذلك من أشد أهله في نصرته والغضب له . ليس للقرآن
طرائق للدعوة إليه إلا الأسوة - لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة - فالأسوة أو القدوة مظهر آدابه
ولذلك كان كلما وجدت طائفة من أهله وجدت الدعوة إليه وان لم ينتخلوها ويعملوا لها وما استحث أحدنا
بالعطايا لأنه الدين الطبيعي للإنسان تأخذ فيه النفس عن النفس بلا وساطة ولا حيلة في الوساطة . وما أفصح
ما ورد في صفة القرآن من قول رسول الله ﷺ (فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم وهو
الفصل ليس بالهزل)

(أثره في الحال العلمية)

من يدرس تاريخ العلم الحديث لا يسعه إلا أن يستنبط أن القرآن الكريم كان أصل النهضة الاسلامية
وأن النهضة الاسلامية هي التي لها الفضل في حفظ علوم الأولين وتهذيبها وتصفيتها وهي التي أوسعت المجال
للعقل يبحث وينظر ويستدل . وبذلك كانت هذه النهضة أساس التاريخ العلمى في أوروبا . انفراد القرآن
بأنه هو الذى حرر العقول البشرية من أصفاد الجود والرق وحفز النفوس البشرية وساقها إلى قراءة صحف
الكائنات وتدبر ما فيها من الصنع البديع . القرآن هو الذى ساق النفوس إلى تقصى غوامض الكائنات
والتنقيب عن دقائقها وبين لهم أنهم لم يؤتوا من العلم إلا قليلاً - وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً - ثم دلهم على

مواطن التفكير والبحث وبين للناس بضرب الأمثال فيم يفكرون فقال جلّ شأنه - ومن كل شيء خلقنا زوجين - سبحانه الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون - وجعلنا من الماء كل شيء حيّ - الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهنّ - كلٌّ في فلك يسبحون - ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق - تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقرا منيرا - ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر - يوم تشقق السماء بالغمام - ألم نجعل الأرض مهادا * والجبال أوتادا - والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج -

القرآن هو الذي أعدّ العقول لفهم الفلسفة الاغريقية ودراسة العلوم الكونية فتصافى العلم والقرآن بضعة قرون لم يقع بينهما نفور ولا مشادة فقد كرم العلم ونوّه بالعقل وذمّ الذين يعطلون عقولهم ويتبعون أهواءهم إذ يقول في شأنهم - لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضلّ أولئك هم الغافلون - إن شرّ الدواب عند الله الصمّ البكم الذين لا يعقلون - ومنهم من ينظركم أفأتت تهدي العمى ولو كانوا لا يبصرون - ولانقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا - قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم أن نزلكموها وأتتم لها كارهون - نحن أعلم بما يقولون وما أنت عليهم بجبار * فذكر بالقرآن من يخاف وعيد - إن عليك إلا البلاغ - قد بينا الآيات لقوم يعقلون - لا إكراه في الدين - إنما أنت مذكر * لست عليهم بمسيطر - . القرآن هو الباب الذي خرج منه العقل الانسانيّ الكامل بعد أن كان طفلا فقد هداه الى النظر والاعتبار والاستنباط إذ يقول - إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب * الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه ففنا عذاب النار - وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون - واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها ونصريف الرياح آيات لقوم يعقلون - أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خاق الله من شيء وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأى حديث بعده يؤمنون - وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم -

كانت هذه الآيات وأشباهاها سببا في اطلاق الحرية العلمية للعقول البشرية فلما اقتبست منها أوروبا نهضت وأصبحت تسوس العالم وترشده الى ما فيه صلاحه . القرآن هو الذي أوجد العدد الجم من أعظم المؤافين في العلوم الشرعية والرياضية والطبيعية والفلكية وغيرها . ذلك بأن العلماء لما نظروا فيه تشعبت طرق تفكيرهم فمنهم قوم عنوا بضبط لهجاته وتحريك كلماته ومعرفة مخارج حروفه وهؤلاء هم علماء القراءة وقوم عنوا بالعرب والمبنى وما الى ذلك وهؤلاء هم علماء النحو . وقوم شغفوا بما فيه من الأدلة العقلية وهؤلاء هم علماء الكلام وتأملت طائفة منهم معاني خطابه فرأت منها ما يقتضي العموم ومنها ما يقتضي الخصوص ومنها ما هو مطلق ومنها ما هو مقيد ومنها ما هو مجمل الى غير ذلك وهؤلاء هم علماء الاصول وتلمست طائفة ما فيه من قصص القرون السالفة والأمم الخالية وهؤلاء هم أهل التاريخ والقصص . وتنبه آخرون لما فيه من الحكم والأمثال والمواعظ وهؤلاء هم الخطباء والوعاظ . وأخذ قوم علم الفرائض وحسابه من آيات الموارث . ونظر قوم الى ما فيه من الآيات الدالة على الحكم الباهرة في الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم وهؤلاء هم علماء الميقات

من هذا يتبين أن القرآن الذي نزل في البادية على أمية وقوم أميين لم يكن لهم إلا السننهم وقلوبهم - وكانت فنون القول التي يذهبون فيها مذهبهم لاتجاوز ضروبا من الصفات وأنواعا من الحكم مكن العلماء من أن يخرجوا من كل معنى علما برأسه وعلى عمر السنين أخرجوا من كل علم فرعاً حتى وصلت العلوم الى ما وصلت اليه في الحضارة الاسلامية التي أنجبت الحضارة الحديثة

كفالك بالعلم في الأئمة معجزة * في الجاهلية والتأديب في اليتيم
لا يزال الباحثون في القرآن الكريم يستخرجون منه ما يشير الى مستحدثات الاختراع وما يحقق بعض
غوامض العلوم . فمن ذلك قوله تعالى - أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما -
مما يؤيد ما حققه العلماء من أن الأرض انفتقت من النظام الشمسي وقوله تعالى - وألقى في الأرض رواسي
أن تميد بكم - مما يدل كما أثبتته العلماء على أنه لولا الجبال لمادت الأرض ببحارها واضطربت بأمواجها ولما
طاب للإنسان بها مستقر

وقوله تعالى - وجعل الشمس سراجا - وجعلنا سراجا وهاجا - مما يؤيد ما حققه العلم من أن الشمس
جسم مشتعل تبت النور والنار من ذاتها وترسلها الى سياراتها المرتبطة بها
وقوله تعالى - يامعشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا
تنفذون إلا بسطان - مما يشير الى حدوث الطيران وأنه سيكون منه نصيب للإنسان

وقصارى القول أن العقل هو القائم على فهم القرآن واستنباط ما فيه من الأسرار على اختلاف الأحقاب
والدهور لأن الذي جاء بهذا القرآن كان آخر الأنبياء من الناس ولا حاجة بالكمال الانساني لعبير العقول ينه
بعضها بعضا . ولذلك يقول الله تعالى - سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم
يكف بربك أنه على كل شئ شهيد - فلومحصت جميع العلوم الانسانية ما خرجت في معانيها من قوله تعالى - في
الآفاق وفي أنفسهم - وكلما تقدم النظر وتوفرت طرائق البحث ظهرت حقائق الكائنات ناصعة وتجلت
الاشارات التي انبثت في ثنيات القرآن - والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون - اه

هذه هي الخطبة التي تضمنها قوله تعالى - لقد أنزلنا آيات مبینات - فهذا هو التبيين القرآني الذي به
أقره (٧٠٠) عالم من أوروبا في هذه السنة أن القرآن سبب نهضة أوروبا وأنه ﷺ أعظم العالم . انتهى
الموضوع الأول

(الموضوع الثاني) هو ما نشرته (المجلة الاسيوية الفرنسية) من اعظام هذا الدين واقرار هؤلاء العلماء
بأنه دين الفطرة بمناسبة تقریظ هكتاني (نظام العالم والأمة) وأنا اخترت أن أثبت هنا قبولاً لنعمة الله وقياماً
ببعض الشكر له سبحانه على نعمة العلم ونعمة الحكمة والتأييد العظيم . ذلك أن هذا التقریظ الذي سأكتبه هنا
انما كتب سنة ١٩٠٨ أي منذ عشرين سنة وفي ذلك الزمن لم يكن لي تفسير للقرآن وانما هو كتاب (نظام العالم
والأمة) وهو عبارة عن ملخص للعلوم العصرية ممزوج ببعض الآيات القرآنية فلقى من هؤلاء العلماء الآنية أسماؤهم
اعظاما واجلالا للقرآن وتقریظا للكتاب . أفلا أجد الله عز وجل إذ عشت حتى وفقني هو لهذا التفسير فلا ثبت
مقاتلهم هنا فسيرا لقوله تعالى - لقد أنزلنا آيات مبینات - فهذا التبيين في خطبة صديقي (جادمولى بك) واجماع
علماء أوروبا الرسميين على عظمة التبيين في القرآن والتبيين الذي جاء في كتابي (نظام العالم والأمة) كلاهما
مصدق لقوله تعالى - ثم إن علينا بيانه - وقوله - سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم - وهاك نص هذه المقالة
(تقریظ كتاب نظام العالم والأمة)

(الجمعية الاسيوية الفرنسية والشيخ طنطاوى جوهرى والاسلام)

دهشت الجمعية الاسيوية الفرنسية من ظهور الحقائق في كتاب (نظام العالم والأمة) فلذلك نشرت
الجمعية المذكورة التي تدار بجمع من خول الدكتوراة العظام والفلاسفة الكبار من بينهم حضرات الآتي أسماؤهم
(١) الميسوبار بيه منار (٢) اوبارت (٣) ر. باسى (٤) شاقابه (٥) كليرمون جانو (٦) هالقي
(٧) هيبارت (٨) ماسيرو (٩) رينس ريفا (١٠) سيتار بمجلتها التي صدرت في شهرى يناير وفبراير
سنة ١٩٠٨ مرة (١) مقالة ضافية الذبول تحت العنوان الآتي

﴿ الشيخ طنطاوى جوهرى أستاذ اللغة العربية بالمدرسة الخديوية بالقاهرة ونظام العالم والأهم ﴾
 (أو الحكماء الإسلامية العليا (المجلد الأول) وعدد صفحاته ٤٣١ نشر في القاهرة سنة ١٩٠٥ م)
 إن كتاب ﴿ نظام العالم والأهم ﴾ الذى ظهر المجلد الأول منه هو أحد كتب عديدة ألفت للنشأة الحديثة الإسلامية وهذه الكتب بناها المؤلف على ﴿ نظريتين اثنتين * أولاها ﴾ أن الدين الإسلامى دين الفطرة أى ملائم للعقول الانسانية وموافق للطباع البشرية ﴿ ثانيتهما ﴾ أن هذا الدين على مقتضى ما قرره المؤلف يسوق الى استكناه جميع النواميس العلمية وسائر القوانين الطبيعية الشاملة لهذا الكون كله الناطمة لعقده ولقد وضع المؤلف قبل هذا الجزء ملخص الكتاب كله فى مؤلف صغير سماه ﴿ الزهرة ﴾ وأبان فيه أغراض الكتاب بجزأيه وهى (تسعة مباحث) شرحها شرحا وجيزا فى زهرته التى هى خلاصة الكتاب حتى تشمل الفائدة من لم يتسع له الزمن لدراسة الكتاب ونبتدى الآن بإيراد ما فى الكتاب من المباحث باختصار فنقول إن مباحثه ﴿ تسعة * الأول ﴾ أن الانسان مسوق بفطرته للعلوم عاشق للحكمة وكيف أن هذا الميل الجيب أوحى اليه معرفة الأعداد المنطوية فى نفسه وقاده الى استنتاج مضاعفات الأعداد وترتيبها من الواحد وإصاها الى أبعد غاية بل الى ما لا يتناهى مع ما اندرج فيها من عجائب الجبر والأعداد المتوالية ثم طبق ذلك على حساب الخطوط والسطوح والأجسام وانتهى به الى الفلك فحسب الأجرام السماوية بهذا الحساب ثم طبقها على النواميس الطبيعية وانتهى منه الى الله عز وجل مبدع الخلاق كلها والنفس المتضمنة ذلك كله ﴿ الثانى ﴾ بحث واسع فى علم الفلك الحقيقى والهيئة ﴿ الثالث ﴾ درس علم الطبيعة مع إيضاح قوانين (نيوتن) و (كبلر) ﴿ الرابع ﴾ مبحث واسع فى علم النبات وأعجب الخواص الغريبة لحياة النباتات ﴿ الخامس ﴾ مبحث مسهب فى الحيوان وسلسلة ارتقائه مقارنا بين مذهب اليونان والعرب وبين مذهب (داروين) من علماء الافرنج فى ذلك وشرح فيه مسألة ترتيب الحيوان شرحا وافيا جدا حتى أنه لم يأل جهدا فى إيضاح ما يسميه (داروين) بقاء الأصلح والأوفق للوجود والارتقاء الذى تسميه العرب دائرة الوجود وترتيب المواليد وارتقاء بعضها عن بعض بنسبة عجيبة . وقد ذكر المؤلف أن مذهب (داروين) كان معروفا قديما عند علماء العرب واليونان وأنه كان يسمى دائرة الوجود وانهم كانوا يقولون العالم مرتب هكذا (المادة الأثيرية . العناصر . المعدن النبات . الحيوان . الانسان . الملك) والله فوق الدائرة . وكانوا يربطون الانسان بالحيوان فى القرد والفلل والبلبل والحصان ولكنه ليس بالاشتقاق الذى يذهب اليه (داروين) ويقول المؤلف إن مذهب (داروين) محصور فى الانسان والحيوان فقط فهو لذلك قوس من الدائرة التى شرحها العرب وأن (داروين) ربط ما بين الانسان والحيوان بالقرد وحده فاستنتج من ذلك قصور (داروين) عن العرب من ﴿ وجهين * الأول ﴾ ضعف الرابطة ﴿ الثانى ﴾ قصور البحث على قوس من الدائرة ﴿ السادس ﴾ علم التشريح أى تشريح الجسم الانسانى ﴿ السابع ﴾ علم النفس وفيه شرح فوائدها وملكانها وتأثيرها فى العالم فى جميع الأزمان ﴿ الثامن ﴾ الوحدة العامة فى العالم وهى ظاهرة فى هيئة الأئمة ونظام الكون بمعنى أن هيكل الأئمة منطبق تمام الانطباق على هيئة نظام هذا الكون المتقن . وقد أثبت ذلك بإيراد آيات قرآنية وبآراء قدماء الفلاسفة كفيثاغورس والعلامة الفيلسوف الفارابى ﴿ التاسع ﴾ فى العمران الإسلامى والسعادة والحرية وجدول للعلوم والفنون التى يراها المؤلف موافقة لأن تعرض على بساط البحث والتحقيق لتنتشر فى هذا العصر الحاضر بين المسلمين وواجبات المعلمين الذين يخصصون أنفسهم لهذا التعليم . وأهم هذه الواجبات هو الرجوع دائما الى القرآن والسنة وقد ختم هذا المبحث بالغاية العظمى التى تنشأ عن السياحات شرقا وغربا طلبا لدراسة أحوال الأمم شرقية وغربية . وقد أنشأ المؤلف نظرية فى التوحيد أى (الوحدة العامة) عجيبة بظنة وحكمة وذكاء عجيبة ومهارة فائقة ودراية تامة منطبقة تمام الانطباق على مبادئ القرآن وملائمة كل الملائمة لما شرحه العرب من

دائرة الوجود والنظريات الافرنجية والدورة الفلكية وسلسلة المواليد الثلاثة في الطبيعة وهي نظرية الترقى من البسيط الى المركب ومن الجزء الى الكل التي بنى عليها المؤلف طريقة الوحدة العامة . وكما أن الواحد نشأ عنه جميع الأعداد التي لا تندهى فهكذا نشأت الأنواع التي لا تنتهى من فعل الله عز وجل (صفحة نمرة ٩٠ وما يليها) ولا جرم أن هذه منطقة تمام الانطباق على دوران الأفلاك ومذاهب العرب والافرنج في سلسلة الموجودات الطبيعية والمواليد الثلاثة . وللمؤلف عناية كبرى برّد كل اعتراض يمكن وروده عليه فهو بهذا دائم الاحتراس ولقد ألقى المؤلف على جملة من العلماء المسلمين لا المحققين (صفحة نمرة ١٨) ورماهم بجهل مقصود القرآن وغواه لقصورهم واقتصارهم على علم الفقه الاسلامي إذ ظنوا أنه وحده ينجي في الحياة الدنيا والآخرة وذكرهم بأنهم فاتهم أن المسيحيين بنبوغهم في العلوم العقلية والنواميس الطبيعية والحكمة والأدب قد سبقوا المسلمين شوطا بعيدا مع أن ماصرفوا فيه عنايتهم وأفرغوا فيه جهدهم هو مقصود القرآن والغرض الحقيقي منه . إن القارئ لهذا الكتاب يصادف عجبا عجابا فيه وأمرأ مدهشا غريبا . يرى أن المؤلف يقارن ما بين معجزة خليل الله ابراهيم المذكور في القرآن وهي آية الطير و ابراهيم - واذ قال ابراهيم رب أرني كيف نجني الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهون جزأ ثم ادعهن يأتينك سعيًا واعلم أن الله عزيز حكيم - (السورة الثانية آية ٢٦٢)

يقارن المؤلف بين هذه القصة وبين التحليل والتركيب الكيماويين للواء (صفحة نمرة ١٢٤) ذلك أن خليل الله ابراهيم طلب من الله دليلا ليطمئن قلبه ويصدق بطريق الحس والمشاهدة بمسألة البعث فأمره الله بذبح طيور معلومة فذبحها ثم قطعها ثم أمر بنداؤها فحيث باذن الله فكان ذلك اطمئنانا لابراهيم عليه السلام فن مهارة المؤلف المدهشة مقارنة لهذا التحليل والتركيب الكيماويين . وحقيقة انه لا فرق بينهما وبذلك صار علم الكيمياء من دلائل اليقين في التوحيد الاسلامي فصار طلبه من أهم علوم التوحيد والقرآن يأمر به وبالجملة فإن المؤلف بتفسيره العجيب الدال على حكمة عالية وعلم غزير واقتدار تام لآيات القرآن يثبت اتحادا تاما بين الاكتشافات المتجددة العصرية ومعاني القرآن ويستدل على ذلك بآيات من الكتاب المقدس (القرآن) صرح المؤلف في (صفحة نمرة ٦١) بأن من عرف تفسير القرآن والعلوم العصرية ولم يبين للناس اتحادهما ويفهمهم تلك الحقيقة فذلك آثم أشد الاثم لشدة حاجة المسلمين لذلك . وأكد في (صفحة ١٢٤) أن المسلمين الذين يظنون تنافي القرآن والنواميس العلمية هم أجهل الناس بالأمرين وأبعدهم عن كلا الحقيقتين ثم تمنى المؤلف أن تفرس بذور الفضائل الاسلامية في عقول المسلمين بعناية تامة حتى يجنب الشبان المسلمون ما أورثته المدينة الغربية لأبنائها والمفاسد الناشئة من اطلاق العنان للنفس وترك حبيلها على غاربها بلالجام يكبحها ولا زاجر يردعها

وقد شبه المؤلف مجموع الأئمة بالآلة ميكانيكية لن تظهر نتائجها ويدوم عملها إلا بصلاح كل جزء منها أولا وحسن تركيبها وانتظامها ثانيا . فكما أن الآلة لا تدوم إلا بقوة كل جزء منها وبحسن تنظيمها وتركيبها فهكذا الأئمة لا دوام لها إلا بصلاح أفرادها أولا وبالنظام الشامل والدستور المنظم لأجزائها المبني على العلم والحكومة العادلة ثانيا . هذا مقصود كثير من تعاليم الكتاب

نحن لا يسعنا إلا الاعتراف للشيخ طنطاوى جوهرى بسعة المدارك والاطلاع الواسع المقرون بعقل رزين وحكمة وذكاء . فانظر كيف أتى بالفلسفة العالية والنواميس الطبيعية وفنون الآداب العربية الواسعة وأبرزها بمهارة وعبرة عالية ثينة وبلاغة باهرة تفرق حسنا ونقيه عجبًا تكاد تسيل سلاسة ورقة كالماء الزلال سهولة وانسجاما مملوءة حياة وحكمة . وليس اجللنا لهذا الاستاذ لما تقدم فقط بل لأنه أيضا ترجم آراء مؤلفي الانكليز مثل (أفبري) و (سبنسر) و (داروين) وبحث في الفلسفة الاغريقية واللاتينية وجع زبدة آراء

جميع العصور المختلفة وحصرها في كتاب صغير بعبارة جميلة دقيقة كما وصفناها واتبع الفائدة أينما وجدها الشيخ طنطاوى جوهرى رجل فيلسوف حكيم بمقدار ما هو عالم بالدين وبهاتين الصفتين قد فسر القرآن الذى أثبت أنه دين الفطرة بما هو أكثر ملاءمة للطباع البشرية وموافقة للحقائق العلمية والنواميس الطبيعية أيما موافقة بخلاف فريق من العلماء الغابرين الذين وقفوا على القشور وجدوا على الألفاظ جوداً معيباً أدى إلى انحطاط المدارك الإسلامية في الأعصر المتأخرة فاتحطت بذلك الأمم الإسلامية . فبهذه المباحث يخاطب المؤلف الأمم الإسلامية عموماً وعشاق البحث من كل أمة ويحاول إزالة الغشاوة عن أعين الأمم الإسلامية وتحرير عقولهم من الجود الخيم عليها في جميع الأقطار وسائر الممالك على اختلاف مذاهبهم وتباين مشاربهم حتى أنه لا يخص مذهبا دون مذهب ولا مملكة دون مملكة بل إنه فوق ذلك يخاطب كل عاقل يريد الحياة والاطلاع على الحقائق من أى دين وأى نحلة ببلاد الشرق لأن بحثه عام في الكائنات ونداءه عام حتى يلتحق الشرق الأدنى بالأمم الغربية في المعارف والعلوم والمدنية والحضارة . انتهى

وبعد أن انتهت المجلة من تخطيطها كتاب ﴿ نظام العالم والأمم ﴾ كتبت كلمة عن كتاب ﴿ التاج المرصع ﴾ ترجنا منها ما يأتي

هذا المؤلف أهدى إلى (الميكادو) ليقدّم إلى مؤتمر الأديان الذى انعقد في سنة ١٩٠٦ م باليابان . إن حالة المؤلف بالإشارة ولسان الحال للقارئ على كتاب ﴿ نظام العالم والأمم ﴾ في كثير من مباحث الكتاب يدلنا على أن الكتائين يرميان لغرض واحد وأن كتاب ﴿ التاج المرصع ﴾ كنتم ﴿ لنظام العالم والأمم ﴾ وقد وعد حضرة محمود سالم بك المؤلف أن يترجمه إلى اللغات الأوروبية في حين أن شابا قازانيا ترجمه فعلا إلى اللغة التركية ونشره في فارس والروسيا وختم مقدمته بنشر صورة الجواب الذى أرسله إلى (الميكادو) وذكر موضوعه وسبب وضعه . إن القارئ لهذا الكتاب يستنتج أن من اطلع على الحقائق العلمية ودرس غوامض الفلسفة وخلا من الغرض والتعصب فإنه يجد بها منطبقة تمام الانطباق على الدين الإسلامى . انتهى

التقرير . وقد ترجم من الفرنسية بقلم محمد أفندى عبد العزيز والرحوم صالح بك جدى حماد

﴿ أنواع تبين القرآن في الارشاد خاصة ﴾

اعلم أن ما تقدم من الخطبة التى ألقيت في جماعة المستشرقين وما ذكرته الجمعية الاسيوية الفرنسية إنما ذلك في التبيين العام ، أما التبيين في الارشاد خاصة فإنه على ﴿ ثلاثة أقسام ﴾ تبين هو موعظة وتبيين هو مجادلة وتبيين هو حكمة كما قال تعالى في (سورة النحل) - ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن - فهل تحب أيها الذكي أن أحدثك عن هذه الثلاثة . نعم أحدثك لأن الله اختصر الكلام في القرآن وفي حديث رسول الله ﷺ كما ورد ﴿ أوتيت جوامع الكلم واختصر لي الكلام اختصارا ﴾ فإذا أطلت الحديث فهو جيل وبيان قال تعالى - وأزلنا عليك الكتاب تبينا لكل شئ وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين - . أما الموعظة الحسنة فقل - الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة - الخ ومثل آية الكرسي - الله لا إله إلا هو الحي القيوم - الخ إذ ملخصها بيان عظمة الله من حيث قدرته ومن حيث علمه فعظمته من حيث قدرته في قوله - له ما في السموات وما في الأرض - الخ وعظمته من حيث علمه في قوله تعالى - يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم - الخ وهذه تكفي للعموم . وأما المجادلة بالتي هي أحسن فقل قوله بعدها - ألم ترالى الذى حاج إبراهيم في ربه - فإن ملخصها محاجة إبراهيم عليه السلام للزمرود بابل ولما كان الجدال يجب أن يكون في موضوع يقربه الخصم إذا سمعه والقوم كانوا صابئين يعبدون الكواكب ذكر له إبراهيم عليه السلام سير الشمس فأعجزه إذ قال له إذا قتلت رجلا مجرما وعفوت عن آخر واعتبرت أن هذين إماتة وإحياء فإذا تفعل بالشمس ؟ إذ أتى الله بها من المشرق فلتأت بها أنت من المغرب . فهناك بهت

الذى كفر وهذه مجادلة والمجادلة ترجع لازام الخصم . وقد قال العلماء انها لا تكون إلا مع المعاندين وهم ليسوا في الدرجة العليا من التفكير ولم يبقوا مع العامة يؤمنون بالتقليد . أما أهل الحكمة فالخجة تقام لهم فاعجب كيف ذكر الله ذلك في (سورة الأنعام) فقال - وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين - فذكر الكواكب والقمر والشمس وانتهى بقوله - إني وجهت وجهي للذى فطر السموات والأرض حنيفا - وانما وجهه له لأنه وجد الكوكب آفلا والقمر آفلا والشمس آفلة فقال أنا لا أحب الآفلين لأن الآفلين منتقلون والمنتقل حادث فكيف أحب من يغيب عنى والله لا يصح أن يغيب عنى لأنه يمسك السموات والأرض أن تزولا وذلك لأن المادة كلها عبارة عن عناصر ترجع الى ذرات كهربائية والكهرباء والنور حركات في الأثير والحركات أعراض فلولا أن هناك ممسكها يد مجبها وبثبتها لم يكن لنا وجود - كل شئ هالك إلا وجهه - فكيف أحب ما حركته وانتقاله دالان على أن وراء من له الحكمة والجمال والعلم والقدرة والتصرف والحب انما يتوجه الى القوة والجمال والعلم وأى قدرة أعظم وعلم أحكم وجمال أبهى وغنى اوسع مع الدوام في ذلك كله إلا في الله . لذلك وجهت وجهي اليه ولذلك قال تعالى - وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم - فهذه الخجة المذكورة في الأنعام هي المعبر عنها بالحكمة في (سورة النحل) ولم يقل الله في حاجة الترويض ذلك فلاذكر انها حجة ولاقال بعدها - نرفع درجات من نشاء - بل قال - فهبت الذى كفر - وهذه من أعجب وأبدع ما جاء في القرآن من اللطائف وانما لم أكتبها في (سورة البقرة) أوفى (سورة الأنعام) لأن الله لم يفتح على بها إلا الآن في هذه الآية مع انها بالبقرة والأنعام أولى وأحق والله هو الهادى القائل في هذه السورة - والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم - فلنسر على هدايته ونكتب ما فتح الله به والحمد لله رب العالمين

ومن الحكمة التى لا تعرف إلا بعد البحث والاستقصاء والتى لم تظهر ثمرتها إلا في زماننا اظهارا لمعجزات القرآن الحكيم وقد كانت مجله غير مفصلة في الأزمان الغابرة ما جاء في (سورة البقرة) أيضا بعد آية الكرسي بضع آيات إذ يقول الله في ثانيا الكلام على الاتفاق والتحرىض عليه - الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم * يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب - فاعجب للقرآن الذى يبين للناس أمورا دقيقة مثل هذه المسألة . ألم تر أن زماننا ظهر فيه هذا بأجلى بيان (اقرأ كتابي أين الانسان) الذى أرسلته لمؤتمر الأجناس . ألم تر أن البرهان قام على أن سعادة الناس كلهم بأن تكون العقول كلها قد وصات الى أقصى ما يصل اليه الامكان وبأن الأرض كلها تستخرج منافعها وأن المجموع الانسانى يكون كله متعاوناً وأن التتصير في هذا صار بالمجموع . إذن اتفاق المال للفقراء الوارد في شريعتنا الغراء جزء من المساعدة العامة للانسانية فالشرقي والغربي يظهر آثار عقولهم وآثار منافع أرضهم يصعدون في سعادة لم يحلم بها الأولون وهناك يظهر سر قوله تعالى - حتى تضع الحرب أوزارها - وسر أنه ﷺ رحمة للعالمين وأى رحمة أعظم من أن تنزل آيات محرضات على بذل المال للنافع العامة ثم يدخل في غضون تلك الآيات ما يفيد أن الحكمة هي الخير الكثير وأن هذه الحكمة لا يتذكرها إلا أولوا الألباب . فالحكمة أجل شئ بيتنى ولماذا يذكرها الله عند التحريض على الاتفاق ولم يذكرها في موضع آخر من القرآن مع ان الصلاة أفضل من الزكاة وقد قال في الصلاة - إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر - ولم يذكر الحكمة بعدها كصنع في آية الاتفاق ولم يقل ان الحكمة خير كثير ولم يمدح أولى الألباب بعدها . فلعمر ك ما ذاك إلا لما اندمج في مسألة الاتفاق من المساعدة العامة والشيطان من عادته أن يفهم الانسان أن المدار على سعادته وحده وعلى منفعة الخاصة والله يحب منا منفعة العموم ومنفعة العموم ترجع لاسعادتنا أيضا . فالنفع العام أدخل في اصلاح الأفراد من اقتصار الأفراد على النفع

الخاص . وملخص هذا أن الناس ﴿ قسيمان ﴾ قسم لا يجب الانفسه فيسعى لها وهو لا يبالى بالمجموع وقسم يسعى للمجموع مع محافظته على نفسه . فالأول خال من الحكمة والثاني متصف بها . والأول تعاليمه شيطانية والثاني تعاليمه حكمية والاسلام جاء للحكمة العامة لا للخاصة وقد نشر في الشرق والغرب في مدة قليلة ولكن لما اعتنق الاسلام أتم لا يعرف أسرار اللغة العربية خرج منهم ملوك وعلماء قنعوا من الدين ببعضه وعكفوا على شهواتهم وسخروا الأمم لها فقال الله لهم كفوا أيها الماسمون ودعوا حكم عبادي وسأنتشر الاصلاح في الأرض على يد من أشاء فظهرت حركة الاصلاح في أوروبا وأمريكا واليابان وهناك جمعية تسمى جمعية الامم باوروبا وقد قدمت لك أن هذه لم تقم بالواجب لأنها جمعية لفظية لا معنوية وقد ذكرت هذا المعنى في أول (سورة الأنفال) وقد طابق ذلك ما أعلنه محافظ كابول من (أفغانستان) في خطبة له بمصر ذكرت فيها عند قوله تعالى - يا أيها الرسل كلوا من الطيبات - الى قوله - وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاقفون * فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا - فارجع اليه في (سورة المؤمنين) . فها هو ذا الزمان قد آن أن يستدير ويرجع الأمر للمسلمين ومن معهم ويقومون باصلاح النوع الانساني هم ومن معهم من الأمم . وهناك تظهر الحكمة في قوله تعالى في (سورة البقرة) - ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا - الخ الذي هو قسم من أقسام الحكمة المذكورة في (سورة النحل) الداخلة في قوله تعالى هنا - لقد أنزلنا آيات ميّينات - . فهذا هو التبيين في القرآن ، ففي القرآن تبيين ولكن الله ادخر كثيرا منه لأهم تعقله وتلك الأمم ترجع الدين لحاله في العصر الأول أولئك الذين كانوا يراعون المنفعة العامة حتى انهم اذا حاربوا أهل الكفر وقائلوهم لم يراعوا إلا المصلحة العامة فقتل صناديد قريش في واقعة بدر وأمثالها يرجع الى اصلاح آلاف مؤلفة بقتل أفراد قليلة كما أن نهر النيل والفرات والهواء والنار والشمس نافعات للعموم ضارّات للقليل كإغراق ناسك وموت صبي بهواء فاسد وإحراق عجوز وموت شيخ بضربة الشمس فهلاك هؤلاء لا يقدح في اسعاد المجموع . ومن عجب أن (بنجام) الانجليزى مؤلف ﴿ أصول القوانين ﴾ قد ننحنا نحو هذا الجعل القوانين مبنية على أن العموم مقدم على الخصوص وأن قتل القاتل وان آذى أهله فقد سرت الناس كلهم والمسرّة العامة خير من الخاصة . ولم يكن هذا الاهلاك مقصودا بذاته من خلق الهواء والماء والشمس . كلا . بل المقصود النفع العام . هكذا قتل بعض الكفار في بعض الحروب قصد منه الحكمة التي قصدت في خرق السفينة وقتل الغلام كلاهما لاصلاح أعم نغرق السفينة لتبقى في يد أصحابها الأيتام فلا يأخذها الملك غصبا وقتل الغلام لأن العلم بمصلحة أعم لذويه أوجب قتله وقد راعى المصلحة عمر رضى الله عنه فلم يقطع اليد أيام المجاعة بالسرقه في قصة سرقة الإبل المذكورة في سورة الكهف (راجع هذا المقام كما هناك) فسترى كلام علماء الاسلام وما كتبه مع كلامهم هناك لتعلم أن دين الاسلام جاء للحكمة العامة وأن فيه أسراراً يبينها الله في هذا الزمان وهذا هو الذي فتح الله به قبيل فجر يوم الخميس ٢٧ ديسمبر سنة ١٩٢٨ وفي نفس صلاة الصبح عند قراءتي في الصلاة - وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين - والحمد لله رب العالمين

﴿ الجوهرة الثانية من قوله تعالى - وعد الله الذين آمنوا منكم - الى قوله - وما أواهم النار ولبنس المصير - ﴾ قال تعالى (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات) خطاب لرسول الله ﷺ ولأئمة وأقسام (لنستخلفنهم في الأرض) أي ليجعلنهم خلفاء متصرفين في الأرض تصرف الملوك في ممالكهم (كما استخلف الذين من قبلهم) مثل بني اسرائيل إذ استخلف داود وسليمان وغيرهما من الأنبياء وأورثهم هم وقومهم بني اسرائيل أرض الجبارة وديارهم (ولم يكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم) وهو الاسلام بالتقوية والتثبيت (ولم يبدأنهم من بعد خوفهم) من الأعداء (أمننا) منهم ثم استأنف لبيان المقتضى للاستخلاف فقال (يعبدوني لا يشركون بي شيئا) الجلة حال من الواو في يعبدوني أي يعبدوني غير مشركين (ومن كفر) أي كفر هذه

النعمة (بعد ذلك) بعد الوعد أو حصول الخلافة (فأولئك هم الفاسقون) الكاملون في فسقهم إذ كفروا تلك النعمة (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول) في سائر ما أمركم به (اعلمكم ترجون) أى أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول على رجاء الرحمة (لاتحسبن الذين كفروا معجزين في الأرض) أى لاتحسبن يا محمد الكفار معجزين الله عن ادراكهم واهلاكهم وفي الأرض متعلق بمعجزين (ومأواهم النار) عطف عليه من حيث المعنى كأنه قيل الذين كفروا ليسوا بمعجزين ومأواهم النار (وللبئس المصير) أى المأوى الذى يصبرون اليه وهنا . ﴿ أربع لطائف ﴾

﴿ اللطيفة الأولى في قوله تعالى - وعد الله الذين آمنوا منكم - الخ ﴾

قيل ان النبي ﷺ مكث بعد الوحى عشر سنين مع أصحابه وأمروا بالصبر على أذى الكفار فكانوا يصبرون ويمسكون خائفين ثم أمروا بالهجرة الى المدينة وأمروا بالقتال وهم على خوفهم لايفارق أحد منهم سلاحه فقال أحد منهم أما يأتى علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح فأنزل الله هذه الآية . ومعنى ليستخلفنهم والله ليورثنهم أرض الكفار من العرب والحجم فجعلهم ملوكها وساستها وسكانها وقد أنجز الله وعده وأظهر دينه ونصر أوليائه وأبدلهم بعد الخوف أماناً وبسطا في الأرض * روى البخارى عن عدى بن حاتم « قال بينا اناعند النبي ﷺ إذ أتاه رجل فشكا اليه الفاقة ثم أتاه آخر فشكا اليه قطع السبيل فقال يا عدى هل رأيت الحيرة قلت لم أرها ولقد أبتت عنها قال فان طالت بك حياة فلترين الطعينة ترحل من الحيرة حتى تطوف الكعبة لاتخاف أحدا إلا الله قلت فيما بيني وبين نفسي فأين دعار طي الذين قد سعروا البلاد ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى قلت كسرى بن هرمز قال كسرى بن هرمز ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله منه فلا يجد أحدا يقبله منه وليلقين الله أحدكم يوم القيامة وليس بينه وبينه ترجان يترجم له فليقولن ألم أبعث اليك رسولا فيبلغك فيقول بلى يارب فيقول ألم أعطك مالا وأفضل عليك فيقول بلى يارب فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم وينظر عن شماله فلا يرى إلا جهنم قال عدى سمعت رسول الله ﷺ يقول انقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد شق تمرة فبكلمة طيبة قال عدى فرأيت الطعينة ترحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لاتخاف إلا الله وكنت فيمن فتح كنوز كسرى بن هرمز قال ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال أبو القاسم ﷺ يخرج الرجل ملء كفه ذهباً الخ * وعن سفينة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول ﴿ الخلافة بعدى ثلاثون ثم تكون ملكاً ثم قال أمسك ﴾ ولقد كانت خلافة أبى بكر سنتين وثلاثة أشهر وخلافة عمر كانت عشرين سنة وستة أشهر وخلافة عثمان اثنتى عشرة سنة وخلافة على أربع سنين وتسعة أشهر فتكون خلافة الخلفاء الراشدين إذن تسعا وعشرين سنة وستة أشهر وكانت ثلاثين سنة بخلافة الحسن وهى ستة أشهر ثم نزل عنها معاوية

﴿ اللطيفة الثانية ﴾

قال أهل التفسير في قوله تعالى - ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون - ان أول من كفر بهذه النعمة وحجدها ولم يقم بواجبها أى بواجب نعمة النصر والتحكين في الأرض والأمن الذين قتلوا عثمان . فلما قتلوه غير الله ما بهم وأدخل عليهم الخوف حتى صاروا يقتتلون بعد أن كانوا اخوانا

﴿ اللطيفة الثالثة ﴾

أين وعد الله للمسلمين اليوم وهم في الأرض خائفون وجلون . لأذكرك ما كتبه في كتاب ﴿ القرآن والعلوم العصرية ﴾ على هذه الآيات تحت العنوان الآتى

﴿ الاسلام دين علم وعمل ﴾

أيها المسلمون . الاسلام دين علم وعمل . ولما ضلت الممالك الاسلامية الكبرى سواء السبيل جهلت العلوم

الكونية والعقلية لم يصلحوا لهداية العالم المتعلم فنبذهم الاسلام فلم ينصروا على أعدائهم من الاوروبيين وأصبح
المسلمون يلتمسون العلوم من الأمم الاوروبية ويستضيئون بأنوارهم ويهتدون بهداهم ويرتوون من
مواردهم ويكرعون من مشاربهم . أوليس ذلك دليلاً على أن الأمم الاسلامية الكبرى جهلت الحقائق
وظنت أن المسلم لا يعنيه العلم والجهل يكفيه والقوت يرضيه وهو غافل عما أبدع الله في الأرض والسموات وبرأ
فيهما من البدائع وأحسن فيهما من صنع وأبدع وأجاد وذراً من كل زوج بهيج . لهذا السبب ذهبت الأمم
الاسلامية فأصبحوا لا ترى إلا آثار آبائهم لأن الجهل بالعلوم خيم فيما بينهم وضرب عليهم سرادقته فضر بهم
الدهر ضرباته فذل العزيز وعزّ الدليل وخضع العظيم وعظم الحقير - قل اللهم مالك الملك توفى الملك من
تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعزّ من تشاء وتذلّ من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير -

كنّا الجهابذة الكبار * كم قائد سلك القفار

وبحشنا قطع البحار * وطنى على أعدانا

إنّا ملكنّا المشرقين * إنّا ملكنّا المغربين

إنّا قرأنا الحكمتين * العلم والإيمان *

ألستم أنتم السواد الأعظم في الكرة الأرضية . ألم يأمركم الله أن تأخذوا حذركم وتبنوا مجدكم وترفعوا
رؤسكم وتعلموا ما نشر الله في الأرض من علم وما أنعم به من صناعة

(فصل في وعد الله للمسلمين بالتمكين في الأرض والاستخلاف فيها)

ألم يقل لكم في كتابكم الكريم - وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض
كما استخلف الذين من قبلهم وليكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني
لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون -

أليس هذا كلام ربكم المنزل على نبيكم وأتمم الخطابون به . فبالله عليكم يا معاشرا المسلمين في أقطار الأرض
أنتم اليوم أكثر عدداً وأعظم مدداً فإذا جرى حتى عجبنا كل العجب من أنا مسلمون وقد تخطفنا هذا الوعد
بأن يستخلفنا الله في الأرض ويمكن لنا في الأرض ويبدلنا من بعد خوفنا أمنا والتمكين فيها وتبدلنا من
بعد خوفنا أمنا وعد من الله لنا والله لا يخلف وعده قال تعالى - ومن أوفى بعهده من الله -

يعجب المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها . المسلمون الذين يبلغون ٣٥٠ مليوناً من بني آدم يعجبون
ويقولون نحن مسلمون ونحن نعمل الصالحات فأين استخلفنا في الأرض ؟ ونحن أينما توجهنا فالقتل على
رقابتنا والذل محيط بنا وأمم الفرنجة يطاردوننا

(فصل في أن المسلمين ينقصهم أمران الاتحاد والعلم)

أقول على رسلكم يا معاشرا المسلمين لاتظنوا أن عمل الصالحات قاصر على ما تعملون فإنكم ينقصكم أمران
الاتحاد فيما بينكم عريكم وعجميكم وأبيضكم وأسودكم وأصفركم والعلم بما ذرأ الله في السموات والأرض من
عجائب الخلقة وبدائع الحكمة ونظام البرية وما أبدع في السموات من كوكب وما بث في الأرض من دابة
ونبات . ودليلي على ذلك قوله تعالى - أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء وأن
عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأي حديث بعده يؤمنون - . بهذا أنذركم الله إذ قال - وأن عسى أن
يكون قد اقترب أجلهم - فكأنه وعد بالاستخلاف المتقدم للأمة الاسلامية الناضرة في ملكوت السموات
والأرض المفكرة فيما خلق الله المتعلمة كل صناعة وحرفة حتى لا يفوتها صنعة من المدفع الى الابرة ومن القطار
الى المنشار ومن علم الطيب والبيطار الى صناعة الموسيقى . نعم وعدنا الله بالاستخلاف في الأرض اذا فقهنا
وعقلنا كلامه

أوليس من العار أننا غفلنا عن السير في الأرض والأخذ بما هو أجل وأحسن وقد عثلت الأمم وتعلمت وجهلنا وارتقوا وانحططنا فلذلك جاء القرآن موبخاً ومنكراً على الجاهلين (بما أبدعت الأمم من الصناعات وما أنشأت من المصانع وما أحكمت من بناء وما عممت من زراعة وما أحسنت من صناعة وما أقامت من سياسة وما نظمت من طرق وما أرسلت من قطار وما أطارت من بخار وما سيرت في الجوّ من طيارات ومناطيد وما بنت من مدارس وما علمت من تلاميذ وما رفعت من صروح) فقال الله تعالى - أفلم يسيروا في الأرض فسيرون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها -

ولما كان السامعون كثيراً ما يسيحون في الأرض ويرجعون إلى أوطانهم يخفي حنين ثم هم لا يندرون قومهم إلا قليلاً ولا يعتبرون بما رأوا ولا يرسلون جماعات منهم تتعلم إلا قليلاً أردفه الله بقوله - فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور -

أيها السامعون . انه لينقصكم (أمران) الاتحاد والعلوم فإذا اتصفتم بهما تم وعد الله لكم في الأرض بالاستخلاف والتمكين في الأرض وأن يدل خوفكم أمناً في الآية المتقدمة . وهذا إذا سأشرح لكم كيف تتحدون وكيف ينشر العلم بينكم

(ضرب مثل لحال المسلمين مع غيرهم)

ألا إنما مثل المسلمين المستبصرين وغيرهم كمثل جماعة سافروا في طريق طويل فأخذ جماعة يركبون الابل والبغال والحير والخيول وأخذ جماعة آخرون يركبون القطار فتخلف الأولون وفاز الآخرون وحجة الأولين انهم يتبعون ماسن آبائهم ويتغنون بحدائهم ويتغنون بأشعارهم فوق إبلهم . وحجة الآخرين أن العقل يقضي أن نأخذ بالأحسن والأقوى والأسهل ويقولون قال الله تعالى - فبشر عباد الذين يستمعون القول فينبعون أحسنه - فأنه عز وجل بشر العباد الذين يتبعون أحسن القول . ولا جرم أن القول يركوب القطار أحسن من القول يركوب الابل . أفليس من العار علينا أن يسبقنا الأمم ونحن عاقلون مفكرون

(معنى الجهاد)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم * تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون * يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم * وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب -

هذه الآية ذكر فيها الله لنا تجارة ودلنا عليها وجعل تلك التجارة تنجي من عذاب أليم ؟ ما هي تلك التجارة ؟ هي أن تؤمن بالله ورسوله وتجاهد في سبيل الله بأموالنا وأنفسنا وضمن لنا بذلك أمرين الجنة في الآخرة والنصر في الدنيا . طلب الله منا أمرين وضمن لنا أمرين . طلب الإيمان والجهاد وضمن الجنة في الآخرة والنصر في الدنيا . أما الإيمان فعلوم وأما الجهاد فأننا أشرحه لكم . يظن الجهال أن الجهاد إنما هو حرب الكفار وحده . كلا . ان الجهاد كما نص عليه علماء الفقه لا يخص حرب العدو بل يشمل سائر الأعمال العامة فترقية الصناعة والزراعة ونظام المدن وتهذيب النفوس وإعلاء شأن الأمة كل ذلك جهاد لا ينقص عن توجيه البندقية والمدفع إلى صدر العدو

إن الصف المجاهد المحاذي للعدو لن يقدر على هذا الموقف إلا إذا كان وراءه حكومة في بلاده منظمة فيها صناعات محكمة لتصنع له المدافع والبنادق وتزج الأرض وتسمدها وترسل له الذخيرة فمن ظن أن زارع الأرض المستخرج مافها والحداد والصانع للمدافع والقطار والتجار المكمل لكل منها - ما والحجاز الخابز هما

والمجندى . من ظن أن هؤلاء أقل أجرا في الآخرة من الجندى الذى أحضرت له أعمال هؤلاء وهو فى معصية القتال فقد جهل الدين وطاش سهمه وهو من الغافلين

إن النبي ﷺ لما رجع من إحدى غزواته قال ﴿ رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر جهاد النفس ﴾ أفليس ذلك بأمعاش المسلمين دليلا على أن جهاد النفس أرقى من جهاد العدو وجهاد النفس بترك الكسل وباحكام الصنعة وبترقية شأن الأمة وبالسباحة فى الأرض وبتترك الشر وتهذيب النفس . فلمهذب لنفسه مجاهد والمحكم لصنعة مجاهد والمسافر ليعلم المسلمين ما شاهد مجاهد والعالم مجاهد . ولقد ورد مامعناه أن مداد العلماء كدم الشهداء . ولعمري لقد عظم أمر العالم وفاق شهيد المعركة . ذلكم العالم الذى يزرع العلم والبركة فى نفوس آلاف من الناس هو خير من آلاف من الشهداء

هأنذا قد بينت معنى الجهاد والایمان واضح من نفسه . ولا جرم أن الله ضمن لمن جاهدوا هذا الجهاد أن يدخلهم الجنة وينصرهم على عدوهم . فليجاهد المسلمون وليعرفوا جميع العلوم والصناعات التى منها العدد الحرية والآلات الصناعية والخدع الحربية والسياسات المدنية فان الله ضامن لهم النصر . هذه سنة الله ولن تجد اسنة الله تبديلا . ولن تجد لسنة الله تحويلا . وليس النصر مضمونا لنا ونحن غافلون . ان الله أمرنا بالنظر والتعقل والتفكير . أوليس هو سبحانه القائل للمسلمين وهم يصلون صلاة الخوف فى الحرب - وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم وذ الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلا واحدة - فإذا كان الله يقول لنا ونحن فى الصلاة وقت الحرب خذوا حذركم خذوا أسلحتكم فان الكفار ربما مالوا عليكم ميلا واحدة فقتلوكم . فهل منزل هذا يرضى عن أمة تنام عن العلوم والمعارف والصناعات . هل ينصر الله أمة غافلة إن الله وعدنا النصر بعد الجهاد الكامل بالعدد التى تناظر ما عند العدو التى صرح بها فى قوله - وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم - ولقد أطلت فى هذا المقام لتبين السبيل والحمد لله رب العالمين

﴿ الاطيفة الرابعة . ايضاح قوله تعالى - ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون - ﴾
ليجب المسلمون من هذا القرآن الحكيم كيف أخبر أن الله سيمكن للمسلمين فى الأرض وقد تم هذا كما تقدم وكان الخلفاء الراشدون وغير الراشدين ثم كيف ملكوا أكثر المعمورة قديما وهذا معروف مشهور ثم انظر كيف كان الأمر بالعكس فى القرون الأخيرة وكيف أخبر الله أيضا بذلك إذ قال - ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون - . يخبرنا الله بما هو حاصل اليوم فى بلاد الاسلام . ولعلك تقول هل المسلمون كفروا أقول لك هذه النعمة هى السبب فى الجهل العام فى الاسلام . يحمل الناس الكفر على كفر الدين . ولكن الكفر هنا كفر النعمة . ألا ترى كيف قال المفسرون رحيم الله تعالى ان أول كفر للنعمة كان بقتل عثمان ولو أن الصحابة والتابعين رأونا فى هذا العصر لقالوا قد كفر المسلمون بنعمة ربهم لأنهم قد تركوا الملك الذى أعطاه الله لهم . تركوه وما حفظوه . لم يحفظوا الملك أى لم يحفظوا النعمة أى تركوا بلاد الله فلم يعمروها وتركوا ما فيها من الكنوز والمنافع وتاموا على بساط الراحة . فيا عجبا للإسلام . أياظن أن الله يعطيه الأرض ويملكه إياها ثم هو ينام ولا يصلحها ولا يقوى عمرانها ويبقىها فى يده . كلا . إن الله قيوم أى قائم بتسيير الملك فمن لم يكن متخلقا بخلقه خلعه من ملكه وأقصاه وهذا هو معنى قوله - ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون - سيقول جهول من الذين ينتمون للإسلام . حينئذ قد حكمت على أمة الاسلام اليوم بأنهم فاسقون أقول أنا لم أحكم وإنما أذكر أمثال هذا بما قاله علماؤنا أن جميع العلوم والصناعات فرض كفاية والمسلمون اليوم عالة على أوروبا فلا كفاية لديهم من هذا القبيل وفرض الكفاية متى ترك كانت الأمة كلها آتمة لهذا الترك فاذن المسلمون اليوم آثمون بترك العلوم والصناعات وهذا الاثم قد عاقبنا الله عليه باحتلال الأمم الغالبة بلادنا واذلنا

وهذا عذاب مهمل وسنكون جميعا في الآخرة ملومين . فهذا معنى كفر النعمة الذي سمي الله المتصفين به فاسقين ولم يسمهم كافرين كفرا مطلقا . فالسالمون اليوم متمتعون بنعمة الايمان الساذج وليسوا متمتعين بنعمة اصلاح الأرض والله عز وجل حكيم لا يعطى الشيء إلا المستحقه ومستحقه هم العاملون لارتقائه فأصبحت الآية فيها (مجتزأتان) فصدرها اصدر الاسلام وعجزها لاأثم المتأخرة والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم ولكم في هذا القرآن من عجائب وغرائب وما كان ليدور بخلدى قبل كتابه هذا التفسير أن فيه كل هذه العجائب - إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم -

وقبل أن أترك هذا المقام أشير الى أمر آخر ذلك أن الحديث أبان فيما تقدم كيف يكون الامن في الاسلام وقد تم ذلك كما تقدم وبقى هناك أمر وهو الذهب والفضة اللذان يعرضان فلا يقبلهما أحد فذلك لم يتم الى الآن ولعل المستقبل كفيل به فان النوع الانساني اذا أصبح وقد ترك النقود كما يقول (الباشفية) وأصبح التعامل بالمبادلة فان النقود إذن لا لزوم لوجودها . أقول ربما اضطرت الدول الحالية الى الاتحاد شرقا وغربا (فقد تذبذبت الشرق) وتعاملوا بالدوية وألغوا النقود كدولة البلشفيك وهناك يتم معنى الحديث إذ لا فائدة للذهب ولا للفضة بل الرجل يعمل لمصلحة الجميع ويأخذ ما يكفيه . انتهى الكلام على الجوهرة الثانية ﴿ الجوهرة الثالثة من قوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم - الى قوله تعالى - كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون - ﴾

روى عن ابن عباس قال وجه رسول الله ﷺ غلاما من الأنصار يقال له مدحج بن عمرو الى عمر بن الخطاب وقت الظهيرة ليدعوه فدخل فرأى عمر بحالة كره عمر رؤيته عند ذلك فأمر الله هذه الآية وروى أيضا أن أسماء بنت مرثد كان لها غلام كبير فدخل عليها في وقت كرهته فأنت رسول الله ﷺ فقالت ان خدمننا وغلاننا يدخلون علينا في حال نكرها فأمر الله هذه الآية . وملخصها أن العبيد والاماء والأحرار الذين لم يبلغوا الحلم ولكن عرفوا أمر النساء وهم في سن التمييز يجب * وقيل يسئ أن يستأذنوا لأجل الدخول في ﴿ ثلاث أحوال ﴾ وهي من قبل صلاة الفجر وفي منتصف النهار حين يضع الناس ثيابهم للقبولة ومن بعد صلاة العشاء لأنه وقت التجرد من ثياب اليقظة والاتحاف بثياب النوم . فهذه أوقات ثلاث عورات لأن كل واحد من هذه الأحوال عورة لأن الانسان يختل تستره فيها . ومعنى العورة الخلل ومنها الأعور المختل العين وهذا هو قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم ﴾ وهذا القول رجوع لتتميم الأحكام السابقة بعد ما ذكر من الاطيات ما يشرح الصدور وبوجب الاذعان ويفتح الأذهان والذين ملكت أيماننا هم العبيد والاماء (والذين لم يبلغوا الحلم منكم) يعني الاحرار الذين ظهروا على عورات النساء ولم يبلغوا الحلم وهم في سن التمييز وبلوغ الحلم يكون بالاحتلام فان لم يحتلم وبلغ خمس عشرة سنة فقد بلغ عند الشافعي ولا يرى أبو حنيفة بلوغ الجارية إلا اذا بلغت سبع عشرة سنة ولا الغلام إلا اذا بلغ ثمان عشرة سنة . فأما أبو يوسف ومحمد وأحمد فقد وافقوا الشافعي في أن الغلام والجارية يحكم ببلوغهما متى بلغا (١٥) سنة وقوله (ثلاث مرات) أي ليستأذنوا في ثلاث أوقات هي (من قبل صلاة الفجر) الى قوله هي (ثلاث عورات لكم) أي هي ثلاث أوقات يختل تستركم فيها (ابس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن) بعد هذه الأوقات في ترك الاستئذان ولا تظن أن هذا ناسخ لآية الاستئذان لأن هذا في الصبيان والمماليك المدخول عليه وتلك في الأحرار البالغين . هم (طوافون عليكم) هذا مستأنف لتبيان العذر المخصص في ترك الاستئذان وهذا التعليل يبين أن الأحكام تعلل (بعضكم) طائف (على بعض) أي يطوف بعضكم على بعض (كذلك) أي مثل ذلك التبيين (يبين الله لكم الآيات) أي الأحكام (والله عليم) بأحوالكم (حكيم) فيما يشرع لكم . واعلم أن هذه الآية غير منسوخة وان تهاون الناس بالعمل بها . ويقال ان ثلاث آيات تهاون

الناس بها وهي هذه الآية وقوله تعالى - إن أكرمكم عند الله أتقاكم - والناس يقولون أعظمكم يتنا وقوله تعالى - وإذا حضر القسمة أولو القربى - الآية - ثم قال تعالى (وإذا بلغ الأطفال منكُم الحلم) أى الاحتلام يريد الأحرار الذين بلغوا (فليستأذنوا) فى جميع الأوقات فى الدخول عليكم (كما استأذن الذين من قبلهم) أى الأحرار الكبار (كذلك يبين الله لكم آياته) من الدلائل والأحكام (والله عليم) بأمور خلقه (حكيم) بما دبر وشرع وهذا يوجب أن يستأذن الرجل على والدته وعلى جميع محارمه . ثم قال تعالى (والقواعد من النساء) أى اللاتي قعدن عن الحيض والولد من الكبر فلا يلدن ولا يحضن (اللاتي لا يرجون نكاحا) أى لا يطمعن فيه لكبرهن ولأن الرجال يستقذرونهن . فأما من كانت فيها بقية جلال فهي محل الشهوة فلا تدخل فى هذه الآية (فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن) أى الثياب الظاهرة كاللحفة والجلباب الذى فوق الخمار حال كونهن (غير متبرجات بزينة) أى غير مظهرات زينة يريد الزينة الخفية كالشعر والنحر والساق أى لا يقصدن بوضعها التبرج . والتبرج تكلف اظهار ما يجب إخفاؤه (وأن يستغفن) أى يطلبن العفة عن وضع الثياب فيستترن (خير لهن والله سميع) لما يعان (عليم) بما يقصدن * قال سعيد بن المسيب كان المسلمون اذا خرجوا الى الغزو مع النبي ﷺ وضعوا مفاتيح بيوتهم عند الأعمى والمريض والأعرج وعند أقاربهم وبأذنونهم أن يأكلوا من بيوتهم وكانوا يتحرجون من ذلك ويقولون نخشى أن لا تكون أنفسهم بذلك طيبة فنزل قوله تعالى (ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج) وقوله تعالى (ولا على أنفسكم) كلام غير ما تقدم فانه لما نزل قوله تعالى - ولأن تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل - قالوا لا يحل لأحد منا أن يأكل عند أحد فأنزل الله - ولا على أنفسكم - (أن تأكلوا من بيوتكم) أى لا حرج عليكم أن تأكلوا من البيوت التي فيها أزواجكم وعيالكم ويدخل فيها بيوت الأولاد لأن بيت الولد كبيت اقله ﷺ (أنت ومالك لأبيك) وقوله ﷺ أيضا (إن أطيب ما يأكل المرء من كسبه وإن ولده من كسبه) (أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت إخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو مملكتكم) فأنحى عن ذلك وكيل الرجل وقيمته فى ضيعته وماشيته فلا بأس عليه أن يأكل من ثمرة ضيعته ويشرب من لبن ماشيته ولا يحمل ولا يدخر وقيل بيوت الممالك والمفاتيح جمع مفتاح (أو صديقكم) أى أو بيوت صديقكم وهو الذى صدقك فى الموادة وهو يقع على الواحد والجمع كالخليط . واعلم أن هذا انما يكون اذا علم رضا صاحب البيت بأذن أو قرينة وخصص هؤلاء لأنهم اعتادوا التبسط بينهم فرجع الأمر فى الحقيقة الى الرضا وأذن لافرق بين هؤلاء وبين غيرهم فالمدار على الرضا ولابد كروا فى الآية إلا لأن الرضا فيهم غالبا محقق . والخفية لما رأوا ما جاء فى هذه الآية حكموا بأن لا قطع فى سرقة مال الحرم . هذا ولقد كان بنو ليث بن عمرو من كنانة يتحرجون أن يأكل الرجل وحده فر بما قعد منتظرا نهارة الى الليل فان لم يجد من يؤاكله أكل ضرورة . ويقال أيضا ان قوما من الأنصار اذا نزل بهم ضيف كانوا لا يأكلون إلا معه . وأيضا قد تحرج قوم عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الطباع فى القزاة والنهمة لذلك أنزل الله هذه الآية (ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا) مجتمعين أو متفرقين (فاذا دخلتم بيوتا) من هذه البيوت (فسلموا على أنفسكم) أى ليسم بعضكم على بعض . هذا فى دخول الرجل بيت نفسه يسلم على أهله ومن فى بيته * قال قتادة « اذا دخلت بيتك فسلم على أهيك فهم أحق من سلمت عليه واذا دخلت بيتا ليس فيه أحد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على أهل البيت ورحمة الله وبركاته حدثنا أن الملائكة ترد عليه » وقال ابن عباس « اذا لم يكن فى البيت أحد فليقل السلام علينا من ربنا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على أهل البيت ورحمة الله وبركاته » * وعن ابن عباس فى قوله تعالى - فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم - قال اذا دخلت المسجد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين

وقوله (تحية من عند الله) أى ثابتة بأمره مشروعة من لدنه . ويصح أن يقال من عند الله متعلق بتحية التى هى منصوبة بسلموا لأنها مصدر بمعنى التسليم والتحية فى معنى طلب الحياة وهى من عند الله تعالى وقوله (مباركة) أى ترجى بها زيادة الخير والثواب وقوله (طيبة) أى يطيب بها قلب المستمع * وعن أنس رضى الله عنه أنه عليه الصلاة والسلام قال ﴿ متى لقيت أحدا من أمتى فسلم عليه يطل عمرك وإذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلاة الضحى فانها صلاة الأبرار الأوابين ﴾ وقوله (كذلك يبين الله لكم الآيات) كره لمزيد التأكيد واعظام أمر هذه الأحكام (لعلكم تعقلون) الحق والخير فى الأمور . انتهت الجوهرة الثالثة ﴿ الجوهرة الرابعة - انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه

على أمر جامع - الى آخر السورة ﴾

كان رسول الله ﷺ اذا صعد المنبر يوم الجمعة وأراد الرجل أن يخرج من المسجد لحاجة أو عذر لم يخرج حتى يقوم بحيال رسول الله ﷺ بحيث يراه فيعرف أنه انما قام ليستأذن فيأذن لمن شاء منهم وهذا قوله تعالى (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله) إيمانا صادقا (وإذا كانوا معه على أمر جامع) كالجمعة والأعياد والحروب والمشاورة فى الأمور . وانما ودف الأمر بأنه جامع مع أنه سبب للجمع لأنه هو الجامع للبالغة (لم يذهبوا حتى يستأذنوه) أى حتى يستأذنوا رسول الله ﷺ فيأذن لهم . ولما كان الاستئذان أمرا عظيما أكدده فقال (إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله) فالمستأذن مؤمن لا محالة والذاهب بغير إذن اذا استحل ذلك كان كافرا (فاذا استأذنوك لبعض شأنهم) أى ما يعرض لهم من المهام (فأذن لمن شئت منهم) فوض الله الأمر الى رأى رسول الله ﷺ فاذن يكون بعض الأحكام مقوضا الى رأى رسول الله ﷺ وبعضهم يقول - فأذن لمن شئت منهم - اذا وثقت بصدقه فى العذر . وهكذا الناس مع أئمتهم ومقدميهم فى الدين والعلم يظاهرونهم ولا ينفرتون عنهم إلا باذن . ولقد كان المنافقون يوم الخندق يرجعون الى منازلهم من غير استئذان . وقال مجاهد واذن الامام يوم الجمعة أن يشير بيده . قال أهل العلم وكذلك كل أمر اجتمع عليه المسلمون مع الامام لا يخالفونه ولا يرجعون عنه إلا بالاذن . واذا استأذن الامام إن شاء أذن وإن شاء لم يأذن وهذا كله اذا لم يكن حدث سبب يوجب عليهم الخروج والا فلا حاجة الى الاستئذان ثم قال تعالى (واستغفر لهم الله) بعد الاذن فان الاستئذان ولولعذر قصور (إن الله غفور) لفرطات العباد (رحيم) بالتيسير عليهم (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) أى لا تجعلوا تسميته ونداءه بينكم كما يسمى بعضكم بعضا ويناديه باسمه الذى سماه به أبواه فلا تقولوا يا محمد ولكن يانبي الله أو يا رسول الله مع التوقير والتعظيم والصوت المنخفض . وأيضا لا يجوز الاعتراض عند دعائه لكم ولا المساهلة فى الاجابة والارجوع بغير إذن . إذ المبادرة الى اجابته ﷺ واجبة والمراجعة بغير اذنه محرمة (قد يعلم الله الذين يتسللون منكم) أى ينسلون قليلا قليلا من الجماعة (لو اذا) ملاوذة بأن يستتر بعضكم ببعض حتى يخرج فيروغ أحدكم فى خفية فيذهب * وقال ابن عباس يلوذ بعضهم ببعض وذلك أن المنافقين كان يثقل عليهم المقام فى المسجد يوم الجمعة واستماع خطبة النبي ﷺ فكانوا يلوذون ببعض أصحابه فيخرجون من المسجد فى استتار (فليحذر الذين يخالفون عن أمره) أى يعرضون عن أمره وينصرفون عنه بغير اذنه (أن تصيبهم فتنه) أى لئلا تصيبهم فتنه أى بلاء فى الدنيا (أو يصيبهم عذاب أليم) أى وجيع فى الآخرة . هذا ثم ان الله ذكر فى هذه الآيات انه يعلم الذين يتسللون لو اذا وذكر العلم هنا ايدان بالمجازاة على ما يفعلون فأعقبه الله بذكر أن علمه عام فكيف لا يعلم أحوالكم الخاصة فقال (ألا إن لله ما فى السموات والأرض قد يعلم ما أتم عليه) من الايمان والنفاق والاخلاص وضده (ويوم يرجعون اليه) يعنى يوم القيامة (فينبئهم بما عملوا) من الخير والشر (والله بكل شئ عليم) لا يخفى عليه خافية . انتهى التفسير اللفظى للقسم الثالث من السورة

﴿ خاتمة ﴾

هذه هي (سورة النور) ولقد تبدى لى بعد ما أتممت الكلام عليها أن أذكر كلاما عاما يرجع لعموم هذه السورة فأقول

انظر أيها الذكى كيف ذكر الله في هذه السورة الحد والقذف ورمى المحصنات الغافلات وملاءمة أخلاق الطيبين للطيبات والخبيثات للخبيثين والملاعنة والعفة وتحريم النظر للأجانب وحله للحرم والاستئذان عند الدخول وغير ذلك من الأحوال العارضة للإنسان . ولا جرم أن ذلك يدخل فيه علم القضاء فإن الملاعنة وحد الزنا وحد القذف وما أشبه ذلك لا يكون إلا بأمر القاضى الذى نصبه الخليفة للحكم بين الناس . فانظر كيف فصل هذه الأحكام بما هو غريب عنها وأدخل في خلاها ما ليس منها وفاجأ القارى بقوله - الله نور السموات والأرض - وبين كيف يكون الكافرون وأعمالهم كظلمات البحار المائجت فوق موجهن سحب ثم أتبع ذلك بذكر عجائب السحاب والبرق وكيف اختلف الحيوان في عدد أرجله وفي سيره فوق الأرض أو طيرانه في الجو . أما الذى لا بصيرة له فانه يرى أن ذلك مجرد اتفاق وأن وضع هذه الآيات أمر لا يرجع الى مقصد خاص وانما هو من الآيات التى توضع وضعا لم يقصد فيه إلا مجرد الانتقال من حال الى حال ولكنى أقول لك ما أعلمه اعلم أن الله عز وجل لما خص هذه السورة بالأحكام الشرعية أراد عز وجل أن يبين لنا أن هذه الامور العادية المحيطة بنا لا ينبغي أن تكون هي المقصد الأسمى عندنا وكأنه يقول كيف تكون هي المقصد الأسمى وماهى إلا أمور يستوى فيها الكافر والمسلم والجاهل والعالم . وما الأحكام التى فى القرآن إلا مهنذبات لنفوس الناس حتى يعتدلوا في شهواتهم ويقفوا فيها عند حد خاص فلا يقذفون المحصنات الغافلات ولا يرمون زوجاتهم إلا اذا تحققوا ولا يتركون أبصارهم ترتع في شهواتها وتنظر لكل غادية ورائحة من النساء حتى تحفظ قواكم العقلية فان هذه النفوس الانسانية أشبه بشمعة قد جعل فيها فتائل كثيرة وكلما زادت الفتائل فيها وانقدت كان ذلك أسرع ذهابا وأبلغ ضياعا وأقرب نفادها . وكلما قلت السرج المتقدمة منها كانت أطول عمرا . والناس اذا لجوا في طغيان شهواتهم وزادوا في غلوها واتبعوا خطوات الشيطان وأطلقوا ألسنتهم العنان ولعيونهم النظر وما أشبه ذلك كان ذلك أذهب لرجحان عقولهم وأضيع لنور أفئدتهم وأسرع هلاكا لأبدانهم . فليحفظ الناس الألسنة وليغضوا الطرف الذى يشغل العقول بالصور الجيلة فتحوّل القوّة العاقلة الى صور مضمحلة فيقلّ الادراك ويذهب نور الفطنة وتضمحل القوى العاقلة . وهكذا يجب على الناس أن يستأذنوا اذا دخلوا البيوت وأن يسلّموا على أهل الدار وعلى أهل منزلهم هم أنفسهم لتزول الوحشة ويدوم الأُنس وتحصل الألفة فيقوم العقل بما خلقه الله له من التفكير وهكذا تزوجوا الصالحين والصالحات للنكاح أحرارا وعبيدا لتصرف الشهوات الى ما هو نافع وليقوم الناس بما أعدوا له من النسل واكثره لتسعد الجمعية الانسانية . هذا هو المقصود من هذه السورة وفي أثناء ذلك قال الله تعالى إياكم أن تشغلكم هذه الامور عن العلوم والحكم والنظر في جمالى وحسن صنعى فان ما ذكر في هذه السورة وغيرها من حفظ الفروج والآداب وحفظ النظر وما أشبه ذلك انما هو لحفظ مدنهم وحسن معاشرتهم . وهذه ماهى إلا مقدمات لما هو أعلى ﴿ وبعبارة أجلى ﴾ ان هذه آداب والآداب مقدمات للعلوم لأن العلم لا يكون إلا اذا صفت النفوس واصفاً للنفوس والعقل مضطرب بالجدال والحصام ونفور الجيران وشقاء النظرات وتفرّق الخواطر بما تجلبه النواظر فاذا أنزلت عليكم مابه تهدي الخواطر وتقرّ النواظر ويستتب الامن فما أحرأكم أن تنظروا فيما زوّقت وأبدعت وزينت ورقشت ونقشت فذلك هو المقصود وما سواه فانما هو تمهيد ومقدمات والمقدمات غير المقاصد إياكم أيها الناس ان تظنوا أن القضاء وعلوم الشريعة كافيات لكم . كلا . إن هذه العلوم انما أنزلتها لحفظ النظام ولقد حفظت نظام النحل في خليتها والزناير في بيوتها والغربان في أعشاشها وطيور الكراكي

في أسرارها والآساد في آجامها والحر الحبشية في جبالها ولم أذكر صغيرا ولا كبيرا في الخلق إلا جعلت له ناموسا معلوما وصراطا مستقيما يسير عليه - وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أتم أمثالك - علمتها أمور معاشها وأفهمتها كيف نلد وكيف تبويض وكيف تبني لها الأعشاش وأفهمتها كيف تكون سبل الحياة فإذا ظننتم أيها الناس أنكم بمعرفة هذه الآداب قد زدتم عن هذه الحيوانات فإنكم وأهمون فوعزتي وجلالي لن تفوقوها كمالا ولن تعلموها علما إلا بنظركم في جلالى وإطلاعكم على بهائى وكالى

إني أنا نور السموات والأرض ولن تعرفوا تنويرى لهما إلا بأمثال ضربتها لكم وآيات بينتها . فاتخذوا من ظلمات الحياة نورا ومن الآلام المتراكمة في دنياكم نعيما واقروا وجوه الكائنات وسطور الخلوقات وافهموا من السراج المتقد في المساجد أمثلة تضيء لكم مشكلات الدجانات فتعرفوا أنوارى في ملكوتى فلا القضايا ولا اليبينات ولا الملاعنات ولا الحدود مقصودة من حياتكم وإنما هذه آداب أوجبت أن تكون لتتفرغوا لمعرفة آياتى في خليقتى . ومن ظن أن المقدمات مقاصد فقد جنى على عقله وعلى الجنس البشرى أعظم جناية فإن الناس بهذه الشرائع لم يصلوا الى ما وصل اليه الحيوان في حسن نظامه فكيف يظن الناس أن ذلك هو مقصود الحياة . إن الانسان عليه واجب عظيم هو النظر والفكر وأن يطير بأجنحة الحكمة وطيارات العلم الى جوق من النور بهيج . انى اشتق النور من الظلمات . ألم أجعل النور البرق يلمع من خلال السحاب ذلك السحاب الذى جعلته متمما لظلمات البحار في دجانات الحياة . السحاب الذى زاد ظلمات الأمواج ظلمات قد أمرت البرق فلمع من خلاله وأشرقت أرجاء الأرض بأنواره . هكذا حياتكم المملوءة بالأخطار المدهمة في البر والبحر . انى لقادر أن أجعل النور يلمع من خلالها كما يلمع البرق من خلال ظلمات السحاب

إياكم أن تشغلكم الأحوال المنزلية والشهوات البهيمية والقضايا فى المحاكم الاسلامية عن اطلاعكم على جلالى وحسن صنعى وجمال أعمالى الباهرات فى هذه الدنيا وبديع نظامها وحسن تقديرها وبهجتها فإن السحب المظلمات يلمع النور من خلالها ؟ فلم لا تشرق أفدتكم بنور المعرفة فى وسط هذه الظلمات الانسانية والحدود الشرعية والقضايا الاسلامية والعلوم الفقهية

أيها الفقهاء . لماذا أجزتم التأليف فى الملاعة والحدود وأطلعتم تلاميذكم على حقائق القضايا وأنتم أجهل الناس بعلم السحاب والحيوان واختلاف أنواعه والطير صافات فى جوف السماء . فلماذا أيها الفقهاء أجزتم تلك القضايا ووقفتم عندها مع أن القضاء فرض كفاية وتركتم النظر فى معرفة أن - الله نور السموات والأرض - وتنوع الحيوان والطير الخ . أليس هذا كلام الله . أليس العلم بهذه المجائب واجبا على كل مسلم اذا كان قادرا لازدياد الايمان وللشكر كما أوضحه الامام الغزالى وذكرته فى (سورة المائدة)

ان علم القضايا ليس بواجب إلا على فئة قليلة . إن علوم الجلال الالهى غذاء للارواح والعقول وعلم الشريعة أشبه بدواء فكيف جعلتم الدواء فى محل الغذاء والغذاء فى محل الدواء

أما أن المسلمين أن ينظروا فيما كتبناه . أما أن لهم أن يتدبروا ما ذكرناه . أما أن لأمة محمد ﷺ أن يرجعوا عن النهج الذى نهجوه . أما أن لهم أن يكفوا عن الجود ويوقفوا الأطفال على عجائب ماصع الله فى الأرض والسماء . أما أن لهم أن يقووا أنفسهم بأجنحة من العلم والحكمة ليطيروا بها فى جوف السماء الصافى . إن الله قد أذن للمسلمين اليوم أن يتبوؤوا منازلهم بين الأمم وينالوا مكائدهم - ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون -

(الجلال والنور فى سورة النور)

تناسبت السور الثلاث (الحج والمؤمنون والنور) فى اظهار الحقائق العلمية والبدايع الحكيمية . فيها جاء ذكر خلق الانسان وأنه من نقطة فعلمة فضة الخ . ذلك جاء فى سورة الحج وفى المؤمنون . فأما فى سورة

النور فقد فصل ما يحفظ حواسه وآدابه (وبينه) أن هذا الانسان خلق من طين مغمورا في الهواء والضياء الأرض تحته والهواء يحيط به والضياء فوقه فكان من الحكمة أن لا يتخلو عالم من هذه العوالم من فائدة له . فن الأرض أغذيته وفاكهته ومن الماء شرابه وظهوره وبالهواء تطهير دمه بواسطة النفس واعطاء دمه لون الحجر بما يتخلطه من مادة الاكسوجين التي يجلبها النفس من الهواء وحاسة اللمس تشعر بالحرارة والبرودة اللتين يتصف بهما الهواء وحاسة الأذن قد اتخذته آلة توصل الصوت اليها من اللسان . فن اللسان حركات في الهواء وبالهواء وصول تلك الحركات الى الأذن . الانسان لم يذر عالما مما أحاط به إلا انتهز الفرصة للانتفاع به فلا أرض ولا ماء ولا هواء ولا ضياء إلا كان منه له منفعة لولاها لم يكن هذا الانسان والحيوان . فترى الفم للغذاء والماء فهو إذن معدة لاستعمال ما يصل من الأرض والماء والأنف للهواء وهكذا الأذن للهواء أيضا من حيث حركاته بأنواع الأصوات . والعين معدة لعالم النور الوارد من الكواكب ومن الأرض . اللهم إن هذا العالم جيل ومن أعظم انعامك علينا أنك أريتنا هذه العجائب التي يجلبها أولا يقربها كثير من العقلاء لأن أكثرهم غافلون . يعيش الانسان في الأرض ويرى الشمس والقمر والماء والهواء ولا يريد أن يدرس هذا الوجود ليعلم مركزه فيه وليعلم نعمك علينا في هذا الوجود العجيب . مخلوق طوله ثمانية أشبار استخدم الأرض والماء والهواء والكواكب . فترقت هذه العوالم على أعضاء حسه . ينظر الانسان الشمس اذا هي معدة للبصار في العين كما أن الهواء معدة لحاسة اللمس والشم والسمع وعالم الأرض الذي منه أغلب الأغذية جعلت له حاسة الذوق التي تميز الخبيث من الطيب في الطعام والشراب . هذه الحواس الخمس كأنها نوافذ وفتحات منها يطل الانسان على هذا العالم كله . كل ذلك تضمنه ما جاء في (سورة الحج) من خلقه من نقطة فعلقه الخ وما جاء في (سورة المؤمنون) كذلك وقد جاء في آخر وصف خلقه - فتبارك الله أحسن الخالقين - فأحسن الخالقين هو الذي خلق الانسان على هذا النمط بحيث يجعله مستفيدا من كل ماحوله من العناصر والمركبات . ولقد كان من إحكام صنعه أن خلق له لسانا واحدا يعبر عما لديه من القوى فهو ترجان لكل ما يحس به ويعلمه ويزاوله ترجان السمع والبصر والذوق واللمس وكان له آلة الابصار بها يدرك كل دورة تقع عينه عليها وكان له أداة للتناسل وهي العورة في الذكران والاناث . إن أكثر الآثام في نوع الانسان بحديثها اللسان بالشرم والذم واذا عاين الفاحشة والتعير وقذف المحصنات وبحديثها الفجور بالزنا . وبما يعين عليه ويدعوه طموح العين لما تراه من محاسن النساء . فكأن الله يقول في أول النور أيها الناس أنا صوّرتكم على أحسن صورة وأكمل تكوين . فهذه الحواس جعلتها أدوات صالحة لأن تتخذوها وسيلة للهدى بأضواء الشمس والكواكب والقمر ولتتناولوا ما يصلح لأغذيتكم واقامة بيتكم وتشعروا بما حولكم من أصوات وصور وعوالم تحيط بكم ولم أحرّمكم منها كما حرمت الدود الذي ألزمت أن يقنع بما حوله من الرطوبات . وهذا اللسان لم أجعله وسيلة للذم والقدح بل خلقته لينشر العلم بينكم وأنواع المحبات . وهذه البنية زوّقتها وهندستها وأكملتها وجعلتها صالحة لاحداث ذرية تبقى بعدكم حفظا لذكركم وعمرا لنا أرضنا فليس من الحكمة أن تجعلوا الشهوة البهيمية مقاصد وكيف تجعلون الوسائل مقاصد وما هذه الشهوات مقاصد فمن فعل ذلك ذلت نفسه وباء بالوبال . فإياكم والزنا بل إياكم وكثرة تعاظمي هذه الشهوات باتباع خطوات الشيطان . ولم أخلق الأعين فيكم لتقصروا على هذه الشهوة الضئيلة . إنما خلقت العين لتعرفوا بها أنوارى وتذكروا جلالى وبها ترضى ومحاسن أرضى وسماوى ففضوا الطرف عن النساء واقنعوا بمن عندكم من الخلائى اللاتى يلدن منكم الذرية . أى عبادى أتم (فريقان) فريق الأصفياء وفريق الأغبياء . أما فريق الأصفياء فهم أولئك الذين عرفوا أنى نور السموات والأرض فبهروهم الجلال والبهاء في مشرقات الدجى والاصباح . أما فريق الأغبياء فهم أهل النار أولئك الذين أعطوا الأعين والعقول والآذان فظنوا أنى أطلقتمهم في أرضى كما أطلق السواب فعكفوا على جنى الذات التى لم أخلقها فيهم إلا

لغاياتها فسارعوا اليها ووقفوا عندها وكلما نظروا في جبال النجوم وجبال الشمس وجبال القمر وجبال النصار والأزهار والأشجار والأنهار لم يتحدثهم نفوسهم بأكثر مما يعرفه الحيوان في البرية . وكلما سبحت لهم سائحة نحو العلا سلطت عليهم زبانية العذاب الجامعين في جبلتهم فضر بهم بمقامع الشهوات والعبادات الحديدية فارتدوا على أدبارهم وعادوا لما نهوا عنه ورجعوا بخفي حنين فكانت نظراتهم لشهواتهم وألسنتهم عاكفة على أذى قومهم من رجال ونساء كأنجاب الإفاك الذين ذموا أم المؤمنين وبعض صلحائهم . أي عبادي أنا كفتكم بالصلاة وفي الصلاة تسبيح وتحميد والتسبيح تنزيه والتحميد ذكرى بنعمي فتعنى تحيط بكم في الأرض وفي السماء . أنا نور السموات والأرض والأنوار ظاهرة لكم وباطنة في قوى الحيوان والنبات فأينما تولوا فثم جبال ونور . ترون في السماء بهجة النجوم وفي الجوقوس قزح وفي الأرض أنواع الجبال في كل حيوان ونبات . أنا لم أحسن الصور في نوع الانسان لأجل التناسل فحسب . كلا . ألم تروا أن شهوة التناسل تفتت بعد الوقاع وعند الفتور تذهب نشوة اللذة بجمال الوجوه . إني نصبت ذلكم الفتور (الذي يعتورك بعد فراغكم من تلك اللذة) علما ليهديكم الى المقصد الأعلى من جبال الوجوه الانسانية والجبال في العوالم العلوية والسفلية . إن بواهر الجبال في تلك العوالم داعيات تحشكم أن هلموا الى وأقبلوا على . هذا ما تقوله الشمس عند اشراقها والقمر عند بزوغه والنجم عند طلوعه والنهر وهو يجري والطير وهو يطير . كل أولئك يا عبادي يدعونكم الى العروج الى العلا . ولن ينال هذه المنقبة منكم إلا أناس أدركوها مقاصدا في حواسهم وغاية ما خلقت له فخصم لم تخلق العين لتعكف على النظرات الحيوانية والشهوات البهيمية . إذن لمن زينت النجوم ولمن عممت الأشعة النورية ولمن نصبت الجبال ومحاسنها والأنهار وجواربها والحقول وأزهارها . أنا قرنت التسبيح بالتحميد في صلواتكم لتذكروا ولتعلموا أنكم ان لم تنزهوا اللسان عن النطق بالقبيح والفرج عن الفاحشة والعين عن النظر المحرّم فلا سبيل الى أن تعرفوا وتفقهوا في نور السموات والأرض . إن عقولكم خزنت فيها صور كثيرة لانتحسرونها فإذا أخذتم تحدثون بكل ما لديكم شغلكم ذلكم الحديث عن مواقع النجوم ومناهج العبر . هكذا اذا ظلمتم تفكّهون بشهوة الفرج صرفتم عقولكم وأضعفتموها بسبب النقص الدائم المتوافر في صحة أجسامكم بما تصرفونه لهذه الشهوة الضالة . ومتى ضعفت القوة العاقلة عجزت عن أن تدرك الجبال . لذلك شرعت لكم أن تقولوا في الصلاة في الجلوس بين السجدين ﴿رب اغفر لي وارحمني﴾ والمغفرة التامة إنما تكون بحفظ الألسنة وحفظ الشهوات فلا تصرف إلا بحساب إبقاء لصحتكم وحفظا لعقولكم فتكونون متخلقين بأخلاقنا منزّهة عن الحوادث وأنتم منزّهون بقدر الاستطاعة عن العيوب . هنالك تتوافر الأسباب لادراك ما يحيط بكم من النور والجبال . أنا لم أحرّم عليكم النظر الى المحرّمات حرمانا لكم أو بخلا عليكم ولم أمنعكم من مقارفة الشهوات بخلا عليكم بخزان ملكي . كلا . أنا أعطيتكم عقولا وأعطيت الحيوان البرية غرائز وأودعت في غرائزه أن لا يكون الوقاع إلا للولد ولم أجعل ذلكم في غرائزكم بل أعطيتكم عقولا وحرمت عليكم الفواحش ما ظهر منها وما بطن وأطلقتكم في الأرض فيقول قائل منكم لم منع ربنا عنا لذاتنا وأطلق الحيوان يتمتع بما شاء وهو يشاهد أن الحيوان ممنوع بغريزته ولولا ذلك المنع لمات وضعف وهلك بكثرة الوقاع . ذلكم حاصل في بعض الحيوان في البرية . فأنا حرّم عليكم الفاحشة بل طلبت منكم عدم الاسراف في جميع أحوالكم وجعلت عاقبة الاسراف ضعف أبدانكم وخسران عقولكم التي لا تستطيع عند الضعف أن تدرك الجبال الأعلى الدائم . ومن حفظ جوارحه من العين واللسان والفرج المذكورات في (سورة النور) فاني أحفظ له عقله وجيع قواه وأجعلها ذخيرة له في هذه الدنيا يزداد بها علما ويدبر أموره ويكون ذكيّ الفؤاد قويّ الذّاكرة . إن في افلات ما أئزّنه في عقولكم بلا فائدة أشبه بمن يطلق ماء النهر فيغرق القرى ويضرّها وحفظها أشبه بحفظ الماء في الأنهار حتى يصرف ماؤها عند الحاجة اليها . لهذا كان

الانسان مسؤولا عن عقله كما انه مسؤول عن أهله وعما يملكه من المال وما يملكه من الولد وعما يدبره من الممالك بل ذخيرة الانسان المكنونة في نفسه أقرب اليه مما عداها فان عجز عن حفظها وتركها تتسرب الى الخارج بلا ضابط يضبطها ولا حافظ يحفظها تركته ملوما محسورا . إن آراء الانسان والصور المخزونة في عقله إن هي إلا أجنحة يطير بها الى سماء الكمال وباحات الجمال فإذا أهملها بقي مقصوص الجناحين ضائع القوى خاسر الصفة فيرى بعيني رأسه أناسا مثله قد ارتقوا في أعمال دنياهم وأعمال آخرتهم بحفظ قواهم الباطنة بترك ما لا يعنى والانكماش في الجد وحفظ القول فلا ينطق إلا بما يفيد ولا يتكلم إلا بما ينفع . هنالك يكون قوله حكمة وإشارته غما وسكوته فكرا فلا يسكت ولا يتكلم إلا لفائدة تامة . إن الجنة والنار يتبعان الفكر والاعتبار كثرة وقلة . ألم تسمعوا قول الكفار - وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير -

أي عبادي المسلمين . ربما يظن أحدكم انه خارج عن هذا القانون . كلا . - إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا - أتم جميعا مسؤولون عن السمع والبصر والفؤاد . فالقلب أمانة أودعتها عندكم وما العقل إلا نور انبعث من سماء الجلال وهو من نوري الذي انبعث مني في السموات والأرض فأياكم أن تعطلوه أو تشغلوا أنفسكم بالحديث عما خزن فيه إلا لفائدة نافعة فأنتم عنه مسؤولون والبصر جعلته بابا تلج منه الصور الواردة عليكم بنور المشرق عليكم فإذا شغلتموه فيما يضعف قواكم البدنية من الصور الحسان لغير فائدة أو فيما لا فائدة فيه حرمت النظر الى بهجة جلالى في سمواتى وأرضى فيكون أحدكم أيها المسلمون إذ ذاك قد خسر المائدة الدنيا وهي الحيوانية والمائدة العليا وهي اللذة الملكية بالنظر الى جلالى فيصبح الغافل منكم بالنسبة للعلم أشبه بالنرات (المكروبات) والحشرات التي تطوئها بأقدامكم فهي وإن كانت تشارككم في الحياة لم تشارككم في مزاياعقولكم وفضائل علومكم وبهجة نجومكم هكذا المفرطون في أسماهم وأبصارهم وشهواتهم يبصر الناس اليوم جلالى وهم لا يبصرون ويستهجون بمحاسن سمائى وهم لا يهتمجون قلوبهم أسماهم ولكن لا يعقلون ولهم أبصار ولكن لا يبصرون . فإذا ظننتم أيها المسلمون انكم بمنجاة من الحجاب وأن الحجاب انما يسدل على الكافرين فقد أخطأتم المرمى ورجعتم بخفى حزين . ألم تقرأ في كتابى - أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون * ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين - . أي عبادى . أنا لم أنزل القرآن وفقا على اللعان المذكور في آية النور ولا على إقامة الحد على الزانى والزانية . ان هذه أحوال تعرض لكم مانعات من نظراتكم لجلالى فإذا جاوزتموها فهناك أفتح لكم أبواب - الله نور السموات والأرض - وأعرفكم معانى ما تسمعون وما تبصرون . هنالك تفقهون تسبيح الطير في جوار السماء وتدركون عجائب الحيوان وأسرارى التي أودعتها في غرائره وبهذا تفرحون - قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون - انتهى

هذا ما فهمته في (سورة النور) يومى الخميس والجمعة وليلة السبت قبيل آخر سنة ١٩٢٨ والحمد لله

رب العالمين

﴿ سورة الفرقان مكية وهي سبع وسبعون آية ﴾

﴿ وهي ثلاثة مقاصد ﴾

﴿ المقصد الأول ﴾ في اثبات النبوة وفي جزاء المكذبين من هذه الأمة والأمم السالفة من أول السورة الى قوله - أولئك كالأنعام بل هم أضل سبيلا -

﴿ المقصد الثاني ﴾ في العجائب الكونية من قوله تعالى - ألم تر الى ربك كيف مده الظل - الى قوله - أو أراد شكورا -

﴿ المقصد الثالث ﴾ في الآداب والأخلاق من قوله - وعباد الرحمن - الى آخر السورة

(المقصد الأول)

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا * الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا * وَأَتَّخِذُوا مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا * وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ أُفْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا * وَقَالُوا أَطِيرٌ الْأَوَّلِينَ أ كُتِبَ عَلَيْهَا فِيهِ تُكَلِّمُ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا * قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا * وَقَالُوا مَا هَذَا الرَّسُولُ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا * أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كِتَابٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْجُورًا * أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا * تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ فُصُورًا * بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا * إِذَا رَأَوْهُم مِّنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْظًا وَزَفِيرًا * وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا * لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا * قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءٌ وَمَصِيرًا * لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا * وَيَوْمَ يُحْشَرُ لَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ

عِبَادِي هُوَ لَا أَمُّهُمْ صَلُّوا السَّبِيلَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ
 مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَأَبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا * فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ
 بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِمِ مِنْكُمْ نَذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا * وَمَا
 أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا
 بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا * وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا
 أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتْوًا كَبِيرًا * يَوْمَ
 يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ يَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا * وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا
 مِنْ عَمَلٍ جَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا * أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا * وَيَوْمَ
 تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا * الْمَلَكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى
 الْكَافِرِينَ عَسِيرًا * وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ
 سَبِيلًا * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي
 وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا * وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ
 مَهْجُورًا * وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا *
 وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ
 تَرْتِيلًا * وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا * الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى
 وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا * وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا
 مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا * فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَدَعَرْنَاهُمْ تَذْمِيرًا *
 وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا
 أَلِيمًا * وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا * وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ
 وَكُلًّا تَبَرْنَا تَنْبِيرًا * وَلَقَدْ أَنَا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَقْلَمُ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا
 بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا * وَإِذَا رَأَوْكَ إِذَا يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوعًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ
 رَسُولًا إِنْ كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ إِلَهِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ

مَنْ أَضَلَّ سَبِيلًا * أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا * أَمْ تَحْسَبُ
أَنْ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا

﴿ التفسير اللفظي ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

تكاثر خير الله وتزايد على كل شيء وتعالى عنه في صفاته وأفعاله ودام وكل هذا معنى (تبارك الذي نزل الفرقان) وهو القرآن مصدر فرق بين الشيتين إذا فصل بينهما فانه نزل مفترقا وهو يفصل بين الحق والباطل والحلال والحرام وتبارك كلمة تعظيم لم تستعمل إلا لله وحده والمستعمل منه الماضي وحده والبركة تتضمن معنى الزيادة كما تقدم ورتبه على انزاله القرآن لما فيه من كثرة الخير أولد لآله على تعاليه . ويقال أيضا دام كما تقدم من برك الطير على الماء ومنه البركة لدوام الماء فيها (على عبده ليكون) أى العبد أو الفرقان (للعالمين) للجن والإنس (نذيرا) منذرا (الذى له ملك السموات والأرض) هو المتصرف فيهما كيف يشاء (ولم يتخذ ولدا) رد على النصارى (ولم يكن له شريك فى الملك) رد على الثنوية وعلى عباد الأصنام (وخلق كل شيء) أحدثه (فقدّره تقديرا) هياها لما أراد منه من الخصائص . وقد تقدم فى هذا التفسير من عجائب الخلقة وبدائع الحكمة ما يدعش الألباب ومن الخصائص المحيية للإنسان والحيوان والنبات والكواكب ما يظهر به ابداع الخالق وعجائب صنعه جلّ جلاله وعزّ كماله ولا إله إلا هو . ولما أثبت التوحيد والنبوة بما تقدم أخذ يرد على منكريهما فقال فى المشركين (وانخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون) وذلك لأن العابدين لهم هم الذين ينحتونهم ويصورونهم (ولا يملكون لأنفسهم ضرا) دفع ضرر (ولا نفعا) ولا جلب نفع (ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا) ولا يملكون إمامة أحد ولا إحياءه ولا بعثه ثانيا . وقال فى منكرى النبوة (وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك كذب مصروف عن وجهه) (افتراه) اختلقه محمد ﷺ (وأعانه عليه قوم آخرون) وهم اليهود أو عبيد بن الخضر الحبشى الكاهن أو جبر ويسار وعداس بن عبيد كانوا بمكة من أهل الكتاب فقال المشركون ان محمدا ﷺ يأخذ منهم وقد سبق فى قوله تعالى - انما يعلمه بشر - (فقد جاؤا ظلما وزورا) أى فقد جاء قائلو هذه المقالة بظلم وزور إذ سمو كلام الله تعالى بالافك والافتراء (وقالوا أساطير الأولين) ماسطره المتقدمون (اكتبها) كتبها لنفسه أو استكتبها (فهى تلى عليه بكرة وأصيلا) ليحفظها فانه أسمى لا يقدر أن يكرر من الكتاب (قل أنزل الذى يعلم السرّ فى السموات والأرض) ألا ترون انه أعجزكم جميعا بفصاحته واخباره بمغيبات مستقبله وأشياء لا يعلمها أحد . أفنل هذا يكون أساطير الأولين . ولولا عفوه ورحمته لعاقبكم ولكنه حلم عليكم (إنه كان غفورا رحيمًا) ثم أخذ يذكر الرّد عليهم فيما اعترضوا به على نبينا محمد ﷺ (وقالوا مال هذا الرسول) مال هذا الذى يزعم انه رسول (بأكل الطعام) كما تأكل (ويعشى فى الأسواق) كما نمشى لطلب المعاش . يقولون إن صحّ دعواه فما باله لا يتخالف حالنا حاله (لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا) أى داعيا وبذلك نعرف صدقه (أو يلقى اليه كنز) فيستغنى عن تحصيل المعاش (أو تكون له جنة يأكل منها) أى اذا لم يلق اليه كنز أفلا يعيش عيشة المترفين أهل اليسر فى الدنيا فيكون له بستان كما لهم بساتين وهذا يستلزم أن يكون فى عيش رغد وسعادة جسمية وخدم وحشم حتى يكون ممتازا ولما لم يكن متصفا بأحد هذه لم يكن ما يدعيه من النبوة صدقا فأنما هو رجل سحر عقله وغلب عليه وهذا قوله تعالى (وقال الظالمون) وضع الظاهر موضع المضمّر تسجيلا للظلم عليهم (إن تبعون) ماتبعون (إلا رجلا مسحورا * انظر كيف ضربوا لك الأمثال) الأشباه التى لا فائدة منها وادعوا عليك الأحوال الشاذة النادرة (فضلوا) عن الطريق الموصل لما يجب أن يكون عليه الأنبياء (فلا يستطيعون سبيلا) الى النيل منك ولا الى سبل الرشاد

(تبارك) تكاثر خبر (الذي إن شاء جعل لك خيرا من ذلك) وهب لك في الدنيا خيرا مما قالوا وهو أن يجعل لك مثل ما وعدك في الآخرة من الجنات والقصور وقوله (جنات) بدل من خيرا (تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصورا) بيوتا مشيدة * ورد أن النبي ﷺ قال ﴿ عرض على ربي لي جعل لي بطحاء مكة ذهباً قلت لا يارب ﴾ وفي رواية أخرى ﴿ لو شئت لسارت معي جبال مكة ذهباً الح ﴾ وهؤلاء قوم لا يعرفون إلا الحياة الدنيا فقصرت أنظارهم عن الآخرة (بل كذبوا بالساعة) فتصروا أنظارهم على ما ظنوه سعادة وهي التوبة في الدنيا (وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيراً) ناراً شديدة يبتدىء في الدنيا سببها وهو قصر النظر على الأمور العاجلة فيحسبون في سجن الأعمال والآمال المحدودة (إذا رأتهم من مكان بعيد) أي إذا قابلتهم النار وكانت بمرأى الناظرين في البعد (سمعوا لها تغيظاً وزقيراً) أي سمعوا صوت غليانها كأنه صوت المتغيظ والزقير (وإذا ألقوا منها) من النار أي فيها (مكناً) في مكان (ضيقة) لزيادة العذاب عليهم (مقرتين) أي مسلسلين مع الشياطين (دعوا هنالك) في ذلك المكان (ثبورا) هلاكاً يمتنون الهلاك وينادونه ويقولون ياتثبورا أي تعال فهذا حينك ويقال لهم (لا تدعوا اليوم ثبورا واحداً) هلاكاً واحداً (وادعوا ثبورا كثيراً) لأنه كلما نضجت جلودكم بدلتم جلوداً غيرها ولأن أنواع العذاب كثيرة (قل أذلك خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون) أي الذي ذكرت من صفة النار خيراً الح (كانت لهم جزاء ومصيراً) أي كانت لهم في علم الله جنة الخلد ثواباً ومرجعاً (لهم فيها ما يشاؤون) أي إن جميع المراتب إنما تحصل في الجنة وهناك لا تشتهي طائفة إلا ما يناسب حالها حال كونهم (خالدين كان) ما يشاؤون (على ربك وعداً مسؤولاً) موعوداً مسؤولاً سأله الناس في دعائهم إذ قالوا - ربنا وآتانا ما وعدتنا على رسلك - والملائكة إذ قالوا - ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم - وقوله - على ربك - يفيد معنى امتناع الخلف (ويوم يحشرهم) للبعث (وما يعبدون من دون الله) وهم المعبودون من الملائكة والمسيح وعزير والأصنام وغلبها في التعبير بما سينطقها الله الذي أنطق كل شيء كما ينطق الأيدي والأرجل (فيقول) للمعبودين (أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل) لاخلطهم بالنظر والاعتبار بالعقول والاعراض عن الهداة . وقوله - ضلوا السبيل - أي عنها وقد تركوا الجادة كما تركوه في هده الطريق والأصل إلى الطريق (قالوا سبحانه) تعجباً مما قيل لهم أو نزيهاً لله عن الأنثاد وايداناً بأنهم مسبحون إما بالقول كالملائكة والأنبياء وأما بلسان الحال كالأصنام (ما كان ينبغي لنا) ما كان يصح لنا (أن نتخذ من دونك أولياء) أي أن نوالى أعداءك بل أنت ولينا من دونهم (ولكن متعهم وآباءهم) بطول العمر والصحة والنعمة في هذه الدنيا (حتى نسوا الذكر) تركوا توحيدك وطاعتك والمواعظ والایمان وغفلوا عن ذكرك (وكانوا قوماً بوراً) هلكى غلب عليهم الشقاء والخذلان (فقد كذبوكم) أي كذبكم المعبودون أيها المشركون (بما تقولون) انهم آلهة (فما تستطيعون صرفاً) دفعاً للعذاب عنكم (ولا نصراً) يعنيكم عليه . ومعلوم أن المحارب تكون نجاته إما بالهرب وإما بالنصر على عدوه وهؤلاء لانصر لهم ولا انصراف فهم معذبون لا محالة . ثم خاطب الله الناس كلهم قائلاً (ومن يظلم منكم نذقه عذاباً كبيراً) وهي النار الخالدة . وهذا القول عام لكل ظالم بكفر أو فسق . ولكن العلماء يختلفون في الفاسق فمنهم من يجعله كالكافر وهم الخوارج والمعتزلة وبقية العلماء يقولون « ان الفاسق بالتوبة يغفر له بشرطها كلها وكذا بالعفو » (وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا أنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق) هذا جواب لقولهم - مال هذا الرسول يأكل الطعام - الح . يقول الله - وما أرسلنا قبلك - يا محمد إلا رسلاً - انهم ليأكلون الطعام - الح . فحذف الموصوف لدلالة المرسلين عليه وأقيمت الصفة مقامه أي ان هذه عادة مستمرة من الله تعالى على رسله فلا وجه لهذا الطعن - وما أنا إلا رسول - وما كنت بدعاً من الرسل - وهم كانوا بشراً مثلي يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق (وجعلنا بعضهم) أيها الناس (لبعض فتنة) ابتلاء فابتلينا الفقراء بالأغنياء والمرسلين

بالمرسل اليهم ومناصبتهم لهم العداوة وايدائهم (أتصبرون) أى وجعلنا بعضكم لبعض فتنة لنعلم أيكم يصبر وفيه حث على الصبر على ما افترضوا به (وكان ربك بصيرا) لمن صبر ولمن جزع * في البخارى ومسلم أن النبي ﷺ قال (إذا نظر أحدكم الى من فضل عليه بالمال والجسم فليتنظر الى من هودونه في المال والجسم) لفظ البخارى ومسلم (انظروا الى من هو أسفل منكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم) (وقال الذين لا يرجون لقاءنا) أى لا يأمولون الوصول الى جزائنا (لولا) هلا (أنزل علينا الملائكة) رسلا دون البشر أو شهداء على نبوته ﷺ (أو نرى ربنا) جهرة فيخبرنا برسائه (لقد استكبروا في أنفسهم) أى أضمروا الاستكبار عن الحق (وعتوا) وتجاوزوا الحد في الظلم (عتوا كبيرا) أى انهم بلغوا غاية الاستكبار إذ عابوا المعجزات الظاهرة فأعرضوا عنها وطلبوا ما تشاق الى الأنفس القدسية . واذكر (يوم يرون الملائكة) وهو يوم الموت ثم أخبر فقال (لابشرى يومئذ للمجرمين) أى لهم وإنما وضع الظاهر موضع المضمحل لوصفهم بالاجرام (ويقولون) أى الملائكة (سجرا محجورا) حراما محرما عليكم البشرى أى جعل الله البشرى حراما عليكم وإنما البشرى للمؤمنين وهذا من المصادر المنصوبة بأفعال متروكة اظهارها (وقدمنا الى ما عملوا من عمل) أى وعمدنا الى ما عملوا من أعمال البر التي عملوها في حال الكفر (جعلناه هباء منثورا) باطلا لا ثواب له . والهباء ما يرى في السكوة كالغبار اذا وقعت الشمس فيها فلا يمس بالأيدى ولا يرى في الظل والمنثور المتفرق وكذلك ما يسقط من حوافر الدواب عند السير من الغبار يقال له هباء (أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا) أى خير مكانا يستقر فيه من هؤلاء المشركين المستكبرين (وأحسن مقيلا) أى مكانا يستروح فيه بالأزواج والتنع بهن وذلك مجاز من مكان القيولة وفي ذلك رمز الى ما يترتب به مقيلتهم من حسن الصور وغيره من المحاسن * ويقال ان أهل الجنة لا يموت بهم يوم القيامة إلا قدر ما هو من أول النهار الى وقت القائلة حتى يسكنوا مساكنهم في الجنة * ويروى أن يوم القيامة يقصر على المؤمنين حتى يكون كما بين العصر الى غروب الشمس (ويوم تشق السماء بالغمام) بسبب طلوع الغمام منها وهو المذكور في قوله تعالى - هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة - (ونزل الملائكة تزيلا) في ذلك الغمام بصحائف أعمال العباد فتشق السماء الدنيا فينزل أهلها وهم أكثر ممن في الأرض من الانس والجن . ثم تشق السماء الثانية فينزل أهلها وهم أكثر ممن في السماء الدنيا ومن الجن والانس . ثم كذلك حتى تشق السماء السابعة وأهل كل سماء يزيدون على أهل السماء التي تليها ، ثم تنزل الكروبون ثم حلة العرش (الملك يومئذ الحق للرحمن) أى الملك الذي هو الملك حقا ملك الرحمن يوم القيامة فلا ملك يقضى غيره يوم القيامة (وكان يوما على الكافرين عسيرا) شديدا (ويوم بعض الظالم على يديه) عض اليدين كناية عن الغيظ والحسرة لأن عض اليدين من روادف الحشرات وأل في الظالم للجنس فيتناول عقبة بن أبى معيط الذي كان سبب نزول الآية وغيره (يقول يا ليتني اتخذت في الدنيا (مع الرسول سبيلا) طريقا الى النجاة والجنة وهو الايمان (ياويلنا) * وقرئ - ياويلنى - لأن الرجل ينادى ويلته وهى هلكته يقول لها تعالى فهذا أوانك (ليتني لم اتخذ فلانا خليلا) فلان كناية عن الاعلام والمراد كل خليل يصد عن الهدى ويوقع صاحبه في الردى . فكل من اتخذ من المضلين خليلا كان لخليله اسم علم لاحتماله لجعله كناية عنه . ومن الأخلاء الشياطين فلا فرق بين شياطين الانس وشياطين الجن ومن هؤلاء الأخلاء أبى بن خلف . وذلك أن عقبة بن أبى معيط كان يكثر محالة النبي ﷺ فدعاه الى ضيافته فأبى أن يأكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل ، وكان أبى ابن خلف صديقه فعاتبه فقال صأت فقال لا والله ولكن أبى أن يأكل من طعامى وهو في بيتى فاستعيت منه فشهدت له فقال لا أرضى منك إلا أن تأتيه فتطأ فقاء وتبزق في وجهه فوجدته ساجدا في دار الندوة ففعل ذلك فقال ﷺ لا ألقاك خارجا من مكة إلا علوت رأسك بالسيف فأسر يوم بدر فأمر عليا فقتله .

وأما أنى بن خلف فقتله النبي ﷺ بيده يوم أحد . ثم قال الله تعالى (لقد أضلني) أى الخليل (عن الذكر) أى عن ذكر الله أو القرآن (بعد إذ جئني) من الله (وكان الشيطان) أى خليفه لأنه واحد من شياطين الانس والجن (للانسان) المطيع له (خذلوا) يواليه حتى يؤديه الى الهلاك ثم يتركه ولا ينفعه (وقال الرسول) محمد ﷺ يوم القيامة أوفى الدنيا يث شكواه الى الله (يارب إن قومي) قريشا (اتخذوا هذا القرآن مهجورا) بأن تركوه وصدوا عنه . مأخوذ من الهجران وفيه تخويف اقومه وماشكا نبي قومه إلا حل بهم العذاب ثم أقبل الله عليه مسلما فقال (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين) أى وكما جعلت لك أعداء من مشركي قومك جعلنا لكل نبي الخ والعدو يحتمل الواحد والجمع أى لا يكبرن عليك ذلك فان الأنبياء قبلك قد لقوا هذا من قومهم فصبروا فاصبر أنت كما صبروا فاني ناصر لك وهاديك وهذا قوله تعالى (وكفى بربك هاديا) الى طريق قهرهم (وانصيرا) لك عليهم (وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جلة واحدة) أى هلا أنزل عليه دفعة واحدة في وقت واحد كما أنزل التوراة والانجيل والزبور (كذلك) يقول الله لإجابة لهم أنزل كذلك أى مفرقا في ثلاث وعشرين سنة (لنثبت به فؤادك) لنقوى به قلبك فتعيه وتحفظه فان الكتب السابقة نزلت على أنبياء يقرؤن ويكتبون وهذا القرآن نزل على نبي أمي لا يكتب ولا يقرأ فلو ألقى عليه جملة واحدة لم يستتب له فان التلقف لا يأتي إلا شيئا فشيئا . وأيضا نزل القرآن بحسب الوقائع فذلك يوجب زيادة البصيرة وغوصا في المعاني وبنزوله منجما يتحدى بكل نجم فيجزون عن معارضته فيزيده ذلك قوة في قلبه ومن ذلك معرفة الناسخ والمنسوخ . ولقد عرفت حكمة الناسخ والمنسوخ في هذا التفسير في سورة البقرة فاقراءه هناك . ثم قال تعالى (ورتلناه ترتيلا) قرأناه عليك شيئا بعد شيء على تودة وتهل والترتيل التبيين في ترسل وتثبت ويقال فرقاه تفريقا آية بعد آية (ولياتونك بمثل) سؤال عجيب كأنه مثل في البطلان أى يضربونه لك في ابطال أمرك (الإجتناك بالحق) الدافع له في جوابه (وأحسن تفسيراً) وبما هو أحسن بيانا أومعنى من سؤلهم وقال تعالى (الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم) أى يساقون ويحشرون على وجوههم الخ مبتدأ خبره (أولئك شر ماكانا) أى منزلا ومصيرا (وأضل سبيلا) أى أخطأ طريقا وكأنه قيل انه ما حلهم على هذه الأسئلة إلا تحقير مكانه ﷺ وتضليل سبيله وهم لا يعلمون حالهم فليعلموا أنهم - شر ماكانا وأضل سبيلا - وقوله تعالى - يحشرون على وجوههم الى جهنم - الخ قد ورد في الحديث مايناسب ذلك وهو قوله ﷺ ﴿ يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أصناف صنف على الدواب وصنف على أرجلهم وصنف على وجوههم قيل يارسول الله كيف يحشرون على وجوههم فقال عليه الصلاة والسلام الذي أمشاكم على أقدامكم يحشرون على وجوههم ﴾ . ولما كان من عادة الله تعالى أن يذكر نبيه ﷺ أحوال الأمم السالفة مع أنبيائها ليكون ذلك أنسا لقلبه ونبراسا للصالحين من أمته أردف ذلك بذكر موسى ونوح وعاد قوم هود وثمود قوم صالح وأصحاب الرس قوم شعيب وذلك لأنه ذكر انه جعل - لكل نبي عدوا من المجرمين - وأن الله يهدي الأنبياء وينصرهم . فهنا أخذ يبين كيف نصرهم الله على أعدائهم وهداهم الى ذلك النصر ولارشاد أمهم فقال (ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هارون وزيرا) يوازره في الدعوة واعلاء الكلمة مع مشاركته له في النبوة والشرى كان في النبوة متوازنان فيها (فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا) وهم فرعون وقومه (فدمرناهم تدميرا) أى فذهبا اليه فكذبوهما فدمرناهم . هكذا هؤلاء أرسلتك اليهم يا محمد فان كذبوك فاني أدمرهم تدميرا وقد تم كل ذلك (وقوم نوح لما كذبوا الرسل) لأنهم بتكذيب نوح قد كذبوا سائر الرسل لأن دعوتهم واحدة (أغرقناهم) بالطوفان (وجعلناهم) وجعلنا اغراقهم أوقصتهم (للناس آية) عبرة (وأعتدنا للظالمين) من كل أمة (عذابا أليما) كما عذبنا هؤلاء (و) أهلكنا (عادا وثمود وأصحاب الرس) هم قوم كانوا يعبدون الأصنام فبعث الله اليهم شعبيا فكذبوه فبينما هم حول الرس ﴿ البئر المطوية ﴾

انهارت خسف بهم وبديارهم (و) أهلكنا (قرونا) أى أمما (بين ذلك) المذكور (كثيرا) لا يعلمها الا الله أرسل اليهم أنبياء فكذبوهم فأهلكوا * قيل القرن سبعون سنة وقيل مائة وعشرون سنة (وكلا ضربنا له الأمثال) بينا له القصص العجيبة من قصص الأولين انذارا واعذارا فأصروا على الاستكبار والكفر فهلكوا وهذا قوله تعالى (وكلا تبرنا تنبيرا) فتننا تفتينا ومنه التبرلقات الذهب والفضة (ولقد أتوا) يعنى قريشا مرارا فى متاجرهم الى الشام (على القرية التى أمطرت مطر السوء) وهى سدوم التى هى أعظم قرى لوط وقد أمطرت عليها الحجارة (أفلم يكونوا يرونها) اذا مروا بها فى أسفارهم فيعتبروا ويتعظوا . ولا جرم أن مدائن قوم لوط كانت على طريقهم فى ممرهم الى الشام (بل كانوا لا يرجون نشورا) لا يخافون بعثا أولا يأمون نشورا كما يأمله المؤمنون (واذا رأوك ان يتخذونك إلا هزوا) ما يتخذونك إلا موضع هزؤ أومهمزأ به إذ كان أبوجهل اذا مرّ مع أصحابه قال مستهزئا (أهذا الذى بعث الله رسولا * إن كاد) أى انه كاد (ليضلنا عن آلهتنا) ليصرفنا عن عبادتها (لولا أن صبرنا عليها) أى على عبادتها أولولم نصبر على عبادتها لصرفنا عنها (وسوف يعلمون حين يرون العذاب) فى الآخرة عيانا (من أضل سبيلا) أى أخطأ طريقا (أرأيت من اتخذ إلهه هواه) أى من أطاع هواه فيما يفعل وفيما يترك فهو عابده وجاعله إلهه . يقول الله لرسوله ﷺ هذا الذى لا يرى معبودا إلا هواه كيف تستطيع أن تدعوه الى الهدى وتحفظه من متابعة هواه وعبادة ما أدّى اليه هواه فتكون عليه موكلا فتصرفه عن الهوى الى الهدى فما عليك إلا البلاغ وهذا قوله تعالى (أفأنت تكون عليه وكيلًا) * يقال ان الواحد من أهل الجاهلية كان يعبد حجرا فاذا مرّ بحجر أحسن منه ترك الأوّل وعبد الثانى * وقال الحسن « هذه الآية فى كل من اتبع هواه » ثم قال تعالى (أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا) أى بل أتحسب أن أكثرهم يسمعون ما نقول سماع طالب الافهام أو يعقلون ما يعاينون من الحجج . وهذا الذم أعظم مما تقدم فكأنهم لاسمع لهم ولا عقل حتى شبههم بالأنعام فى عدم انتفاعهم بالكلام وعدم إقدامهم على التدبر والتفكير بل هم أضل من الأنعام لأنها تهتدى لمراعيا ومشاربها ونفاد لأربابها الذين يتعاهدونها وهؤلاء الكفار لا يعرفون طريق الحق ولا يطيعون ربهم الذى خلقهم وورزقهم * ويقال ان الملائكة روح وعقل والبهائم نفس وهوى والآدمى مجمع الكل فان غلبته النفس والهوى فضلته الأنعام وان غلبته الروح والعقل فضل الملائكة الكرام . انتهى التفسير اللفظى للقصد الأوّل من السورة وفيه لطائف

- (١) فى قوله تعالى - تبارك الذى نزل الفرقان على عبده - الخ
- (٢) وفى قوله - وخلق كل شئ فقدره تقديرا -
- (٣) وفى قوله - ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا -
- (٤) وفى قوله - وقالوا ما هذا الرسول يأكل الطعام -
- (٥) وفى قوله - لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا -
- (٦) وفى قوله - أنتم أضللتم عبادى هؤلاء أم هم ضلوا السبيل * قالوا سبحانك - الى قوله - ولكن متعنتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا -
- (٧) وفى قوله - وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون -
- (٨) وفى قوله - وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا -
- (٩) وفى قوله - ويوم تشقق السماء بالغمام -
- (١٠) وفى قوله - ويوم بعض الظالم على يديه - الخ
- (١١) وفى قوله - وقال الرسول يارب إن قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا -

(١٢) وفي قوله - وكذلك جعلنا لكل نبيّ عدوّا من المجرمين -

(١٣) وفي قوله - الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم -

(١٤) وفي قوله - أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا -

(١٥) وفي قوله - إن هم إلا كالأنعام بل هم أضلّ سبيلا -

(اللطيفة الأولى في قوله تعالى - تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا -)

تقدّم أن معنى تبارك يشمل تكاثر الخير والدوام والتعالى على كل شئ فهو عال في صفاته وأفعاله ودائم . فانظر الى الصفات التي ذكرت في حيز هذا الفعل اذا هي

(١) انه نزل الفرقان على النبي ﷺ لينذر الناس

(٢) وانه له ملك السموات والأرض

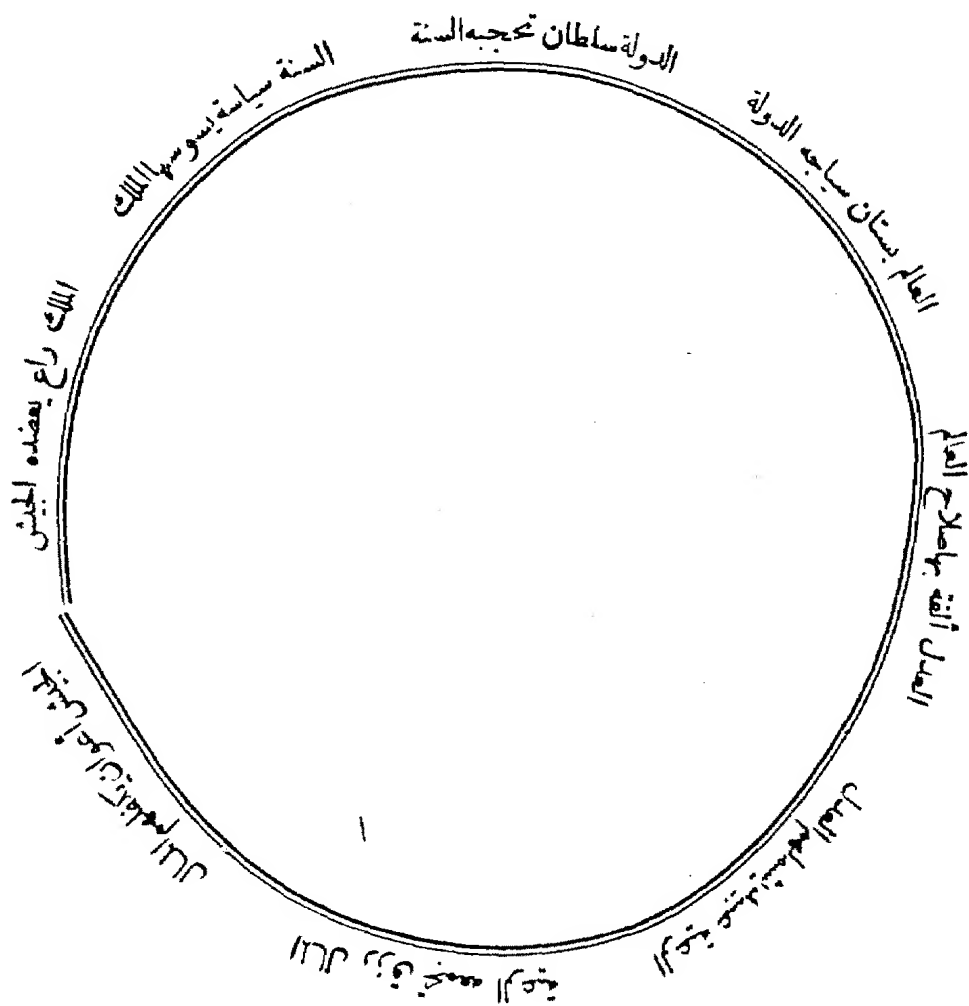
(٣) ولا ولد له

(٤) ولا شريك له

(٥) وانه خلق كل شئ

(٦) وانه قدير تقديره وجعله على أبداع وأتقن الأوصاف

فهذه الأوصاف هي الخير كله والبركة من نور ينزل الى الارض وهداية الناس وملك يعم سائر الكائنات وجميع الملوك خاضعة له وليس له ضد ولا ولد لأن الولد لمن يفنى فيقوم مقامه والشريك يدل على قوة مقاومة وليس الانفراد بالملك وعدم المنازع وعدم الفناء الذي دل عليه انه لا ولد له بمعنى عن انه قادر على خلق كل شئ فربما كان مالكا لكل شئ دائم الوجود لاضد له ومع ذلك لا يقدر على خلق كل شئ بل ربما كان هذا الملك قد أخذه اغتصابا فقال - وخلق كل شئ - فكل ما يملكه في السموات والأرض هو خلقه لا أنه أخذه عن غيره ولم يخلق الأشياء اعتباطا بل جعل لكل شئ قدرا مقدورا وحدّا محدودا ونظاما ثابتا وهذا هو السبب في بقاء ملكه ودوامه لأن دوام الملك على مقتضى النظام . فكما اختلّ النظام كان زوال الملك أسرع وكما كان النظام أتمّ كان الملك أديم ولذلك يقال « ان العدل أساس الملك » ويدلّ على ذلك الدائرة المشهورة المثمنة الكلمات التي أرسلها (أرسطاطاليس) الى الاسكندر المقدوني تلميذه لما فتح بلاد فارس ورأى أن الناس تقدم للاسكندر الهدايا المالية والتحف الغالية والذخائر الثمينة من الجواهر والأحجار الكريمة فرأى أن هديته الى تلميذه الملك يجب أن تكون أرقى من كل شئ وذلك هو العلم فكتب له دائرة فيها ثمان كلمات يرجع آخرها الى أولها وأولها الى آخرها كما يرجع هذا الكون كله الى دائرة يتوقف أولها على آخرها وآخرها على أولها وهذه صورتها



وقد تقدمت هذه الدائرة في (سورة آل عمران) وأعدناها هنا لما تراه من الشرح عليها . ويقال أيضا ان (أرسطاطاليس) أوصى أن تكتب هذه الكلمات الثمان على مدفنه في جهاته الثمان . هذه هي الكلمات الثمان وهذه هي الوصايا التي عرف الناس قديما أن لبقاء الملك لإياها . فتأمل أيها الذكي وانظرو تفكروا وقل لي أأنت ترى أن الملك مضطر إلى شريعة وإلى جيش والجيش إلى مال والمال إلى رعية والرعية إلى العدل والعدل إلى دولة والسهولة إلى سلطة وقوة والسلطة والقوة تحتاج إلى قانون والقانون إلى الملك . فانظر أأنت ترى أن الفلاح يحتاج إلى رئيس الدولة ورئيس الدولة يحتاج إلى الفلاح . أأنت ترى أن الناس في الحقيقة كجسم واحد . وكما أن العين لا بد لها من رجل ويد فاليد لا تكون والرجل لا تنتقل بلا عيون مبصرة . إن الأمم لأحياء لها لإلبنظام تام ودوام الملك على حسب ثبات النظام ولذلك نجد الأمم كلما اختلف نظامها أسرع فناؤها هذا في ممالكنا الأرضية . ولتعلم أيها الذكي أننا لم نكون دولة ولم نقيم ممالك إلا على مقتضى القانون الإلهي فان الأدنى تبع الأعلى ولما كنا عبيدا لله وضع في نفوسنا قوانين الحياة والنظام ولكنه أعطانا القوانين على حسب قابليتنا . فكلما ارتقت العقول والأخلاق كان نظام دولتنا أكمل . وكلما ضلت العقول والأخلاق كان نظام دولتنا أضعف وأقرب إلى الزوال . انظر بعقلك إلى نظام النمل والنحل والزناير وكلاب البحر والغربان وكثير من الطيور والسماك في البحر وكثير من الحشرات . ألم تر أن الله أعطاهما نظاما ثابتا بإلهام لا بتعليم فدام نظامها على مقتضى إلهامه . أما الإنسان فإنه هو الوحيد الذي أمر أن يقتني آثار الحكماء والعلماء ويفكر فإن شاء صار أقل من تلك الحيوانات وإن شاء صار قريباً من الملائكة

(اعتراض على المؤلف)

لما وصلت الى هذا المقام اطلع بعض الفضلاء على هذا فقال يا عجبا كل العجب نحن في مقام ان الله له ملك السموات والأرض وليس له ولد ولا شريك وانه خلق كل شئ فقدره تقديرا . فآلنا وما لأرسطاطاليس ونظام دول الأرض ونظام النمل والحشرات والطيور . يا عجبا كل العجب . إن الناس يقولون فيك انك مغرم بالبحث في الحيوان وفي الكواكب . فأنت في كل مقام وبأدنى مناسبة ولأقل سبب ترجع الى ما اعتدته ويظهر أن مسألة التفسير وغيرها ترجع الى أذهان المفسرين والمؤلفين لا الى القرآن والا فلماذا نراك دائما تخوض في مواضيع لاعلاقة لها بتفسير القرآن

فأين الثريا وأين الثرى * وأين معاوية من على

سارت مشرقة وسرت مغربا * شتان بين مشرق ومغرب

غيره

فقلت له يرحمك الله لاتجمل على قبل أن أبين لك ما أريده . هاتنا ذا ذكرت لك نظام الدول وأنها كلما كانت أقوى نظاما كانت أدوم . وأقرب شاهد على ذلك كلام (أرسطاطاليس) وهذا ملكنا الصغير فانظر الى ملك الله الكبير . أأست ترى انه دائم . أولست ترى أن الشمس والقمر والكواكب والنجوم والانسان والحيوان بين يديك . أأست تقرأ في الكتب أن هذه الدنيا كانت من أزمان قديمة مسكونة بأهم وأن هذه الشمس وهذه النجوم كانت موجودة . قال بلى . قلت فهذا الدوام ناشئ من حسن النظام وقد جعلنا الدوام راجعا لحسن النظام فلولا حسن النظام في هذا الوجود لاختل ولا نهضت الأرض والسموات كما تخرب الدولة بسوء سياستها . فكيف يمكننا أن نعرف أن نظام الله لا يضارعه نظام إلا بهذه الموازنة إذ أننا نرى دولا تسقط سريعا بسوء نظامها وأما تبقى مئات السنين لحسن نظامها والتاريخ وعلوم السياسة كافلان بذلك . ثم اننا نجد نظاما ثابتا لا يتدهور ولا يتداعى ولا يسقط فاذا هو نظام الله فقلنا ان هذا النظام بديع فوق كل نظام . اننا ونحن على هذه الأرض ضعاف مساكين جهال فاذا ادعينا أن نظام الله عظيم يقال لنا وكيف تحكمون بذلك وأنتم عبيده قصار الأعمار فلتحكمم بالتأني ونوازن ملككم بملكنا ونظامه بنظامنا فاذا وجدنا دولنا تتسارع الى الفناء وملككم قائم شخ لا ينقضي ولا ينهدم ولا يتساقط ووجدنا شمسهم وقمرهم وكواكبهم ساطعة راتحة غادية دائرة ساهرة جادة لاتنام ولا تغفل عرفنا أن ذلك الملك الدائم دال على نظام فوق كل نظام وبهذا وحده نفهم هذه الآية . فاذا قيل لنا انه له ملك السموات والأرض ولولده ولانثله وانه خالق كل شئ فهذا كله لا يعطينا أن الملك دائم فلما قال - فقدره تقديرا - عرفنا دوامه ولا يستبين لنا ذلك إلا بما قدمناه وبهذا نعرف قوله - تبارك الذي بيده الملك - فهذا معنى تكاثر خبره ومعنى دوام خبره

فلما سمع صاحبي ذلك قال لقد أحسنت صنعا وأجدت معنى وأريتنا مأم نكن لتوقعه وكأملك بذلك ترينا أن مثل هذه الآية داعية الى النظر في أمور الأمة . قلت ولم لا يكون ذلك ونحن أمرنا أن نتخلق بأخلاق الله وقد جاء في القرآن - إن ربي على صراط مستقيم - فهذا من صراطه المستقيم وقد أمرنا ان نقول في الصلاة - اهدنا الصراط المستقيم - والنكرة اذا أعيدت معرفة كانت عين الأول فكأننا أمرنا أن نسير على صراط الله المستقيم . ولقد صرح بذلك في آية أخرى فقال - وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله - فهذه الآية تدعو حثنا الى أن نحذو حذو خالق العالم في حسن النظام والتقدير واعلم أن فهم مثل هذه الآية يحتاج الى علوم الأولين والآخرين فان قوله - وخالق كل شئ فقدره تقديرا - تدعو الى البحث في كل شئ . تدعو الى البحث في الأنهار . في المزارع . في أضواء الشمس . في نفس الشمس وفي القمر وفي الكواكب . انظروا انظروا وتعجبوا . انظر الى الدائرة التي سبق ذكرها في كلام (أرسطاطاليس) فانظر كيف جعل الأمة قد ارتبط بعضها ببعض وأنت متى تأملت العالم كله وجدته على مثل هذا النظام والتقدير

ترى ضوء الشمس يحرك البخار من البحار ويحرك الهواء في الجو فيصير الهواء ريحا هابة ويحمل البخار ويسير به بين جبلين ليحفظاه وهو جار حتى يحمل البخار الى عشرات الأميال بعيدا عن البحر فيسقط مطرا على الأرض ويكون هناك الحب فينبت . والشمس التي أنارت البخار وحركت الرياح هي بعينها تلح على الحبة وعلى الأرض فتنبت ونخرج حبا آخر والشمس لاتزال تلح بأشعتها فيخرج الحب فيأكله الناس . ولا حياة للناس ولا للنبات ولا للحيوان إلا بالماء والرياح التي تهب من وقت لآخر ثم يصير الماء الذي في أرض الزرع وفي أجسام الناس بخارا يصعد الى الجو فيرجع مطرا وهكذا تلك الرياح لاتزال دائرة . ولقد تقدم أن تنفس الحيوان لا بد منه في بقاء النبات وتنفس النبات لا بد منه في بقاء الحيوان فهناك تبادل سبق اوضحه بحيث لا يعيش الحيوان ولا يعيش النبات إلا اذا كان كل منهما موجودا على الأرض . وهكذا أيضا غذاء الحيوان لا بد من أن يكون نباتا والا هلك وساد النبات يكون من الحيوان والانسان متوقف عليهما والجميع متوقفون على الرياح والماء وهما متوقفان على الشمس والشمس لا بد من سيرها وسيرها متوقف على شمس أخرى تدور حولها والشمس الأخرى تدور حول أخرى وهنا انقطع علم الناس . فاذا قال (أرسطاطاليس) هنا نعمان كلمات قلنا هناك كلمات لانحصى - قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا -

بمثل هذا فليدرس هذا القرآن وليدرس الناس هذا النظام العجيب والافلامعنى للحياة . فبمثل هذا فليعرف الناس تقدير الله لملك وكيف قال تعالى - وخلق كل شيء فقدره تقديرا - فالتقدير يعرف في الكلمات وفي الجزئيات . فأما الجزئيات فقد تقدم في هذا التفسير ما فيه مقنع لليب . ولقد ذكرنا فيه نظام الانسان والحيوان والكواكب وكتبنا فيه من كل فن ولم نذكر النحل ولا النمل ولا العنكبوت إلا كتبنا في عجائبا فبعضها قد كتبناه فيما مضى وبعضها سيكتب إن شاء الله ان دامت الحياة في حينه متى وصلت اليه ومن درس الدوائر التي في الانسان من دائرة العقل الى دائرة التنفس الى الدائرة الدموية الى الدائرة الغذائية رأى تعاونها بديعا جدا فان العقل به يدار نظام الجسم فاذا مست النار الجلد أسرع الانسان الى مجانبته وذلك بالحواس وهي هنا حاسة اللمس واذا جاع الانسان احتال في طلب الغذاء وذلك بالعقل والحواس والجوارح . ثم ان دائرة التنفس تدخل الهواء في الرئتين فيصلح الدم ثم يخرج من الفم حاملا الكربون أي المادة الفحمية ليدفعها الى الهواء وهذه المادة الفحمية تذهب الى النبات فتغذيه فهي ضرر في الانسان منفعة في الحيوان . ثم ان الدائرة الدموية التي أصلحها التنفس عبارة عن دم يجري في الأذين الأيمن والبطين الأيمن والأذين الأيسر والبطين الأيسر في القلب فالقلب عبارة عن (أربع تجاويف) اثنان أعليان واثنان أدنيان ويقابل في الرئتين الهواء الجوي فيصلح ويرجع للقلب ويتفرع للشرايين الممتدة في أعلى الجسم وفي أسفله لسكل منهما بعرق غليظ مفرع الى فروع تمتد وتغور في سائر أطراف الجسم . فانظر كيف احتاجت الأعضاء الى الدم لتأخذ منه ما يعوض ما فقدته من المواد التي صارت خفا وكيف احتاج الدم الى الهواء لينقي من المواد الفحمية وكيف احتاج الهواء في دخوله الى أن يكون في الرئتين وكيف كانت الرئتان لا يدخلهما الهواء إلا بعد مروره بالقصبة الهوائية ولا يمر بها إلا بعد دخوله في الخنجر ولا يدخل فيها إلا بعد دخوله من الحيشوم ثم إن الدم لا يكون إلا من خالص الغذاء وخالص الغذاء يكون في الامعاء وخالص الغذاء في الامعاء يكون آتيا من المعدة والغذاء في المعدة جاء من المريء والمريء أخذه من الفم والفم قد مضغه بالأضراس وقد تلقاه عن الشفتين وهما عن اليد واليد تناولته من المائدة والمائدة مدينة للخباز والطباخ وهما مدينتان للفلاح والفلاح يزرع الأرض . فالزرع متوقف على الفلاح المتوقف على الطعام فصار الطعام متوقفا على الطعام والفلاح متوقفا على الفلاح وهذه الدائرة هي عين التي قالها (أرسطاطاليس) انما هذه أطول وأطول . وقد قدمنا لك أن هذه الدائرة لانهاية لها بل هي متسلسلة تسلسلا يفوق ادراك البشر . فدوائر الناس في مدنها على مقتضى دوائر الله في نظام ملكه

بهذا فلتفهم كيف قال تعالى هنا - تبارك الذي نزل الفرقان على عبده - الخ ثم قال - الذي له ملك السموات والأرض - كأن الله يقول لنا أنا أنزل القرآن على محمد ليفرق بين الحق والباطل والحرام والحلال وإذا كنت أنا الذي أنزل القرآن على محمد فأنا الذي قدرت كل شيء تقديرا ووزنته بميزان عدل . فأنا الذي وزنت السموات والأرض فلتزنوا نظامكم على نظامي . فأنا إذا أنزل الفرقان على عبدي فاني أقصد أن تجعلوا نظامكم على وفاق نظامي أي أن نجتهدوا أن يكون نظامكم أكمل نظام على قدر الامكان . ألسنت أنا القائل - والسماء رفعها ووضع الميزان * ألا تطغوا في الميزان * وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان - فأنا وزنت السموات والأرض لأجل أن تسيروا على نظامي في الوزن والعدل أي لأجل ألا تطغوا في الميزان أي لا تزيدوا فيه وليكن وزنكم بالحق ولا تنقصوه على مقتضى نظامي . هكذا هنا يقول الله تعالى أنا أنزل القرآن على عبدي ليكون للعالمين نذيرا . ثم وصف نفسه سبحانه بصفات الملك الدائم الذي هو على أحسن تقدير وبهذا تجلي المعنى في أحسن زى وأبهى جلال وأبدع صلة وأوفى بيان

(حكاية عجيبه بديعة سارة شارحة للصدور في اللطيفة الثانية وهي قوله تعالى - فقدره تقديرا -)
لقد سبق الكلام على التقدير في اللطيفة الأولى بما لا مزيد عليه . ولأذكر لك حكاية بديعة شارحة لصدرك وإن كانت دقيقة المعنى فأقول

بينما أنا أكتب في هذا التفسير إذ قرأت في الجرائد المصرية يوم الثلاثاء (٣) فبراير سنة ١٩٢٥ الموافق (٩) رجب سنة ١٣٤٣ هجرية خبر رجل افرنجي ألقى محاضرة في بلادنا المصرية وهو ألماني الجنس . وتلك المحاضرة مناسبة لهذه الآية فأردت أن أثبت المقصود منها لتكون من عجائب العلم وبدائع القرآن والمصادقات التي تدهش القارئين الأذكياء فأقول

إن هذا العالم اسمه البارون (ولدميراوسكول) ألماني الجنس وهو روسي المنشأ وقد ساح العالم وألف كتباً عن بلاد شتى . وقد دعاه أهل القوقاز وهم مسلمون فعاش بينهم أمدا طويلا وأعجب بهم ثم توجه الى إسوج ووقع في يده كتاب في جامعة (استوكهلم ولوند) عن مصر مشتمل على حكم (توت) المعروف باسم آخر هو (هرمس تريس ماجستس) والحكم التي وردت في ذلك الكتاب جاءت في اثنتين وعشرين صورة رمزية كانت مرسومة على جدران هيكل بمنفيس تهتم ولكن بقيت أوصافه فألقى محاضرات شيقة من هذا الكتاب في إسوج وفي ألمانيا وفي الدانمرك وجعلها في كتاب . وهذه الصور اتصال بعلم الأرواح والمهم ما ذكره في إحدى محاضراته بمصرنا مما يوافق هذه الآية . قال

(إن المصريين القدماء كان عندهم من الحساب (نوعان) نوع عام يعرفه الناس ونوع خاص لا يعرفه إلا رجال الدين . أما النوع العام فهو الجمع والطرح والضرب والقسمة . وأما الذي يختص برجال الدين فهما الجمع المقدس والطرح المقدس . وبيان ذلك أن واحدا ليس من الأعداد وإنما هو خاص بالله تعالى لأن العدد كلمة دالة على التعدد والواحد لا تعدد فيه فهو خاص بالله تعالى وجميع الأعداد مركبة من الواحد فإذا زال الواحد زال العدد وإذا زال العدد لم يزل الواحد وهكذا الكسر لا يكون إلا بالواحد فلانصف ولا ربع ولا جزء من (١١) ولا جزء من مئات الألوف إلا إذا كان الواحد فالواحد هو الأول وهو الآخر وهو الظاهر وهو الباطن وهو كل شيء . ثم اننا إذا أضفنا الى الواحد ٣ ثم ٣ على طريقة المتوالية العددية التي تكون بزيادة ٣ فنقول (١ - ٣ - ٥ - ٧ - ٩ - ١١ - ١٣ - ١٥ - ١٧ - ١٩)

هذه المتوالية العددية فيها سرّ تكوين هذه الدنيا عند قدماء المصريين بل فيها سرّ المبدأ والميعاد . فيها سرّ الأولين والآخرين . فيها سرّ الدنيا والآخرة . فيها الرفع والخفض والموت والحياة والعمارة والحراب فيها سرّ الله وسرّ الخلق . فيها سرّ كل شيء . وبيانه انك اذا أضفت ٣ الى واحد بطريق الجمع المقدس فان

ذلك اشارة الى آثار الله في الطبيعة . فترى الفصول الأربعة وترى الصبح والظهر والعصر والمغرب يكون من مجموعهما الليل والنهار . وترى أكثر الحيوان الظاهر على أربعة أرجل . وترى هناك جهات أربعة ورياحا أصلية أربعة وهكذا من كل ماهو أربع . فإذا أضفنا (٣) أخرى صار العدد (٧) وهو الكمال في كل شئ في الفرد وفي المجموع . فأما عشرة فهو رمز الى متقلبات الحياة من رفع وخفض في الأفراد والأمم ورقم (١٣) اشارة الى الموت موت الأفراد وموت الأمم ورقم (١٦) اشارة الى الدمار العام والهلاك التام ورقم (١٩) اشارة الى الحياة النائمة ورجوع جميع الاحياء الى حياة كاملة . هذه هي الرموز التي كانوا يقولون انها تدل على هذه المعاني وكأنها صور رمزية دينية تقرب المعاني البعيدة . وأنا أزيدك على ما قاله ان هذه المتواليات العددية اذا أضفنا أولها الى آخرها صار المجموع عشرين نصفها عشرة أى ان الحد الأول والحد الأخير منها يساويان الحد الأوسط مضروبا في اثنين إن كان واحدا أو الحدين الأوسطين مجموعين معا اذا كانا اثنين كما اذا ابتدأنا بواحد وختمنا باثنين وعشرين فانك تضيف الواحد فيكونان (٢٣) وهما يساويان الحدين ١٠ و ١٣ متضامين الى بعضهما لأن الحدود في هذا عددها ثمانية فيكون الوسط حدين فأما فيما قبله فان عدد الحدود سبعة ووسطها عدد (١٠) فيضرب في اثنين . ولعلك تقول وما للآية وهذه المحاضرة ؟ أقول إن الآية أفادتنا أن الله واحد لا شريك له وأنه لا ولد له . وكل هذه المعاني يرمز لها بعدد واحد لأن الواحد منه كل شئ وأما قوله - نزل الفرقان على عبده - فقد رمزوا له بآثار الله في الطبيعة . ومعلوم أن الله أثريث اثرا في الخلق والتقدير وأثرا في الهداية فهذا له الرمز عندهم بعدد أربعة . وأما كونه تعالى له ملك السموات والأرض وخلق كل شئ فقتره تقديرا . فذلك رمزوا له بالعدد سبعة كما تقدم وبالعدد (١٠) لأن الخفض والرفع من أنواع التقدير وبعدد (١٣) وبعدد (١٦) لأن الهلاك والدمار من نوع التقدير وأما عدد (١٩) فهو المرموز له بإعادة الخلق بعد العدم ﴿ بهجة العلم في قوله تعالى - تبارك الذي نزل الفرقان - الى قوله - وخلق كل شئ فقتره تقديرا - وفيه ثلاث ياقوتات * الياقوتة الأولى * في قوله - ليكون للعالمين نذيرا - مع قوله - ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك - * الياقوتة الثانية * في نظام الآية من حيث ترتيب جملها إذ قدم تنزيل الفرقان في الذكر على خلقه للسموات والأرض مع أن الترتيب العملي يخالف ترتيب نظام الآية * الياقوتة الثالثة * في قوله تعالى - وخلق كل شئ فقتره تقديرا - ﴿ الياقوتة الأولى في قوله تعالى - ليكون للعالمين نذيرا - مع قوله - ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك - ﴿

اعلم أن الحكماء من الأمم العظيمة أجمعوا أن الله لا يحكم عليه زمان ولا مكان وبرهنوا على ذلك بأن الزمان انما جاء من دوران الشمس والكواكب والمكان انما حصل بترتيب هذه العوالم . إذن الزمان يحكم علينا أما خالق العالم فالزمان حادث بفعله ولا يحكم له إلا علينا . إذن الله لا يحكم عليه زمان ولا مكان وقد تقدم هذا في بعض هذا التفسير والزمان بالنسبة للأفراد يعتد بالسنين وبالنسبة للأمم يعتد بالقرون . إن الله يعتد بالطفل قبل ولادته كل ما يحتاجه حاسبا زمانه فلا يكاد يكمل خلقه في الرحم حتى ترى دم الأم يأخذ في التوجه لثديها وهناك يأخذ ذلك الجهاز الثديي في تحويل الدم الى ابن شياً فشيئاً وترى هناك أهل الطفل قبيل ولادته قد أعدوا له القابلات واليئاب التي تكون وقاية له والحجرة التي يعيش فيها . فهنا يكمل الاستعداد لاستقبال ذلك الضيف الحبيب فالدم ينزل والدم يصير لبنا والحكومة تعد الدفاتر لقيده . كل ذلك لطفل قادم من الرحم نازل بهذه الأرض المباركة الطيبة . هذه أفعال الله في طفل قادم اليها . إذن الحكمة التي دبرت هذا العالم لا تنفردا إلا أحاطته برجة لاحد لها . فلننظر للأمم فنقول

علم الله قبل أن يخلق هذا العالم أن هذا الانسان الذي يخلقه على وجه الأرض لا يقدر عقله أن يفهم أن

إله العالم بعيد عن المادّة متعال عنها فأنزل أنبياء وعلم حكماء قديما وقال لهم قولوا اننى لا ترائى العيون ولا تحيط بى
الظنون فقال ذلك (بوذا) و (خريستا) بالهند وقها (يو) و (كونفسىوس) بالصين وقالها موسى
وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام فما كان من الأمم إلا أن اخترعت ﴿أمرين﴾ الأول ﴿انه خيل لهم أن
الإله كالآب والمادّة كالأم وأن أحد القديسين كالابن فقالوا إن الله له ولد وولده بين ظهرائنا وقد أرسله
وصلب لأجلنا ورفع وذلك ليسهلوا للناس أن لهم إلهاء والافكيف يكون إله لا نراه ولا نرى له ابنا . أليس الله
مثلا يلد . أليس يجب أن يرسل ابنه لنا كما يرسل الملوك أولياء العهد فى البلاد التى يحكمها ﴿الأمر الثانى﴾
انهم لم يقدرُوا أن يتصوّروا موجودا لا يرى فعبدوا السكواكب ثم الأصنام التى ملأت السهل والوعر فى العالم
الآن . وقد تقدّم هذان الأمران فى (سورة البقرة) عند قوله تعالى - فلا تجعلوا لله أندادا - وفى (سورة
المائدة) فى آخرها وفى (سورة ابراهيم) عند ذكر الأصنام وفى (سورة مريم) عند ذكر المسيح وفى (سورة
الأنبياء) عند قوله تعالى - وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي اليه - الخ

علم الله أن الانسان هذه ستكون حاله وعلم أن دين المسيح الذى أصله توحيد سيقبله أهل الأرض
ويجعلونه كأديان الآشوريين والبابليين وقدماء المصريين وأهل مكسيكا القدماء وهكذا إذ جعلوا أباءنا
وروح قدس . العالم الانسانى كله كجنين فى بطن أمه وهذا الجنين عاش فى هذه الأرض إما (٥٠) ألف سنة
وأما أكثر الى (٣٠٠) ألف سنة . هذه الآلاف يمكننا أن نحسبها شهورا بالنسبة للآدم فتقول إذن الأمم لا تزال
طفلة وهذا الطفل يريد أن يتعلم فسمع حروفا من كلمات العلم قديما وبقى جاهلا لأنه لم يستحكم عقله ودخل
معابد الأصنام النابتة عن الإله وفرحوا بما عندهم من العلم . فإذا فعل الله للناس ؟ أرسل لهم رسولا من
أمة جاهلة وهولم يتعلم مثلهم فقال لهم لأصنام ولأبناء وكسر الأصنام ودم عقيدة الأبناء ورفع سيفه آتية وأعلن
السلام فى الأرض ثم فارق هذه الأرض الى ربه . مضى على ارسال هذا الرسول ﷺ ١٣ قرنا فلما أن نحسب
هذه القرون أعواما باعتبار آخر غير الاعتبار السابق ونقول إن هذا الانسان لا يزال مرافقا وأن أهل هذه
الكرة لم يتم التواصل بينهم ولا عرفوا تمام المعرفة حقائق الأشياء . وهام أولاء الآن أخذوا يدرسون . فإذا
تم فى ذلك . نقول أذكر لك ﴿حادتين اثنتين﴾ لا ثالث لهما ﴿الحادثة الأولى﴾ معابد بلاد الصين
والاسلام المنتشر فيها ﴿الحادثة الثانية﴾ كيف انتشر الاسلام فى جهات أفريقيا المظلمة على نهرا النيلجرفقول
هذا الطفل الذى أرسل الله له معلما بعد الأزمان السابقة قد صنع الله معه ما صنعه مع الطفل المولود حديثا .
فكما أن الطفل الحديث الولادة نرى الاستعداد له على ساق وقدم . هكذا هذا الانسان الذى أخرجه الله فى
هذه الأرض قد هيا له اليوم نبيا ليخرجه من جهالتة لأنه علم انه أخذ يستعد للارتقاء فقد مضى ١٣ عاما
فقط بعد نزول القرآن باعتبار أن القرآن عام . وهذه الأعوام بالنسبة لعمر هذا الطفل قليلة جدا لأنه سيعيش كثيرا
الآن أخذت الحقائق تظهر فى أهل الأرض فانظر الى أمة الصين . إن للصين آلهة معبودة يقدها الشيوخ
ويحقرها ويستهنئ بها الشبان . فترى هناك فوق جبل (تايشان) فى تلك البلاد القاصية معابد يحج اليها
المتدينون بها بمشقة عظيمة لأن ارتفاع الجبل (٥٠٠٠) قدم فوق سطح البحر وترى السلم الموصل الى المعبد
له (٧٠٠٠) درجة وترى الحاج لا يبلغ هذه القمة إلا بمشقة عظيمة ولذلك ترى هناك جالين يحملون الحاج الى
الأصنام فوق الجبل وفى الطريق زوايا صغيرة للآلهة الصغيرة وزوايا كبيرة للآلهة الكبيرة ويمجد الحاج بيوتا
للشاي ليسترىح فى الطريق من مشاق الصعود ، فهذه الآلهة (التي اذا حج إليها المؤمن بها رجع بعد طول
الشقة ووعاء السفر والجهد والنصب قرر العين لا يخشى الموت) قد باتت معابدها اليوم معرضة للاحتقار والاستهزاء
والسخرية من الشبان الذين قرؤا الحكمة والعلم وتورت بصائرهم إذ يرون انها أحجار لا تنفع ولا تنفع كما نطق
به القرآن وتراهم يذهبون اليها لتنجيسها تحقيرها شأنها وذلك العقل مطابق للقرآن

(الحادثة الثانية . كيف ينتشر الاسلام في أفريقيا المظلمة)

جاء في الأخبار المنشورة في الصحف في أيامنا هذه أن (تشارلس ريد) السائح الانجليزي يقول انه وجد زنجوا في (نيجيريا) يعرفون اسم (أرسطاطاليس) ويجادلون في فلسفته . وذلك بسبب ماقروه من الكتب الاسلامية التي دفعهم الاسلام الى قراءتها وأن الاسلام بدخوله بين القبائل يزول نظامها المجحف القديم والعسف والظلم بسبب نظام اسلامي جميل فيه الولاة والمحاكم وكل امرئ من هؤلاء الحكام يشعر بأنه مسؤول أمام ربه . وهؤلاء الزوج في حال همجيتهم ووثيتهم يقيمون على عادات جاهلية فيأكلون لحم الميتة ولا يبالون بالأقدار ولا يعرفون المحارم في الزواج وقد يأكل الابن أمه اذا مات فاذا دخلوا في الاسلام رأيت الأمر غير ذلك فيعرفون معنى النظافة ويتفقهون في الدين ويقرون الكتب التي ألفها المسلمون

فهناك الحادستان من الحوادث الكثيرة اخترتها لتنف أيها الذكي على مقدار جهل هذا الانسان اليوم . فهذهوذا الصيني العريق في المدنية والصناعة والعلم لما ظهرت بوارق اشراق شمس العلوم أخذ يدنس الأصنام محقرا بها معابده . وهاهوذا الافريقي المتوحش لما باغه دين الاسلام بطريق مقبول تدين به واتقى ربه وهذا في آخر الدنيا شمالا وهذا في آخرها جنوبا . ثم ان هؤلاء المسلمين عند (نهر النيجر) لا يخلو اسلامهم من خرافات تبعا لعوائدهم . ولقد يسمع الانسان كثيرا بحجاج يسمون (التكارنه) فهم هؤلاء أنفسهم يمشون على أقدامهم الى مكة يسألون الناس تكففا ويموت أكثر من نصفهم في الطريق . ثم ان سلطان الزوج في (برموه) في (نيجيريا) الفرنسية مسلم لا تفوته صلاة ولا يهمل فرضا ولكنه مقيم على عوائده الافريقية فهو يأكل تحت شجرة من أشجار (المنجة) ورعاياه لا ينظرون اليه ولا يخاطبونه إلا اذا ولاهم ظهره والجوقة الموسيقية كذلك لاتعرف إلا اذا ولت ظهرها اليه

هذا هو الاسلام يهدي الافريقي . وهاهوذا في بلاد الصين الكثيرة الأصنام . تلك الأم التي عند أهلها آثار من العلم وقد انتزع العلم لهم الآن فحقروا الأصنام . فبالت شعري ماذا يصنعون الآن . أقول ان لهم ملجأ يلجئون اليه كما أن للطفل عند ولادته ملجأ يلجأ اليه . فلجأ الطفل القابلة وابن أمه والعطف العام عليه وملجأ هذه الأم الوثنية وحشية كانت أو متمدينة إن ربها ليس بغافل عنها كما لم يغفل عن الطفل . وهؤلاء الأطفال وهم أبناء آدم في الشمال والجنوب قد أعد لهم الله ألفاظ قبل ظهورهم أو الأساتذة قبل زمن تمييزهم غاية الأمر اننا نعقل عمل الله في الطفل لأنه أمر سهل ولنا نعقل عطفه على الأم فنظن أن عطف الله على الطفل قد بلغ النهاية وعطفه على الشعوب قليل ولكننا عند النظر بالحكمة نرى عطفه على الأم أبلغ من عطفه على الطفل لأن الأم مجموع أفراد . أفلا ترى انه أنزل القرآن وقال للمسلمين اقرؤوه وانشروه فقرؤوه ونشروه . ولما انتشر في بلاد الصين لم يف هذا الدين الاسلامي بحاجات تلك الأم لأنهم قوم علماء وحكام حكمه قديمة غامضة والمسلمون هناك (٧٠) مليوناً ودين الاسلام الشائع بينهم لم يخرج عن الأحكام الشرعية التي اجتهد فيها أبو حنيفة ولذلك تجمد الوثنيين الذين يحقرون هذه الأصنام يقولون للمسلمين إن دينكم لم يخرج عن كونه دين طلاق وفسخ واجارة وعقد وما أشبه ذلك . أما الحكمة والعلم ونظام الله في الأرض وعجائب الشمس والقمر وما أشبه ذلك مما نعرف نحن فان دينكم خال منه فلا فكر لكم معاشر المسلمين إلا في الصلاة والوضوء والغسل والحليض والنقاس والولادة وأحكام ذلك كله وأنتم أيها المسلمون عن العلم محجوبون

هذا هو الذي أخبرني به العالم الصيني المسمى (وان وين كين) حينما زار مصر وقد ذكرت خبره في مواضع من هذا التفسير وقال ان أربعة قواد من قواد الجنود الصينيين المسلمين أرسلوني لأبحث في أقطار الاسلام لعل هذا الدين حقيقة عدو للعلم كما يقول علماء الصين وهم حنفية المذهب أم الأمر على خلاف ذلك ولقد قال لي : لقد وجدت في مصر حركة عظيمة وقد اطلع والحمد لله على تفسير (سورة الفاتحة) وعلى تفسير (سورة البقرة)

ولقد قال لى انه سيجرم الفاتحة وكتاب القرآن والعلوم العصرية ، وسافر وأنا لأدري الآن ما فعل
 إن هذا الدين الاسلامى لما انتشر فى الأرض وأخذته أمم بعد العصر الأول لم تفهم ما يراد منه فأخذوا
 يتلونه بلا عقل وحسروا العقل الانسانى فى أحكام الفقه وفروعها . إذن هذه الأمم التى حلت هذا الدين بعد
 العصر الأول ليسوا كفؤا لهذا الدين . ولما أدرك الحقيقة الامام الغزالى فى القرن الخامس الهجرى ألف كتاب
 ﴿ الاحياء ﴾ وقال اننى أريد أن أحيى به عصر الصحابة أولئك الذين كانوا يفهمون من الاسلام ما لا يفهمه
 من بعدهم . ذلك أنهم كانوا يعلمون أن معرفة الله بالنظر فى المجائب والمخلوقات هى أصول هذا الدين وهكذا
 علم الأخلاق وتهذيب النفس تهذيبا عمليا وذم أهل زمانه ذمًا شنيعا ونقل ما قاله ابن مسعود يوم موت عمر
 ﴿ قد مات تسعة أعشار العلم ﴾ فقالوا له نحن أصحاب رسول الله نحمل العلم فقال لست أريد هذا ولكن أريد
 العلم بالله تعالى

ولما وصلت الى هذا المقام حضر صاحبى العالم الذى اعتاد أن يناقشنى فى معضلات هذا التفسير فقال لقد
 أطلت المقال فما ملخصه . فقلت

- (١) ان الأمم كلها أطفال
- (٢) وأن رحمة الله تشمل الأمم كما تشمل الأفراد
- (٣) وأن الله مهّد لهؤلاء الأمم بدين الاسلام كما مهّد للصبي ندى أمه
- (٤) ومن ذلك انه نشر الاسلام فى الصين عابدة الأصنام وفى نيجيريا المتوحشة
- (٥) وأن المسلمين فى الصين كبقية المسلمين ليسوا يعرفون من الدين إلا ألفاظ القرآن فهم له قراء والا
 الأحكام الحنفية والشافعية الخ

(٦) وأن هذه الأمم استعدادهم لجل هذا الدين ضعيف فلم يكونوا كالصحابة فى العصور الأولى ولا التابعين
 (٧) وأن الامام الغزالى رحمه الله أدرك هذه الحقيقة فنادى فى الناس بكتابه الاحياء يقول : أيها الناس
 دين الاسلام أن تعرفوا جميع العلوم فى هذا الوجود وأنتم ما علمتم اليوم إلا القليل جهالة وبلاهة ، وقد مضى
 بعد قوله ما يقرب من ألف سنة والمسلمون نائمون ولذلك لم يقدرُوا أن يهدوا أكثر الأمم الضالة التى تعبد الأصنام
 فقال وما دواء هذا الداء . فقلت دواؤه فى ﴿ الباقوة الثانية ﴾ وهى انه ذكر نزول الفرقان قبل قوله
 - له ملك السموات والأرض - . فقال وأى شئ فى هذا التقديم والتأخير وهل لهذا أهمية فى هذا الموضوع
 فقلت إن الدواء فى هذا التقديم والتأخير . فقال اذكر حادثة توافقت هذه حتى نستأنس بها . فقلت قد تقدم
 فى هذا التفسير أن أبابكر رضى الله عنه وقف خطيبا فى سقيفة بنى ساعدة وقال لا نصار أسلمنا قبلكم وقد منا
 فى القرآن عليكم فنعن المهاجرون وأنتم الأنصار فصن الوزراء وأنتم الأمراء . فهذا التقديم فى الآية حكمت
 قريش العرب وأم الاسلام قرونا وقرونا فكان منهم العباسيون والأمويون والعلوية وهكذا . كل هذا لتقديم
 كلمة على كلمة . وهكذا ترى الامام الشافعى يقول ﴿ يجب فى الوضوء تقديم الوجه على اليدين ﴾ ولماذا هذا لأن
 الله قدمه فى الذكر فى آية الوضوء واستدل بالحديث ﴿ ابدؤا بما بدأ الله به ﴾

فلما سمع صاحبى ذلك قال أما الآن فقد آن أن أسمع ما تقوله فى هذه الآية من حيث التقديم والتأخير
 لأن الحجة قائمة . فقلت ان الله خلق السموات والأرض قبل أن ينزل القرآن . قال نعم . قلت ولذلك يقول
 - الذى له ملك السموات والأرض - وهذه جملة اسمية تقتضى الثبوت والدوام أما نزول القرآن فقد ذكره
 بجملة فعلية تقتضى الحدوث . قال هذا حق . قلت فلماذا نظم القرآن مشى على سنن آية الوضوء وعلى سنن
 آية المهاجرين والأنصار ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ لو أن نظم الآية هنا اعتبر فيه مجازاة ما هو موجود لكان هكذا
 تبارك الذى له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك وخالق كل شئ فقدره تقديرا

ونزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا . الله لم يفعل ذلك هنا مع انه مقتضى الترتيب الوجودى وانما عدل الله عن ذلك بسرّ ظهر في عصرنا وحكمة بهرت في أيماننا . ذلك هو ما عليه المسلمون الآن . المسلمون الآن يقرؤون القرآن ولا يعرفون إلا التنزيل فهم يبتدئون بحفظه عن ظهر قلب ثم يقرؤون الأحكام الشرعية فلذلك صاروا أجهل الأمم مع أن القرآن من كلام الله وملك السموات والأرض فعله وقول القائل يفسره ويبيّنه فعله ونحن نسمع حديث النبي ﷺ ونتبع فعله وقوله . أفلا نفعل مع الله ما نفعله مع نبينا ومع الناس . نحن ننظر لأفعال الناس أكثر مما ننظر لأقوالهم . أفلا نتجدد في تتبع أفعال الله كما قرأنا أقواله . وبناء عليه يجب في اصلاح المسلمين أن نخرج قول الله بفعله في التعليم . ان قول الله أشبه بما يحيى الجسد الانسانى من الدم وهذا الدم الجارى في جسم المرأة لتغذية الجنين يفيد الجنين ولكنه لا يفيد الطفل كما قدمنا آنفا فاقضت الحكمة أن يكون هناك جهاز يصنع فيه الدم فيكون لبنا ليشربه الطفل الذى كان جنينا . هكذا الأمة الاسلامية التى كان أهلها أجنسة يحيون بالقرآن حياة الجنين في رحم أمه فلذلك لم يصلحوا اقيادة الأمم العظيمة ولا تفهم الناس الحكمة حتى ان المسلمين في الصين لم يغيثوا عباد الأصنام بمعرفة حقائق الدين الحكمة لجعلهم بها فهم يتخطون في عبادة الاصنام يائسين من دين حق في الارض

المسلمون أصبحوا اليوم غيرهم بالأمس . فاذا كانوا بالأمس أجنسة فهم اليوم في حال الرضاع لحق لهم أن يعطوا الدين مصحوبا بالعلم وذلك هو المعبر عنه بدين الفطرة وهو الوارد في الحديث إذ خير ﷺ بين الحجر والابن ليلة الإسراء فاختار الابن لأنه الفطرة وانما عبر بأنه الفطرة لأن الفطرة تقتضى التدرج في التربية . فقال صاحبى هذا القول غامض أى تدرج تريد وكيفية هذا التدرج . فقلت إن الأمة إما أن تحفظ القرآن وتعرف الأحكام وهى تجهل العلوم كلها فهذه أشبه بالجنين واما أن تعرف ذلك كله ممزجا بالعلوم . فهذه أشبه بالطفل يرضع ثدى أمه وهذه ليست حالا غريبة على الطفل فقد كان بالأمس يتغذى بدم أمه فلما ولدته أخذ يتغذى بنفس اللبن الذى كان يتغذى منه بالأمس ولكنه بحال جديدة فهو لم يغير غذاءه إلا عرضا ولوانه أعطى بعد الولادة خبزا لمرض ومات . هذه حال الطفل فاذا كبر أخذ يأكل الخبز وغيره . هكذا حال الأمة

(١) حفظ عن ظهر قلب

(٢) ثم دين مع العلم

(٣) ثم دين مستقل عن العلم وهذه هى الحال الثالثة

فدين الفطرة أن يمزج العلم بالدين وهى الحال الثانية . فأما الخيرة فهى غير موافقة لمزاج الجسم فهى ضارة به . فهذه الأحوال الثلاثة أشبه بأحوال الانسان الثلاثة في التغذية . فقال صاحبى إذن أنت تقول ان قوله - له ملك السموات والأرض - بعد قوله - نزل الفرقان - أشبه باللبن وذلك يمزج العلم بالدين بالطريق التى اتبعها أنت في التفسير (وبعبارة أخرى) انك الآن تقول تنزل الفرقان أشبه بحال المسلمين العادية ومنزج العلم بالدين هى الحال التى ينقلون اليها الآن . فقلت نعم . فقال ولكن فأنك أن مصطفى كمال باشا نقل تركيا من حال الى أخرى وقال (العلم شئ والدين شئ) أعنى انه فصل العلم عن الدين كما فعلت فرنسا ويطهرانه بحج في ذلك بدليل أن الأمم كلها تنابه الآن . فقلت هذه طريقة نافعة ولكنها خطيرة والطريقة التى أقولها الآن لا خطر فيها وهذه الطريقة أطباء عصرنا الذين يستعملون المسهلات والمركبات فى الأدوية ولا يسعون على النظام الطبي وأحسن الطب ما كان جاريا على الناموس الطبي فاذا أكل الانسان الفواكه والخضر وترك ما يشتر استعماله وبرز في الهواء والشمس فان ذلك أفضل من استعمال الادوية التى تنفع مؤقتا ثم ترك اثرها فى النفس تنبع آثار ثم ينتهى بالموت . ومما مثل المسهلات والأدوية المركبة فى المرضى إلا اكتمل التشكال فى الدين على المعجزات وعوارق العادات كما تقدم فى (سورة طه) فكما أن الشفاء فى المسهلات والمركبات وقتى

يعقبه مرض آخر هكذا الاتكـال على خوارق العادات يعقبه رد فعل ويقول الله تعالى - أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم - إذن فالهم يطلبون خوارق العادات . قال صاحبي إذن هنا ﴿ ثلاث مسائل ﴾ مسألة فصل الدين عن السياسة كما فعلت فرنسا وبركيا . ومسألة الأدوية المركبة والمسهلات . ومسألة خوارق العادات . ولقد جعلت هذه المسائل الثلاث من وأد واحد . وهنا مسائل ثلاث مقابلات لها وهي اعطاء الأمة الدين مع السياسة فهو إذن كاللبن وهو موافق للفطرة كما في الحديث واعطاء المريض الأغذية اللطيفة بدل المسهلات وتعليم الأمة العلوم العقلية مع الدين بدل الاتكـال على خوارق العادات كما مسألة الأولى . فقلت نعم هو كذلك وأريد أن أوضح مسألة هنا وهي مسألة الطب فقد قال

(١) الدكتور (غرانشتان) الذي هو من أقطاب الطب في ألمانيا ﴿ إن الضعف في درجاته إنما هو نتيجة العلاج بالعقاقير سواء كانت ردئية أم طيبة فهي إذا استعملها الطبيب بحذق ومهارة تغلبت على المرض حقا ولكن ترك هناك بقايا تظهر عاجلا أو آجلا في الجسم فلا تقبل الشفاء ﴾ فهذا هو الضعف العلاجي ونسب ذلك الضعف الى المركبات مثل (حض البروسيك) والرصاص والزرنيخ والكبريت الخ

(٢) ويقول الدكتور (كيسر) ونقله عنه الاستاذ (بلز) ﴿ إن الحكمة القديمة القائلة بأن الدواء قد يكون شرا من الداء والطبيب شر من المرض هي صحيحة في أكثر الاحوال ﴾

(٣) وقال نحو ذلك (الدكتور سميث) الذي قال ﴿ إن كل دواء يدخل الجسم يعطى الدورة الدموية سما كما يعطيها السم تماما ﴾

(٤) وهناك نحو ثمانين عالما من الأطباء الرسميين نقل عنهم الاستاذ (ولز) وقد قالوا مثل هذه الأقوال فقرر هؤلاء جميعا أن الصحة في الاقتصار على استخدام قوى الطبيعة كالهواء الطالع والغذاء الجيد الصحي وترك اللحم والمهيجات وأن يعمل الانسان عملا جسديا معتدلا وأن يستحم بالماء الفار والبارد وهكذا مثل ماتقـم في (سورة طه) في أواخرها

فقال صاحبي ما الذي أصاب الناس من استعمال الأدوية . فقلت يقول (كيسر) المتقدم ذكره ﴿ إن الأطباء يرضون المرضى وينبعون شهواتهم ويحققون نظرياتهم ووسوستهم فيعطونهم الأدوية ولا يقفون عند حد أبعاد المؤثرات القاتلة للمريض فلذلك تحدث أمراض مزمنة بهذا الفعل وسببها هم نفس الأطباء ﴾

فقال وما الذي يناسب ذلك من أمر سياسة الأمة إذا عزلت الدين عن السياسة . فقلت ان عزل الدين عن السياسة دواء خطر كالأدوية المركبة يستعمله المستعجل لرقى أمة ولكنه يكون عرضة للاعتراض عليه وقيام طائفة وراء طائفة كلهم يريدون أن يثوروا في وجهه فن الملوك من يفوز ومنهم من لا يفوز وإذا تم الفوز فالأمر لا يزال خطرا يعقبه رد فعل بعد حين وخبر السياسة ما كانت بطريق الطبيعة . فالأمة الاسلامية اليوم تقرأ الدين ولا علم عند كثير منها فليمزج العلم بالدين كما فعلت في هذا التفسير فيكون لبنا خالصا سائغا للشار بين وبه ينتهج العلماء في أمة الاسلام ويحبون رقى أممهم ويعاونون الملوك والأمراء ولا يثيرون الشعوب عليهم . فهذه هي الطريقة المثلى لاسيما أن علماء الاجتماع يقولون ﴿ إن الإصلاح الديني أعظم أثرا في رقى الأمة من الإصلاح السياسي ﴾ فإصلاح مصطفى كمال باشا نافع ولكن هذا الإصلاح الذي اتبعناه عاقبته حيدة وهو سرع الأثر بعيد المدى يرح الملوك والأمراء ويجعل الأمة روحا واحدة . هذا هو الذي هداني الله اليه وأريد به اراحة ملوك الاسلام والمصلحين منهم بعدنا فذلك خير من الثورات والدسائس - وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب - ومن المجانب أن الأخبار وردت اليوم ١٦ يناير سنة ١٩٣٩ أن ملك الأفغان المتقدم ذكره لاسرعه في الإصلاح تنازل عن العرش . وقد قدمت في (سورة الحجر) منذ سنة انه زار مصر إذ ذاك واني أشعر بكرهة الشعب له لاسيما العلماء وقد حصل هذا فعلا الآن

فقال صاحبي وأى دخل لمسألة خوارق العادات هنا . قلت إن خوارق العادات تقدم شرحها في (سورة

طه) وأن فعلها وقى إذ عبد بنو إسرائيل العجل بعد أن رأوا العصا والحية والله يقول - وما نرسل بالآيات إلا تخويفا - والتخويف إنما يكون للأطفال والقرآن يراد بنزوله أن يكون لأثم تعقل وتفهم لا أنها تخوف كالصبيان

(حكاية)

كان لى صاحب وهو مجاور لى فى المنزل وهو شيخ طريقة مشهور فى مصر وكنت أجالس معه فى بعض الأيام وقد علمت أنه إذا توجه إلى بلاد الصعيد تلقوه أفضل مما يتقبلون الملوك ويجعلون يومه عيداً ولا اعتقادهم فيه كان اللصوص يخافون منه فلا يسرقون . وقد حدثه أحد أخوانى فى ذلك فقال انى إذا وصلت إلى البلد فانه يأتى إلى واحد فيقول لى ياسيدى أنا أخطأت ويسرد له كل ما حصل من السرقة ويذكر جميع الذين كانوا معه فإذا حضر واحد منهم قال له أرجع لا تدخل على فيعتقدون أنه يعلم الغيب فهذه الحال اشتهرت تخاف الناس من الشيخ لامن الله . وهذه حال لا تفيد الأمة إلا مؤقتاً وإنما هي أشبه بالمخدرات أو المسهلات أو الأدوية المركبات وإنما السبيل لرقى المسلمين حقا أن يعمل العلماء بمعنى هذه الآية فانه قال - نزل الفرقان على عبده - وأنبعه بذلك انه له ملك السموات والأرض - . فبه نزع العلم بالدين ترتقى الأمة . أما الأدوية الوقية للأمة كذكر معجزات الأنبياء أو كرامات الأولياء حقا كانت أو باطلا كما فى صاحبنا الذى ذكرناه سابقا وكالتأثير بالخطابة وحسن البلاغة بدون اقناع عقلى فانه لا يدوم أثره فى الأمم ما لم تصبح الفضيلة لها عادة ولكن يبقون فى العلوم والمعارف عالة على الأمم فلا بد حتماً مما قلناه . وإلى هذه الحال يشير قوله تعالى - فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه - فعبّر بتم للإشارة إلى تأخر زمن البيان عن زمان التنزيل وبيان القرآن حق البيان قد ابتدأ فى هذا الزمان الذى عبر عنه بتم فى الآية . وكذلك قدّم الله تنزيل الفرقان هنا على قوله - له ملك السموات والأرض - وعبر بالفرقان ولم يعبر بالقرآن لأن الفرقان للفرق بين الحق والباطل ولن يكون كذلك إلا بدارك الحقائق التى تعرف بملك السموات والأرض فالأمة الإسلامية السابقة أكثرها قرآنية والأمم الإسلامية اللاحقة أكثرها فرقانية . فاقرا هذا التفسير وبعده تعرف هذه الحقائق والحمد لله رب العالمين كتب ليلة الجمعة ١٤ ديسمبر سنة ١٩٢٨

(الباقوة الثالثة فى قوله تعالى - وخلق كل شئ فقدره تقديرا -)

من اطلع على هذا التفسير أو أكثره استقرت فى ذهنه أن الله عز وجل مشرق نوره مطلع بعلمه على كل مادي وجلى وما مثل الحكمة والنظام والتقدير فى هذا العالم إلا كمثل ضوء الشمس واشراقه . اننا نرى كل بيت فى هذه الأرض ان لم يشرق عليه النور ويشمل جميع حجراته تكون سكناه ضارة بالصحة ، فعلى مقدار اشراق نور الشمس فى أركان البيت تكون صحة سكانه . وعلى مقدار ابتعاد نورها عن الحجرات فى المنزل أو عنه جميعه يكون المرض والموت . وعلى قدر المرض تكون قلة العاوم والعبادات والأعمال والرقى والفلاح هذا حكم نور الشمس . فلننظر إذن لنور الله وحكمته . الله عز وجل كما جعل نور الشمس عاما وجعله محيطا بالكرة يدخل فى كل منزل وقب وحجرة . هكذا نراه فى الاحكام والانتقان بل الانتقان أعم وأبدع وإذا أردنا أن نذكر هنا مثلا تواردت آلاف وآلاف من الأمثال . فأى الأمثال نضرب والعالم كله مضرب أمثال من ذراته الصغيرة إلى شموه العظيمة ومن الدقائق والجواهر الفردة إلى المجرات وأنواع السدم فى أقطار السماء فلا كتف (بمثليين صغيرين) مثل النحلة ومثل العنكبوت وإنما ضربت هذين المثليين لتعجب من جلال وانتقان وإبداع وحسن وجمال وكمال ونظام وما شاء الله كان فى حيوانين حقيرين منبوذين صغيرين قد اختلفا وصفا وتباعدا طبعاً وفيهما من دقة الصنع ما يحير العقول

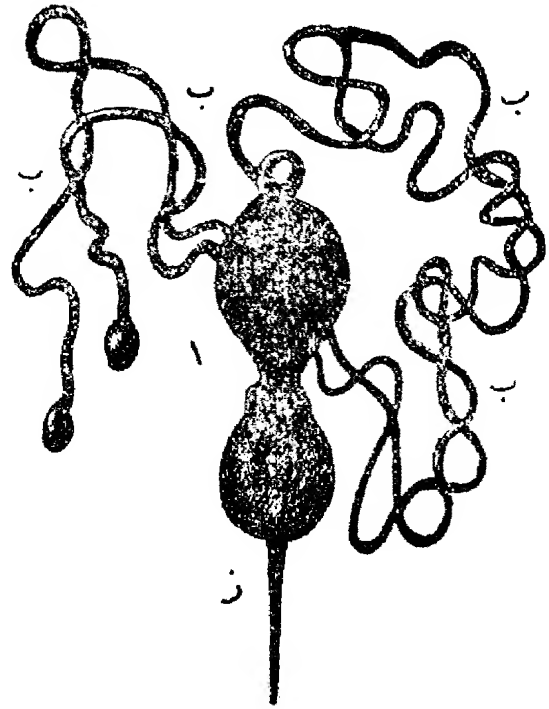
(حكاية)

لنا مزرعة ببلدة (البركة) فى الأرض التى تقرب من الجبل الشرقى المصرى فاقتضت الحال أن أخرج من القاهرة أنا فانا لأجل هذه المزرعة والنظر فى أمرها . ولقد عزم يوماً أن أتوجه إليها ماشياً على القدم من

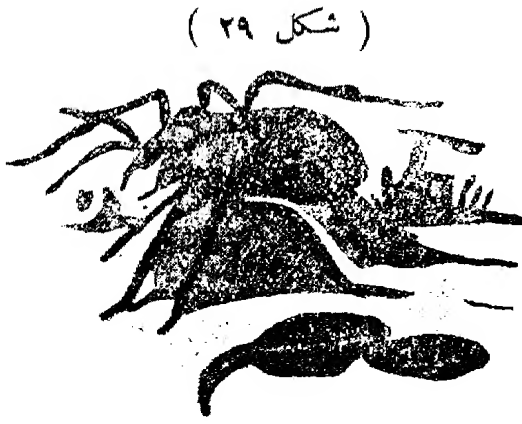
بلدة المرج لأتبع بمنظر أرض واسعة خالية في طريقى الى المزرعة . فهناك آلاف من الفدادين لازرع وانما هى مسرح البهائم ترعاها فلما توسطت تلك المزارع وجدت أرضا ذات حشائش قد عمها كلها نسيج العنكبوت هناك أدهشنى هذا الصنع وقلت فى نفسى اذا ترك الناس هذه الأرض فلابناء ولازرع أرسل الله لها سكانا نصبوا خيامهم فيها وأخذوا يصطادون أنواع الذباب وهم فى أمن ودعة وسعود . فهنا أذكر صفة العنكبوت وصفة النحل اجمالا . أما العنكبوت فانها هى والعقارب لها ثمانية أرجل . وأما النحلة وما مائلها وهو جميع الحشرات كالذباب والناموس فلكل منها ٦ أرجل . إذن العنكبوت ليست من الحشرات ثم أكثر الحشرات غير سامة وأقلها كالنحلة والزنبور سام . ولكن العناكب والعقارب وأبو شبت كلها ذوات سم وإبرة الحشرة السامة تكون من خلف . أما إبرة العناكب فمن الأمام . وحيوان العنكبوت ينسج بيته ومتى مرت به ذبابة فعل معها (أميرين * أو طما) انه ينسج خيطه عليها لئلا تفلت منه (ثانيهما) انه يفرغ فيها سمه بطريق الحقن فيخدرها أو يميتها . ولاشبت سم قوى ولكنه غير مميت كما هو المشهور . أما النحل فوظيفته صنع العسل . فهنا (حيوانان) حيوان يتغذى بالذباب وهو غزال نساج وحيوان يتغذى بالنبات وهو يعطينا العسل . هذان الحيوانان فى كل منهما مصنع . هذا للعسل وهذا للنسج . وفى كل منهما مصنع آخر أيضا للمادة السامة إذن الحيوان الصغير قد أعطى صناعة المواد السامة قبل أن يصنعها الانسان فى الحرب العامة الكبرى وذلك لمنفعته هو وكل منهما قد ألهم صناعة تنفعه فهذا له مصنع للعسل وهذا له مصنع للغزل والنسج . إذن الحيوان سبق الانسان الذى استخرج العسل والسكر من القصب والبنجر وأوجد مصانع للغزل وأخرى للنسج . كل ذلك فى حشرات حقيرات ملأت بيوتنا وحقولنا . هذه العنكبوت التى نراها فى المنزل متى قلّ كنسه وتنظيفه ورأيتها فى الحقول التى فى ضواحي القاهرة أعطيت هذه الصناعات قبل الانسان . يراها الجاهل فلاتهمه ولكن الحكيم المستبصر يرى فيها جالا كالذى يراه فى الشمس والقمر والزهر والشجر بل يرى الحكمة هنا واضحة بعد الدراسة . فللنحل (مصنعان) مصنع لجلب المنافع ومصنع لدفع المضار وهكذا العنكبوت . ولا جرم أن الأرض اليوم امتلأت بالمصانع وهى إما لدفع المضار وهى مصانع الذخيرة والآلات الحربية من مدفع وسفينة حربية وطيارة وسوائل أوغازات ضارة وما أشبه ذلك . وهل هذا كله إلا تكرار لصنع السم فى النحلة والعنكبوت . وأما جلب نافع كصانع النسج والغزل والخبز وما أشبه ذلك . وهل هذا إلا تكرار لصنع العسل والنسج فى النحل والعنكبوت . فهل لك أن ترى رسم إبرة النحلة مكبرة وجهاز الغزل فى العنكبوت مكبرا كذلك (انظر شكل ٢٧) و (شكل ٢٨) و (شكل ٢٩)



(شكل ٢٧ - رسم جهاز الغزل فى جسم العنكبوت مكبرا)



(شكل ٢٨ - رسم إبرة النحل مكبرة جدا)



(شكل ٢٩)

(شكل ٢٩ - رسم العنكبوت وله إبرتان في طرف رأسه يلسع بهما وتحت إبرة مكبرة وإلى يمينها الغدة التي تفرز السم)

انظر الى هذين المصنعين . مصنع السم في جسم النحلة ومصنع الغزل في جسم العنكبوت واعجب تخزن النحلة الذي امتلأ سماً وللأنايب التي تفرز السم وترسله اليه ثم لإبرة دقيقة منها يخرج السم . أنايب خمسة خارجات من الجهات الثلاث وهي تفرز السم ثم ترسله الى المخزن والمخزن يوصله الى الإبرة والإبرة تدخله الجسم عمل والله عظيم واحكام وتدير ليس له نظير . وأى فرق بين هذا المخزن ومعداته وبين مخازن الذخيرة ومصانعها إن هذا والله أدق وأدق وأعجب فان هذا كله لا يشاهده البصر ولا تصل اليه آلاتنا مع دقتها ورقبها وانتظامها وانظر الى جهاز الغزل ؟ فماذا في جسم العنكبوت من الابداع الذي حوّل الغذاء الى غزل ينسج ؟ وما الذي في هذا الجهاز حتى قلب الغذاء لجعله خيوطاً بديعة . ثم ماذا في مصنع السم الذي تشاهده الآن في جسم النحلة وما هذا الذي جعله يحوّل الغذاء الى سم . فانظر لمصنعين أمامك . مصنع لسم ومصنع لغزل . هذا مهلك وهذا معين على الحياة بها يصطاد الذباب . فيا ليت شعري ماذا جرى في أجسام تلك الحيوانات وما هذا التدبير ؟ ذلك التدبير الذي به قدرت النحلة أن تؤذي عدوها وقدرت العنكبوت أن تنسج بيتها وكيف ألهمت كل منهما أن تفعل على مقتضى ما وهبت من المصانع . فهذه ألهمت اللدغ وهذه ألهمت النسيج . ومثل هذا يقال في مصنع العسل في النحلة ومصنع السم في العنكبوت . هذا شرح الحكمة الالهية المعدة في هذين الحيوانين (الحكمة العملية)

علمت مما تقدم معنى قوله - وخلق كل شيء فقدره تقديراً - فهذا هو التقدير . هأنت ذا يا صديق أصبحت تراه بعينك . هأنت ذا تراه فافرح بالعلم . إن الأمم حولنا درست هذه العوالم ونحن نزل القرآن بلساننا فقرأناه وقد كنا عند قراءته كسائر الأمم عند نظره العنكبوت والنحل فكنا نقرأ - وخلق كل شيء فقدره تقديراً - ونمرّ عليها مرور الجهلاء على أمثال الحقل الذي قلت لك انه مملوء عناكب . فاذا كنا نحن نمرّ على هذه الجلة مرور الجاهلين فهكذا نحن وجميع الأمم كان أكثرنا يمرّ على العناكب وأمثالها غافلين . ولكن هذا هو الزمان الذي فيه ظهرت أنوار الله - وأشرقت الأرض بنور ربها - ونشرت العلوم . فالآن نفهم آى القرآن على قدر الامكان ونرى حكمة بديعة وآيات جلييلة جلييلة . هذا ملخص الحكمة العلمية

أما الحكمة العملية التي عقدنا لها هذا الفصل فاعلم أن أعظم الأمم هي التي تقتدى بالله عز وجل . فإذا كان الله قد علم العنكبوت النسج فلم تتكل على نبات ولا حيوان بل كانت صنعها من نفسها هكذا يجب أن يكون الانسان . وأعظم الأمم اليوم هي التي تستغني بصنعها واتقانها . فهم يكونون في نوع الانسان كنوع الانسان في سائر الحيوان . والأمم الصانعة تستعبد الأمم التي لاصناعة عندها وقد اكتفت بالزراعة . إن الحرير اليوم يصنع من الحشب ويباع في القاهرة أنسجة حريرية رخيصة مصنوعة من خشب التوت والقطن وهي أرخص من الأنسجة المصنوعة من دود القز . وإذا دامت هذه الحال انقرضت دودة القز من الدنيا . إذن الانسان يقصر أن يستغني عن دود القز بصناعاته . والناس عادة يصبغون (بالنيلة) وهي مادة تستخرج من نبات في الهند يزرع في مليون فدان فابتدع الألمان طريقة بها استخرجوا مادة الصباغة من الفحم ونحوه فبارت تلك الأرض . إذن الصناعة أغنت عن الزراعة وكأن الله يقول أيها الناس إن رقيكم يكون بعماسكم لا بما أودعته أنا في الطبيعة . وإذا قام قائم واستخرج مادة قطنية كالقطن المصري أصبح قطننا لا فائدة منه الله الآن يسوق الناس الى استخراج ما يحتاجون اليه بالصناعة ويقول لهم افعلوا ما يفعله الحيوان يستخرج منافعه بمصانعه فأنا فعلت ذلك له فلتفعلوا ذلك أنتم باجتهادكم . أنا قدرت كل شيء تقديرا وإذا تشبه في الناس في التقدير والنظام كان قريهم مني على مقدار ما نالوا من دقة في العمل واتقان في الصنع وفي الأثر ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الصَّانِعِينَ ﴾ وفي القرآن - إن الله يحب المحسنين - وفيه أيضا - وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون - وإذا كان الله يرى عملنا فهو لا يجب إلا ما كان متقنا

﴿ بماذا يشير الله للناس إذ أراهم صنع أمثال العنكبوت والنحل وتقديرهما ﴾

قلت لك إنني شاهدت آلافا من الأفدنة في ضواحي القاهرة ليس فيها من السكان إلا تلك العناكب قد نصبت خيامها لأنها لما خلت من عمل الانسان شغلها الله بجوده فنصبوا خيامهم واستعدوا لاصطياد الذباب . علم الله العنكبوت صناعة الصيد وأعطاه جهازا يستخرج منه الحيوط وأعطاها فسكرا به تدبر ما فيه من صناعة ولم يهمل ذلك كله بل خلق له الذباب . هذا الذباب انما خالق يطهر الأرض من القاذورات والرطوبات والعفونات فتحال تلك في جسمه من حال الضرر الى حال لا تضر وهذا الذباب ضرره على الانسان أقل من ضرر الرطوبات التي تحال فيما بعد الى جسمه ولكن لا تزال بعض المضار عالقة بتلك الحشرات . ألم تر أنها هي التي تنقل العدوى من المريض الى الصحيح . ولقد تقدم شرح هذا في (سورة الأعراف) وأن الذباب ينقل جراثيم (الرمم الصيدي) من العين المريضة الى الصحيحة وجراثيم الاسهال و(الحجى التيفوذية) و(الطاعون) و(السل) و(الدودة الوحيدة) . إذن الذباب وان منع ضررا كثيرا وهلاك عاما هو والحشرات بأحالة الرطوبات والعفونات الى جسمه بقي حافظا لأصله ناقلا للمرض فسلط الله عليه أمثال العنكبوت ليقترصه . إذن العنكبوت نعمة لأنه أزال عناشرا وببلا والذباب نعمة لأنه أزال عناشرا كثيرا . إذن العنكبوت مساعد للانسان في حياته الله أكبر . يا الله أنت جعلت هذه الدنيا جنة المفكرين ونارا على الجاهلين . اللهم انى وأنا أكتب هذا أحسن بأن نفسى في جنة عرضها السموات والأرض . وكيف لا يكون كذلك وأنا أنظر الجمال واضحا في الحشرات الحفريات فضلا عن الكواكب في السموات . يا الله ها أنا ذا وهام أولاء قراء هذا التفسير ممي هانحن أولاء نشاهد التقدير والابداع فيما يزدريه الناس ويحقرونه ولا يباهون له

يفشى الطالب حلقات العلم ويرى خشوعا وكلا وأدبا عند المستمعين . ولكن العجب أن يكون طلب العلم في مضرة هذه الحشرات المنبذات عند المفكرين أعظم أثرا وأبهج حكمة وأقوى تصديقا . وكأنهم يشاهدون المبدع في ابداعه وبرون الحكيم في حكمته . يضحك الناس منهم وهم ينظرون - وإذا مررت بهم

يتغامزون * وإذا انقلبوا الى أهلهم انقلبوا فكهين * وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون - . كلا . كلا .
نظام محكم وابداع متقن . ذباب يحيل الرطوبات . وعنكبوت تقتل الذباب وخيام فيها آلات صيد الذباب .
بهذا يخاطب الله الناس وكأنه يقول أيها الناس كل امرئ منكم له ﴿ حالان ﴾ (الحال الأولى) وهو طفل يرضع
ثدى أمه ﴿ الحال الثانية ﴾ الاستقلال في طلب الرزق وأكل الحلال وآخرهما خيرهما هكذا للأُم ﴿ حالان ﴾
حال الارضاع من أئداء الطبيعة . فمن الزرع يلبسون ومنه يأكلون . وحال الاستكمال في الصناعة إذ يكون
الانسان في تمام كماله كالحیوان في نشأة حاله

هاهم أولاء أهل الأرض الآن ﴿ فريقان ﴾ فريق عرف الصناعة وفريق بقي على الزراعة والمواد الأولية
وقد غلب الفريق الأول الثاني . انى أنا الذى سلط الأولين على الآخرين فغلبوهم وأمرتهم فقهرتهم .
هاهى ذه الأمة المصرية وأمثالها من الأمم الزراعية التى لاعلاقة لها بالصناعة إلا قليلا . هذه أم بقيت فى
حضانة الطبيعة كما تحضن الأم ولدها ولكنى أيها الناس لأريد منكم أن تكونوا أطفالا بل أريد أن تكونوا
رجالا وذلك بالصناعات . لذلك أنزلت لكم فى القرآن - وخلق كل شئ فقدره تقديرا - . فكل من كان
أقدر على النظام والاحكام وكان أقرب الى العمل بهذه الآية فهو منظم مقدر محكم عمله وأنا أحب المتقن عمله
وأسلطه على من بقي فى حضن الطبيعة لا يبرحها . لذلك غلبت الأمم الصناعية الأمم الزراعية . ومما شل الأمم
الصناعية إلا كمثل العنكبوت اتخذت بيتا . وهذا البيت وإن كان أوهن البيوت وأضعف الحصون قد علمكم
درسا متقنا . إن أهل الصناعة يغلبون من لا صناعة عندهم . فتكت العنكبوت بالذباب . هكذا فتكت الأمم
الصناعية بالأمم التى لا صناعة عندها . أفلاتعلمون

ليس كل من كان موفور الغذاء مكرما . وليس كل مكدود منهمك فى العمل شقيا . كلا . بل الأمر
بالعكس . إن الذباب موفر الغذاء فى كل مكان ولكنه مهان . الذباب لا يعوزه صناعة ولا زراعة ولا تجارة .
يأكل من رطوبات الأرض ولكنه ذليل . والعنكبوت حكم عليها أن لا تأكل إلا من كذبدها وأن لا تعيش
إلا من صناعتها لذلك مدت الشباك فاصطادت الذباب

لله ﴿ كتابان ﴾ كتاب مسموع بالوحى وآخر مشاهد بالبصر والكتاب المسموع بوحى الأنبياء على
مقدار عقول الأمم فيكون فيه الكناية والمجاز والايجاز . وأما الكتاب المشاهد فهو نص صريح يشهده
المقرَّبون فيعلمون عن النحل والذباب والنمل من العلم ما تحرَّه العقلاء سجدا وهم موقنون

الله أكبر . إن الأمم التى أضحت فى خفض العيش ودعته موفورة الرزق تصبح ذليلة كما ذكرناه سابقا
فى خطاب أرسطاطاليس والاسكندر . والأمم التى تألب عليها الأعداء وذات أنواع النصب والتعب يظهر فيها
المتحذرون والمفكرون . أولئك الذين لا ينفون إلا حيث تكون الأحوال مضطربة والأجواء مكهربة وقد
أحيط بالأمم من كل جانب وبهذا يظهر سرُّ قوله تعالى - فأما الانسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول
ربى أكرمن * وأما إذا ما ابتلاه فقد رزقه فيقول ربى أهانن * كلا - فالذباب ابتلاه ربه بنعمه
ولكنه مهان والعنكبوت اضطرت الى صنع البيت لصيد الذباب وهى أرقى من الذباب . الذباب لا صنعة له
والعنكبوت صانع ماهر وآخرهما أرقى . هكذا فلتكن الأمة الاسلامية أمة صناعية زراعية تجارية والا ذلت
للصانعين وخضعت للغاصبين

لقد عرف هذه الحقيقة (السلطان سليم) لما حلَّ بساحات مصر فاغتصب منها رجال الصناعة وهم نحو
ألفين وأخذهم منها كرها لبلاد الترك فرجعت الأمة المصرية زراعية لا تعرف الصناعة . ذلك لتبقى ذليلة للترك
كذل الذباب للعنكبوت

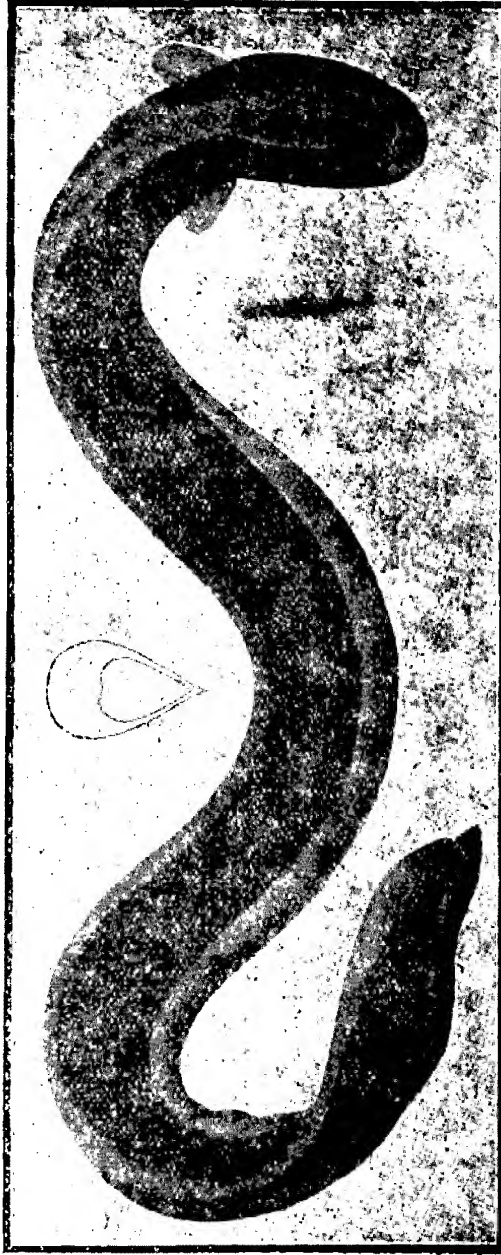
أيها المسلمون . ألم تقرأ نبا إبراهيم عليه السلام إذ وُجِّع قومه على ما يعبدون فاحتجوا بأنهم وجدوا

آباءهم لها عابدين فكسر الأصنام احقاقا للحق ونبذا لآراء الآباء . هكذا فليفعل الجيل المقبل من أم الاسلام فاذا وجدوا آباءهم عكفوا على جهالة أوبذوا أمرا نافعا أفلعوا هم عن الضلال - فاذا بعد الحق إلا الضلال - هذه عجائب العلم والحكمة في حشرات ثلاث النحل والذباب والعنكبوت . علم الله ذلك قبل أن ينزل القرآن . وعلم أن المسلمين ستمضي عليهم قرون وهم مغمضون عيونهم عن هذه العجائب في هذه الحشرات فقال - إن الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها فأما الذين آمنوا فليعملون أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به إلا الفاسقين - وقال في (سورة العنكبوت) - وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون - بكسر اللام ردأ على الكفار الذين كانوا يقولون ماذا أراد الله بذكر الذباب والعنكبوت . يشير بذلك الى ما تراه في هذه العجائب في النحل والعنكبوت فإن هذه لا يعقلها إلا العلماء الدارسون لهذه الدنيا العارفون بنظامها . ومن عجب انه سبحانه سمي سورتين باسم النحل والعنكبوت ولم يسم سورة باسم الذباب مع ذكره في القرآن تنبيها على أن المسلمين يجب أن يكونوا أمة ذات صناعة وذات بأس وقوة فان كلا من النحل والعنكبوت لهما قوة بأس كما تقدم ولهما صناعتان قد علمتهما فيها ذكرناه - والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم - هذا ما فهمته اليوم من قوله تعالى - وخلق كل شئ فقدره تقديرا - انتهى ليلة الجمعة ١٤ سبتمبر سنة ١٩٢٨

﴿ نور على نور في قوله تعالى أيضا - وخلق كل شئ فقدره تقديرا - ﴾

هذا تقدير الله وخلق فوق الارض بالعنكبوت وفي الجو بالنحل . ويقول الله تعالى - ما رى في خلق الرحمن من تفاوت - فالتقدير الذي نراه على وجه البسيطة هو بعينه الذي نراه في قاع البحار وعلى سطح الماء وفي الجو . فهناك لذلك أمثلة ثلاثة حتى تكون لنا نموذجا ودليلا على غيرها فنقول كما نرى النحل قد أعطى قوتين قوة للنفع وقوة للدفع أى العسل والسم وكذا العنكبوت الغزل والسم . هكذا نرى الحيتان في قاع البحار أوتى بعضها قوة الكهر باء بحيث يهجم على فريسته فيقتلها بها وذلك مخلوق فيه قبل أن يعرف الناس الكهر باء على وجه الأرض وأوتى قوة الجرى حتى يفرّ من عدوه اذا فاجأه . وهكذا نرى هناك حكمة وعلمما بهما ظهر التدبير والنظام على وجه الماء في الحيوان (صاحب السفينة) المسمى (نوتيلوس)

ها هو ذا صاحب السفينة الذي يديرها على وجه الماء كما تقدم في (سورة طه) عند قوله تعالى - قل ربنا الذي أعطى كل شئ خلقه ثم هدى - فقد ذكرت لك هناك نحو (٤٠) نوعا من أنواع الحيوان قد أعطيت صناعات تعلمها الانسان ومنها هذا الحيوان الذي اتخذ له سفينة في البحر قبل أن يصنع نوح عليه السلام سفينه . ولكن القول هناك كان بالرسم فلأرك هنا شكل السمك الذي جعل سلاحه الكهر باء وشكل الحيوان صاحب السفينة (انظر شكل ٣٠) و (شكل ٣١)

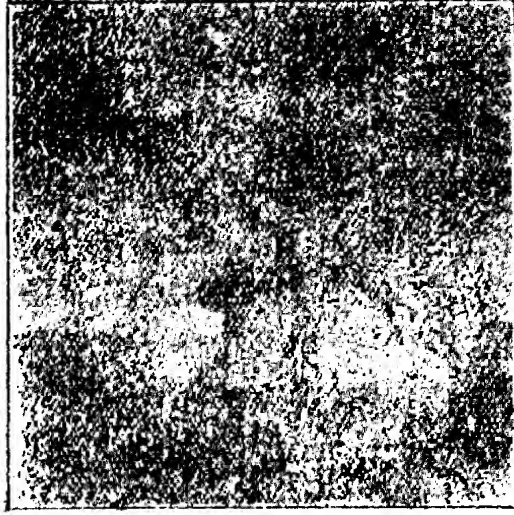


(شكل ٣٠ وشكل ٣١ - هذان الشكلان نقلا عن المقتطف)

سمك كهر بائی من نهر الكنفو سمك كهر بائی يكون في البرازيل ويشبه الانكليس

اعلم أن السمك الرعاد قليل جدا ومنه ما يسمى عند الفرنجة بالتر بيد وهو كثير في بحر الروم والارقيانوس الهندي والاندونيسي وهو قد يصرع الانسان بقوة الكهر بائية . ومنه ما يسمى (الانكليس الكهر بائی) وهو أقوى السمك الكهر بائی ويكون في البرازيل وغينا ويقتل السمك والحيوان الصغير بكهر بائيته . ومنه سمك القط الكهر بائی وهو في النيل ويكثر في بحيرات اثريقية . والكهر باء المذكورة في السمك تتولد من صفائح عضلية منشورية الشكل أشبه بخلايا النحل كالساطر المستسة الأضلاع بعضها منضم الى بعض بينها نسيج ليفي وأوعية دموية وأعصاب وهذه القوة أعدت لقتل الحيوان الصغير لأكاه هذا السمك . وتذكر ما تقدم في سورة الرعد فقد شرحت لك هناك البطارية الكهر بائية . فانظر كيف ترى هناك شكل البطارية وانها طبقات بعضها فوق بعض مرسومة هناك أشبه بهذه الطبقات التي في هذا السمك . فانظر وتعجب كيف وصل الانسان بعد

الجهد الجهد في العلم الى ما أعدت السمك فان البطارية هناك تراها مشروحة كالبطارية هنا طبقات بينها مواد موصلات كما هنا سواء بسواء . والعجب كيف يعطى كل حيوان سلاحا يوافقه . وان من شئ إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم . فإله عنكبوت شبكته المناسبة لاصطياد الذباب . ولكن السمك الرعاد لا تنفعه الشبكة فأعطى قوة الكهرباء ذات البطارية المتقدمة . أفليس هذا من العجب أن يظهر سرّ قوله تعالى . وخلق كل شئ فقدره تقديرا . في سمكة في البحر وفي نحلة في الجوّ وعنكبوت فوق الأرض . وترى الأمر غير ذلك في صاحب السفينة (انظر شكل ٣٢)



(شكل ٣٢ - صورة النوتيوس أو صاحب السفينة)

هذا الحيوان المرسوم أمامك من الحيوانات التي لا فقرات لها . إن الفقرات تكون في الانسان وفي البهائم والسباع والأنعام والسمك والزحافات . والذي لا فقرات له كالهوام والدود والحيوانات الرخوة . وهذه الأخيرة لها كساء من الخارج وهذا الكساء قد يكون جانيا تتصل به عضلات الحركة ونحوها وقد يكون غضروفا وقد يكون (كالسيا) أصاب من العظم . فهذه هي الحيوانات ذوات الصدف ومنها الاخطبوط والقواقع التي منها الخنزير الصغير والبوق العظيم الهائل . فمن ذوات الصدف (صاحب السفينة) المرسوم أمامك فيه استقرّ الحيوان المتقدم المسمى باليونانية (نيوتس) أي سفينة . ومعنا أن صاحب السفينة بالعربية يسمى (نوتي) فهما متوافقان يونانية وعربية . وهذا الحيوان يستخدم هذه الصدفة كالنوتي سواء بسواء . فيها يعوم على سطح الماء ويديرها بأصابع الست فيرسلها الى الجانبين كالمجاذيف وقد استعمل العضوين العشائين كأنهما شراع السفينة . فتي أراد السير جذف بأصابعه هذه وأدار السفينة يمينا وشمالا وحول الشراعين نحو الريح كما يفعل الربان سواء بسواء فاذا أحسّ به الخطر بأن أناه النوء مثلا قبض بأصابعه وشراعيه ودخل الصدفة وغاص في قاع البحر فينجو من الخطر . ومن العجب أن يكون جسمه غير ملتصق ببيته . وهذا الحيوان يكون في بحر الهند بالقرب من (جزيرة ملقا)

فانظر كيف كانت سفينة نفعاله في أسفاره ودرأ للخطر عنه وهذا قوله تعالى . وخلق كل شئ فقدره تقديرا . فلم يعط صاحب السفينة نسج العنكبوت لأنه لا ينفعه ولا الكهرباء كالسمك ولا العسل لأن هذا كله لا يلائمه بل أعطاه ما يناسب سطح الماء وما هو إذن ؟ هو السفينة . إن ربك هو الخلاق العليم . وكما رأيت في البحر ماله سفينة فان فيه ما هو طيار حتى تتم الحكمة فله في جنبه زعانف كالأجنحة وهو

أشبه بشكل أسفل السفينة وزعافه كالشرع وذوله يزيد على نصف متر وهو في البحار الجنوبية من أوروبا وفي البحر الأحمر وعلى شواطئ البرازيل والولايات المتحدة وبعضه لونه زاه بين أزرق سماوي وفضي وتطير أسراباً ثم تخوض الماء وتعود فتطير ولجه لذيذ وصيده سهل لأنه كثيراً ما يطير ويقع في المراكب أفليس هذا من العجب أن يكون النظام في قاع البحر وفوق سطح الماء وفي الجو . ومن العجب أن العنكبوت كما ينصب بعضها الخيام على الأرض فتقتنص الذباب هكذا ترى مئات منها في يوم العواصف طائرات في الجو في طيارات من غزلها قد صنعتها كما تصنع الشبكات على الأرض . ومنها ما تتخذ من الورق ومن غزلها سفناً تجرى بها على وجه الماء ومتى لمحت حشرة فوق سطح الماء أسرع لتلقاها وجعلتها في سفينتها وأكلتها بهدوء وسكينة

هذا هو التدبير والنظام المعجب . فاعجب اسمك يطير ولا يصنع السفن ولعنكبوت كذلك صنع السفن وصنع الطيارات قبل أن يعرفهما الإنسان . ولعنكبوت شأن عجيب استعملت سفن الصيد في البحر قبل أن يصنع الإنسان سفن صيده . فاذا رأينا نحن الصيادين بجوار الاسكندرية قد اخذوا سفنهم وجدوا بها في الصيد فقد سبقتهم بها العنكبوت . وهكذا اذا رأينا الأمم الحاضرة تصنع الغواصات لإهلاك سفن العدو فقد سبقها السمك فصنع ذلك وأخضع فرسته

فهذه نبذة يسيرة جميلة في قوله تعالى - وخلق كل شيء فقدره تقديراً - فاقراها وقرأ ما تقدم في قوله تعالى - الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى - وانظر مواضع أخرى تناسب هذا المقام كالذي تقدم في سورة البقرة عند قوله تعالى - إن في خلق السموات والأرض - واطيره في آخر (آل عمران) في نفس هذه الآية هناك وهكذا في (آل عمران) أيضاً عند قوله تعالى - وترزق من تشاء بغير حساب - وفي (سورة الأنعام) عند قوله تعالى - وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم مفرطاً في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون - وفيها أيضاً عند قوله تعالى - انظروا إلى ثمره اذا أثمر وينعه - وفي (سورة هود) عند قوله تعالى - ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم - وفي سور أخرى . كل ذلك مناسب لما كتبناه هنا في آية - وخلق كل شيء فقدره تقديراً -

ولما اطاع صاحبي على هذا المقام قال لقد أثبت في هذا المقام الخلق والتقدير في قاع البحر وفوق سطح الماء وفوق الأرض وفي الجو واستبان السمك ذوالكهرباء والحیوان صاحب السفينة والعنكبوت وشبكاتها في البر وسفنها في البحر وطياراتها في الجو والنحل وما أودع فيه من عسل وسم زعاف . وهذه المجموعة التي كتبتها هنا بديعة وصورها مشوقات للباحث العلمية فهل خطراك هنا خواطرتدعو إلى هدى أو ترد عن ردى فاني أرى هذه سطوراً سطرت في لوح الطبيعة والله اني ليخيل الى تلك الطيارات التي طارت بها العنكبوت وتلك السفن التي أدارها بأصابعه الست صاحب السفينة وبالشرعين الذين بهما تجرى في البحر وذلك السمك الطيار في الجو بلونه الزاهي الزاهر الفضى . أقول انه ليخيل الى انها تحمل حكمة تلوح لأولى الألباب فهل خطرت لك خطرات في هذا الجبال . فقلت نعم ههنا

﴿ بهجة العلوم المسطورة في لوح الطبيعة ﴾

وهي ﴿ ثلاثة فصول ﴾ الفصل الأول ﴿ في خطاب الله للأمم ﴾ (الفصل الثاني) ﴿ في خطابه تعالى للمسلمين ﴾ (الفصل الثالث) ﴿ في خطابه تعالى للأمم الاسلامية المتحيرين في خوارق العادات فلا يفرقون بين الأولياء والسكهان . فلما سمع صاحبي ذلك قال نحن الآن في مقام جلال العلم والحكمة ﴾ (وبعبارة أخرى) ﴿ في علم اليقين لاني ظنون وأوهام . فقلت ما الذي رايت في قولي هذا . قال رايت انك قلت خطاب الله للأمم وخطاب الله للمسلمين وخطاب الله لمن لا يفرقون بين الأولياء والسكهان . فهذا التعبير يوهم أن الله يخاطب الناس مع

أن هذه أفعال الله وأفعال الله ليست خطاباً . فهذا التعبير من أول وهلة يشعر بخروج عن المؤلف . فأنه إنما يخاطب بالكلام الموحى به على الأنبياء ولاوحى هنا . فقلت خير لك أن تصبر حتى أتم هذه الفصول الثلاثة ثم أبرهن لك على أن ما أقول مأخوذ من القرآن . فقال - ستجدني إن شاء الله صابراً - حتى تتم هذه الفصول الثلاثة . فقلت

﴿ الفصل الأول في خطاب الله للأمم ﴾

الله خلق الحيوانات الفقرية كالسمك والانسان والزواحف وما أشبهها وخلق الحيوانات الصدفية التي منها (صاحب السفينة) وخلق النحل والعنكبوت . كل هذه في هذه المقالة . وهذه جمعت أنواع الخلق ان الناس اعتادوا أن يبنوا بيوتهم محاطة بحائط متين قوى يدفع عنهم الطوارئ والحيوانات المفترسة وأقرب الحيوانات الى بناء منازلنا ذوات الأصداف فكان القياس أن يكون على هذا المنوال كل حيوان ولكن الله بحكمته خاطب الناس قائلاً أيها الناس « اننى لا يحكم على نظام ولا حال فانكم اذا فكرتم بعقولكم وجدتم أن الحيوان إما أن يشتمل جسمه على جسم صلب أو لا يشتمل فان لم يشتمل على جسم صلب فهو الحشرات ونحوها فكلاها أجسامها مخلخلة لا عظم لها من داخلها ولا من خارجها جسم صلب والذي له عظم إما أن يكون من داخله وإما أن يكون من خارجه فالذى عظمه من داخله هي ذوات الفقرات كالانسان والسمك وذوات الأربع والطيور وهكذا . والذي يكون جسمه الصلب من خارجه فهي ذوات الأصداف ومنها ذوات السفينة المتقدم ذكره وهذه قسمة عقلية . فاذا ظن الناس أن حياة الحيوان تتوقف على جسم صلب قلنا لهم كلا فهذه النحل ونحوها لصلابة لها فان قالوا إن الجسم الصلب يكون من خارج كما في منازلنا قلنا لا فهذه عظام ذوات الأربع فانها من الداخل واللحم والجلد من الخارج والحكمة العليا هي التي قضت عكس ما صنع في بيوتنا وقيل لنا انظروا هذه بيوتكم وبلدانكم يحيط بها حوائط وأسوار متينة البناء لحفظها من الخارج ولكن أجسام الانسان وذوات الأربع ونحوها جعل الجسم اللطيف خارجاً وحافظنا عليه بالحواس والحفاضة عليه مع ان القياس كان يقتضى أن يكون محيط الجسم صلباً كهيئة ذوات الصدف حتى يتسنى للجسم أن يقاوم الجو والطوارئ وهذا هو السر في قوله تعالى - خلقنا المصغرة عظاما فكسونا العظام لحما - الخ ثم أعقبه بقوله - فتبارك الله أحسن الخالقين - وإنما قال - فتبارك الله أحسن الخالقين - بعد قوله - فكسونا العظام لحما - الخ لأن كسوة العظام باللحم تخالف المؤلف من أعمال الخلق لأنه أشبه بمن يبنى منزله ويجعل مخزن الطعام والملابس وسجرات النوم خارج سور المنزل . فالعظام الصلبة يجب أن توضع محيطة بالجسم لتحفظه كالحيوانات الصدفية لا أن يجعل اللحم الطرى والجلد الرقيق حافظين للعظام . كلا فلما كان هذا الوضع خلاف المؤلف المتعارف وكان مع ذلك متقناً وأفضل من العكس علم أن هذه الصنعة أكثر انقانا من صنعة البنائين في الأرض فلذلك جاء في القرآن - فتبارك الله أحسن الخالقين - وبهذا تبين أن الأحوال الثلاثة للخلق قد ظهرت في عالم الخلق وكأن الله عز وجل يقول أى عبادى أنا لم يعنى عن الخلق شئ فلا عظم العظام منعنى عن الخلق ولا وضعها داخل الجسم مع لطافته وصلابتها . ولقد فعلت في أجسامكم وأجسام الحيوانات هذه التنوعات كلها كما فعلت في ثمرات الشجر فتارة أجعل الشحمة في الثمرة وهي طرية خارجاً والنواة الصلبة داخل الخلق السمك والانسان . وتارة أعكس فأجعل الصلب خارجاً واللطيف داخل كاللوز والجوز فأنا لا يحجبني شئ . وهذا درس لكم اتعلموا أن سعادتكم لا تتوقف على حال . فاذا كانت الحياة لم تتوقف على وضع ما بل جميع الأوضاع ظهرت فيها الحياة فهكذا سعادتكم لا تتوقف على حال واحدة فكونوا ملوكاً أو سوقة وكونوا فقراء أو أغنياء أو أقوياء أو ضعفاء فكونوا كما تشاؤون . فهذه الأحوال لا تحجب السعادة عنكم كما لا يحجب الحياة نوع من أنواع الصور والأوضاع . انتهى الفصل الأول

﴿ الفصل الثاني في خطاب الله للمسلمين ﴾

يقول الله للمسلمين ها أنتم أولاء رأيتم العنكبوت قد صنعت لها طيارة في الهواء وسفينة في البحر ورأيتم السمك يطير في الجو والصدف يسير سفينة في البحر . فيا أيها المسلمون أنا لم أرسل رسولا إلا يرشد عبادي إلى الأعمال الصالحة وأي سنة أعظم من سنتي وأي سبيل أهدى من سبيلي . إن سبيلي تنويع العمل وإبراز أجل الصناعات وأبداع الحكم فإذا رأيتم لطف في إبداع الحرير في جسم العنكبوت وتعليمها أن تطير به وفي جسم النحل في إبداع العسل وفي جسم السمك في اظهار الكهرباء وفي حيوان السفينة في اعطائه سفينة فعنا انكم يجب أن تبرعوا في الصناعات لاسيما إذا رأيتم الأمم حواسكم قد برعت فيها فأى نبي من أنبيائي يأمر أو يبيح لعبادي أن يحرموا على أنفسهم اتباعي في الابداع وفي اتقان الصنعة . فليلبس المسلمون لكل حال لبوسها وليبرزوا للناس صناعات تناسب أزمانهم والافهم الأخسرون أعمالا - الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا -

برعت الأمم في غزل المنسوجات وفي تدبير الحرب وفي نظام الحياة . فعلى المسلمين أن يكونوا أرقى في سائر الصناعات . انتهى الفصل الثاني

﴿ الفصل الثالث في خطاب الله للأمم الاسلامية المتحيرين في خوارق العادات ﴾

فلا يفرقون بين الأولياء والكهان

إن الله يخاطب المسلمين بهذه المخلوقات وصنعها . يقول أيها المسلمون ليس امتياز طائفة من أهل دينكم بالاخبار بالغيب فرضا أو بظهور بعض الخوارق على يديهم تفضيلا لهم عن سواهم . ان الاخبار ببعض الغيب مشوب بالكذب لم تخل منه أمة . ألم تروا المتوهمين تنويما معنطيسيا . ألم يثبت يقينا انهم يخبرون ببعض الغيب ألم تظهر بعض الخوارق للعادات في مجالس تحضير الأرواح (اقرأ في كتاب الأرواح تأليف) وتقدم بعضه في (سورة البقرة) وفي سور أخرى وأن غلاما صيرفيا جاهلا أتم رواية ديكنس بعد وفاته والانشاء هو هو لم يتغير وهذا الغلام غبي لا يعقل شيئا مما كتبه ، فهل هؤلاء الوسطاء في التنويم المغناطيسى أفضل من أنبيائكم وعلمائكم . كلا . ثم كلا . ومماثل هؤلاء إلا كمثل الهدهد إذ قال سليمان - أحطت بما لم تحط به وجئتكم من سبأ نبأ يقين - فهل هذا الهدهد أفضل من سليمان ، أو كمثل الخضر مع موسى فالخضر عرف حال السفينة وأمر الفلام والجدار وعلم موسى ولكن موسى أفضل من الخضر وهكذا محمد ﷺ يقول الله على لسانه - ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء - . إذن الأنبياء لا يعلمون الغيب وعلمهم بالغيب في مثل هذا نقص وكيف لا يكون نقصا وهم اذا علموا الغيب أصبحوا ولاعمل لهم ولافكر . إذن كيف يقتدى الناس بمن لافكرهم ولا تدبير وأين العقلاء إذن . فالأنبياء مكافون وهم لا يعلمون الغيب وانما يوحى اليهم الشرائع والتوحيد وما عدا ذلك هم فيه مجذون . ومماثل الشيوخ الذين ظهر صلاحهم وجرت على أيديهم بعض الخوارق فرضا أو أخبروا ببعض الحوادث (إن صح) إلا كمثل العنكبوت طارت في الجو بلا أجنحة . فهل أدهش هذا سائر الحيوانات فعدتها سيدتها جيعا . كلا . إن امتياز بعض السمك بأن يطير أو بأن يكون فيه كهرباء وبعض العنكبوت بأن تطير وأن تجرى المراكب يشابهه امتياز بعض المسلمين بخوارق العادات إن صح ذلك فليس لمن خرق له العادات فضل إلا كفضل العنكبوت على سائر الحيوانات مثلا . فهذه صناعات وخواص لا أثر لها في الفضل . وكأن الله يقول أيها المسلمون لما علمت انكم تركتم سبيلي وجهلتم قدرى ولم تعقلوا قولى - وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة - سلطت عليكم شيوخا جاهلين فجعلوا الدين شركا واتخذوكم ذبايا واصطادوكم بهذا الشرك فهم عنكبوت وأنتم صيدهم أيها المسلمون مادمتم جهالا فاني أرسل هؤلاء ليمتصوا دماءكم لأنكم نسيتموني فأنا أيضا أنساكم وأترككم

في أيدى الجهال منكم وهم لكم أعداء وجعلتهم قناطر يمر عليها المستعمرون لبلاد الاسلام فيكون أولئك الشيوخ سالما يصل عليه المستعمرون الى رقاب أهل البلاد واستعبادهم . ألا ساء مثلاً الماسمون المغفلون الجاهلون (إقرا ماتقدم في سورة الحج عند قوله تعالى - وما أرسلنا قبلك من رسول ولا نبي - إلا إذا تبنى - الخ من كلام الشيخ الخواص والشيخ الدباغ)

إن من فتح عليه بسبب العبادة ثم نصب نفسه لقيادة الناس وجعل هذه الخوارق باباً للرزق فهو من الأخسرين أعمالاً الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا - وهو عند المستعمرين لبلاد الاسلام أشبه بالمثل المشهور ﴿أكل بيد القط﴾ وسببه أن الفرد استعمل يد القط في أخذ الفاكهة السماء (فروة) من النار المتقدة فصرخ القط فسمع صاحبه الصراخ والولولة فجاء فوجد هذه الحال فذهبت مثلاً افرنجيا . فهؤلاء الشيوخ استعملهم الفاتحون لبلاد بعض أمم الاسلام ويأمرهمهم بالأوراد ليلاً ونهاراً ولا يأمرهمهم بالتفكير والتعقل ليظفوا لهم خاضعين . هنالك قال صاحبي لقد تمّ القول الآن في الفصول الثلاثة فأرجو اجابتي على ما سألت من قولي لك كيف تقول قال الله مع ان القائل أنت . فقلت قد آن أن أجيبك عليه . اعلم أن الله عز وجل يقول - ووضعت الميزان * ألا تطفئوا في الميزان - فأنه وضع النظام في السماء والأرض المعبر عنه بالميزان لنزن نحن بالصدق بلا زيادة ولا نقص وقد وضع هذا في أول (سورة يونس) فأرجع اليه فأنك ترى هناك حساب هرم مصر الأكبر وكيف كان حسابه على مقتضى حساب الدائرة الشمسية السنوية وهذا الحساب على مقتضى بنى الهرم وعلى مقتضى الهرم عرفنا الوزن والكيل والمساحة بالدقة . إذن الناس يقلدون ربهم في فعله ولولا هذا ما عرفوا رطلا ولا فداناً ولا أردباً . قال صاحبي هذا حسن ولكني أريد أقرب من هذا . قلت في موضوعنا . قال نعم . قلت قال الله تعالى في (سورة هود) - مامن دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم - فهذه الدابة سببنا بعد أن ذكر تربته لكل حيوان وأنه آخذ بناصيته أبان أن هذه التربية في غاية النظام ولم يقف عند هذا الحد بل أمرنا في (سورة الفاتحة) أن ندعوه فنقول - اهدنا الصراط المستقيم - والنكرة اذا أعيدت معرفة كانت عين الأول فهو يقول اهدنا صراط الله المستقيم المعروف وكيف نهدي الى طريقه إلا بدراسة نظامه في خلقه . فكما درسنا نظام الأفلاك وسرنا في سفننا على مقتضى في البحر وفي القطارات على وجه الأرض ووزنا ومسحنا وكلنا . هكذا ندرس نظام الحيوان لتسع عقولنا لنظام حياتنا . إن الحياة الحيوانية مقدمة للحياة الانسانية ومن جهل المقدمة جهل النتيجة إن العلامة (سبنسر) يقول ﴿إن الناس قرؤوا قبل أن يكتبوا﴾ فليعلم الأساتذة التلاميذ القراءة قبل الكتابة مشاكلة للطبيعة ليكون النجاح . فعلى المعامرين أن يتدثروا بالقراءة ثم بعد ذلك يكتبون . هكذا نرى الله خلق الحيوان قبل الانسان . فليدرس الناس الحيوان وتشريح الانسان وتاريخ حياة الأمم وتاريخ أممهم أنفسهم . فمن جهل تاريخ أي علم فقد جهل نفس العلم ومن جهل علم الحيوان وعلم النبات فقد جهل نظام الانسان لأن دراستهما أسهل من دراسة الانسان ومتى درسهما الانسان استحق أن يفهم عالم الانسان إذن الله تعالى بخلق هذه العوالم يخاطبنا كما قلت لك لأنه أمر . أن نقول - اهدنا الصراط المستقيم - وهو نفسه على صراط مستقيم في خلق عالم الحيوان وغيره فلا بد من دراسة هذا الصراط ثم ندعو الله أن نسير عليه . إذن ظهر لك أن قولي إن الله يخاطبنا بمصنوعاته حق فكيف ندعو الى صراط مستقيم نجهل بعضه وصراط الله المستقيم يتبع

فلما سمع صاحبي ذلك قال أنا لا أجادل في هذا القول بل أقول انك أثبتت بحجة وقطعت بصدق وقول حق فان قوله تعالى - والسما رفعها ووضع الميزان - الخ وقوله - مامن دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم - بعد هذا البيان دللنا على أن هذه العوالم كلها طرق ذلت لنهيجها وسبل لنسير عليها

ولكن هذا كله كلام اجالى فان مسألة العنكبوت والنحل والسمك الكهربي وكل ما ذكر فيها كلام عام واستنتاج اجالى فاذا ذكرت لنا مثلا بعض هذه العوالم وتشرحه شرحا جيدا من العلم ثم نجد القرآن نص عليه ايضا فان ذلك يكون نموذجا لجميع العلوم ويصبح المسلمون بعد قراءة ذلك مسرعين الى أن يتخصصوا في العلوم ويوقنوا ايقانا تاما بأنهم في قراءة الحشرات والذرات في أجلّ عبادة ويعكفون على أعمال التجربة في الأعمال الكيماية والأعمال التشريحية وهكذا . فقلت ان الله تعالى يقول في قوم فرعون - فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والسم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين -

انظر العجب . انظر كيف يقول الله في الطوفان وفي الجراد وفي القمل وفي الضفادع . ماذا يقول ؟ يقول - آيات مفصلات - فجعل الماء الذي يغرق أرض مصر وغير أرض مصر آية منفصلة وجعل الحشرات التي منها الجراد والقمل - آيات مفصلات - وجعل الضفادع من الحيوانات الزاحفة ذوات الفقرات - آيات مفصلات - ألا تعجب معي كيف جهل المسلمون هذا الدين . الله يقول - كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون - فهو كتاب مفصل الآيات باللغة العربية ولكنه انما يفهمه أهل العلم والله هو نفسه يجعل الماء والحشرات والضفادع - آيات مفصلات - . إذن الآيات المفصلات كما تكون قولاً تكون فعلاً ومن الفعل الحشرات والماء وهكذا ولم يكتف الله تعالى بذلك بل قال عند الكلام على العنكبوت - وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون - (بكسر اللام) فالعالمون جمع عالم . إذن الله يقول ان القرآن وآياته المفصلة نزل لأولى العلم ويقول ان العنكبوت وأمثالها ضربت أمثالا لأولى العلم . إذن ظهر الأمر واتضح وأصبحت الحشرات وأمثال الحشرات آيات كما ان القرآن آيات . فقال صاحبي هذا أمر عجيب وبديع . إن الناس يشاهدون الجراد والقمل والضفادع ويحسون بالدم في أجسامهم ويشاهدونه في ذبائحهم فلا يأتهم بها ولا يقيمون لها وزنا وغاية الأمر أن يدفعوا الجراد والقمل عن زرعهم وأجسامهم . أما كونها تحتاج الى علم وانه لا يفهمها إلا العلماء فهو غريب على المسلمين وهكذا الآيات المقروآت المتقدّمات فاذا سمع المسلم قوله تعالى - فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد - الخ مرّ عليها كما يمرّ على أكثر القصص يحترمها احتراماً دينياً . أما انها تحتاج الى تعقل وفكر فهذا بعيد وغريب سل عاتمة المسلمين من علماء وجهال وقول لهم ؟ هل الجراد والقمل والضفادع والدم المذكورة في القرآن تحتاجون في فهمها الى عقل وعلم ؟ وهل نفس هذه الحيوانات يحتاج الناس في فهمها الى علم وعقل فانهم جميعا يجيبونك بلسان واحد . هذا أمر معقول مفهوم نحن نعرفه ونفهمه ولا نحتاج الى علم ولا تعقل . فقلت سترى الآن كيف يحتاج ذلك كله الى علم وأن أكثر المسلمين مخدوعون وأن مثلهم مع أمثال هذه المباحث كتل رجل سار في أرض عراء فلمح جبلا فظن انه يصله في عشر دقائق ولكن الجبل المرتفع يوهم الانسان انه قريب وهو بعيد كما يرى الناس أن الشمس قريبة رأى العين وهي بعيدة فيظل المسكين سائرا أكثر يومه حتى يصل اليه بعد طول الشقة . فالمعلومات قد أبرزها الله للناس وجعلها تحيط بهم فظنوها معلومة كما ظنوا انهم عرفوا حقيقة الشمس بالنظر الى ظاهرها ولكنهم عند الامتحان يتحققون انهم جاهلون وأن هذه أمثال والأمثال لا يعقلها إلا أولوا العلم

فهالك الطوفان المذكور في الآية . يقول الله في قصة موسى اني أرسلت الطوفان على أهل مصر ؟ لماذا ليخافوا الله ويؤمنوا . فهنا أمران اعظام الله بسبب ظهور جبروته وسطوته والايمان به فارسل الطوفان يهلك الأمم فهذا التهرير يورث القلوب اعظاما واجلالا لله وينتج منه الايمان به والتصديق وهذا مثل من الأمثال التي لا يعرفها إلا العلماء فلم ينزل الله القرآن إلا لنا نحن ونحن ننظر فنقول ان الماء ينزل من السماء في خط الاستواء ويجري في النيل سائرا الى البحر الأبيض المتوسط فاذا زاد زيادة فوق العادة أغرق البلاد فكان آية مفصلة . هذا ظاهر الآية ولكن الحقيقة أن هذا النيل وأمثاله كدجلة والفرات وسيحون وجيحون والنيجر

في السودان وأمثالها وكاظمونه وفلجا والتميس في أوروبا . كل هذه اذا تركت وشأنها أهلكت الحرث والنسل في كل سنة فلولا أن الناس يعملون لها جسورا وقناطر كانت وبالا عليهم فغرقهم تارة وتجعل أرضهم قفرًا تارة أخرى ﴿ والدليل على ذلك * أولاً ﴾ ان نهر النيل الذي يجري في بلادنا المصرية ما كان ليعيش به قبل أيام محمد علي باشا أي نحو سنة (١٨٠٠) ميلادية وما قبلها الا نحو ألفي ألف انسان (مليونين) لا غير وذلك بسبب اهمال الحكام وجهلهم إذ ذلك أيام انحطاط الأمم الاسلامية فكان هذا النيل يفرق البلاد تارة ويتركها أرضاً قفرًا تارة أخرى . فأما في هذه الأيام (سنة ١٩٢٨ م) فان البلاد تعدادها نحو (١٤) مليوناً وماء النيل لا يزال قابلاً لسقي أرض أوسع مما يسقي الآن فيغتذى بالزرع عشرة ملايين أخرى على طول الزمان . إذن الله عز وجل ذكر الطوفان في الآية وقال انه آية مفصلة وقال انه لا يفهمه إلا العلماء لهذه الحكيم العجيبة

أليس من العجب أن تكون أرض اليمن ملك أمة اسلامية وقد سمي الله سورة باسمها وقال انه كان فيها سدّ العرم وانه كان فيه جنتان . فيأيت شعري أين ذهبت الجنتان الآن وأين السدود الأخرى هناك . إن هذه البلاد وبلاد حضرموت وغيرها قد أنزل الله لأهلها مطراً في فصول السنة وهم لا يحفظونه فيترك الأرض قاعاً صفصفاً لا تنبت نباتاً . أليس من العجب ومن المؤلم أن تكون هذه الأمة الاسلامية لم تصل في عمران بلادها الى ما وصل اليه أم قبلهم عباد أوثان في اليمن وفي حضرموت وفي غيرها والله يذكر الطوفان في الآيات ويذكر سد العرم ويقول - فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم - وما الاعراض المذكور إلا جهل العلوم التي بها اصلاح السد كما حصل في مصر قبل أيام محمد علي باشا كما تقدم . فهل يتفكر المسلمون حتى يكونوا من الذين قال الله فيهم - وما يعقلها إلا العالمون - . اللهم انك أنت المعلم والهادي وعلى من اطلع على هذا أن يرشد الأمة الى سواء الصراط ﴿ ثانياً ﴾ ان الحشرات التي ذكر منها الجراد والقمل في الآية ليس يعرف الناس منها إلا أن الأول يهلك الزرع والناس يطاردونه * ويقول شاعرهم

مرّ الجراد على زرعي فقلت له * لا تأكل مني ولا تشغل بافساد

فقام منهم خطيب فوق سنبلة * انا على سفر لا بد من زاد

وأن الثاني يؤذي الناس في فراشهم فينظفون ثيابهم ليعبده عن أبدانهم لأجل صحتها . ويقرؤون في كتاب ﴿ كايّة ودمنة ﴾ أن البرغوث حلّ ضيفاً عند القملة في فراش رجل غني فلدغه البرغوث ليلا ففترّ البرغوث وبحت الرجل فلم يجد إلا القملة فقتلها وجعلوه مثلاً لمعاملة الرجل المجهول فانها ترجع على الانسان باثماً بال هذا ما يعرفه الناس في القمل واخوتها البراغيث ولكن الآية لا تنقف عند هذا الحد فان هناك فرقاً بين الخيال والحقيقة . فالذي في ﴿ كايّة ودمنة ﴾ ضرب مثل خيالي والقرآن يقول إن هذه حقائق علمية أي انه لا يعرف هذه الا العلماء . وأما هذه فهي أمثال سهلة يعرفها العلماء والجهال متى ألقى اليهم . فقال فما علم هذا عندك . فقلت ان البراغيث المذكورة يظن الناس ايذاءها قاصراً على لدغهم في الفراش ولكن العلم اليوم أثبت بعد البحث والتنقيب أن البراغيث تجلب الطاعون والأمراض العاتقة . ولا جرم أن القمل المذكور في الآية لا يراد بها خصوصاً بل المراد هي وأمثالها من مؤذبات الحشرات وأقربها اليها البراغيث التي قرنت بها في كتاب ﴿ كايّة ودمنة ﴾ فأمثال القمل كالطوفان سواء بسواء . فكما أن الطوفان يهلك آلافاً دفعة واحدة هكذا البراغيث تفعل ذلك . وكما أن ماء النيل وأمثاله معرض في كل وقت اذا أهمل أن يكون اهلاً كما علما وأن يكون طوفاناً هكذا نحو البراغيث تفعل ذلك اذا تركت وشأنها . قال فاذكري برهان ذلك من العلم . قلت اعلم أن الله عز وجل قد أمّ هذا التفسير بالعلم وأيدني فيه تأييداً لم يكن ليخطر لي . ومن عجب اني لا أتكلف ما أكتبه بل تساق الى المجانب من حيث لا أحسب . فانظر كيف أصدرت مصلحة الصحة المصرية نشرة في هذه الأيام يوم السبت ٢٢ سبتمبر سنة ١٩٢٨ م أثناء كتابة هذا المقال وفيها أن البراغيث رسل الموت إذ تنقل

الأمراض المهلكة من الفيران الى الانسان تبينا لما قلناه وهذا نصها

﴿ خطر الفيران ﴾

(تاريخ حياتها)

تعيش الفأرة سنتين تقريبا وتبلغ سن الحمل قبل أن تصل الى الشهر الثالث من عمرها ومدة حملها ٢١ يوما وقد تلحق بعد بضع ساعات من الولادة والفأريولاد عاريا من الشعر وأعمى وآذانه مغلقة ويستمر كذلك مدة أسبوعين ويكبر حجمه في الاسبوع الرابع من عمره . وتحمل الفأرة من ثلاث الى خمس مرات في السنة وفي كل مرة تلد من ٦ الى ٩ فيران وقد يصل عدد ما تلده في المرة الواحدة الى ٢٣ فأرا ويتوقف ذلك على مقدار غذائها وملاءمة الجو فكلما ازداد الغذاء وكان الجو ملائما ازداد عدد مرات حملها وعدد ما تضعه في كل مرة

﴿ طبائع الفيران ﴾

الفار لا يخرج من جحره إلا بالليل ويقضى معظم يومه نائما داخله . والفيران تخزن ما كولاتها داخل جحورها حتى اذا وجدت صعوبة في الحصول على قوتها في وقت من الأوقات أمكنها أن تعيش بما خزنته حتى تجد موردا آخر للقوت . وهي تحفر جحورها قريبا من الجهات التي تحصل منها على طعامها ولكنها في بعض الأحيان قد تقوم برحلات طويلة للحصول على غذائها وتتبع في رحلتها طريقا خاصا لا تحيد عنه عادة . ومن طبائعها التنقل في فصول السنة المختلفة فقد تهجر المنازل في الربيع الى الغيطان حيث يمكنها الحصول على غذاء أشهى مما تجده في المنازل في ذلك الوقت ثم تعود الى المنازل في الخريف لتقضى فيها مدة الشتاء . وهي كثيرة الدهاء وشديدة الاحتراس من وقوعها في المصائد وتصبح أحيانا مفترسة سيما اذا قلّ مورد غذائها وقد تأكل صغارها أو الضعاف من ذريتها وقد تهجم في بعض الأحيان على الانسان بتوحش خصوصا اذا كان نائما وتنهش الجثث في مقابرها وتهجم على بعض الحيوانات فتنهش لحما . وقد عثر عليها تفعل ذلك مع الفيلة فتعض أرجلها ومع الخنازير فتأكل من آذانها وأذنها . وهي تقتل صغار الأرانب في جحورها وتستولى على بيض وصغار الطيور لتأكلها ولها قدرة غريبة على سرقة البيض وقد تسرق البيضة من تحت الدجاجة بدون أن تشعر بها

﴿ الحسائر التي تسببها الفيران ﴾

ان الأضرار المادية التي تسببها الفيران لا تحصى على أحد فاذا حسبنا أن مقدار ما يأكله الفأر الواحد في اليوم يقتدر بربع ملجم فقط وأن عدد الفيران الموجودة بالقطر المصري (١٤) مليوناً أى بنسبة فأر لكل شخص (وهذا التقدير قليل بالنسبة للواقع) لبلغ مقدار ما يضيع سنويا في غذاء الفيران فقط مليون ونصف مليون جنيه تقريبا . هذا فضلا عما تسببه من الحسائر والأخطار بحفر جحورها في جدران المنازل وبين السقوف فقد تداعت مبان كبيرة الى السقوط لهذا السبب وقد نتجت عن قرضها لمواسير المياه والغاز حوادث خطيرة . ومن أضرارها أنها تحمل عيذان الكبريت الى جحورها وتقرضها فتسبب أحيانا حرائق كبيرة

﴿ الفيران والأمراض ﴾

فضلا عما تسببه الفيران من الحسائر والأضرار والحوادث الخطيرة تحمل جراثيم عدة أمراض فتناكح تنقل الى الانسان بواسطتها . وأهم تلك الأمراض الطاعون وهو الأصل يصيب الفيران ويقتل منها عددا كبيرا وينتقل منها الى الانسان بواسطة لدغ البرغوت . وداء الاسبيرونيوتا المصحوب ببرقان ونزيف والتولاريميا والمرض بالدودة الحيطية وعدة ديدان معوية أخرى والحى المنسبة من عضه الفأر

﴿ طرق إبادة الفيران ﴾

(١) يجب احراق القمامة (الزباله) والفضلات المنزلية يوميا أو وضعها في وعاء له غطاء محكم

(٢) يجب بناء المحلات التي تخزن فيها المأكولات والتي تغشاها الفيران عادة من مادة تمنع دخولها اليها كالأسمنت

(٣) يجب سدّ الجحور بقطع من الزجاج ثم بقطع من الحجارة والأسمنت حتى لا تقوى الفيران على قفها
(٤) يجب سدّ نوافذ البدرونات السفلى والفتحات الصغيرة التي تدخل منها الفيران بقطع السلك أو الزنك
(٥) استعمل مصائد الفيران في المحال التي تغشاها هذه الحيوانات ويجب غسل المصيدة جيدا بعد كل مرة وتغيير الطعم يوميا

(٦) استعمل طرق التسميم للفيران وأحسنها خلط ملح كربونات الباريوم بقطع من الخبز أو الدقيق أو السردين أو البيض أو البطيخ أو الطماطم . ولكن يجب الاحتراس من وصول هذه السموم الى الحيوانات والطيور أو الأطفال

(٧) يمكنك الاستعانة بالحيوانات الأليفة لصيد الفيران وأهمها الكلاب والقطط فانها تقتل عددا كبيرا منها
(٨) انشرقطعا من النفتالين أو مسحوق الكبريت في الأماكن التي تغشاها هذه الحيوانات فان الفيران تكره رائحة هذه المواد ولا تقترب من الأماكن الموجودة بها انتهى

فانظر الى مرض البرقان والذئب ومرض الدودة الخيطية والديدان المعوية والطاعون فهذه كلها أمراض مهلكة تنقلها البراغيث الى الانسان . فالبراغيث من الحشرات ذوات الأرجل الستة كالجراد وكالقمل والفيران من ذوات الفقرات والدم والعظام . فانظرك كيف اتحدت كلها على اهلاك الانسان

ألا ترى أن هذا لا يعقله غير العلماء به . كلا . وهل تظن أن الناس وهم على حالهم بدون قراءة العلوم يعرفون خطر الفيران وخطر البراغيث . كلا . إذن هذا هو الزمان الذي تظهر فيه حقائق القرآن ويعلم الناس لماذا ذكر الله الجراد والقمل والطوفان والعنكبوت والذباب ثم لماذا يقول ان هذه الأمثال لا يعقلها إلا العلماء إن هذه الأسرار هذا زمان ظهورها . والفضل كل الفضل لظهور هذه الأسرار في زماننا انتشار العلوم في الأمم حولنا . فهذا هو الزمان الذي يظهر فيه معنى - وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون - فهذه من مبادئ العلوم التي سيعرفها المسلمون بعدنا وهم الذين يدرسون هذه الدنيا ويعرفون أن هذه الحيوانات آيات مفصلات . فاذا درسوا حشرة كالذبابة أو النحلة أو الجراد أو أمثالها تبينوا (أمرين * الأول) أنهم يتقون الخطر الناشئ من الحشرة بسبب دراستها كما يتقون عذاب الله بالإيمان فلا يعرفون بالطوفان في الآية ولا تسلط عليهم الحشرات (الثاني) أنهم بسبب هذه الدراسة قد وقفوا على الحقائق وأدركوا عجائب الحكمة فعرفوا ربهم وبهذه المعرفة غرسوا لهم رذات في جنات العلم والحكمة وعاشوا في سعادة علمية لا يحظى بها سواهم - فلانعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون - وهاك مثالا آخر وهو

مرض الدنج

(أعراضه . جرثومة المرض . أسباب انتشاره . وصف الستيجميا . أدوار حياتها . مقاومة الدنج)

(بقلم الدكتور سامي بك كمال)

لم نعتز على وصف لهذا المرض قبل (الشيخ الجبرتي) الذي ذكره في تاريخه المشهور وصفا دقيقا حيث قال بالحرف الواحد ما يأتي

(في منتصف شهر رجب سنة ١١٩٣ هجرية الموافق سنة ١٧٧٩ ميلادية ظهر بمصر وضواحيها مرض سموه (بأبي الركب) وفشا في الناس قاطبة حتى الأطفال وهو عبارة عن حمى ومقدار شدته ثلاثة أيام وقديريد

على ذلك وينقص بحسب اختلاف الأمزجة ويحدث وجعا في المفاصل والركب والأطراف ويوقف حركة الأصابع وبعض ورم ويبقى أثره أكثر من شهر ويأثى الشخص على غفلة فيسخن البدن ويضرب على الانسان دماغه ويركبه ويذهب بالعرق والحمام وهو من الحوادث الغريبة انتهى

وكلمة الدنج هذه لا يعرف أصلها وكل ما قيل فيها تخمين . ويغلب على الظن أن وطنه الأصلي (عدن) وماجاورها . وربما سموه الدنج تحريفا واشتقاقا من عدن . ثم انتشر هذا الوباء الى جميع العالم في المناطق الحارة والدافئة ولم تخل قارة منه . لذا سمي باسماء كثيرة وجعلوا له في كل بلد اسما . أما في مصر فسموه (بأبى الركب) ومن بعدها (بحمى البالج) حيث يتفشى في أوانه واستوطن بممالك مختلفة ويمكن اعتبار مصر موطنه . ومن خواص هذا الوباء سرعة انتشاره وتعطيله في أسابيع قليلة لحركة الناس وأعمال الشركات والجماعات والحكومات ويأثى زمن لا يتجاوز منه بيت فيه مريض أو ناقة من مرض

﴿ أعراضه ﴾

آلام بالرأس والمفاصل وارتعاش الجسم ثم حى مرتفعة مصحوبة بطفح أو باحمرار في الوجه ومن خواص تلك الحمى انها لا تسير على وتيرة واحدة ولذا يمكن اعتبارها متقطعة ومدتها أسبوع يظهر على الجسم في خامس أو سادس يوم منه طفح ثان عبارة عن نقطة رقيقة جراء على الأيدي والذراعين والساقين وقد ينتشر على كل الجسم وقد يصحبه تمييل وحكة . وقد تختلف هذه الأعراض من مريض الى آخر اختلافا جوهريا فلا يرى الطفح مثلا وقد لا تظهر الحمى مطلقا أو تكون مدتها بسيطة أولا تبدأ بارتعاش الجسم وتفقد شهية الطعام وتتضخم العقد اللمفاوية أو يعترى المريض أرق أو نزيف وقد تتورم المفاصل . أما الذي لا يختلف في جميع الحالات هو شدة الآلام في المفاصل والعضلات . يعقب كل هذا انحطاط في القوى في الاسبوع الثاني للمرض وفقد شهية الطعام يدخل بعدها المريض في دور النقاهة الصحيحة

﴿ جرثومة المرض ﴾

لم يعثر لآن على جرثومة هذا الوباء وهي موجودة بالفعل حيث أخذ دم المريض وحقن به الصحيح فأحدث المرض (تجارب كريج) وهذه الجرثومة دقيقة جدا للدرجة انها تمر بالمرشحات الدقيقة التي تحجز غالب الميكروبات حتى الدقيق منها . وقد اتضح ذلك بامكان أحداث المرض بعد ترشيح دم المريض وحقنه الى السليم بواسطة (الدكتور كريج)

﴿ أسباب انتشاره ﴾

برهن بعض العلماء على أن البعوض هو ناقل المرض وقد أظهر ذلك بوضوح الدكتور (كلياند) الذي لقح أنواعا مختلفة من البعوض بتغذيتها من دم المرضى ثم اطعمها من أشخاص فنجحت العملية ونقل مرض الدنج بواسطة النوع المسمى (ستيجوميا فاسيانا) وهو كثير الانتشار في مصر . والبعوض الملقح يحدث الدنج بعد خمسة الى تسعة أيام من اطعمته دم المريض به . وتظهر على المصاب علامات الدنج في مدة تتراوح بين خمسة وثمانية عشر يوما ووجد أيضا أن دم المصاب يجري فيه جراثيم الدنج مدة أسبوعين كاملين من ابتداء المرض يمكن البعوض أثناءها أن ينقل مرض الدنج الى الأشخاص

﴿ وصف الستيجوميا وحياتها ﴾

هو بعوض أسود أرجله بيضاء مسكنه البيوت ويعيش من دم الانسان وفي حالة سكونه يوجد في مواضع الظلام خلف ستار أو باب أو تحت الأسرة . يمضى حياته بقرب من المياه وفي درجة حرارة تزيد على (٢٣) ستيجراد ولا تنقل عن ١٧° وله طيران قوى بدون أزيز ويقع بغتة على فرسته ويحدث ألما أشد من الألم الذي يحدث من البعوض العادى . لا يطارده الريح . يعيش على الفاكهة وقد ينقل بواسطتها الى مسافات

بعيدة فينتقل معه المرض . يتغذى هذا البعوض من دم الانسان في الصباح وقت شروق الشمس وفي النهار داخل المنازل أو خارجها اذا احتجبت أشعة الشمس وليلا في النور . والستيجوميا تتعاطى طعامها كل ثلاثة أيام تقريبا من دم الانسان والا فن دم الحيوان

﴿ أدوار حياتها ﴾

لاتبيض الستيجوميا بعد تلقيحها إلا اذا تغذت بالدم وتضع بويضاتها في أى آنية أو حوض فوق سطح الماء بقليل فإذا علا الماء فقس البيض . ويوجد البيض في الآبار والبراميل وفي أى شئ ملقى كعلبة صفيح أو غلاف فاكهة وفي دور المياه والمراحيض وفي بقايا الزجاج أوفى أواني الأزهار وتجويقات الأشجار وبجوار الأنهار وفي تجويقات الأرض بعد الأمطار . وعدد البيض يتراوح من ٧٠ الى ١٥٠ بيضة لكل بعوضة ويمكنه أن يعيش ثمانية أشهر كاملة أو أزيد وقد يقاوم البيض مدة الشتاء فيفقس في الربيع وربما كان الفقس حاملا جراثيم المرض فينقلها بدوره الى الانسان . أما مدة حياة العلق (فقس البعوض) الى أن يصير بعوضا كاملا فتتراوح بين ١١ الى ١٨ يوما في درجة ٢٦ سنتيجراد وهذا العلق يعيش في الماء ولا يموت اذا نزل الى قاعه . أما حياة البعوضة فتزيد على خمسة أشهر وربما كانت حاملة جرثومة المرض أثناءها

﴿ مقاومة الدنج ﴾

ذكرنا حياة البعوض بالتفصيل لتقدير مقاومتها فالاحتياطات التي تتخذ لمنع انتشار الدنج هي منع انتشار ذلك البعوض . وحيث ان هذا المرض صار مهتدا لمصر في كل عام فيجب على مصلحة الصحة اصدار تعليمات خاصة بحياة وعادات ذلك البعوض بعد درس عميق ثم استصدار قانون يجب اتباعه في جميع المنازل لإبادةه تماما وتقرير غرامات لمن يخالف تلك القوانين ويوجد البعوض في منزله بعد التفتيش الدقيق . انتهى وقد نشرت مصلحة الصحة العمومية المصرية بلاغا عن حى الدنج وهاهوذا

﴿ بلاغ عن حى الدنج المعروفة للجماهير بأبى الركب ﴾

ليكن في علم الجمهور أن البلاد مهددة بمرض الدنج وأن معاونة الأهالى لمصلحة الصحة هي من أفعال الوسائل في مقاومة هذا المرض . فعلى كل فرد من أفراد الأمة أن يسترشد بالتعليمات الآتية في أداء واجبه نحو نفسه ومواطنيه

﴿ مرض الدنج ﴾ إن مرض الدنج هو من الأمراض المعدية وهو ينتشر بسرعة فائقة وربما كان أسرع الأمراض المعدية كلها انتشارا

﴿ الأعراض ﴾ وأعراض هذا المرض تظهر فجأة وهى وجع في الرأس وقشعريرة وآلام حادة في المفاصل والعضلات والظفر مع ارتفاع في الحرارة ووسخ في اللسان وفقد الشهية للطعام واحتقان في العينين وآلام شديدة في جبينهما وفي بعض الأحيان يحصل نزيف من الأنف أو من فتحات الجسم الأخرى . وتستمر هذه الأعراض مدة تتراوح بين يومين وأربعة أيام ثم تنخفض الحرارة ويبتدىء المريض في التحسن مدة يومين أو ثلاثة . وبعد ذلك تعثره نكسة فتعود اليه أعراض المرض ثانيا وتستمر يومين أو ثلاثة ويظهر على الجسم في بعض الحالات طفح يشبه طفح الحصبة . ومتوسط مدة الإصابة بهذا المرض هو نحو أسبوع وبعد زوال أعراضه يظل المريض مدة طويلة ضعيف البنية منهوك القوى الجسمية

﴿ طريقة نقل العدوى ﴾ ينقل عدوى المرض نوع خاص من البعوض المنتشر بكثرة في أنحاء القطر المصرى

﴿ طرق الوقاية ﴾ لما كان نقل عدوى المرض لا يحصل إلا بواسطة البعوض فانه من الواجب توجيه جميع الجهود لمقاومته وإزالة أماكن توالده . وهو يتوالد في الماء الراكد كماء البرك والمستنقعات وخزانات المراحيض ونحوها ولكي تبقى نفسك شريفا هذا المرض يجب عليك اتباع الارشادات الآتية

(أ) أبذل كل الجهد في عدم تمكين الناموس من الدخول في منزلك بتغطية جميع النوافذ والشبابيك بسلك دقيق أو بشاش رفيع

(ب) وجه كل عنايتك لإعدام جميع الناموس الذي يدخل منزلك

(ج) غط سريرك بناموسية كلما أمكنك ذلك وضع أطراف الناموسية تحت الفراش بإحكام

(د) لا تترك مياه راكدة في البراميل أو الأزيار أو الأواني الأخرى دون تغييرها مرتين على الأقل كل أسبوع

﴿العلاج﴾ إذا أصبت بالأعراض السابق وصفها فلصالحك أن تستشير أحد الأطباء . ويجب أن يعزل المريض في غرفة خاصة متوفرة فيها شروط التهوية والضوء مع اتخاذ الاحتياطات اللازمة لمنع وصول الناموس إليه وذلك بتغطية النوافذ بسلك دقيق أو شاش رفيع كما سبق القول . وبقاء المريض على الدوام داخل ناموسية حتى تيسر وقاية الأشخاص الذين يقيمون معه في منزل واحد من تسرب عدوى المرض إليهم وإنما نقلت لك كلام الأطباء ونصائح الحكومة للوقوف على إبداع الله وحكمته . أفلا تعجب من حيوانات لا تراها تدخل في أجسامنا لأعدادها ولا تراها العيون والذي ينقلها هو البعوض (الناموس) فهذا الناموس الخاص هو الذي ينقل تلك الحيوانات من جسم إلى جسم . ولا منجى من خطر الحامل ومحموله إلا بالدراسة وبارتقاء الطب ولا ارتقاء للطب إلا بدراسة كل علم ومنه علم الحشرات الذي لا ارتقاء له إلا بالآلات دقيقة والآلات الدقيقة لا بد لها من صناع يصنعونها وهكذا . فالعلوم والصناعات دائرة واحدة والأمة التي يجب عليها الدراسة والصناعة أمة واحدة والناس أشبه بجسم واحد على الأرض - وقل أعمالوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردّون إلى عالم الغيب والشهادة فينبشكم بما كنتم تعملون - انتهى يوم الثلاثاء ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٢٨ م وبهذا تمّ الكلام على اللطيفة الثانية

﴿ اللطيفة الثالثة في قوله تعالى - ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا - ﴾

قد علمت في تفسير الآيات أن الله ذم الكفار لأنهم اتخذوا من دون الله آلهة لم يخلقوا شيئا بل هم مخلوقون ولا يدفعون عن أنفسهم ضرا ولا يجلبون نفعا ولا يحيون ولا يميتون ولا يعيدون الأموات للبعث فهذه سبع صفات جردتهم من كل كمال يليق بالالوهية . فالإله يكون خالقا لا مخلوقا ولا يضره أحد ويحي ويميت وإذا أمات أحدا أعاده هذا هو الإله وهذه الأصنام لا قوة لها على ذلك والذي يهيم في هذا المقام قوله - ولا نشورا - ومثل هذا القول يرمي على أكثر الناس وهم نائمون كأنهم لا يعلمون . يذم الله الكافرين لأنهم عبدوا أصناما انصفت بصفات لا تليق بالالوهية ومنها أنهم لا يحيون ما مات من المخلوقات . ولعمري إن هذه هي بيت القصيد انظر وتعجب كيف يذكرك في هذه الآيات . ذكر الله ذلك ليفتح لنا باب الفكر في الألوهية . لا يثبت إله في العالم يخلقه مالم يكن حكما والحكيم لا يفعل البعث . ومن البعث العظيم أن يخلق خلقا ثم يعدمه بلا فائدة فهذه قسوة ولا حكمة فيه . وأي حكمة في عمل لا قيمة له . يخلق مخلوقات ثم يهلكها ويتركها ولا فائدة منها إلا أنها تعذب وتهان لغير ذنب جنته ولا ظلم اقترفته فان لم يكن لهذا العالم وجود بعد العدم وكان العدم هو النهاية فلا إله للعالم وإنما هو تركيب وتحليل لا غير يأتي بالمصادفات . فالالوهية تستلزم البعث فينبغي الألوهية وبين البعث تلازم إذا ثبت الإله ثبت البعث لأنه يكون حكما وإذا لم يثبت فلا بعث ولا ثواب ولا عقاب ولاجنة ولا نار ولا حكمة في وجود العالم ولذلك تجد القرآن يقرن فيه الله باليوم الآخر فتسمع فيه - الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر - في آيات متعددة وسور كثيرة من القرآن . فانظر إذن في عدد (١٩) الذي مر ذكره في اللطيفة السابقة إذ جعله قدماء المصريين رمزا للبعث . فانظر كيف جعلوا مبدأ العالم والعهة الأولى مرموزا له بالواحد وجعلوا بقية الأعداد ما بين ارتقاء للعالم وموت وفناء ثم رجوع وهذا الرمز بعينه هو ملخص هذه الآيات من

قوله - تبارك الذى نزل الفرقان على عبده - الى قوله - ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا - فالذى له ملك السموات والأرض الخ

كل هذا قد انضح فى هذه المقالات و - الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق - فانظر أيها الذكى كيف جاء عند قدماء المصريين نفس ما جاء فى الفلسفة القديمة والحديثة والديانات جميعها أن الموت يتبعه البعث والقدماء والمحدثون على هذا متحدون . انتهت اللطيفة الثالثة

(اللطيفة الرابعة - وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق - الخ)

اعلم أن النوع الانسانى درج على هذه الطريقة وسار على هذا الناموس فلا يعظم إلا من كثر ماله وحشمه وخدمه ولا يعظم من أمر هذه الحياة أعظم خطرا إلا ما كان نادر الوقوع مخالفا للعادة وذلك لقلة فطنة هذا الانسان الساكن هذه الكرة . تراه لغفلته وعدم فطنته لا يأبه بالامور المعتادة ولا يعقل إلا ما هو خارق للعادة إذ أتاح الله لهم أنبياء فأتوا لهم بالغرائب والحجائب . ولما دار الزمان دورته وأراد الله أن يخلق أمة حديثة العهد عظيمة النفع عالية القدر مفكرة أرسل محمدا ﷺ فطلب القوم منه أن لا يكون كالعهودين من الناس فلا يأكل الطعام ولا يمشى فى الأسواق أو يأتى لهم ملك من السماء فيقول للناس هذا نبي الله وينذر الناس معه أو يعثر على كنز حتى يكون غنيا غنى غير معتاد حتى يقول الناس إن الله حبه له وتعظيمه وتقريبه منه أمده بهذا الكنز فلا يحوجه الى معالجة التجارة ولا يضطره الى مزاوله الأعمال مع الناس وهذا من تلك الشئشنة المعروفة فى الانسان إذ رأى أن نعم الله على عباده تكون على مقتضى المال والولد والغضب من الله على مقتضى قلة المال والولد والنعم . ومن أتى للناس بحال معروفة لهم ولم يكن معه أمر نادر حقروه وقالوا أنت مثلنا . وذلك لأنهم يتركون مواهبهم وآراءهم وهذا الأمر اليوم هو السارى فى نوع الانسان . فالناس على وجه هذه الكرة كلهم على هذه الحال لا يستمعون القول إلا بمن يروونه بحال تدهشهم فان كانوا من العامة صدقوا المجاذيب وأمثالهم وان كانوا من الخاصة لا ينقادون الا لرجل أوروبى معه السلاح والحرب والظفر على الأعداء . ولذلك قرر ابن خلدون ان الناس تابعون لدين ملوكهم وهم أبدا مولعون بالغالب لأن الغالب بهر عقولهم بالجيوش الجاررة . فلذلك ترى المصريين أهل بلادى أى المتعلمين منهم لا يبالون بالعبادات ولا الامور الدينية إلا قليلا منهم لأنهم ينظرون الى الدين والمتدين نظرا كفارق يش الى رسول الله ﷺ فيقول الرجل منهم لو كان هذا الدين حقا لم يدخل الفرنج بلادنا وهم لا يعتقدون هذا الدين . فتراهم بهذا البرهان العامى الجاهلى السفسطائى يابون وجوههم عن الدين ويفترون منه فرارهم من الأسد ويصبح فى نظرهم كما كان صاحب الشرع ﷺ فى نظر كفار قريش . فهم يقولون أليس الشيوخ الذين يقرؤون هذا الدين بين ظهرانينا . ألسنا نحن القائمين بأمر هذه البلاد . فاشأن هؤلاء وماشأن دينهم يمثل هذه القضايا الكاذبة . يترك المتعلم أعمال دينه جهلا وغباءه لأن أهل دينه لاسلاح بأيديهم ولا قوة عندهم فكأن الدين لما كان أهله أقوياء كان حقا فلما ضعفوا صار باطلا . وهذه هى القضايا التى ضل بها نوع الانسان وعلى ذلك يسمى (السيف فى يد الجبان عصا وفى يد الشجاع سيف) وهذا القول لا يعقل ولكنه يعقله الجهلاء الذين لا يعقلون . ولقد أجاب الله على ذلك هنا باجابة عامة فقال - انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا - فوصفهم بأنهم ضالون وهذا وصف عام يشمل الخلل فى القضية التى احتجوا بها كما قدمناه وانما لم يذكر خلل هذه الحجة لأن الضلال كما يشملها يشمل غيرها كما سيأتى فى هذه السورة إذ يقول الله لا أضلهم لولا أنكم أضلتم عبادى هؤلاء أم هم ضلوا السبيل * قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا -

فانظر كيف قال الله للعبودين - أأنتم أضلتم عبادى هؤلاء أم هم ضلوا السبيل - فترا العبودون وأُسندوا

الضلال لما تمتعوا بهم وآبأهم من قبلهم - حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا - هلكي . فانظر وتعجب كيف جعل المعبودون الضلال ناشئا من التمتع الحاصل لهم ولآبائهم من قبلهم حتى أنساهم ذكر الله وهذا التمتع هو الذي ذمه الله في قوله - واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا - فالتمتع يورث الفسوق والهلاك في هذه الآية ويورث الهلاك في آياتنا التي نحن بصدها مع الضلال ونسيان الذكر فيكون الأمر هكذا نسيان ذكر فضلال وهلاك وفسوق وهلاك وهذا هو قوله تعالى - فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربني أكرمن * وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربني أهانن * كلا - الخ - وقوله تعالى - أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون -

فانظر وتعجب من آي القرآن وعجائبها وارجع الى مانحن بصده من الآيات فان قوله تعالى - فضلوا فلا يستطيعون سبيلا - لم يعين فيه الضلال بفساد الحجة الذي يظهر عند التقدير بل ترك الأمر لفطنة القارئ ثم أعاد ذكر الضلال لما سأل الأصنام فقالوا له نحن ما أضللناهم بل هم ضلوا وذلك الضلال لتمتعهم بالخيرات وغفلتهم والغفلة متى استحكمت بكثرة اللذات والشهوات أوقعت الناس في المهالك . فاتباع الناس لأهوائهم وجهالاتهم ناشئ من الترف والتنعم . فترجع الى الأنبياء فلو أنهم كانوا مترفين منعمين لكانوا ضالين وحينئذ يقال انه لو أنزل على الأنبياء كنز أو استغنوا عن الأسواق وكانوا أغنى من كثير من البشر لم يكن ذلك دليلا على رفعة قدرهم بل هذه الامور تورث الغفلة فهي ان لم تدنسهم بالغفلة فليست برافعة لهم شأنًا وليس أكثر الأنبياء بأصحاب ملك كداود وسليمان بل أكثرهم كانوا يزاولون الحرف والصنائع ويرعون الغنم تشييطا لهم وتقوية لأبدانهم وتدريباً لهم على الأعمال الملقوة للبدن المنشطة للفكر المبعدة عن الكسل المدرجة على المشاق حتى اذا سادوا الناس ألزموهم العمل وساسوهم سياسة تحفظ جامعهم . فانظر وتعجب من بدائع القرآن كيف يقول الله تعالى بعد ذلك بآية واحدة - وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق - ثم قال - وجعلنا بعضهم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيرا -

فانظر كيف أتى الله أولا بالاجابة على قولهم بأنهم ضالون ثم أتبعه بفصول انتهت بالجواب الثاني وذلك الفصول ان الله قادر أن يعطيه جنات وقصورا وانهم كذبوا بالساعة وأن لهم السعير وأن جهنم تنغيظ وأن لها زفيرا وانهم اذا ألقوا في مكان ضيق منها دعوا بالهلاك وانهم من اللاتق لهم أن يدعوا هلاكا كثيرا ثم وازن بين الجنة والنار وأن الجنة للمتقين ولهم فيها ما يشاؤون ثم يحشر المعبودين والعابدين ويسألهم ما سبب ضلال العابدين ؟ فهذه أحد عشر فصلا ختمت بفصل هو الاجابة الثانية لقولهم - مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشى في الأسواق - وكان ينبغي أن ينزل اليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها فقال لهم هنا إن التمتع باللذات ينسى الذكر ويورث الهلاك فليس في ذلك معجزة ولذلك قال بعد آية كما تقدم - وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق - وأما قوله تعالى - لولا أنزل اليه ملك - الخ فهو في

﴿ اللطيفة الخامسة ﴾

وذلك أن قوله تعالى - لولا أنزل اليه ملك - أجاب عنه بقوله تعالى - وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أن نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا - الخ فانظر كيف كانت الاجابة على المشي في الأسواق وأكل الطعام وانزال الكنز وأن يكون له بستان بأنهم ضالون وبأن التنعم ينسى الرب فليس من شأن الأنبياء . وكيف كانت الاجابة على انزال الملك بقوله - وقال الذين لا يرجون لقاءنا - الخ وقوله تعالى - لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا - معناه انهم ليسوا أهلا لمقابلة الملك ولا لمقابلة الله وهل يقدر الناس وهم في أجسامهم وفي شهواتهم وفي أضوائهم أن يلاقوا الملائكة فضلا عن الله تعالى . إن الملائكة

منزهون عن المادة والناس في الأجسام فكيف يقدر أن يقابلوهم والمقابلة بين العالمين اللطيف والكثيف متعذرة مالم يصبح الكثيف لطيفا فإذا لطف أمكنت المقابلة وذلك لا يكون إلا حيث يصبح الناس مسلوخين من البشرية عارين عن أحوال الجسمية . ويقول علماء الأرواح في كتبهم ﴿ إن الأرواح العلوية لا تسنى لها أن تكلم إلا نفوسا تنزهت عن المادة وتعالى عن أحوال هذه الأرض وصارت علوية النزعة ميالة للأمور العالية الشريفة . شفقتها عامة ورحمتها عامة وشهواتها متنوعة وذاتها مفعودة لامطمع لها ولا مطمح إلا في الأمور القدسية والمعارف الإلهية ومقابلة رب البرية ﴾ فهذه هي التي تشتاق إليها الأرواح العالية وتنزل عليها في المنام تارة وفي اليقظة أخرى وترى علماء الأرواح يحتالون على محادثة الأرواح بطرق منها المأثدة بحيث يجلس جماعة واضعين أيديهم عليها فتطرق طرقا على حسب المصطلح عليه بين الروح الحاضرة وبين الحاضرين من الانس . ومنها أن تكتب الحروف الهجائية في ورقة وتوضع كأنها إطار أودائرة محيطة بالمأثدة أى فوق دائرتها ويضعون أيديهم على فنجال وذلك الفنجال يمر على هذه الحروف متحركا بالسيال الذي ينزل من الأيدي وأصحابها لا يعلمون من الروح الحاضر ويمتزج السيال الحيواني الآتي من الأحياء بالسيال الآتي من الروح وبهذا الامتزاج يدور الفنجال ويمر على الحروف وباجتماعها تكون كلمات ذات معنى كما رأيت بعيني رأسي . ومنها أن يضع الانسان قلما في يده ويستمر ربع ساعة كل يوم حتى نحضر روح وتكون سببا في انتقال يده بالكتابة فيكتب جلا مفيدة وهكذا من الطرق التي تقدم بعضها أو أكثرها في الذي مضى من هذا التفسير وهي كلها مذكورة في الكتاب الذي ألفته في هذا العلم المسمى ﴿ كتاب الأرواح ﴾ وآخر الطرق طريقة التنويم المغناطيسى بحيث ينوم (يفتح الواو) انسان وتأتى روح فتكلم بلسانه وهذه كلها تقدمت في (سورة الاسراء)

هذه هي نموذج الطرق التي يكلم بها الناس عالم الأرواح وهذا علم منتشر في الأرض ولكن كلام الناس معهم ظهر أنه يدخل فيه الصدق والكذب والحق والباطل والصحيح والفساد فتبين حقا انه لا فائدة إلا في علو الأخلاق وكلما علت الأخلاق اقترب الناس من الملائكة والملائكة - إذن يقتربون من الناس بالإلهام مثلا . أما أكثر هذه الأرواح التي يخاطبها الناس خطابا صناعيا فأنما هي أرواح سفلية قريبة عقولها من عقول البشر فيكذبون كما يكذب البشر ويضحكون كما يضحكون وهكذا . فأما الأرواح العالية فانها ملتزمة الفكر لا تحب إلا ما كان عاليا شريفا ولا تخاطب إلا نفوسا بعيدة عن الشهوات قدسية النزعة . ولا سبيل لهذه الصفة إلا بمحاسن الأخلاق والآداب والمقاصد النبيلة وحب العلم وحب الإنسانية . فالنفوس المتصفة بهذه الصفات هي التي تستأهل للتكلم مع الملائكة ومن سواهم منهم ليسوا أهلا هؤلاء وهذا هو معنى قوله تعالى هنا - لقد استلبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا - فلقاء الملائكة لهم لاهلاكهم لا لارشادهم

﴿ اللطيفة السادسة في قوله تعالى - أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل - ﴾

قد تقدم شرحها في اللطيفة الرابعة

﴿ اللطيفة السابعة في قوله تعالى - وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون - الخ ﴾

اعلم أن الله عز وجل خلقنا في الأرض ليرينا . ولقد جعل التربية ﴿ بأمرين ﴾ نعمة ونقمة فلا نرى نعمة إلا كان معها نقمة وقد جعل الضدين يتسابقان لخبرنا سواء أعلمنا أم لم نعلم وفهمنا أم لم نفهم . فانظر كيف جعل الضدين في كل شئ الليل والنهار والصيف والشتاء والشباب والشيب والموت والحياة والإيمان والكفر وترى الزرع يصاحبه الانسان والماء والشمس ويفسده الآفات العارضة . وترى الانسان يعتره المرض والصحة والفقر والغنى والعلم والجهل . وهكذا نرى له العدو والصديق ويظن أكثر الناس أن العداوة ضرر محض وما علموا أن الآفات والعوارض مقويات لمن ترد عليه جسمها أو عقلا وروحا . فكم من مريض كان المرض

سبب توبته أو سبب اتقائه الماء كل الضارة فعاش سعيداً قري العين . وكم من فقير صار الفقير من أهم أسباب ثروته وغناه أو تهذيبه أو تقوية عضلاته أو تقوية ملكاته الفكرية أو ما أشبه ذلك . وترى الأرض تنبت حشائش مهلكة للزرع تكتفى بالهواء والماء والأرض وتكون وبالا على القمح والقطن والذرة فيسعى الناس في إزالتها بتعب وشقاء وذلك دلالة على أن كل ما فيه نفعنا لا يتم كله إلا بعد الشتاء والنعب في المحافظة عليه والدأب في حفظه وإبقائه سليماً . ومن عجب أن المزارع التي نحتاج إليها ضعيفة يعوزها قيامنا عليها وحفظها وتسميدها وسقيها . فأما التي هي ضارة فإنها لا يعوزها شيء من ذلك بل هي قوية متينة . هكذا نرى أجسامنا فيها حيوانات صغيرة في الكرات الدموية الجراء والكرات البيضاء . وهذه الحيوانات التي تعد بالآلاف الألوف حافظة لأجسامنا معدة لمقاتلة كل حيوان داخل لأجسامنا من حيوان الوباء والجدرى والحصباء والتيفوس والتيفود وأنواع الحلي الكثيرة . فإذا دخلت تلك الحيوانات الضارة المحدثه لهذه الأمراض لتسكن أجسامنا وتخرّبها وتلتفها وتهدمها قابلتها تلك الجيوش الجراءة فحاربها فحصل في أثناء العراك والصدام واشتداد الوطيس والتقاء الجيوش واحتدام الوغى أن ترتفع الحرارة في الجسم من ذلك الصراع فيقال إن المريض ارتفعت حرارته . فإذا غلبت الجيوش الهانجة المهلكة مات المريض وإن غلبت الحيوانات التي في كرات الدم الجراء والكرات البيضاء شفى المريض . ولذلك تجدد الأطباء يعمدون إلى الأطفال وإلى بعض الرجال والحيوان فيلقحونهم . ومعنى التلقيح أن يؤتوا بمادة تشتمل على حيوانات صغيرة تعد بالآلاف فيدخلونها بالبر في الأجسام كالمادة التي فيها حيوان الجدرى . فإذا سرت تلك المادة في جسم الطفل أخذت تلك الحيوانات تحارب ما في الجسم من الحيوانات الدورية في الكرات الدموية فترتفع الحرارة ويموت بعض تلك الحيوانات أو أكثرها فتقوم ذريتها حافظة ما كان لأبائها من قوة على النضال وجراءة على القتال وشدة في الحرب حتى إذا جاء مرض الجدرى حقيقة كانت ذرية تلك الحيوانات واقفة له بالمرصاد لأن أجسامها قوية بمحاربة الأعداء وقد ورثت تلك القوة عن الأجداد وأجداد الأجداد

هذا ما يقوله العلماء في الحيوانات الدورية في أجسامنا وفي حيوان المرض الذي يفتك بنا . فانظر كيف أصبح العدو هو النافع المقوى وكيف كانت الراحة هي السبب الأقوى في الضعف والخلول وانظر كيف يقول الشاعر الحكيم

عدائي لهم فضل على ومنّة * فلا أبعد الرحمن عنى الأعاديا
هم يحسوا عن زلتي فأجتنبتها * وهم نافسوني فأجتنيت المعاليا
فلست بهيب لمن لا يهابني * ولست أرى للرم ما لا يرى ليا
كلانا غنى عن أخيه حياته * ونحن إذا متنا أشد تغانيا

وقد خست هذه الآيات وذكرتها في سابق التفسير . فانظر في الطير في جواء السماء وفيه الصائد والمصيد فالصقر يصطاد الخطاف والخطاف يصطاد العصفور والعصفور يأكل الدود والدود يأكل الإنسان والإنسان يأكل الأنعام . فالعالم كأنه دائرة يأكل بعضها بعضاً والعداوة متواصلة والصداقة كذلك . فانظر كيف خلق الله الضدين وخلق بينهما عداوة وصداقة في كل شيء . فالعداوة كنار محرقة والنار مهيتة لكل شيء فغراها تطبخ اللبنة فتجعلها آجراً هكذا العداوات مكملات لنوع الإنسان فهو إن قام جسمه باللين والغذاء وتربية الوالدين فإنه تقوى عضلاته ويقوى بالمخاضات والصبر في المشاحنات والمنافسات . فعلى الرجة انشاؤه وعلى القوة الغضبية النارية بالتنافس والعداوات تقوية ملكاته . هذا هو السر في قوله تعالى - وجعلنا بعضهم لبعض فتنة أتصبرون - فانظر كيف أمرنا بالصبر فالصبر هو المطلوب من هذه كلها وهذا هو السر في قوله تعالى - وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين - لأن عداوة المجرم للنبي تقوى نفسه وترقى أخلاقه بالاحتمال والصبر

ولذلك سمي بعض الأنبياء أولى العزم . وهذا هو الجواب الثالث عن قولهم - مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق - الخ فقد أجابهم بأنهم ضالون وبأن التبغ بالخيرات يدعو الى الهلاك كما تقدم وختمها بقوله ان المهتدين فتنة للضالين والضالين فتنة للمهتدين فكلاهما امتحان للآخر . فأنتم أيها الكفار قد فتنتم بمحمد ونبوته وامنتم لتنظر هل تصبرون في التفكير والتعقل فتعرفون أن المشي في الأسواق وأكل الطعام لا يخل بالنبوات وفتن محمد وامتنع ليصبر على شدائدكم وكفركم وايدائكم هذا هو قوله تعالى - وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون - قال النبي أمر بالصبر على أذاهم وهم مأمورون بالصبر على التعقل والتفكير وعلى أن يعلمهم من يأكل الطعام ويمشي في الأسواق . انتهت اللطيفة السابعة

﴿ اللطيفة الثامنة في قوله تعالى - وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا - ﴾ يقول الله ان الكافر ينعمد سبحانه الى عملهم فلا يقيم له وزنا ويجعله مفرقا لا قيمة له . وسبب ذلك أن كل شيء لانفع فيه إلا بالعزيمة ولا عزيمة إلا حيث يكون الصبر وحفظ القوى النفسية ﴿ ويانه ﴾ أن الذي لا عقيدة له في إله لهذا العالم تكون أعماله موزعة على حسب المرامي التي يرمى اليها فيكون عمله تارة رياء وتارة خوفا وتارة شهوة وتارة لغضب وتارة لأنه جبان وتارة لأنه متبع للعادة وهكذا . فأما اذا جعل الاتجاه لأمر واحد فان جميع أعماله تنصب الى وجهة واحدة فان نال خيرا صرفه لله أوقوة صرفها في عمل نافع أو خاف التجأ الى الله وهو مجتهد في عمله وهكذا في كل أطوار حياته وما هذه القوى النفسية الانسانية إلا كضوء الشمس فانه يكون في الجو متفرقا مشتتا لا ظهور له في الهواء ولا ضوء له في الأجواء والطبقات العليا فاذا مالامس الأرض اجتمعت ذراته وقويت حرارته وأنعش الانسان والحيوان والماء . ذلك شأن ضوء الشمس . فلولا اجتماع ذراته الضوئية على الكرة الأرضية ما أثمر ولا أزهر زرع ولا درّ زرع ولا كانت فيه منافع . هكذا نيات الانسان اذا تركت وشأنها وهكذا كل ما يصتريه اذا لم توجه رغائب الانسان ومقاصده فيها الى وجهة واحدة تطايرت وذهبت كل مذهب ولم يبق لها منفعة ولا خير ولذلك يقول علماء النفس وعلماء الأرواح ﴿ إن الانسان اذا وجه فكره الى الامور التي يقصدها بهمة فان همته تستبق الى المقاصد متى كانت على ثقة بمقاصدها ﴾ ولذلك كان أشراف الأنبياء يسمون أولى العزم لأنهم يجتهدون للغرض الذي يقصدونه ويسمون بأنفسهم الى ما يقصدون . وهكذا يقولون ﴿ إن الانسان متى وضع صورة ما أمام عينه واتجه بقلبه اليه فان تلك الهمة تحرك من صاحب تلك الصورة همة تتجه الى من قصدها ﴾ وعلى هذه النظرية بنى فن من العلوم السحرية ويقول الله تعالى - يحبهم ويحبونه - ويقول ﴿ من ذكرني في نفسه ذكركه في نفسي ﴾ ويقول - فاذكروني أذكركم - فأصبحت القاعدة واحدة في نفسها من انجبه بقلبه للخلق فنيته صادقة فيما انجبه اليه وهكذا من توجه لله كان الله عوناً له . وعليه يكون التوجه لله حافظاً للأعمال من التفرق والتشتت . فأما ترك الآراء والأعمال بلا عنان يسكنها فذلك ضياع لها والله هو الولي الحيد

﴿ جوهرة في قوله تعالى - أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا - ﴾

كنت على شاطئ النيل الشرق يوم ١٠ يناير سنة ١٩٢٩ فرأيت شابا بيده كراسة فيها دروس يقرؤها فسلمت على وأخبرني انه من مدرسة (دار العلوم) وأخذ يسألني في أمور يشك فيها وأهمها ﴿ مسألتان ﴾ المسألة الأولى ﴿ إن الله خلق العالم وكيف تتصور وجوده وعقولنا لاتعقل كيف كان هذا الوجود ﴾ الثانية ﴿ كيف يعتد بنا وهو المقتر لجميع ما نفعله . فقلت أما سؤلك الأول ففي الحديث « تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في ذات الله » . فقال نعم ولكن أود أن أكون حرا معك فلا تقيدني بالحديث لأن عقلي لم يقف عند الحديث وهو يطالبني فأنا أطلب منك إيقاف هذه الحركة الفكرية . فقلت له ما نأج ضرب ٥ في ٥ قال ٢٥ فقلت و ٢٤ أليس حاصل ضرب ٥ في ٥ قال . كلا . بل هو مستحيل . قلت إذن هنا ﴿ أمران ﴾ واجب وهو

٢٥ ومستحيل وهو ٢٤ وغيره من جميع الأعداد فكلها يستحيل أن تكون حاصل ضرب هـ في هـ قل نعم
قلت ما الذى تساويه زوايا المثلث الثلاث . فقال زوايا المثلث الثلاث تساوى قائمتين . قلت أيقين هذا . قل
نعم . قلت ما تقول فى الامور الهندسية ؟ أبالذهن تقوم أم تقوى بالخارج . قال بالذهن . قلت هل أنت فاهم ما
تقول . فقال أفهمه اجالا . قلت اعلم أن علماء الهندسة يقولون ان الأشكال الهندسية تقوم بجسم معنوى
ينطبق على الجسم المشاهد فهى صور فى النفس تظهر آثارها فى الخارج وهكذا جميع العلوم الرياضية ترجع
فى تصورها الى الذهن ولا تتوقف على الخارج بخلاف العلوم الطبيعية كهذا النبات وهذا الحيوان فهذا لا
تصوره إلا فى مادة خاصة . أما المثلث والمربع والكرة فهى لا تحتاج الى مادة خاصة فأى مادة تصورناها
أدركنا بها تلك الأشكال . إذن العلوم الرياضية تحتاج فى تصورها الى مادة تقوم بها فى الذهن لافى الخارج
لأننا نتصور الأشكال ولا يهمننا من أى نوع تكون صورة الشكل بخلاف نبات القطن أو القمح أو هذا المعدن
فانا لا نتصوره إلا بمادة خاصة نحضرها فى أذهانتنا . أما المسائل الإلهية فهى لا تتوقف على مادة أصلا لافى
الذهن ولا فى الخارج . فقال هذا كلام الفلاسفة وهو عسر الفهم وان كنت أنت أوضحتها فإنى لم أستفد فائدة
فى موضوعى . فقلت هذه مقدمة لموضوعك . ألم ترأى سألئك فى زوايا المثلث . قال بلى . قلت هذا المثلث
أنت تصوره فى ذهنك وانه يجب أن يكون مساويا لقائمتين . قل نعم . قلت هل هذه النظرية موجودة .
قال نعم فانها ان لم تكن موجودة كيف تصورها . ثم قلت أواجبة هى أم جائزة أم مستحيلة . قال بل
واجبة . قلت إذن هناك أمور واجبة فى ذاتها فقضايا الحساب والهندسة والجبرهى قضايا صادقة فى ذاتها ولذلك
يقولون حقائق الأشياء ثابتة ، فهذه أشياء ثابتة فى أنفسها . فاذا كانت أمثال القضايا العلمية ثابتة فى أنفسها
أفلا تكون هذه مقربة لموضوعنا أى اذا تصورنا نوعا من الوجود للقضايا العلمية وقلنا ان هذه القضايا ثابتة
فى أنفسها ؟ أفليس هذا يسهل لنا أن نفهم وجود الله بدون وجود . ثم انى أذكرك (بأمرين * الأول)
ان عقولنا بالنسبة لهذا العالم أشبه بالعدم بالنسبة للوجود . ألا ترى رعاك الله أن أرضنا أصبحت اليوم بعد
الكشف الحديث ماهى إلا كجوهرفرد اذا نسبت الى جميع العوالم (وبعبارة أخرى) أن الأرض لو صغرت
الى جوهرفرد وصغر العالم كله على نسبتها لوجدنا الكواكب والشموس التى تصور وجودها العلماء تساوى
(ألف مليون أرض) إذن أرضنا أشبه بالعدم ونحن جزء صغير على هذا العدم ؟ فاذا تصور فى عقول قوم
أمثالا ؟ هل يعقل أن هذه العقول تقدر أن تحيط علما بهذا الكون فضلا عن خالقه . إن هذا غير معقول
فاذا كانت أرضنا ماهى إلا أشبه بالصغر ونحن (جزئ) صغير جدا على هذا الصغر فكيف يقف عقل هذا
المخلوق المعدوم على خالق هذه العوالم كلها . قال حقيقة أنا مقتنع بما تقول وحقا ان العقل يقضى أن هذا
الضعيف وهو الانسان لن يقدر أن يعرف حقيقة الله . قلت هذا قوله تعالى - وخلق الانسان ضعيفا - وقوله
﴿ تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى ذات الله فان التفكر فى ذات الله إشراك ﴾ وقوله تعالى
- ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم - فاذا كان هولم يشهدنا خلق أنفسنا فهل أشهدنا
وجود ذاته . إن هذا مستحيل ومستحيل لعدم الاستعداد والضعف المستمر فى الانسان هذا هو الأمر الأول
(الأمر الثانى) إن هذه الدنيا التى نساكنها لم نعرف فيها عدما البتة فأين هذا العدم . إن هذا العالم كله
وجود لاعدم فان كل نبات وكل حيوان وكل معدن وكل كوكب اذا انحلت أجزاؤها رجعت فى نبات آخر
وحىوان آخر وكوكب آخر وهكذا كما هو معلوم فى العلوم التى تقرأها اليوم . فالنبات والحيوان ترجع أجزاؤها
الى مخلوق آخر منها والشمس والقمر والنجوم كلها اذا انحلت ترجع الى كواكب أخرى - يوم تبدل الأرض غير
الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار - . يموت الميت فيكون عليه . ولم يكن الميت عند الناس وهو
حى - إلا بالصورة الجسمية المفكرة فاذا مات جسمه موجود لم يخرج من ملك الله . إذن هو موجود لامعدوم

وبكأثم عليه لأنهم لا يشاهدونه بعد ذلك والبكاء في الحقيقة على روحه التي لم يشاهدوا إلا أفعالها وأقوالها بواسطة هذا الجسم والروح أيضا موجودة فأين العدم إذن . فقال لقد نقلت أنت عن العلماء في هذا التفسير أن المادة تنعدم وانها ترجع الى عالم الأثير . فقلت وعالم الأثير موجود في نفسه وان لم تره حواسنا إذ رؤية حواسنا ليست شرطا في الوجود فليس العدم مالم تشاهده حواسنا ولا الوجود موقوفا على رؤية حواسنا وإذا حكمنا بأن عالم الأثير موجود ونحن لم نشاهده بل عرفناه استنتاجا في زماننا بسبب آثار الضوء والكهرباء والمغناطيس والحرارة القائمة به فلم يصعب علينا فهم أن القضايا العلمية والنظريات الرياضية موجودة في أنفسها وكيف يصعب علينا بعد ذلك أن نسلّم بأن هناك موجودا قائما بنفسه وهو موجود هذه المخلوقات وان كنا نحن ضعفاء في الأرض . فقال حقا انه قد تلج صدري وانشرح لهذا البيان المحكم في المسألة الأولى . فقلت إذن أجيبك على المسألة الثانية وهي كيف يعذبنا الله وهو يعلم أفعالنا . أولئك ذكر انه رحيم ولكن هذا التذكرة لا يغني فيه أن نقرأ « بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين » الرحمن الرحيم ، لأن القراءة شيء والعلم شيء آخر . القراءة مبذولة للعالم والجاهل وللغبي والذكي والله قبل أن ينزل القرآن خلق هذه الأرض ومن عليها والسموات العلى فلا تغني القراءة بل لا يغني معنى اللفظ وحده بل لابد من التفكير والتفكير في أمثال هذا إلا بدراسة نفس الأجسام الانسانية التي هي أقرب اليها من السموات والأرض . اذا درسنا أجسامنا أدركنا لماذا كرر الله الرحمة في أول كل سورة ولماذا كررت الرحمة في ثانيا القرآن ولماذا يقول - كتب ربكم على نفسه الرحمة - ففهم الرحمة في أجسامنا هو الذي به نقول معنى بسم الله الرحمن الرحيم . وأقرب شيء لما نقوله الآن نظام العين المركبة من (٧) طبقات ومن ثلاث رطبوبات موضوعات كلها وضعها منظما . فترى القرنية محدبة الشكل وترى العدسية محدبة الوجهين وكتاتهما مطبوعة على جمع النور . ذلك النور الذي يجري من الكواكب الى الأرض وأقربها اليها الشمس التي يحتاج نورها الى (٨) دقائق و (١٨) ثانية حتى يصل اليها وهناك كواكب اطلعنا عليها بالمنظار المعظم وصات في تباعدها عنا الى أن نور بعضها لن يصل الى أعيننا إلا بعد مضي (١٠٠) ألف سنة بسير النور وهذا الكشف جاء في سنة ١٩٢٨ م قبيل كتابة هذه المقالة . أقول فاذا وجدنا أن طبقات العين وضعت بهذه الدقة والحكمة والوضع البديع الذي به تمكنا من رؤية الشمس التي تبعد عنا بسير قلة المدفع (١٢) سنة و بسير القطار (٣٦٠) سنة و بسير النور (٨) دقائق وتمكنا من رؤية كواكب متباعدة بحيث يصل بعدها الى (١٠٠) مليون سنة بواسطة الآلات المعينة على الابصار . اذا ثبت هذا فقد دلّ على رحمة لاحد لها . فأى رحمة وأى رافة من أم وأب وحبيب وصديق توازى هذه الرحمة . هذه رحمة تفوق الوصف . قال أنا الآن موقن بهذه الرحمة ولست أشك فيها بعقلى لا بمجرد السماع ولا بفهم المعنى بل بدراسة جسمي . قلت فالآن أتسكّم معك على الجنة والنار والثواب والعقاب فأقول الله خلق فينا اللذة والألم والمحبوب والمكروه فالمكروه مهمّاز يسوقنا الى فعل المحبوب . وما مثل الناس مع ربهم إلا كمثل المعادن في أيدي أرباب الصناعة من حدّاد وصائغ . فهؤلاء يذبيسونها في النار لتكون طوع أيديهم فيما يقصدون منها . انظر رعاك الله الى ماسيمر عليك في آخر (سورة النمل) عند قوله تعالى - وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها - فهناك سترى أن الناس من قبل لم يكن عندهم إلا نار الفحم وبنار الفحم تصرّفوا في المعادن الى حدّ ما . أما الآن فان الكبرياء قد مكنتهم من أن يصنعوا فرنا يسمى (الفرن الكهربائي) والفرن الكهربائي تصل درجة الحرارة فيه الى (١٤٠٠٠) درجة وقد رأى (فرنهيت) أن درجة الصفر تقف عند الدرجة التي وصل لها ممزوج الملح مع الثلج وهي (٣٢) درجة تحت درجة الثلج وهو الذي كشف ذلك . ولكن سترى هناك أن الفرن الكهربائي قد تصرف القوم به في المواد فنزلت درجة حرارتها متى أرادوا عن الدرجة التي وصل اليها (فرنهيت) نحو (٤٤٩) تحت الصفر الذي عينه هو وبهذه

الدرجات الواسعة البالغة (١٤٠٠٠) وتكون نصف ألف أصبحت المادة في أيدي الناس أشبه بالشمع يفعلون بها ما يشاؤون حتى أنهم أمكنهم فصل (الاوروت) وهو (اليتروجين) من الهواء ثم جعلوه متحدا مع (الهيدروجين) فحصل لهم نشادر كما اتحد الأكسوجين مع الاودروجين فصارا ماء

ههنا بان لنا جلال الله ورجته . هواء نحس به أصبح جزاء يتصرف الناس فيهما بالحرارة . فجزء نجعله نشادر ابتعاده مع عنصر آخر وهذا النشادر يدخل في السجاد فينبو الزرع وتكون المفرقات والمهلكات الحربية . من أين هذا ؟ من نفس الهواء . إذن الهواء أمكننا أن نفعل فيه ما فعلت البرودة بالماء إذ حوّلته الى ثلج . فهكذا هذا الهواء جعلناه جامدا واستعملناه سبادا للزراعة واهلا كالقري والمدن

هذه هي الحرارة وهذه هي العناصر والمعادن . الحرارة ارتقت والعناصر ذلت وخضعت بسببها وبهذا كانت قدرتنا على ارتفاعها أوسع وأعظم . فقلت عز وجل خلقنا في الأرض وخلق فينا ﴿ غريزتين ﴾ لذة ولما وجبا وكرامة واستعمل الألم واللذة لسوقنا الى الكمال . فقال إذن كل ما ترون الى الكمال لجميع أهل الأرض ما ترون الى السعادة . فقلت ماذا تريد بهذه الجملة . فقال إذن الله هو الذي يتصرف كما قلت لك ونحن في يده كالمعدن في يد الصانع في القرن الكهربائي وهو بهذه الآلام وازديادها بهذا ليعتدنا الى أحوال أخرى وعوالم لا ندريها ، إذن فلماذا يعتد بنا يوم القيامة ، إذن فلنتكلم . قلت له هذه المسألة لم تقب عن أصحاب رسول الله ﷺ فانه قال لهم ﷺ ﴿ جف القلم بما هو كائن أو كان ﴾ قالوا له يا رسول الله إذن نتكلم فقال ﴿ اعملوا فكل ميسر لما خلق له ﴾ وأيضا ما دخل الكلام على القضاء والقدر في أمة إلا كان سببا في هدمها وخرابها ، وقد قال ﷺ ﴿ اذا ذكر القدر فأسكوا ﴾ الخ فكان يتحاشى ما تقوله أنت الآن . فقال ولكن أنا بدأت حديثي معك بأن أكون حرا والحديث معك مع طوله أرجعنا الى ما كنا فيه . قلت ستسمع الساعة ما هو أقرب الى الطمأنينة وسرور النفس . قال نعم . قلت يقول ﷺ ﴿ كل ميسر لما خلق له ﴾ قال نعم . قلت ﴿ وببانه ﴾ اننا في هذه الأرض بالبحث عرفنا أن كل مخلوق قد أعطى كل ما هو في حاجة اليه فالطيور والحشرات والانسان سواء في هذه القضية (وقراء هذا التفسير موقنون بهذا) قال نعم . قلت والأمثلة كثيرة على ذلك . قال نعم قرأتها في تفسيرك وفي غيره . قلت وأنت موقن به . قال نعم . قلت الحمد لله إذن ندخل في المقصود أن مما يحتاج اليه هذا الانسان أن يكون معه سوطان سوط من الجنة وسوط من النار ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ أن يكون مع كل انسان جنة ونار فالجنة والنار العاتتان يمتد منهما فرعان اسفل امرئ في هذه الدنيا ففرع الجنة يهشون وفرع النار يعذبون . فقال وكيف يعقل هذا ، أنا والله لم أر الجنة ولم أحس بالنار . فقلت له لا تخلف ستقر الآن حالا فاصبر ولا تهمل . قال اذا ثبت هذا يكون عجبا . فقلت أليست أنت بمدرسة دارالعلوم . قال بلى وليكني أدرس في الخارج . قلت أفليست ترى أن لك أصدقاء واخوانا . قال بلى . قلت فاذا كسبت وتأخرت فماذا ترى . قال أحزن ويحزن أهلي وأخجل . قلت حسن ، إذن عندك شيء موجود يحزبك ويحزنك على تقصيرك . قال نعم . قلت أرايت لو أنك لعبت وكسبت طول السنة ثم سقطت في آخر السنة ثم رأيت ضميرك يزجرك ويوبخك فهل يسكته هناك أن يجيبه بقولك ان الله قضى على بذاك أفليست تسمعه يكلمك بالاحرف ولاصوت بكلام مستمد من كلام الله القديم الذي ليس بحرف ولاصوت فيقول لك لماذا نمت عن دروسك واتبعت شهواتك وقد سبقك اخوانك ولم يحتجوا بالقضاء والقدر كما احتجبت أنت أليست لك قدرة وذكاه . ألم يرسل لك والدك النقود . قال بلى والله يحصل ذلك كله ولا تنفع الحجج والا أقوال ولا الاحتجاج ولا الاتكال على القضاء والقدر . وهذا التأنيب والتوبيخ لن يحصل لمن هو بليد ولان هو لامال عنده يتفرغ به لطلب العلم . قلت إذن عرفت أن العذاب مقدر بقدر الذنب فكل من قدر مكلف بما قدر عليه لا يكاف الله نفسا إلا وسعها وهذا هو قوله تعالى جوابا على احتجاج المشركين على القضاء والقدر

- كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا - فهذه المسائل فرغ منها القرآن ولم يتركها مشركوا العرب اليانبل تكلموا فيها فأجيبوا بما سمعت . فقله ﷺ (كل مبسر لما خلق له) معناه ما تحس به في نفوسنا فهاهى ذه ضامئنا توبخنا وتضنى أفئدنا اذا قصرنا . قال نعم . قلت فن أى البلاد أنت . قل من مديرية أسيوط . قلت قوم أهل شهامة ومروءة وكرم . أفرأيت ان وقعت في فعل فاحشة وشاعت عنك هذه في قريتك وأنت شاب ومن أسرة شريفة ومن أهل العلم فاذا ترى من أمرك إذن . قال آتني الموت وأختني عن أعين الناس اذا قدرت . قلت فاذا عصمك الله من هذا العار جلة ثم رفعك بالعلم وجعلك من عظماء بلادنا . قال أجد في نفسي سرورا وغبطة وأسرأ أهلى بذلك . قلت فهل تحس بذلك الحزى الذى تحس به النفس في الحال الأولى . قال لا ومن أين يأتى . قلت هذان هما الفرعان الممتدان من النار والجنة في عقول الناس الآن . وهذا التوبيخ وهذه العترات على الخيبة وعلى النجاح بالاحرف ولا صوت هما المستمدان من كلام الله الذى ليس بحرف ولا صوت . يكلم كل امرئ بكلام خفى - ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هورابهم ولاخسة إلا هوسادسهم ولاأدنى من ذلك ولاأكثر إلا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شئ عليم -

﴿ غرائب تبكيت الضمير ﴾

كان خياط اسمه (شيوارد) في مدينة (نورويتش) بانجلترا قتل زوجته (وكانت تكبره بأعوام كثيرة) باحدى آلات مهنته سنة ١٨٥١ ثم فرق مابين لحما وعظما ودفن الرفات الباقي في مكان بضاحية البلدة وبعد ذلك بيضعة اشهر صادف أن كلبا نبش مكان الرفات واستخرج منه عظمة آدمية ظهرت على أثرها بقية العظام فذاهت الاشاعات في البلدة عن أن رفات زوجة (شيوارد) قد كشف . ولكن أحد أطباء البلدة وكان على شئ من الشهرة صرح مؤكدا بعد فحصه العظام أنها ليست من رفات المسز (شيوارد) في شئ بل هي لامرأة في ميعة الشباب قد لاتتجاوز العشرين من عمرها فذهب هذا الرأى القطعى بكل الشكوك التى حامت حول (شيوارد) وانقضت عشرون سنة كان (شيوارد) قد أثرى في خلالها وأصبح في بلهنية من العيش وقد تزوج مرة ثانية بعد تلك الأعوام الطوال فصادف انه ذهب الى مدينة لندن لقضاء بضعة أيام وفيها هو يطوف بها في إحدى الليالى ولاغرض له يرمى اليه إذ تصادف انه مر بالشارع الذى كان قد تعارف فيه لأول مرة منذ ثلاثين سنة بزوجه التى قتلها ومثل بجثتها أشنع تمثيل فاستولى عليه تأنيب الضمير فجأة ولم يستطع له دفعا ولاعليه تغلبا وفي نفس تلك اللحظة أبصرت عيناه أحد رجال البوليس واقفا في الجانب الآخر من الشارع فهرع اليه واعترف له بجريمته اعترافا مفصلا فقاده الجندى الى مخفر البوليس ولكن (شيوارد) بعد اعترافه هناك أيضا بساعات قلائل أراد أن يجهد اعترافه بيد أن الوقت قد فات إذ أن الاستعلامات التى قام بها البوليس في خلال تلك الساعات كانت قد أثبتت لرجاله أن لابد في الأمر من شئ . وعلى الأثر استخرج رفات زوجته الأولى وفحص جهابذة الأطباء بكل وسائلهم الطبية المستطاعة وكان تقريرهم يقضى بادانة (شيوارد) بالجريمة لإدانة لا افلات له منها . وكان لابد من أن يدفع ثمن الجناية فأعدم شنقا يوم ٢٠ ابريل سنة ١٨٧٠ م

فقال حسن جدا ولكن هندی سؤال واحد ليم به الموضوع . قلت قل . فقال إن الله جعل العذاب في الآخرة ولم يجعله في الدنيا . فقلت . كلا . العذاب في الدارين معا وهذه غفلة دخلت على المسلمين أدخلها الجهل وقلة العلم . قال أفى كتاب الله تعالى . قلت نعم بل كتاب الله هو الذى أوضحها . ألم تر الى قوله تعالى - فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم في الحياة الدنيا وترهق أنفسهم وهم كافرون - انظر أفليس التعذيب في الدنيا بعضه هو الذى قرره معك . قال نعم . قلت ان الانسان متى كانت وجهته المال والولد

وليس لنفسه سوى المال والولد كانا سبب ذل نفسه في الدنيا وهذا عذاب آخر غير العذاب الذي تسكنا فيه .
 إن نفس الانسان خلقت في الأرض لتعلم وتعمل ولكن الجهل يفهم المرء أن الحياة في الدنيا للتمتع بالشهوات
 وهذه الشهوات نفسها تؤذيه لأنه سجن نفسه فيها مع انها من السماء أي من عالم أوسع فأحصارها في المال
 والولد ذل لها فيسلطان عليها فتذل بهما كما ذلت بالسكس في حديثي معك . قل ثم ماذا . قلت ان جميع
 قصص القرآن أتت بالعذاب في الدنيا أولا مثل - أغرقوا فأدخلوا ناراً - ومثل - لهم عذاب الخزي في الحياة
 الدنيا وللعذاب الآخرة أخرى وهم لا ينصرون - ومثل - سنعذبهم مرتين ثم يردون الى عذاب عظيم -
 وجميع الخسف والفرق وإرسال الخاصب المذكورات في القرآن عذاب دنيوي وهكذا قال في الثواب - وآتيناه
 أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين - والقرآن كله طافح بذلك ، وكفى دليلاً على ذلك أنه ﷺ
 وقف على قلب بدر ونادى قائلاً يا أبا جهل يافلان يافلان - لقد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد
 ربكم حقاً - فقال الصحابة له ﷺ كيف تسكلمهم وهم قد جيفوا (بتشديد الياء) فقال انهم لأسمع لما
 أقول منكم ولكنهم لا ينطقون . فهذا منه ﷺ ليفتح لنا باب العلم في هذا الزمان لأن هذه آية في القرآن
 - ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً قالوا نعم
 فأذن مؤذن بينهم - الخ وهذه الآية مسوقة للآخرة لا للدنيا . فوقوفه ﷺ على قلب بدر ومناداه لقتلى
 قريش تعليم منه لنا أن الثواب والعقاب في الدنيا والآخرة والمناداة في الدارين دليل أنه ﷺ ناداهم وهو
 في الدنيا وأصحابه معه . ذلك كله دليل على أن الثواب والعقاب يبدئان من الدنيا بالعقل والنقل والنبوة هي
 التي وضعت ذلك . ومن ذلك مسرات المجتهدين باجتهادهم وحزن المقصرين من أجل تقصيرهم . ومن ذلك
 بواعث الجدة والاجتهاد بما في الأفئدة من الولوع والخوف من التعيير والذم والحجل أمام الناس في هذه الدار
 كما أوضحناه هنا . ولذلك يقولون اليوم كما قدمناه في (سورة الحج) عند قوله تعالى - ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم
 من يتوفى ومنكم من يرد الى أرذل العمر - أن النابغين في الأمم تحدث لهم صفة تورثهم الضعة فيجدون في العلم
 والعمل حتى يزيلا تلك الوصمة فذلك انما هو خزي وضع لهم في أفئدتهم امتد لهم في أنفسهم ففرهم للرفق والسعادة
 فقال أريد ايضاح مسألة الخزي على شريطة أن تكون من نفس القرآن بما هو أوضح مما تقدم . قلت
 يقول الله تعالى في (سورة آل عمران) - ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فقلنا عذاب النار - فذكر عذاب
 النار بعد بيان أن هذا العالم ليس مخلوقاً باطلا بل بحكمة وذلك يستدعي أن تقف النفس على عجائبه وبدائعه
 فأردفه بطابعهم من الله أن يقيهم عذاب النار . وقد قال علماؤنا كما أوضحته هناك في تفسير هذه الآيات ان
 عذاب الخزي أشد على النفس من عذاب النار . ولذلك تسمع العامة يقولون في أمثالهم ﴿ النار والاعار ﴾
 وتقول مريم - ياليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً - فالحياة بلا شرف يكون العدم أفضل منها والجهل
 أقبح شئ عند الناس وهذا واضح هناك فافقراء فانك ستجد أن نفوسنا خلقت لتعرف هذا الوجود وتدرسه
 وأن الجهل عار عليها ولا تزال مضطربة للجهل به حتى تعرف والا فهي في عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولهذا
 قال بعدها - ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيت - فكأنه أبان أن عذاب الخزي أشد من عذاب النار
 ثم أظهر الحقيقة واضحة بعد ذلك فقال - ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف
 الميعاد - وهذا كقوله - لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا وللعذاب الآخرة أخرى - كما ذكرنا وعذاب الخزي
 الآن ظاهر في أُمم الاسلام . أحاط بها الخزي لأنها جهلت ما خلق الله في السموات والأرض فلم تعلم ما أبدع في
 الكائنات فنعما الخيرات المحبوبة في أرضه لأنه تعالى لا يرضى أن يعطى النعمة إلا لمن يطلبها باستحقاق وبشفاق
 اليها . فانظر كيف تلازم العذابان عذاب الخزي وعذاب الأجسام ، فقلوبنا نحن المسلمين تخزي أمام الاوروبي
 بسبب الجهالة وبسبب أنهم ينظرون اليها فنظرك الى الحيوان لجهلنا وأجسامنا متعبة معذبة لأنهم أحاطوا بأبناء

العرب من كل ناحية يرسلون اليهم طيارتهم ومدافعهم ويقولون لنا في مصر ياكم أن تحملوا سلاحا ياكم أن تعملوا ما لا نأمركم به والا ضربناكم بالسلاح وقد قتلوا منا قوما وأخذوا منا ألف ألف أيام الحرب العاتية فعرضوهم للنار وقتلوا منهم كثيرا فقتل هذا عذاب جسمي مضاف لعذاب الخزي بجهل ما أبدع الله في السموات والأرض فلما أتممت هذا القول رأيت هذا الشاب ظهرت عليه أمارات السرور والانفعال وقال الحمد لله قد نلج صدري وأسأل الله أن يطيل حياتك ومن ذا الذي كان يخيل له أن ما نسمعه سماعا سنصبح ونحن نحس به في أنفسنا عملا كأنه مجسم أمامنا . فقلت الحمد لله رب العالمين . كتب يوم ١٤ يناير سنة ١٩٢٩

﴿ جوهرة باهرة في ذكر ما يناسب هذا المقام من كلام علماء الأرواح ﴾

اللهم لك الحمد . قد تجلى نورك في الآفاق وظهر وبهر في حسنه واشراقه وجماله . ضربت لنا الأمثال في أنفسنا وفي الآفاق وأبدعت عالم الصور وعالم الأرواح على وفاق ونظام ابتهجت به القلوب وأشرقت به النفوس فلاح له فجر الفلاح في عالم الأشباح ولحمت من ظواهر الأنوار خوافي الأسرار

﴿ البناؤون والجوهر يون ﴾

رأينا يا الله أن فطرنا تجلت لها مواهب من لديك فعرفت كيف تضع الأشياء مواضعها . نظرت في الجبال فرأت في ظواهرها الاحجار وأنواع الجير والسكاس والى الأرض فوجدت فيها الطين والرمل فألممتها أن تجمع هذا وذلك وأن تبني بها المساكن والحصون لحفظها من الحر والبرد والعدو والوحش في القفار . ثم هي نظرت نظرا أدق فوجهت نظرها الى مافي باطن الجبال وأعماق البحار فاستخرجت الأحجار الكريمة والمعادن الظرفية من الماس والياقوت والزرجد والذهب والفضة والدر والمزجان فرأتها جيلة بهية وعلمت أنها قليلة الوجود لاتناله إلا بمشقة فأدركت هذه الأنفس التي أترتها بنورك وأفضت عليها من سنائك وشموس اشراقك لأنك نور السموات والأرض ان هذا الجمال لا يناسبه إلا الجلال وأن ما يعوزه العناء والنصب في الجد والطلب عزيز ثمين فلم تضع تلك الأنفس هذه النفائس إلا فيما يوافقها ولم تهدها إلا لمنافعها . فإذا صنعت ؟ أهدها للغواني وزينت به الجوارى الحسان . هذه أفعال البنائين وأعمال الجوهر بين كل اصطناعي ما يوافق مشربه ويوافي صنعه فوضعه في موضعه وقرأ - وكل شئ عنده بمقدار -

﴿ رجال السياسة ونظام المدن ﴾

ثم رأى رجال السياسة وعلماء الديانات من سائر الأمم والأجناس أن بناء الأمم وحفظ كيانتها واستقامة أمرها لا يتم إلا بظواهر التشابه والتشاكل فأمروا الجمهور أن يتباعد عن الزنا والسرقه والدم والقتل والايذاء والإضرار بالناس وأن يكون الجميع على مشرب واحد ورأى متناسب فكان مثلهم كمثل البنائين الذين يضعون الأحجار مع ما يناسبها والطين والآجر كذلك غير ناظرين الى مافي بواطن الجبال من الجواهر ولا الى مافي أعماق البحار من الدر والمزجان فيسجنون السارقين ويقتلون القاتلين ويقيمون الحق ويعدلون بالقسط ويفعلون مع الشعوب فعل البناء مع الأبنية بحيث اذا اختل حجر من أحجار البناء أوليته من لبناته أو مدرة أو آجرة من حائط أسرع في اصلاحه وضبطه أورمى به وكسره وأتى بأخر خل محل . هنالك يقوم الحائط وهكذا يقوم نظام الأتمة وتبقى الى حين حتى اذا غفل الحكم ونام الوعاظ وعلماء الدين تداعت الأمم الى السقوط وهوت الى الخفيض كما يتداعى البناء الى الانهيار ويسقط اذا أهمله القائمون بأمره وهم ساهون لاهون

﴿ حكماء الأمم والجوهر يون ﴾

وهنا جاء دور الحكماء والمفكرين من الأمم الذين نسبهم الى علماء ظواهر الديانات ورجال القضاء والفقهاء ورجال السياسة كنسبة الجوهر بين الى البنائين . فكما أن البنائين يكتفون في بنائهم بوضع أحجارهم

وتناسبها وضبطها بالملاط أو بانتظام اللبنة بضبطها بالطين المخلوط بالطين الحافظ لها من الاختلال والسقوط هكذا رجال الشرائع الدينية ورجال السياسة المدنية يكتفون من أهمهم التي هم قوامون عليها بطواهر الأخلاق وبوادر الأحوال وحسن المعاشرات وترك المنازعات والقتل والسرقة وهتك الأعراض وما أشبه ذلك وأن يروهم قد اجتمعوا في الأعياد والمواسم والمواكب والصلوات والجماعات فيكتفون منهم بذلك ولا يطالبونهم بأكبر منه ولا يفتشون عن قلوبهم ولا يسألونهم عما في ضمائرهم يقولون ﴿لنا الظواهر والله يتولى السرائر﴾

أما الحكماء والمفكرون فانهم يقولون أيها الناس نحن لانكتفي منكم بالظواهر ولكننا نذكركم بأن الجواهر غير الأحجار، ومن ذا الذي يقيس الصدف بالجواهر أو القشر باللب أو الحجر بالمعدن والأحجار الكريمة . فكما لاتناسب بين الجواهر التي تتحلل بها الحسان وأحجام الأحجار هكذا لاتناسب بين عالم أرواحكم وظواهر أخلاقكم لأن اكتفى البناء بتناسب الأحجار وضبطها والرجل السياسي والقاضي بطواهر المدنية والمعاشرية ليطلب الحكيم مطلباً أسمى من هذه النفوس الانسانية وليقولن لكم ماصورته ﴿إن عالم الأرواح بعد مغادرة الأبدان أشبه بالأحجار الكريمة والمعادن النفيسة فهذه لها مقام أجل وأسمى ولن تكون إلا فيما يناسبها وما يشاكلها ثم يقولون لهم ستفرزون فرزا ويصطفى كل من كان أجل وأصفي ويجعل في أجل مكان وكل من كان منكم غير مصطفى ولا منتقى ولا بهاء فيه ولا جلال يرجع القهقري إذ لاتناسب بين البهرج والذهب الصرف

وهل ذهب صرف يساويه بهرج ؟ والجمال هنا والصفاء ﴿بأميرين * اثنين﴾ لثالث لهما ﴿أحدهما﴾ العلم ﴿وثانيهما﴾ العمل . فالأرواح التي جلت بالعلم وصفت بالفهم وانتظمت بالحكمة وأشرقت بنور ربها وتجلى لها هذا العالم على قدر طاقتها فهذه تكون شموسا مشرقة تجاور الملائكة والنبين للشاكلة والمناسبة - أولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين - الخ - يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم - ويشترط مع ذلك أن تكون أعمالها مطابقة لذلك العلم قائمة بواجبها . فالعمل مطابق للعلم والظاهر للباطن فهو أولاء هم الذين يصطفون ليكونوا أبرارا ويعيشون مع الملائكة الأعلى - في مقعد صدق عند مليك مقتدر - ﴿هذا هو الذي تجلى لنفسى وانشرح له صدرى يوم الثلاثاء ٢٢ يناير سنة ١٩٢٩

ولقد رأيت مقاما يناسبه في كلام (عمانوئيل) الذي حدثت عنه أيها الذكي في سورة التوبة وأسمعتك تاريخ حياته وإن أباه كان أسقفا في الدين المسيحي وأنه هو كانت له منزلة رفيعة في الدين وفي الدولة ولكنه لما اطلع على عالم الأرواح تغيرت عقيدته في نظام هذا الوجود وأخذ يهدم ما بناه الجهل في أورروا بأيدي صغار رجال الدين الذين شوّهوه فقال يا قوم والله لاتثليث وإنى رأيت المسيحي بعد الموت يبحث عن إله ثان وثالث فلا يجد إليهما سبيلا . ولقد تقدّم ذلك في (سورة التوبة) وفي غيرها فارجع إليه إن شئت . ثم انظر ما يقوله في كتابه المسمى ﴿السماء والعالم﴾ مما يناسب هذا المقام فقد جاء في صفحة ١٩٤ من هذا الكتاب وما بعدها ما ملخصه أن الانسان يجب أن يعرف العلوم الإلهية والعلوم الدنيوية وعلى مقدار ذلك يعرف ذكاؤه وحكمته وقسم الذكاء ﴿قسمين﴾ قسم كاذب وقسم صادق فالذي أدرك الحقائق ادراكا نفسيا لاتقليديا وأحبه وامتلاّت به نفسه وأشرقت بها اشراقا وصارت من جوهرها فهذه أرواح حكيمة تكون مع الأرواح العالية أما الأرواح التي قرأت ظواهر العلوم وإن كثرت وروتها أوفهمتها ولكن لم تتأثر بها ولم تعشقها ولم تخرج بها نفوسها فهو أولاء وإن اشتهروا بالحكمة فهم ليسوا من الفضلاء ويكونون كالعامّة ويوضعون في منازل الجهلاء وهكذا أولئك الذين يفعلون الخير لأنفسهم لا لغير بل لأجل الصيت والذكر أو من خوف الفضيحة والعار أو الخوف على المال ونحوه ولو خاوا وأنفسهم لأهلكوا الحرث والنسل . فهو أولاء يوضعون هناك في المنازل التي تناسب نفوسهم لا لظواهرهم لأن المدار على البواطن لا الظواهر فالعلم بهذه الدنيا وجاهها وعمل الخير إن لم يكونا محبو بين حبا حقيقيا متميزين بالنفس بحيث يصحان صفة لها فإن صاحبهما لا يكون من المقربين

ولما اطلعت على هذا القول وجدته يناسب ما في ﴿ إحياء علوم الدين ﴾ للإمام الغزالي من حيث خفواه وتذكرت ما قاله في الإحياء ان عليين لأولى الأبواب وهم الذين هذا وصفهم . أما المحبة المحسوسة فانها تكون لقوم ظهروا بالصلاح وبواطنهم مشغولة فلهؤلاء يدخلون الجنة ولكن أولئك يرفعون الى الملا الأعلى وقد تقدم في (سورة البقرة) في أولها عند ذكر الجنة والنار فقد نقلت النص هناك فارجع اليه ان شئت

فلما سمع صاحبي ذلك قال ان هذا القول وان كان في ذاته حسنا وجيلا فقد ذكرت العلم والعمل وأبنتهما ولكن مقام الكلام انما هو أمر الضمير قد جاء الرجل الانجليزى قاتل زوجته الذى أزعجه ضميره فقلت ان ما كتبتة الآن انما هو مقدمة لما سيأتى . اعلم أن هذا الانسان حين تضعه أمه من بطنها لا يجب إلا نفسه فهو يطلب كل شئ لنفسه وكلما شدا قليلا أدرك أن غيره له حقوق . فكل ما تراه في نوع الانسان من حقد وغيبظ وطمع فهو راجع الى حال الطفل الأولى ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ هذا النوع الانسانى كله فيه أخلاق الأطفال وعلى مقدار الترقى في العلم الحقيقى لا المزيّف يعرف الانسان هذا العالم ويحب الانسانية . هذا أول الأمر وآخره . هذا النوع الانسانى لو كشف الغطاء عن عقول أفراده لأدركوا أن الذى غرس الكراهة والطمع انما هو الجهل وأن الذى ينقذهم انما هو العلم الحقيقى إذ لا سعادة لهم إلا بأن تستخرج ثمرات قواهم وعقولهم . فانظر الى رزق الانسان لماذا لم يكن من الأرض وحدها ولماذا تراه مأخوذا من السماء والأرض معا - قل من يرزقكم من السماء والأرض - ولماذا نرى له عينين بهما يبصر السماء والمطر حتى يعرف أن رزقه اشتركت فيه السماء والأرض - أمن يملك السمع والأبصار - أقول أيضا لماذا كان رزقه منهما وحواسه ترى ذلك فأذنه تسمع الرعد المؤذن بالمطر وعينه ترى نفس المطر والزرع . نحن علمنا علما لاشك فيه مما ذكر في هذا التفسير أن صانع هذا العالم حكيم متقن . فانظر الى شجرة التين المرسومة في سورة الحجر وتأمل فيها وفيما شرحته هناك . ألم تر أن كل خس ورقات كقوت دائرة وبين كل ورقتين (٧٢) درجة من الدائرة ؟ فلماذا لم يحصل خطأ في هذه الهندسة ولو في درجة واحدة من درجات تلك الدائرة المشتملة على دائرتين حلزونيتين . هذا هو فعل صانع الكون في أمر تراه أمامنا في نبات ؟ فهل يكون حكما متقنا في هذا ثم هو ينفل عن الاتقان في رزق الانسان . أى لماذا لم يجعل رزق الانسان من الأرض وحدها على قدر طاقة الانسان كما فعل في (حشرة الأرض) المرسومة المشروحة في (سورة النحل) فيما تقدم . ألم تر أنها خلقت عمياء فالملك والرعايا جميعا عمى العيون وهن مع ذلك يعملن أعمالا تهجز العقول وجعل الله قوتهن من داخل بيوتهن ولهن قدرة أن يستخرجن الماء بحيث يستنبطن من الاكسوجين المندمج في المواد الغذائية مع الادروجين الكامن فيها ماء فلا احتياج الى ماء السماء قالوا بدليل انها تعيش في الصحراء والجذباء التى لا نبات فيها ولا حيوان ولا ماء ولا مطر وتبنى أماكن تعالو على الأرض نحو (٨) أمتار وتمتد أميالا لا يقطعها إلا الديناميت . فهذه رزقت مما بين يديها فلا تحتاج الى مطر من السماء ولا الى أعين بها تبصر المطر . إذن فلماذا رزق الانسان من السماء والأرض معا ولماذا أعطى العين اثني بها يبصر الانسان السماء والأرض . عجباً أليس نفس هذا الخلق وهذا التقدير في جسم الانسان وحواسه ورزقه دليلا على أن هذا الانسان خلق ليعرف العوالم كلها . وأيضا يرى الانسان انه كما استفاد رزقه من السماء والأرض ان يتم له ذلك إلا بمساعدة الانسانية كلها لاسيافى هذا العصر الذى ظهرت فيه الطائرات والطرق الحديدية والكهرباء والتلغراف (البرق) والتلفون وهكذا . إذن خلق الانسان وتركيب العالم الذى خلق فيه يوجب أن يعرف العالم الذى هو فيه وأن يحب الانسانية كلها والا فهو مذنب ظالم فهذه حكمة قوله تعالى - قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار - كما تقدم . ههنا تنظر الى جزاء هذا الانسان - جزاؤه أن يعطى على الخير خيرا ويعطى على الشر شرا وكما أعطى قوة بها يتناول الغذاء وينظر السماء والأرض أعطى قوة كامنة فيه تؤنبه على التقصير

وتحته على العمل الصالح وهذه القوة مستمدة من عوالم أخرى يعبر عنها بالجنة والنار . فهذه القوة الكامنة فيه تظهر آثارها في الحياة الدنيا وفي الآخرة . أما في الحياة الدنيا فالتأنيب بحسن الضمير وبالمثلة على جهلنا بما حولنا وعلى تقصيرنا وهذا واضح في مواضع كثيرة من هذا التفسير . وأما فيما بعد الموت فاعجب كيف ترى في كتاب (السماء وجنم) الذي حدثت عنه هنا وفي مواضع أخرى من هذا التفسير فإن مؤلفه رجل من علماء الأرواح فتراه يقول (إن الإنسان إما أن يكون متصفا بالعلم والعمل المطابق له وإما أن يكون خاليا منهما وإما أن يكون عمله مطابقا لعلمه كثيرا أو قليلا) وهذه الصور جامعة لكل أحوال الإنسان فإن كان عالما بالخير عاملا بالفضيلة فإنه بعد الموت يرفع إلى الجنة ولا يسأل . وإن كان مولعا بالشر ولا يعمل سواه أخذته الملائكة إلى جهنم بلا سؤال . فإن كان على هيئة الصورتين الأخريين بحيث يعلم ولا يعمل (وبعبارة أخرى) تكون أقواله وظواهره خلاف باطنه فينتقل بالحكمة ويضمرا الشر فهذا يمتحن ويبقى في عالم البرزخ مدة حتى تعرف أخلاقه وهناك تطلق له الحرية في الكلام فتقلب عليه الحقائق التي في نفسه فيستكم أولافيلابما في باطنه ثم يزداد تكلمه بحقائق نفسه قليلا قليلا تدريجا بحيث يكون ذلك كالجنون المتقطع في الدنيا . فن الأحوال التي هي أشبه بالجنون يبين كل مافي نفسه ومتى أفاق ندم وحزن وعجب كيف يفضح نفسه وهكذا يزيد حاله حتى يعرف باطنه تماما وحينئذ يحكم عليه المفتشون من الملائكة الذين يمتحنونه ومنى تم الامتحان جعلوه فيما غلب عليه إما في جنة إن غلبت على قلبه الفضائل أو في نار إن غلبت عليه الشرور والامتحان يكون من دقيقة إلى شهر إلى سنة إلى ثلاث سنين إلى ثلاثين سنة . ويقول انه لاروح هناك يزيد امتحانها عن ٣٠ سنة وطول الامتحان راجع إلى الخبث المستكن في النفس فعلى مقدار المكابرة والكتمان تبقى الروح بعيدا عن الجنة والنار . هذا مايقوله ذلك العالم الروحاني ومدار الكتاب كله على ذلك . ويقول في صفحة ٢٧٦ ما نصه

(إن أعمال الإنسان متى كشفت له بعد موته فإن الملائكة التي أعطيت وظيفة التفتيش تنظر إلى وجهه وتفحص وتفحص جميع جسده وتجد الأعمال مرسومة على جميع الجسد وأوتلها مرسومة على الدماغ . قال وهناك يظهر كل شيء في ذاكرة الإنسان وليس المرسوم هناك الأمور العامة فقط بل الأمور الخاصة أيضا فكل فكرة وكل حكمة تسطر في دماغ الإنسان وعلى جسده) انتهى ما أردت تلخيصه من هذا الكتاب فقال صاحبي وهل كلام هذا الروحاني الأفرنجى منطبق على ديننا . فقلت انه مجزء للقرآن أرسلها الله في آخر الزمان . يقول الله تعالى - خلق الإنسان من عجل سأوريكم آياتي فلا تستعجلون - وقال - وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها - فالله عز وجل يرينا الآيات في كل شيء . قال وما الآيات هنا . قلت انظر إلى قوله تعالى - قل من يرزقكم من السماء والأرض آمن بملك السمع والأبصار - فانظر كيف عاتب على عدم التبصر في النظر وفي العمل في الدنيا وفي الآخرة . أما في الدنيا فإنه يقول - فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا في أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون - وقال في الثواب - وآتيناه أجره في الدنيا وأنه في الآخرة لمن الصالحين - فهذا هو كتاب الله أرانا أن عذاب الناس في الدنيا راجع لجهلهم وتقصيرهم وهذا العذاب الديني يحس به المسلمون ويحس به الفرنجة وأهل الأرض اليوم قاطبة لأن أهل الأرض الغالب والمغالوب كلهم جهلاء بالحقائق وعلى قدر الجهل هم جميعا معذبون عذابا دينيا ثم انظر إلى الإنسان بعد الموت فهذا علم الأرواح يتحدثنا بما جاء به القرآن . ألم تر إلى قوله تعالى - ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسهم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون * ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم - إلى قوله - وضل عنكم ما كنتم ترعمون - . فانظر أليس معنى هذا أن العذاب

كما يقع في الدنيا يقع بعد الموت مباشرة والملائكة هم الذين يتولون هذا العذاب الذي قاله ذلك العالم الروحاني الأوروبي . ثم ان هذا الانجليزى الذى قتل زوجته قد وقعت له حال نادرة فأقرت بقتلها لما وصل الى المكان الذى رآها فيه أول مرة وأحبها فانتقل الى عالم الروح ونسى الجسد كما يحصل بعد الموت إذ يظهر الانسان خفاياه شيئا فشيئا واذا فطن بعد الاظهار ينكر ما قاله ويحجب كيف جن بهذه الدرجة . فهكذا هذا الانجليزى القاتل لزوجته بعد ما أقر أمام الشرطة رجوع وقال أنا لم أقتل وذلك كما يحصل بعد الموت في أول الأمر إذ ينكر الانسان بعد الاقرار ثم يتزايد الأمر وبعد ذلك يتعد الظاهر مع الباطن . إذن ضماثرنا في هذه الحياة مملوءة بالآراء المخزونة فيها وقد ختمت بخاتم وطبع على القلوب حتى يأتي يوم تظهر فيه الحقائق وهذا نفسه قوله تعالى - فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون ياويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا - وقوله تعالى - بل الانسان على نفسه بصيرة * ولوالتي معاذيره - وقوله تعالى - يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون * يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق - الخ

الله أكبر . إذن هذه العلوم الروحانية أصبحت في هذا الزمان تفسيرا للقرآن . إذن هذا هو الزمان الذى أخبر به القرآن إذ قال - سنريهم آياتنا - الخ وقال - سأوريكم آياتي - الخ . واذا قال قائل من الفرنجة ومن المسلمين ان هذا القول من هذا الافرنجى خرافة . نقول له انظر بعقلك هذه الهندسة والنظام فكيف يرزق الانسان من السماء والأرض وكيف يعطى العقل والحكمة ؟ فهل هذا الصانع للعالم يتقن الحشرة وحواسها ويجعل كل حاسة محكمة ثم هو يجعل رزق الأرض على النهج المتقدم وحواسها ورزق الانسان على ما ذكرناه من السماء والأرض وهكذا حواسه أقدرة وأجدر ولانكون هناك نتائج لهما على مقدار حالهما . إذن الانسان تحيط به عوامل وفي داخله غرائز كلها متصدرات على انه ملزم أن يرقى رقىا متواصلا وأن تقصيره يرديه ويهلكه في كل مرحلة من مراحل حياته . هذا ما فتوح الله به صباح يوم الأربعاء ٢٣ يناير سنة ١٩٢٩ والمجد لله رب العالمين

﴿ المقال الذى ألقته على مسامع ذلك الطالب ﴾

فقال لقد قرأت عيني بما سمعت منك في أمر الجنة والنار عقلا ونقلا ولكنى لم أزال أطلب الافاضة في أمر الله سبحانه وتعالى فأنت قلت في أول الحديث ان الله عز وجل ثابت وحق واستدللت بأن القضايا ثابتة مثل القضايا الهندسية مثلا . وأيضا قلت لى ان الانسان والأرض التى هو عليها عالم ضئيل . كل هذا حسن ولكن لماذا يعاودنى الفكر فى كل حين للبحث ؟ ولماذا أجد عقلى لا يقف عند حد ولا عند ماسمعت منك . فقلت ان هذا رسول من الله تعالى لقلبك أن يستمر فى البحث حتى يقتنع . قال ولكن ليس عندى اقتناع للآن . فقلت فاسمع إذن . لقد علمت كما قدمنا فى (سورة النور) عند قوله تعالى - الله نور السموات والأرض - فى مسألة قطرة الماء التى وجد العلماء انها تحوى من الذرات عدد (٥) على يمينه (٢٠) صفرا تقريبا وأن هذه الذرات متباعدات جدا ويكون مكان الذرات خاليا فينبها أبعاد كأبعاد ما بين الشمس والأرض أى بالنسبة لأحجامها وقد تقدمت هذا هناك وأن هذه الأعداد تقرب من أعداد كواكب السماء التى عدت بقدر (٢) على يمينه (٢٤) صفرا . إن هذا العالم كله يرجع للجواهر الفردة والجواهر الفردة ترجع لأنوار كهر بائية فما هى إلا ذرات ضوئية تدور منهن واحدة حول الأخرى كما تدور السيارات حول الشمس والذرة الضوئية الدائرة يسمونها كهر بائية سالبة والذرة الضوئية الثابتة يسمونها موجبة وهذه الدائرة تجري فى الثانية (٦) ملايين مرة حول الثابتة . وباختلاف مقادير هذه الذرات مع اختلاف مقادير الحركات فى الثانية تختلف العناصر المركبات منها وهذه العناصر يبينها نسب عجيبه سترها فى (سورة العنكبوت) قريبا

وهذه العناصر منها هذه المركبات من شمس وسيارات وأرضين وأقمار وإنسان وحيوان ونبات ومعادن فكل ما نشاهده حولنا ويحيط بنا يرجع لأنوار تجري في أما كن خاليات وكأنا نعيش في خيال وكأن الوجود الحقيقي ماهو إلا موجود لانراه لأن ما نراه ظهر لنا من كلام علماء المادة أنفسهم أنه لا معنى لوجوده بل هو فقط ضوئية في أما كن خالية وما هو الضوء؟ الضوء ليس شياً سوى حركات في شئ سموه (الأثير) وما هو الأثير؟ هو عالم عرفه الناس بعقولهم لا غير . أما حواسهم فانها لم تقدر على تصوّره . إذن اجماع علماء العصر الحاضر أظهر أن كل ما نراه ونسمعه ونشمه ونذوقه ونلمسه ان هو إلا حركات لعالم لا ندركه وأن أسباب هذه الحركات وراء عقولنا . إذن الموجود الحقيقي غير ما أدركناه بحواسنا . إذن هناك وجود حقيقي أورث وجوداً ظاهرياً وهو الموجود الحقيقي . وهنا نقول أيهما هو الأصل العدم أم الوجود . فقال العدم هو الأصل فقلت الناس اعتبروا التفريق علماً فاذا رأوا إنساناً مات وتفرقت أجزاؤه أورأوا حيواناً هلك وأكله غيره سموه معدوماً وما هو معدوم بل هو مفرق الأجزاء والأجزاء موجودة لا معدومة . وإذا كنا على حساب اصطلاح الناس بمقتضى حواسهم قد حكمنا بخطئهم في عدهم ما تفرقت أجزاؤه معدوماً فليكن كذلك حكمنا على حكمهم على الموجود الحقيقي الذي هو السبب في الوجود الظاهري المجازي . فاذا أخطوا في قولهم ان الميت معدوم وجوابه أن يقولوا مفرق الأجزاء فقد أخطوا في حكمهم على الموجود الحقيقي بأن وجوده من الأزل يحتاج الى البرهان لأن العدم هو الأصل . فقال نحن اذا حكمنا بخطأ الناس في قولهم عدم الميت لانحكم بخطئهم في قولهم وجد الانسان بعد العدم فانه كان معدوماً فاذا حكموا بأن الأصل هو العدم فقد حكموا بما يشاهدونه فاذا قالوا إن الموجود الحقيقي الأصل فيه هو العدم والوجود يحوجه دليل فهم على حق . فقلت هذا الظن أيضاً منهم خطأ فان الذي وجد بعد العدم كالإنسان والحيوان والسمك والكواكب والشمس فهؤلاء جميعاً كانوا موجودين وانما الأجزاء كانت مفرقة فاجتمعت . فأجزاء الطفل التي نراها كانت موجودة قبل وجوده فهذا اجتماع فقط بعد التفرق . فقضية أن العدم سابق على الوجود ناشئة من اشتباه الناس في الأمر يظنون اجتماع الأجزاء وجوداً وتفرقها علماً . والوجود والعدم راجعان للأوصاف والأوصاف أعراض . فقال إذن أنت تحكم أن العدم لا يسبق الوجود . فقلت نعم . فقال وماذا تقول في أن العالم حادث . إذن في رأيك هو قديم . قلت له لقد نسبت ما قلناه في هذا المقال . ألم أقل لك ان التحقيق في عصرنا الحاضر انه لا عالم موجود وانما هذا العالم عبارة عن صفات لعالم يسمى الأثير إذ هو نور وما النور إلا حركات في الأثير فالعالم حركات لا غير إذن العالم وجوده تبع لغيره وهو الموجود الذي عرفناه بعقولنا فرجع الأمر الى مذهب أفلاطون القائل بعالم المثال وهو الذي يسمى اليوم (عالم الأثير) وهو يقول ان كل ما هو حاصل الآن في عالمنا ماهو إلا ضرب أمثال لعالم المثال (اقرأ جمهوريته فان هذا واضح فيها) . فقال اذا لم يكن العالم له وجود فكيف تقول ان النبات أو الحيوان كانت أجزاؤه موجودة قبل وجوده هو . فقلت ذلك باعتبار مرتبة الحواس ومرتبة الحواس مرتبة غير حقيقية فهذا التعبير راجع للوجود المجازي كما قدمته لك . فقال إذن أنت ترى أن العالم اليوم وجوده باعتبار آراء علماء العصر الحاضر راجع لحركات لعالم لانراه . فقلت نعم والموجود الذي لانراه الأصل فيه الوجود لا العدم لأنه لا دليل على عدمه فاذا كان موجوداً من الأزل فهذا هو الأصل . قال ولكن أنت قلت ان العالم حركات لعالم لانراه . إذن الله متحرك وهذا كفر . فقلت الله لا يتحرك وانما هو خالق للحركة في الأثير . فقال إذن الأثير عالم قديم . قلت هنا يقف عقلي فعلى لا يدري ذلك العالم وإذا كان ذلك الأمر موجوداً فلا أدري كيف يوجد وكيف هو وأنا لا أتعدى طوري ولكن أقول الذي ثبت من أقوال علماء عصرنا الحاضر أن عالمنا لا وجود له باستقلال والأثير الذي قالوه أنا لا أعرفه ولاهم يعرفونه فلنرجع الى نفوسنا ولنشهد عليها بالعجز (المعجز عن الإدراك ادراك) لا يعرف الله إلا الله فالأولى أن نعبر بعجزنا . قال فاضرب لي مثلاً إذ

عجزت عن الحقيقة . فقلت نعم أضرب لك مثلا لله في خلقه بنا فلقد ضرب الله مثلا لنوره بالقنديل والمشكاة . اعلم أن الانسان منا في كل وقت يتصور صوراً بحيث يخيل له السماء والأرض والشموس والأقمار . قال نعم وهذا خيال . قلت نعم هو خيال ولكن أهذا الخيال موجود . قال . كلا . قلت بل هو موجود . ألم يكن للخيال نتيجة في الظاهر . أليس كل ما نفعله لا نتحرك له إلا بعد الصور التي أبرزتها نفوسنا في خيالنا . قال بلى . قلت وهذه الصور على مقتضاها نعمل فنبنى بيوتنا وننقن صناعاتنا . قال نعم . قلت فهل المعدوم ينتج الموجود . قال لا . قلت إذن هذه صور موجودة ولكن وجودها ضعيف لسرعة زوالها . قال إني وري أنه لحن . قلت إذن ثبت لك بالبرهان أن الخيال صور لها وجود بدليل ظهور آثارها . قال نعم ولكن قد حكمت بأن عالمنا لا وجود له . قلت نحن الآن في الوجود المجازي فلا تخلط أحدهما بالآخر . إذن فلنجعل نفوسنا مع خيالها ضرب مثل وضرب الأمثال جائز شرعا وعقلا ونقول إن هذا العالم هو نفحة من نفحات الله تعالى وقبسة من نوره فنسبته اليه تعالى - ولله المثل الأعلى - كنسبة خيالنا الى نفوسنا . فإذا كانت نفوسنا الضئيلة أمكنها أن تحدث صوراً ثبت بالبرهان أن لها نوعاً من الوجود المجازي وهي انما ضعفت لضعف سببها القريب في نفوسنا . فهكذا تكون نسبة العالم الى الله تعالى فإذا قدرت نفوسنا على صور خيالية لآثارها حواسنا فالله لعظمته وحكمته التامة وقدرته العظيمة يخلق صوراً عظيمة تراها حواسنا وتعظم عندها فضعف خيالنا نسبته الى قوة صور السموات والأرض كنسبة ضعف نفوسنا الى عظمة الله خالقنا وهذا المثل ينتج لنا أن العالم موجود وجوداً مجازياً وأنه مستمد من الله كل حين وأنه اذا تركه الله لحظة لم يبق له وجود كما أن صورنا الخيالية اذا غفلنا عنها طرفة عين لم يبق لها وجود . إذن العالم العلوي والسفلي والجنان والسيران عوالم لا استقلال لها وهي بيد الله فنحن الآن موجودون وجوداً كوجود الخيال للتخيل . وهذا يوضح لنا قوله تعالى - لا تأخذه سنة ولا نوم - لأن من تصور صورة وأخذته سنة أو نوم ذهبت تلك الصورة ويوضح لنا أيضاً - ان الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده - أي كما أننا نتخيل صوراً خيالية لا وجود لها إلا باستحضارنا فإذا تركنا هذه الصور أو غفلنا عنها فلا يمسك لها بعدنا (وهذا التمثيل جائز كما مثل الله لنوره بالمشكاة والمصباح كما سبق) ويفسر لنا هذا أيضاً قوله تعالى - ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم - ويفسر لنا قوله تعالى - وهو الله في السموات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون - ويفسر لنا - وما من غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب مبين - إذن العلم الحديث وفق ما بين المذاهب كلها وأصبحت الفلسفة والتصوف وعلم الطبيعة كلها علماً واحداً . فنحن الآن موجودون في وجود مجازي وهذا الوجود المجازي نحن فيه مأمورون بالجد ولا نصل الى الوجود الحقيقي إلا اذا نصبنا وتعبنا وحصلنا كل علم وكل فن واتحدنا وسخرنا كل ما أمامنا من الوجود المجازي وأصبحت الأمم اخواناً فاتحدوا ولوا اتحاداً مجازياً هنالك يرجعون الى ربهم ويشاهدونه وماداموا ناقصين يحسبون في هذا الوجود المجازي ويعذبون ويذلون وهم في جهنم خالدين وجهنم في قبضته والنار في قبضته وهو لا ينام ولا يفتل . هذا ما فتح الله به يوم السبت ٢٦ يناير سنة ١٩٢٩ م

هذا وسأتبع هذا المقام ايضاً في آخر (سورة النمل) عند قوله تعالى - وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون - فهناك سأذكر (مسألتين الأولى) تاريخ الفلسفة الذي اعتاد الناس في زماننا أن يدرسوه أي اذ ذكر النموذج الذي كتبه الاستاذ (سنلانه التلياني) في كتاب (تاريخ الفلسفة) وأبين فيه مذهب أفلاطون وسقراط وأرسطاطاليس وكيف كان سقراط يرى أن العلم لا يتم إلا بالجدد والتعريف وأن السعادة للانسان لا تتم إلا بالعلم وأن الشقاوة لا تكون إلا بالجهل . إذن لا بد من العلم الصحيح والعلم الصحيح بشدة العناية بالتعاريف . ثم أذكر أن أفلاطون تلميذه قال (لا يعقل العلم إلا بأمر ثابت

والحدود والتعاريف لا ثبات لها في ذواتها ﴿ فهناك قال لابد من عالم يسمى عالم المثال فيه جميع صور الموجودات وعالمنا أنشئ على منوال ذلك العالم وحينئذ يمكننا أن نفهم كيف ثبت العلم لأننا وجدنا له شيئاً ثبت فيه . ثم نذكر مذهب (أرسطاطاليس) بعد (أفلاطون) واعتراضه على مذهب أستاذه وأن ذلك العالم المثالي لا يصح أن يكون محلاً للعلم لأنه لا وجود له ولكن الذي يركن اليه ويستند العلم عليه هي الصورة القائمة بالمادة كصورة الكرسي والمنزل والشجرة والحيوان فهذه الصور هي المحل الثابت للعلم وأبين بعد ذلك كيف كان هذا الرأي أدخل في الضعف والعسف من سابقه ثم أذكر الحقيقة واضحة إن شاء الله بالعقل ثم أعرض عاينها المذاهب بحيث يكون الرأي السائد في زماننا ثابتاً على قرار مكين من العقل في هذا الزمان

هذا ما سأذكره في المسألة الأولى هناك إن شاء الله ﴿ المسألة الثانية ﴾ تقسيم العلوم المعروفة في القرون الوسطى بحيث تمت إلى العلوم المستحدثة بسبب وهناك يكون أمام الأذكياء صفحة من العلم تبدو ظاهرة تفسيراً لقوله تعالى - سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم - فهذا العلم عما في أنفسنا وقد أبرزه الله في زماننا وأدخلناه في تفسير الآية والله هو الولي الجيد انتهى

﴿ اللطيفة التاسعة في قوله تعالى - ويوم تشق السماء بالغمام - ﴾

لقد علمت فيما سبق من هذا التفسير أن الكواكب التي تبلغ مئات الملايين لها فيما يظن له البشر ويظهر في العلوم سيارات حولها والسيارات لها أقمار كما هي حال شمسنا وسياراتها وأقمارها وأن هذه الشمس العظيمة التي هي أعظم من شمسنا كانت قديماً عبارة عن غمام طائر في الجو يعبرون عنه بالسديم جمعه سدم وأن هذه الشمس يوماً ما سترجع إلى سيرتها الأولى أي أنها تهدم وتحلل وترجع في الجو كما كانت وتخلق بعد الملايين من السنين خلقاً جديداً وتكون بهيمة كواكب جديدة يخلق الله فيها خلقاً جديداً . ولقد سبق في بعض السور السابقة دليل العلماء على ذلك أنهم شاهدوا في هذا العصر ستين ألف كوكب تتخلق من جديد فبعضها قارب أن يتم تكوينه وبعضها مبتدأ في تكوينه وبعضها بين بين وكلها تجهز لتكون عوالم كما نرى عالم شمسنا وسياراتها وأقمارها . فهذا هو الذي دل العلماء على أن هذه الشمس وما حولها كانت قديماً عبارة عن غمام طائر دائر كما يرون ذلك اليوم . ولقد ذكرت ذلك في (سورة إبراهيم) عليه السلام عند قوله تعالى - يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات - وكذلك في (سورة الأنبياء) عند قوله تعالى - أولم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما - فهكذا هنا يقول الله - ويوم تشق السماء بالغمام - أي أن شمسنا وكواكبها وبعض الشمس الأخرى وسياراتها تصبح أشبه بالغمام لأنها صارت نارا متفرقة في الجو . والسماء هي الذي نشاهده من هذه العوالم اللطيفة التي تنتهي باللون الأزرق الذي نشاهده . ومستحيل أن يكون اللون إلا في المتلون والمتلون هو هذا العالم المسمى بالآثير الذي شرحناه في (سورة البقرة) وقلنا أن من ينكر السماء قائماً هو جاهل يجهل علوم المتقدمين وعلوم المتأخرين فإن المتقدمين والمتأخرين جميعاً ينكرون وجود الخلاء بل هم جميعاً يقولون إن الفضاء مستحيل بل هو مملوء بما يسمى بالآثير وهو الذي يحمل ضوء الكواكب إلينا فارجع إليه هناك تراه بين القدماء والمحدثين عند قوله تعالى - ثم استوى إلى السماء وهي دخان - الخ فانظر وتجب كيف سماها دخاناً وغماماً وقال انهما كانتا رتقا ففتقناهما وكل ذلك دائر على هذا المعنى فتجب من القرآن وحكمه وعجائبه وانظر كيف يقول هنا - ويوم تشق السماء بالغمام ونزل الملائكة نزيلاً الملك يومئذ الحق للرحمن - الخ

﴿ اللطيفة العاشرة في قوله تعالى - ويوم يعص الظالم على يديه - الخ ﴾

هذه الآية مقابلة للآية المتقدمة في اللطيفة السابعة إذ جعل هناك سبحانه الناس بعضهم لبعض فتنة وأن العدو فتنة وامتحان لعدوه . فأما هنا فإنه يقول - ويوم يعص الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع

الرسول سبيلا * ياويلتى ليتنى لم أتخذ فلانا خليلا - وهذا القول ينطق به الشاعر العربي إذ يقول

عدوك من صديقك مستفاد * فلانستكثر من الصحاب

فان الداء أكثر ما يكون * تراه من الطعام أو الشراب

وفي المثل « عدو عاقل خير من صديق جاهل » واعلم أن الانسان اذا كانت فتنته بعدوه عظيمة فهمى بصديقه أعظم وترى الناس مولعين بالأصدقاء جاذبين في مرضاتهم فيقعون في التهلكة والأصحاب هم الذين بهم يتشبه الانسان في عاداته وأخلاقه وأحواله وأعماله وطباعه فالأصحاب هم جنة الانسان وناره . ولا ترى لصا ولا زانيا ولا فاسقا إلا وهو متشبه بصاحب له أو صديق قد تخلى بأخلاقه وسار على منواله . وترى الأصحاب اذا وقعت الواقعة وظهرت الحقائق يتبرأ بعضهم من بعض ويلعن بعضهم بعضا كاللصوص والقتلة وما أشبه ذلك فكل هؤلاء يصبحون أعداء متى وقعوا في الضيق وهذا قوله تعالى - الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين -

الصدقة على ﴿ أربعة أقسام ﴾ صداقة تأتي سريعا وتذهب سريعا وهي التي سببها الشهوات فان الشهوة سريعة الانتقاد فاذا ما انقضى أمرها ذهبت حرارتها وانطفأت فلا صداقة إذن كما تراه في الزناة والسراق وقطاع الطرق . وصداقة تأتي سريعا وتذهب بطيئا وهي الصداقة العقلية فانك تحب العالم أول ما يجيبك قوله ولا تذهب الصداقة إلا بعد أمد طويل وأسباب كثيرة . وصداقة تأتي بطيئا وتذهب سريعا كالصدقة مع التجار فان الانسان لا يثق إلا بعد معاملة واختبار ولكن متى ظهر الغش حصل التنافر سريعا . وصداقة تأتي بطيئا وتذهب بطيئا كالصدقة المركبة أسبابها من أشياء مختلفة فانها تأتي ببطء وتذهب ببطء فاذا أحب امرأة لأمور كثيرة كالجاه والمال والجمال وكان لكل واحد من ذلك حظ من الحب فلن يذهب الحب إلا بطيئا فتبين من ذلك أن صداقة الشهوة تذهب وأن الغش متى ظهر بين الأصدقاء فرقههم وذلك كله في الدنيا وأحوال الآخرة تضارع أحوال الدنيا في أمور كثيرة . وعلى ذلك ترى الناس ينزع بعضهم بعضا في الأخلاق والأعمال واذا ماتوا وعرفوا الحقائق أصبحوا كاللصوص اذا وقفوا أمام القضاة في الدنيا فان كلا يجعل الذنب على صاحبه فيصبح الأخلاء أعداء . أما المخلصون الصادقون فلا ذنب ولا لوم فيقول الظالم الذي ظلم نفسه بترك التعقل واتباع صاحبه - يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا * ياويلتى ليتنى لم أتخذ فلانا خليلا - وهذه الحال كحال الرؤساء والمروسين التي مرت في (سورة البقرة) - إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب - . فهنا يقول الله تعالى إن الصداقة تنقلب شقاوة وحزنا وأسفا كما تنقلب اللذات آلاما . وترى الانسان اذا مات انقادت في قلبه نار الحسرات على فوات الشهوات التي اعتاد عليها فانقلبت الشهوات آلاما هكذا هنا انقلبت المودات والمحبات شقاوة وحسرة وندامة لأنها ضلال والضلال ينبع الحسرة والهلاك فلا رؤساء يوم القيامة بنافعين ولا أصدقاء بشافعين بل كل مسؤول عن نفسه

﴿ ضعف السياسة في الأمة الاسلامية اليوم ﴾

واعلم أن قوله تعالى - ويوم بعض الظالم على يديه يقول يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا - الخ هي الحاصلة اليوم فان لم يكن بلفظها فبمعناها ﴿ وبيانها ﴾ أن أم أوروبا أصبحت عريقة في اصطناع السلاح والكرام والأعمال الحربية وأضافت الى ذلك قوة دهاشها ومكرها وخداعها فلما رأت أم الاسلام نائمة جاهلة استعملوا الصداقة خير سلاح لهم فترسل الدولة سفيرها الى الأمير المسلم فيوحى اليه أن قائد جيشك خائن وترسل رجلا آخر الى القائد فيفهمه أن أميرك خائن ولا يزال الفريقان يجذبان ويحتالان حتى يفرقا بينهما ثم تندخل الدولة الأجنبية بالسلاح وتحتل البلاد فاذا تم الأمر ظهر الحق وعلم الأمير والقائد أنهما كانا مخدوعين فيعرض الظالم أي الأمير والقائد على يديه يقول يا ليتنى تعقلت ونظرت في الأمر بدقة ياويلتى ليتنى لم أتخذ فلانا الفرنجي خليلا

﴿ حكاية ﴾

لقد جاء في الجرائد المصرية أن الأمير عبدالكريم ببلاد المغرب الذي بحارب الأسبان قد سلط الأسبان عليه رجلا من أمته يسمى الرسول له شوكة وقوة فقام الأمير عبدالكريم على الرسول وحاربه وغلبه وأسره فوقف وزير الأسبان في قومه خطيبا وقال نحن لايهمنا الرسول ولا هو له قيمة عندنا فدواء خذل أم نصر فلانباي . هذا كلام الوزير الاسباني فكأنه لما كان قويا انتفع به فلما سقط في حومة الوغى خذله ولم يبال به وهذا هو تفسير قوله تعالى - وكان الشيطان للانسان خذولا - فهذا نوع الخذلان وهذا المثل يكفيك فقد ساقه الله لتفسر به هذه الآية والله هو الولي الجيد

ولكن بعد ذلك سلم الأمير عبد الكريم نفسه لفرنسا لما عرف أن قومه قد أحيط بهم من كل جانب والله الأمر من قبل ومن بعد

﴿ اللطيفة الحادية عشرة في قوله تعالى - وقال الرسول يارب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا - ﴾ ومعنى هجره تركه وانصد عنه * وجاء في الحديث انه عليه الصلاة والسلام قال ﴿ من تعلم القرآن وعلق مصحفه لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيامة متعلقا به ويقول يارب عبدك هذا اتخذني مهجورا اقض بيني وبينه ﴾ هذا ما ذكره علماء التفسير رحمهم الله

ومن معاني المبحر المغوفيه اذا سمعوه أوزعموا انه هجر وأساطير الأولين فيكون أصله مهجورا فيه والمعنى الأول ألقى بحال المسلمين اليوم وما بعده ألقى بحال الكفار . والمهم اليوم أن أحدثك أيها الذكي في حال المسلمين وكيف هجروا القرآن . واعلم أن المصحف قد شكاف فعلا الى الله وقد تعلق بالمسلم وشكالى ربه وقال اقض بيني وبينه وبالفعل قد قضى الله بين المصحف وبين المسلمين وعجل العذاب لكثير من الأمم الاسلاميه هذا هو العذاب المجهل . سلط الفرنجة علينا وأخرنا في مصاف الأمم وسيكون هذا من أسباب عذابنا في الآخرة وتأخرنا هناك عن دخول الجنة لأن المسلم اليوم محروم من القيام بشعائر دينه على الوجه الأكمل . محروم من التفكير . محروم من العلم وذلك لأنه لم يعقل مافي المصحف وزاد الطين بلة دخول أهل أورربا في بلاد الاسلام واستيلاؤهم على الأوقاف وعلى الامور الدينية فضعف المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها وهذا عقاب مجمل قبل المؤجل . إن الأنبياء اذا شكوا أهمهم الى ربهم عاقبهم وهذه شكوى من رسول الله ﷺ شكأ أولا أهل مكة فعوقبوا بغزوة بدر وأسلم أبناؤهم وانتهى الأمر وشكنا نحن وإهمالنا التفكير في معاني المصحف . ولأذكر لك ﴿ مسألتين انتنيتن ﴾ مما أهمله المسلمون قبل ايضاح المقام فأقول

لماذا لا ينظر المسلمون في أول سورة نزلت . إن أول سورة نزلت - اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الانسان من علق * اقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم * علم الانسان ما لم يعلم * كلا إن الانسان ليطغى * أنراة استغنى * إن الى ربك الرجعى * أرايت الذي ينهى * عبدا اذا صلى * أرايت إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى - الخ

أفلم ينظر المسلمون الى الابتداء كيف كان . ألم تكن أول كلمة بعد البسملة - اقرأ - فكأن أول مطلوب لني هذه الأمة ﷺ ولأتمه القراءة . وبماذا يقرأ . يقرأ باسم الرب والرب فيه معنى الترية المذكورة في أول الفاتحة ثم أوضح الترية فابتدأها بقوله - الذي خلق - فالخلق كله في ترية الله تعالى والخلق إما بمعنى التقدير وإما بمعنى الإيجاد وهذا يعم سائر المخلوقين من ملك وانس وجنّ وسموات وأرضين ثم خصص فقال - خلق الانسان من علق - وخلق الانسان نتيجة عوالم تقدمته أى نتيجة عوالم الشمس والقمر والأرض والسيارات والنبات والحيوان والماء والأرض والجبال والأنهار . كل ذلك مقدمات لخلق الانسان . والتعبير بعلق اشارة الى ما ذكرنا في هذا التفسير من سلسلة الحيوانات الممتدة من أدنى مخلوق حتى الى الانسان وإلى

الكشف الذى أظهر أن أصل الجنين علقه صغيرة جدا . وقد تقدم ايضاحا وايضاح تكوين الجنين وعلاقته بسلسلة الحيوانات وأن علم الجنين من العلوم الطبيعية العجيبة التى حض الله عليها فقل سبحانه - وفى أنفسكم أفلات تبصرون - والنظر فى النفس يتقدمه النظر فى الجسم والنظر فى جسم الانسان هو العلم العجيب والحكمة البديعة والآية الربانية والحكمة الصمدانية . إن جسم الانسان هو لوحه المقروء وآياته اليبينات فاذا عاش المسلمون وماتوا ولقوا ربهم وهم عمى عن أجسامهم جهلاء برهم فكيف يلقونه وقد أنزل عليهم أول ما أنزل - اقرأ باسم ربك الذى خلق * خالق الانسان من علق - وذلك يجرى الى علوم الطبيعة كلها . علوم الطبيعة التى يقرؤها أهل أوروبا كلهم فى المدارس التجهيزية والمسلمون ماثمون . علوم الطبيعة التى أنشأها الله بيده ونظمها بحكمته وألقاها لنا كتابا مقروءا وأنزل كتابه اللفظى مصداقا لكتابه العلمى

يا عجباً للمسلمين كيف يكون أول ما أنزل على نبينا ﷺ طاب القراءة وفهم الترتيب والبحث فى الخلائق كلها والبحث فى الانسان ثم يعقب ذلك بقوله - اقرأ وربك الأكرم * الذى علم بالقلم - فالتة كريم لأنه خلق الخلق ورباه كما قال تعالى - يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم * الذى خلقك فسواك فعدلك * فى أى صورة ما شاء ركبك - ولكنه أكرم لأنه - علم بالقلم - فكرم الله عام على الانسان والحيوان فنعمة الشمس والقمر والنبات والحيوان وتسوية خالقنا ونظامنا . كل ذلك منه كرم ولكن الكرم الدائم هو نعمة العلم والحكمة لأن نعمة العلم والحكمة غذاء للأرواح وغذاء الأرواح أبقي من غذاء الأجسام والعلوم والمعارف عبارة عن جنات وأغاب وفواكه مما نشتهى وفوق كل لذة فى عالم الأجسام فبقاء العلوم بقاء الأرواح فى هناء وبكثرتها قربنا من الله وهذا هو مقصود قوله تعالى - اقرأ وربك الأكرم * الذى علم بالقلم * علم الانسان ما لم يعلم - خفقه للعالم كرم ولكن القراءة والكتابة والعلم من الله زيادة فى الكرم فالمسلمون اليوم رضوا من الله بكرمه ولكنهم أبوا أن يتقبلوا زيادة الكرم وزيادة الكرم بالعلوم . فقوله - علم بالقلم - اشارة الى أن القراءة والكتابة ينبغى أن تعلم وقوله - علم الانسان ما لم يعلم - اشارة الى تعميم العلوم فاذا كان أهل أوروبا يعلمون أبناءهم جميعا تعليما اجباريا الى سن (١٤) سنة فالمسلمون أولى بهذه المكرمة وأحق بهذه النعمة وأولى بهذه المنة . وكيف نام المسلمون آمادا طويلة وكيف نسوا القرآن وهجروه وكيف ظنوا أن القرآن أغفل العلوم

(القرآن وتقدير المسلمين فيه)

اعلم أن المسلمين فى غابر الأزمان أيام الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم نظروا فى أحوال العصر الذى هم فيه فوجدوا الأرض يعوزها العدل والأخلاق والسيرة الحسنة فنظموا الدول وأقاموا الممالك وثبتوا العدل وبنوا حسن المعاملة بين الناس بقدر ما كانهم ففتحوا باب الحرية فى الديانات ونظموا الأمم وفعلا ما أمكنهم فعله ففشت علمائهم للتأليف وحكامهم للتدوين وقام الأئمة رضوان الله عليهم للتصنيف والتأليف وكان هناك مذاهب ومذاهب فى الاحكام الشرعية والعلوم الفقهية وساروا شوطا بعيدا فى العدل الى أن انقرضت الدول العربية وجاءت الحروب الصليبية . فى أثناء ذلك فرّت الحرية من الشرق الى الغرب واستيقظت أوروبا من مرقدتها وهذبت تعاليم المسلمين الدين المسيحى فرجعوا الى عقولهم ونظموا مدنهم وانتقل العلم من الشرق الى الغرب وهنا رجعوا الى الطبيعة وقرؤوها والمسلمون فى انحطاط

كانت فى العصور الأولى (دولتان) فارس والروم وقد دالت الدولتان وانحلتا وحلّ الاسلام محلهما وأظهر العدل ونام الناس فى عدالته وأمنوا . فالقرآن إذن أقام العدل الذى وجده بعد أن أراد أن ينقضى أقام الاسلام جدار العدل الذى أراد أن ينقض فى الدولتين العظيمتين فارس والروم . أقامه وقضى أبدا طويلا وفتح باب الحرية كما قلنا فاستيقظت الأمم الشرقية والغربية فقرأت العلوم . فعلى الاسلام اليوم بعد تأليف هذا التفسير أن يقوم بسطوته ويهذب الأمم ويعلمها العلوم الطبيعية . فكما أقام العدل أيام الصحابة

والتابعين فليقم الاسلام العلم اليوم . فاذا قرأ العلوم أهل أوروبا على أنها واجبات فليقرأها المسلم اليوم على أنها قربى الى الله وليكن عدل المسلمين في العصور الأولى نبراسا لهم في العلم اليوم . إن الاسلام مهذب للأمة هذبهم في اقامة العدل سابقا فليهدبهم اليوم في نظام العلوم وليقم المسلمون بما عليهم واتقم أمة العرب قبل الأمم بالحكمة ولتدرس الوجود حبا في ربها وأنسابها وقرى الى الله

ألا ليقم المسلمون بما عليهم ويسموا قول الله - اقرأ وربك الأكرم * الذى علم بالقلم * علم الانسان ما لم يعلم - فقلوه - علم الانسان ما لم يعلم - كلام عام يقتضى البحث والتنقيب وترقية العقول بالعلوم ثم أتبعه بقوله - كلا إن الانسان ليطغى * أن رآه استغنى * إن الى ربك الرجعى * أرأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى - فانظر كيف ذكر الصلاة بعد أن شرح العلوم . انظروا أيها المسلمون كيف جعل الاسلام مؤخرا عن الايمان . لم يذكر الصلاة إلا بعد ما استوفى العلوم . سيقول جاهل وما هذا التقديم والتأخير . أقول انه لم يعمل هذا القول إلا الجهالة الكتفاء . واذا كنا نرى الأئمة رضوان الله عليهم يذكرون في قوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم - أن ما قدمه الله يقدم وما أخره الله يؤخر ويرجعون في ذلك الى ما ورد في بعض الأحاديث فأوجب بعض الأئمة كالشافعى رضى الله عنه الترتيب فكيف صح التدقيق في غسل الأعضاء وأيها يقدم ولا يصح التدقيق هنا وأن قراءة علوم الطبيعة مقدمة على غيرها وتعليم القراءة والكتابة له القدح المعلى في الاسلام على غيرها . إن العدول عن مثل هذا جاء من اعراض العلماء في الاسلام عن هذه المباحث . ومن عجب أن تكون هذه السورة أول ما أنزل على رسول الله ﷺ فكيف يكون هذا أول ما أنزل على نبينا ﷺ ولا نفكر فيه

﴿ سورة الفاتحة ﴾

واعلم أن هذا النظام بعينه هو الذى جاء في (سورة الفاتحة) فانه بدأ بالحمد لله لأنه ربي العالمين لأنه خلق العالم ورباه وهو كما قال - خلق * خالق الانسان من علق - والخلق من علق ثم الترقى شيئا فشيئا هو معنى التربية فكأن هذه السورة تفسر معنى التربية المذكورة في الفاتحة والمذكورة في هذه السورة ولم يذكر العبادة ولا الهداية للصراط المستقيم ولا الاستعانة بالله في ذلك إلا بعد ما ذكر التربية ونظام العالم . فالفاتحة سار القول فيها على نظام يشبه نظام أول سورة نزلت على رسول الله ﷺ وكأن الله أمر بقراءة الفاتحة في كل صلاة لتذكرنا بأول سورة نزلت إذ أمرنا فيها بالقراءة والقراءة منصبة على أن نعرف ما ربه الله من المخوقات وكما أخرت أحوال العبادات في الفاتحة أخرت أيضا في (سورة اقرأ) وملخص هذا كله تعميم التعليم فبالت شعري كيف نام المسلمون عن قوله تعالى - وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين - . لقد علمت أن آباءنا هذبوا الأمم بعلم الفقه وأقاموا العدل وذلك من مائة وخمسين آية من القرآن ونحن اليوم رأينا الأمم تقرأ العلوم كلها وتنظم دولها فلتنم النظام الأراضى ولتقم بتعليم العلوم بنظام أشرف وهو أن يكون ذلك تابعا لأمر الدين أى أن يكون العلم عندنا أرقى مما عندهم كما قال ﷺ ﴿ اذكروا الله عند كل حجر وشجر ﴾ فليعمم المسلمون العلوم اليوم وليكن لهم نظام أشرف من نظام أوروبا وليقم فيهم علماء يهذبون الأمم في علومها كما هذبوها في عدلها وأن تأخير المسلمين اليوم عن الأمم في العلوم لحكمة انهم هم المهذبون للأمم . إن نبينا ﷺ رحمة للعالمين رحم الله به الناس في العلوم الفقهية واقامة العدل وسيرجهم بالنظام العلمى الأعلى الذى سيكون على أيدي المسلمين . سيقراء المسلمون هذا التفسير وسيعملون بوصايا القرآن في سبع مائة آية وخمسين نصريحا وفي غيرها تلويحا أن يقرأوا علوم العالم كله . سيقروا ذلك كله وسيقومون بما عليهم من نظام هذه الأرض ويحققون - وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين -

﴿ القرآن كالبهر الملح ﴾

القرآن أشبه بالبحر فيه الماء وفيه السمك وفيه الدر والمرجان وفيه مخلوقات بديعة عجيبة وقد أخذ منه أسلافنا علم الفقه وهو بعض ما فيه وما علم الفقه إلا كالسمك . فأما الدر والمرجان والماء الذي به حياة كل شئ فيسكون في المستقبل . إن في البحر جوهرا وإن في البحر درا . إن في البحر ماء يكون بخارا بحرارة الشمس فيرتفع للجو فيصير سحابا ممطرا فيحيي به الله الأرض بعد موتها ويكون منه الحيوان والنبات والإنسان . هذا هو البحر وهذا هو القرآن . فليفسكر المسلمون بعقولهم وليستخرجن العلوم من مكانها كما استخرجت الحرارة الشمسية القطرات المائية من البحر المحيط فصارت أنهارا سقت كل حي . أخذ أسلافنا السمك منه وهو علم الفقه فلنأخذ نحن منه العلوم التي بها حياة العقول كما أن ماء المطر به حياة كل حي ولنقص على الدر والمرجان كما غاص أكابر آباؤنا ولكن بقي ذلك مدفونا في الكتب بعيدا عن الأمة فلينشر ذلك للآل ولتقم الأمة بما عليها لنفسها وللأئمة وليقرؤا - وقال الرسول يارب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا - انتهت اللطيفة الحادية عشر

﴿ اللطيفة الثانية عشرة في قوله تعالى - وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين - ﴾

قد تقدم شرحها في اللطيفة السابعة في قوله تعالى - وجعلنا بعضهم لبعض فتنة أتصبرون -

﴿ اللطيفة الثالثة عشرة في قوله تعالى - الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم - الخ ﴾

اعلم أن الناس أشجار مقالوبة فروسنا مرفوعة إلى أعلى تتعاطى بها الطعام والشراب ورؤس النبات إلى أسفل ورؤس الحيوان متجهة إلى الجهات الأربعة وإنما كنا على هذا النمط لأن النبات لاحظ له من الاستقلال إلا لحظه من الانفصال عن الأرض فرأسه ملازم للطين لاحتراكه ظاهرا . فأما الحيوان فإنه يتحرك إلى سائر الجهات ويختلف في قبول الغرائز اختلافا عظيما وهو في ارتقاء درجاته على أقسام كثيرة يتبدى من أدناه إلى أعلاه . فانظر إلى خلق الله ومعجائب صنعه وتفكر في حكمته سبحانه وتعالى وانظر كيف خلق وكيف صور خلق النبات لازما للأرض وخلق الحيوان على أنواع كثيرة وكلما ازداد غرائز وقوى كان أبعد عن الانكسار على الأرض وكان أقدر على السعي وترى السباع والفئور أرقى من الطباء والغزلان فهي تأكلها وترى القردة أرقى من الجميع لما لها من الذكاء والفهم والتقليد للإنسان وترى الإنسان انتصب قائما فكانت رأسه أعلى ويداه ورجلاه لأسفل بعكس كل نبات فصدق قولنا إن الإنسان نبات معكوس وهذا معنى قوله تعالى - والله أنبتكم من الأرض نباتا - فنحن نبات ارتقى ارتقاء تاما ولكن ننظر هنا معنى الآية التي نحن بصدد الكلام عليها وهي - الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم - فالحشر على الوجوه إلى جهنم يراد به ميل النفوس إلى الأمور الأرضية وذلك أن الإنسان يعيش في هذه الأرض ويصادف فيها لذات وآلاما فإذا عاش ومات وهو لم يفهم منها إلا لذاتها وجهل اللذات العالية وهي حب هذا النظام العام وتسكيل النفس الإنسانية فان مثل هذا يوضع بعد الموت في عوالم منحطة على قدر عقله لأن الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون فخل هذا يحشر على وجهه فليس من الذين ترتفع رؤسهم إلى أعلى لأن ميلهم حيواني وشهوتهم نباتية فكانه ما فهم الإنسانية ولا عقل لذاتها العالية وعكف على الشهوات المعتادة عند الحيوان والنبات فترى من الحيوان ما يحب على الأرض حبوا فهو لاء تكون نفوسهم راجعة منكوسة إلى أسفل . والأخلاق الشهوية النباتية ترجع إلى الماء كل والملبس والمسكن والزينة والنساء والمال وجميع ما هو من هذا القليل والأخلاق السبعة ترجع إلى القوة الغضبية من الحسد والكبر والظلم وما أشبه ذلك . فهذه الصفات كلها التي تبلغ ما يقارب المائة كافي علم الأخلاق تحط قيمة المرء في الآخرة ويرى نفسه متعلقة بتلك الأخلاق فتبقى محجوبة فيها عن ربها كما قال تعالى - بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون * كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون - وكل امرئ يعرف

من نفسه اذا فكر هل نفسه متأهله للقاء الله فان عرف أن هذه الدنيا ولذاتها تبهجه وتنسيه ذكر الله فليعلم أنه بعد الموت يكون معلقا بما كان معلقا به في الدنيا ويبقى محجوبا عن ربه ظالما لنفسه وذلك جزاء الجاهلين وهذا من نتائج قوله تعالى - الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم - اى انهم يميلون الى أسفل الامور فلا يزالون أعلاها ويحجبون عن ربهم وهم الذين خسروا أنفسهم لأن النفوس الانسانية عالية الرأس مرفوعة لها خسيصة منحة منخفضة وانما وجوههم - يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة - وأما الآخرون فليست وجوههم ناضرة ولا الى ربها ناظرة لأنهم يحشرون عليها وتلصق بالأرض كما يلصق النبات لأنهم يميلون الى العوالم الأرضية محبوا على حبها لم يعيشوا ما أدركته العقول من الجلال

﴿ جوهره في قوله تعالى - وكلا ضربنا له الأمثال وكلا تبرنا تديرا - ﴾

اعلم أن الله ضرب الأمثال لهذه الأمة وللأمة السابقة . فأما ضربه الأمثال للأمة السابقة فهو المذكور في هذه الآية . وأما ضربه الأمثال لهذه الأمة فمثل قوله تعالى - مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون - الى أن قال - وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون -

يقول الله في الأمثال لا يعقلها إلا العلماء ويقول في اختلاف الألسنة والألوان لا يعقلها إلا العلماء كما سيأتي في (سورة الروم) إذ يقول تعالى - ومن آياته خالق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين - (بكسر اللام) ويقول في سورة أخرى - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض - الى قوله - انما يخشى الله من عباده العلماء - إذن الذين يعرفون اختلاف الألوان والألسنة ونحو ذلك هم الذين يعرفون آيات الله وهم الذين يخشون الله فهكذا لا يعرف الأمثال إلا العلماء بها . واعلم أن الأمثال كثيرة في كل لغة وعند كل أمة ولها مقاصد تقال لأجلها ألف لها (الميداني) كتابه ﴿ الأمثال ﴾ ولأذكر لك مثلا سهلا لتقيس عليه ونشرح هذا المقام شرحا بقدر الطاقة وبما يفتح الله فأقول

(١) من الأمثال قولهم « قال الخاطم لولدت لم تشقني قال سل من يدقني فان من ورائي لم يتركني ورائي » ومعلوم أن الخاطم يقل للولد شيئا والولد رد عليه شيئا وانما هذه جملة يراد بها اظهار العجز عن اقترب ذنبا باكره غيره عليه . إذن المثل هو قول منقول من معناه الى معنى آخر وهو في علم البيان استعارة تمثيلية وهذا معلوم لمن درسوا ذلك العلم ولذلك كان هذا العلم وأمثاله من العلوم التي لا بد منها لمن يريد تفسير القرآن

(٢) وقولهم « الصيف ضيعت اللبن » فهذا قول نطق به رجل كبير السن لامرأة كانت زوجته فأجبت شابا وتزوجته في زمن الصيف وجاءت لهذا الشيخ تطلب اللبن على عاداتها في زمن الشتاء فأفادها انك ضيعت اللبن في زمن الصيف . ولكن هذا القول نطقه نحن الآن على من ضيع فرصة فاته فأتى ليطلبها بعد أن فاتت . فاذا طلبنا من رجل أن يشاركنا في أرض ايزرعها أو في تجارة ليدبرها ثم تمنحني عن ذلك وشاركنا غيره ثم جاء وقال أريد ما كنت طلبته فانا نقول له ﴿ الصيف ضيعت اللبن ﴾ نخاطبه بهذا وهو لم يطلب لنا ولم يكن ذلك التضيق في زمن الصيف بل مرادنا انك أضعت الفرصة فعليك وحدك يكون اللوم لاعينا . اذا فهمت هذه المقدمة فاسمع لما ألقيه عليك الآن . اعلم أن الأمم السابقة كانت تضرب الأمثال بالقصص والأحاديث المستملحة وتعطي أبناءها الحكم تارة على أسنة الحيوانات وآونة على أسنة الأنبياء وأخرى على أسنة الملائكة وطورا على أسنة الملوك وهكذا فترى

(١) كتاب ﴿ كليله ودمنة ﴾ يجعلها على لسان الحيوانات

(٢) وكتاب ﴿ ألف ليلة وليلة ﴾ على أسنة الملوك والجن والعفاريت

(٣) وكتب اليهود على ألسنة الملائكة تارة والأنبياء تارة أخرى

وهكذا أهل بابل وأهل الهند وأهل أوروبا يجعلون الأمثال على ألسنة العشاق كما في كتاب ﴿ ألف ليلة وليلة ﴾ ومن عجب أن الأمم كلما توغلت في القدم كانت أمثالها غالباً ترجع إلى الملائكة أو الآلهة التي اخترعوها على مقدار تلك العقول وليس عندهم في ذلك مضض وكلما اقترب زمان الأمم كانت أمثالها أقرب إلى العالم الأرضي كالأنبياء والملوك وأهل زماننا لما أصبحوا أقرب إلى (الديموقراطية) جعلوا الأمثال على ألسنة العشاق فالمدار في كل عصر على ما غلب على أهله فان كانوا صابئين أو ما أشبههم كالأمم القديمة ذكروا الملائكة والآلهة المخترعة وان كانوا شديدي الخضوع للملوك أو متعلقين بالأنبياء ضربوا بهم الأمثال وهكذا وسأبين ذلك واضحا الآن . واعلم أن ضرب الأمثال منهج عجيب ومقام عزيز يظنه العامة طريقا معبدا وأمرأ سهلا وما هو بمعبود ولا سهل ولكنه يحتاج إلى أعمال الروية والفكر والنظر وليس يدركه إلا أهل العلم والدراسة والحكمة وسأريك برهان ما أقول الآن فهناك أسمعتك ﴿ ثلاثة أمثال ﴾ تجمع أهم أمثال الأمم الشرقية والغربية لتطلع على الأمثال التي ضربت لتلك الأمم حتى تعرف كيف كانت عظاتهم ولتفهم بنوع ما قوله تعالى - وكلا ضربنا له الأمثال وكلا تبرنا تنويرا - ولأقتصر لك من أمثال الهنود على ﴿ مثلين ﴾ ضربوهما ليفهموا النوع الانساني كيف تخدعنا الشهوات وتضلنا اللذات وتغويينا الأهواء وتسحرعقولنا فنون الجبال وزينة الحياة الدنيا ثم ألقى على ذلك بمثل ضربه أهل (بابل) ونقله اليهود عنهم . وهذه الأمثال ضربت على نمط القدماء في توجيه النصيح على ألسنة الملائكة كما هو دأب تلك الأمم لأنهم لا يجدون في هذا ذنباً ولا خروجاً عن الأدب بخلاف ديننا القويم فانه فيه لا يجوز وان كان القول مجازاً وانى أردت بهذا

(١) أن أيين حقيقة الأمثال

(٢) وأن يفتح للمسلم مجال اتساع دائرة العقل

(٣) وأن يفهم المقصود من الكتب القديمة اذا اطلع عليها

(٤) وأن يعرف أن الاسلام يتفق في المعنى مع العلوم ومع كل دين وان اختلفت الظواهر

(٥) وأن يكون المسلم مستأنساً بكل علم فلا يأنف من قراءة العلوم القديمة التي نقلت عن الأمم لأن حصر

العقول يضيع مجد الأمم ويذلها

واعلم أن الله عز وجل طبع هذا الانسان على خصلة لا تفارقه وخلة تلازمه وهي أنه لا يتعلق إلا بما بعد

عنه ولا يجب إلا ما منع عليه وهو يحتقر كل مبذول له ولا يرغب فيما عنده . ألا ترى رعاك الله أنه قد بذلت له

نجوم السماء كي ينظرها كل ليلة وهي أجل وأبهى من الجواهر والحلى ولكنك تراه يفضل قطعة (الماس)

على هذه النجوم الجيلة . لماذا هذا ؟ لأن النجوم له مبذولة ولو أنها كانت غير مبذولة لدفع عن النظر اليها

غالياً ولما كانت النظرة اليها تشتري بمال وفير . ومن هذا ما نشاهده من تهافت التجار على الآثار القديمة

المدفونة تحت الثرى فما ذلك إلا لندرتها . ومن ذلك اننى في هذا اليوم أعني يوم الثلاثاء ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٢٨

زرت (دار الآثار العربية) بمصر فأخبروني هناك بأنه يؤمها كل يوم من السائحين (٤٠٠) نفس كل واحد يدفع

(١٠) قروش . لماذا هذا ؟ لأجل أن يشاهدوا شيئاً ممنوعاً عنهم ولو كان مبذولاً لهم لاحتقروه . من ذلك أنى

رأيت (سجادة) تاريخها (٥٠٠) سنة اشتراها أحد أغنياء مصر بثمانية آلاف جنيه . ومنه أيضاً قطعة قماش

من ثوب ابن هارون الرشيد رأيته بعني رأسي ببلغ ثمنها (٣) آلاف جنيه . وهكذا اناء من العقيق رأيت

هناك كان يأكل فيه بعض ملوك الممالك في مصر فدفع فيه الحاكم الانجليزي (١٦) ألف جنيه فلم ترض

الحكومة المصرية . هكذا أخبرني العمال في المصلحة . فهذا التغالى في الأثمان للغرابة لا غير

اذا عرفت هذا فلتنظر في الأمثال انها انما جعلت أدلة للتعليم لغرائبها وبدائع تنوعها والتصرف فيها

حتى ان الانسان اذا سمعها وفكر في أصل المعنى وفي المقصود منه كان لهذا أثرا في نفسه . ففرق بين قول القائل فلان كريم وبين قوله كثير الرماذ وجبان الكلب وحب الذراع وهكذا فضرب الأمثال أبلغ من الحقائق هذا أهم الأسباب في قوله تعالى - وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون - بكسر اللام وذلك لأن الجاهل من سائر الأمم اذا سمعوا أى قصة صدقوا لفظها ووقفوا عنده ولكن العقلاء هم الذين يفهمون الحقائق وما يقصد من الكلام

الآن سأخبركم أن أقص عليكم قصص الهنود لتعلم كيف كانوا يضربون الأمثال لتعليم شعوبهم وكيف يحترسون من خداع الدنيا . ولأذكر لكم قبل ذلك كما تقدم في هذا التفسير وشرحته في غير ما موضع أن الأمم القديمة كلها موحدة بالله باطنا وسرا ومشركة أمام الشعب فعند الهنود كما عند قدماء المصريين كان التعدد من طبع العامة وهكذا جميع الأمم السالفة

فلما وصلت الى هذا المقام قال لي ذلك الصالح العالم الذي اعتاد أن يحدثني في التفسير فيما مضى ؟ لم كل هذه المقدمة . الأمثال جعلتها ولم تريد ضرب ثلاثة أمثال من أمثال الأمم القديمة في هذه الآية . فقلت أردت بذلك إزالة تلك الغشاوة التي طمست على عقول كثير من الأمم الإسلامية إذ حرموا من العلم الذي طبق آفاق الشرق والغرب والناس جميعا انتهلوا منه . فقال ما هذا العلم الذي تزعم أن الناس انتهلوا منه وحرم منه المسلمون فقلت علوم الأمم القديمة والحديثة في رواياتهم التي أودعوا فيها علومهم . ألا ترى رعاك الله أن بني اسرائيل ذكروا قصصا أودعوا فيها حكمهم وضمونها علومهم ومواعظهم وهكذا اليونان وأهل الهند أودعوا قصصهم الحكمة وحشوها في حكاياتهم فلما قرأها العلماء أنكروها وقالوا هذه خرافات . واني لأعجب كل العجب من أمة تقرأ علم البيان ولا تطيقه . قال وكيف ذلك ؟ فهل علم البيان يعلم الناس الخرافات . إن الخرافات ضلال العقول . فقلت على رسلك إن علم البيان فيه الاستعارة التمثيلية كما تقدم والاستعارة يقصد منها المعنى المنقول اليه اللفظ لا غير فوجب كل العجب من أمة تفهم قول القائل ﴿ الصيف ضيعت اللبن ﴾ وتخطب به جماعة الرجال ولا ترى فيه بأسا ثم تراهم يهللون ويحزعون اذا سمعوا ما سأقصه من قصة هاروت وماروت التي وضعت بهيمة مثل أو رواية لم يقصد منها إلا مغزاها على طريقة الاستعارة التمثيلية والخرافة إنما تكون فيها اذا قصد لفظها فأما المعنى المنقول اليه اللفظ فليس خرافة بل هو موعظة حسنة . اللهم إن هذا هو الذي قصده النبي ﷺ في قوله ﴿ حدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج ﴾ كما في البخاري وقال الشراح لأن سند أحاديثهم منقطع فنحدثت بلا سند . ولعمري لم يقصد ﷺ أن يعلننا الخرافة بل قصد أن يجعلنا أمة نعرف أحوال الأمم ومواعظها فترتق . إن الأمم جميعها لم تقدر أن تصور الفضيلة والذيلة إلا بهذه الوسيلة وهي تشويق القراء بطريق القصص بهيمة تأخذ بلب القارئ والله يقول - ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء أفلم يكونوا يرونها - وهذا في هذه السورة ويقول سبحانه في آية أخرى - أفلم يسيرا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور -

ولاجرم أن علم الآثار الحديث الذي عرفه العالم المتمدين وقرأوا كتب الأمم القديمة أفادهم وعرفهم وساعد في رقي أممهم والمسلمون بقوا مكتوفي اليد أمام الأمم فالأمة يسمعون ويعقلون والمسلمون لا يريدون أن يسمعوا أو يعقلوا ويقولون قد استغنى بالقرآن ويقول الله لهم في القرآن . كلا . ان قارئ القرآن بلا علم بالمعنى ولا عمل بالعلم كهية الجار يحمل أسفارا بذس مثل القوم ؟ فهل يجبكم أيها المسلمون أن تعرفوا القرآن كله وتشكروا قوله - أفلم يسيرا في الأرض - فهل السيرا في الأرض ونظركم عواقب الأمم من كتبها وآثارها والاحتراش مما وقعوا فيه والأخذ بالأحسن من أعمالهم مخالف للقرآن وهو الذي حض عليه بنفس هذه الآية ووجه التاركين له ؟ فهل النظر في الأرض وتعقل أحوال أهل الأرض والنظر في السموات . كل ذلك

لا يهجمكم مع ان القرآن يأمر به . فقال صاحبي هذا عجب ثم عجب كفى كفى * إن من البيان لسحرا *
فأذكر لي المثل الأول من أمثال الهنود حتى أعرف كيف كانوا يعظون فقلت عندهم قصة تسمى ﴿ قصة العابد المفتون ﴾ وملخصها أن عابدا يسمى (كندو) على شاطئ نهر جاماني اشتهر بالعبادة في غابة كثيرة الأشجار يخاف أرباب السماء (الملائكة) أن يشاركهم في العظمة عند الله ويسكن معهم السماء فأوعزوا الى واحدة من الحور العين وهي (براموتشا) أن تظهر جاهلها فترت الى الأرض وفي طاعتها الربيع والنسيم فلما رآها العابد بهره جاهلها وبقيت معه ليلالي وأياما تعد بالثلاث فاستيقظ قبل الفجر ليلة فقال اني لم أصل ليلة والفجر قرب فسخرت منه وقالت أنت معي منذ مئات الليالي فدهش وقد كان يظنها ليلة واحدة فعرف أن المرأة خدعته وفرح الملائكة الذين حسدوه بذلك

فلما سمع صاحبي هذه القصة قال كيف يقرأ هذا المسامون وكله كفر صراح مثل المعبودات الثانوية ومثل الأرباب الهندية . ولا جرم أن ذلك يفيد ﴿ أمرين اثنين ﴾ الأول ﴿ ان الآلهة الصغيرة معبودة ﴾ (وثانيا) ان اتصافهم بالالوهية فيه تعدد للآلهة والأمراض ظاهر البطلان . وأيضا الآلهة كما اتصفت بحسد العابد اتصفت بالاحتيال في الافساد فهؤلاء شياطين لا آلهة . فقلت له قد قدمت في هذا التفسير مرارا أن العلماء منهم موحدون واستباحوا التعدد على حسب زمانهم وهذا عندنا كفر وأما كونهم آلهة فهذا مجاز يراد به الملائكة وأما كونهم يحسدون ويخادعون ويفتنون العابدين فخفا هذه صفات الشياطين ولعلم هذه الشعوب بأنها صفات الشياطين قبلوها على أنها ضرب أمثال وكان هذا مباحا عندهم . ولا جرم أن هذا الحسد موجود بين الناس وما ضربوا الأمثال بالملائكة إلا ليفهم ذلك الناس لا غير فقراءتها ومعرفه مغزاها شيء والاعتقاد والكفر شيء آخر . ولا جرم أن هذه الأمثال ليست الأمثال التي ضربها الله لهم . كلا . بل هي أمثال تبعت أخلاق القوم وأنزلت آلهتهم الصغيرة فجعلتهم في مصافهم فلذلك صار الحرب والخداع في عموم النوع البشري عاما تقليدا للآلهة التي ضربوا بها الأمثال وهذه طرق أبطلها القرآن فهذه أمثالهم لا أمثال الله وكل دين نزل من السماء خلطه الناس بأهوائهم كما سأوضحه قريبا في هذا المقام ، ثم قلت وفي هذه القصة مصداق القرآن ، ألا ترى رعاك الله أن القرآن ذكر أن هذا الدين تقدمه أديان . قال بلى . قلت أفلا ترى أن هذا من أقدم الأديان وقد ذكر الزهد في الدنيا والعبادة بالليل والاضلال الشهوات للناس وخداع الهوى لهم وذلك كله شرحة القرآن شرحا وافيا . إذن كان الناس من قديم يصلون بالليل وتتجافى جنوبهم عن المضاجع وكانوا يقولون إن تارك الدنيا يقرب من الملائكة ويحب في السماء ، إذن هذه القصة مصداق لدين الاسلام فإله يقول - قل ما كنت بدعا من الرسل - ويقول - كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم - إذن القصة أفهمتنا أن هذا القرآن لم ينزل فيه ما ليس من طبع الديانات التي تناسب أهل الأرض وان ضلوا في التعبير فقد كان قبلنا أم يصلون ويتركون الشهوات . إذن هذه أمور عامة لخاصة وهذا من أجل البراهين على صدق النبوة

فلما سمع ذلك صاحبي قال حسن فما القصة الثانية . فقلت كما أن القصة الأولى مثلت فتنة العابدين بالنساء الجليات . ولا جرم أن الدنيا كلها فتنة تمثل بالمرأة . هكذا القصة الثانية الآتية جعلوها مظهرة مضار لعب الغرد (الطاولة) ان طاولة الزهر كانت معروفة منذ القرن العشرين قبل الميلاد فقد ورد ذكرها في رواية ﴿ نال ودامان الهندية ﴾ وهي من فصول كتاب ﴿ مهاباراته ﴾ الشهير أحد أسفار الهنود المقدسة عند الهنود وقد وضعه قبل الميلاد بعشرين قرنا . وذلك أن الناسك (فباسا) الذي عاش آلاف السنين على الأرض في زعمهم نظم ديوانه ﴿ مهاباراته ﴾ وهو ٢٢٠٠٠٠ بيتا وهو من أندر المؤلفات في فصاحته وقصصه ونوادره وانباء الحروب والمعارك اشترك فيها الآلهة مع الناس وهو مثل (الياذه) لهوميروس وهذا الكتاب (١٩) فصلا وفي الفصل الثالث منه رواية ﴿ نال ودامان ﴾ وهي ترمى الى تقييح لعب القمار وهي (٥٠٠) بيت وذلك أنه

كان وراء نهر السكينج في بلاد الهند مملكة (نيساواه) ومملكة (فيدونه) وملك الأولى يدعى (نال) والثانية يدعى (فيم) وابنته جميلة فتاة اسمها (دامان) اشتهرت بالجمال حتى خطبها الآلهة في السماء وعلم بها ملك (نيساواه) وعرف جالها فخال قلب (نال) حبها ولما مر به سرب من الأوز اصطاد منه واحدة فقالت له ان أطلقني اذهب الى (دامان) الجميلة لتتزوج بها ففرح نال وبات صريع غرامها فذهبت الأوزة الى فيدرونه ورأتها (دامان) الجميلة فقبضت عليها فقالت لها أنا جئت لأعرض عليك زواج (نال) فاطلبه فباتت دامان موهلة ومرضت وأخبرت أباه بذلك فدعا (نال) فتزوجها . وكان لنال أخ اسمه (بوسكار) فأوحى إليه أن يلعب مع أخيه الزهر وإله الشر يساعده فاهب مع أخيه نفسر (نال) كل مملكته ثم زوجته فاستولى بوسكار على الملك وطرده هو وزوجته لأنها أبت أن تكون مع (بوسكار) فسارا في البرية يأكلان العشب ثم لقيا ركبا أوصلهما الى (مملكة فيدرونه) فعاش مع صهره هناك ثم أعطاه صهره جندا فتوجه به الى مملكته فسلم أخوه له بالاحرب وتولى الملك ثانيا وأصدر أمره بعدم لعب الزهر (الطاولة) على مال وإنما يكون ذلك للتسلية فلما سمع صاحبي ذلك قال فاذا كر لي القصة الثالثة التي ذكرها أهل (بابل) ونقلها بنو اسرائيل في رواياتهم فقلت تلك القصة على طراز روايات الهند (وماخصها) أن الملائكة في زمن ادريس عليه السلام لما رأوا ذنوب بني آدم عيروهم وقالوا هؤلاء خبيثاء فقال الله لهم اختاروا منكم ملكين لأتزلهما الى الأرض فأركب فيهما الشهوة وأنا أقول لكم انهما لن يصبرا عن الشهوات فاخترتا (هاروت وماروت) فزلا وصارا قاضيين بحكماء بالعدل وعند المساء يصعدان الى السماء وحضرت لهما امرأة فارسية يقال لها زهرة تشكو زوجها فأعجبها بها وطلبا منها شيئا فقالت لا حتى تشربا الخمر لأنها خيرتهما بين الخمر وعبادة الصنم فرضيا بالخمر لأنه أهون فوقما في الزنا ولما رآهما رجل قتلاه خوف الفضيحة فلم يقدر بعد ذلك على الصعود الى السماء وعذبهما الله الى يوم القيامة في (بابل)

هذه الرواية مثل سابقتها لاسيما الأولى . فانظر كيف كانت هذه الروايات كلها ترجع الى أن الملائكة أو الآلهة في عرفهم هي التي تفتن بالنساء ويحصل وقائع للملائكة أو للآلهة كوقائع الملوك الأرضية مع الرعية ونسائهم الجليات

هذه (ثلاثة أمثال) من أمثال الأمم التي أشار لها الله وهي في خواها كالقرآن من حيث تحريم الخمر والانصراف الى اللعب وان اختلطت بأهواء القوم من حيث العقائد الزائفة كما سأوضحه قريبا وإنما ذكرت هنا المناسبة قوله تعالى - وكلا ضربنا له الأمثال - فالمدكور هنا يدلنا على نوع الأمثال وسرها وكلها راجعات الى تقويم الأخلاق واصلاح النفوس البشرية وان كانت محرفة فان الانسان اذا سمع أن العابد في القصة الأولى فتنه حوراء مرسله له من الجنة ثم ندم بعد معاشرتها مئات الأيام وهو في حال الاستفراق في جالها ثم ندم بعد ذلك . واذا علم أن لعب (الترد) قد أزال ملك ملك من ملوك الهند ولم يرجع له ذلك إلا بعد العناء . واذا علم أن نفس الملائكة الطاهرين قد فتنهم الدنيا فانه إذ ذاك يعتبر ويحترس . هذه من نوع الأمثال التي كان يضربها الناس اتباعا لما جاء في دياناتهم وان أزاع عقائدهم وكانوا بها يصلحون أمهم . أما عندنا فهذا ممنوع منعا باتا . ذلك لأن ديننا يسر طريق الفساد . ذلك أن هذه وان كانت أمثالا قد يظنها الجهلة انها حقائق وبتهادي الزمان تصير عقائد للعموم فيقولون إن الملائكة يعصون الله وهو كافر أو أن هناك في السماء آلهة وهذا كفر فسد الله هذا الباب منعا للشر والجهل في العقائد . ولما كانت الأمثال لا يعقلها جميع الناس قال تعالى - وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون - (بكسر اللام) إشارة الى أن أكثر الناس جهال لا يعقلون أن هذا ضرب أمثال وحقيقة متممة والذي يعرف المقصود منها إنما هم العلماء ودين الاسلام للعلماء وللجهلاء . فاذا رأيت بعض المفسرين نقل أمثال هذا في تفسيره فاعلم انه اتبع في ذلك الحديث

الشریف ﴿ حدّثوا عن بنی اسرائیل ولا حرج ﴾ ولما کان الناس یحملون هذا علی الحقیقة لاعلی المجاز أخذوا یذمّون تلك الروایات ونسبوا للفسرین التخریف فی القرآن وما هم بمخترّین إلا اذا اعتقدوا صحّة هذه الروایات علی لفظها فأما المغزی فهو للتهدیب وایعجب ثم ایعجب لهذه الروایات الثلاث کیف دلّتنا علی آراء الأمم الهیة والمصریة والبابلیة وأن آراءها متشابهة . فبهذا تعرف سیر تلك الأمم وأمثالها وتفهم معنی قوله تعالی - وكلا ضربنا له الأمثال وكلا تبرنا تنبیرا - وانما تبرهم لأنهم حرّوا فی نفس الأمثال . ومن عجب أن یوجّه الله أهل مكة وأمّاهم فیقول - ولقد أتوا علی القریة الّتی أمطرت مزار السوء أفلم یكونوا یرونها بل كانوا لا یرجون نشورا - یوجّه الله أمة الدعوة ناعیا علیهم عدم اعتبارهم بتلك القریة الّتی أهلكت وهی بطریقهم هكذا ینعی الله علی المسلمین الحالیین ما یرون من الأمم الّتی خربت بذنوب أهلها وتقصیرهم كأهل الأندلس من المسلمین وكأهل امریکا الأصلیین وكما یرون من الذل فی مصر والشام وبعض بلاد العرب فهؤلاء مكبلون فی الذل أفلا یعتبرون فیحترسوا من التقصیر ؟ فاذا قال قائل نحن مؤمنون فنقول له - أحسب الناس أن یتركوا أن یقولوا آمنا وهم لا یفتنون -

ومما یؤسف له أن الأمم الغربیة اتخذت الروایات الأدبیة بابا لرقیها كما فعل الألمان إذ ألف أحدهم فی القرن التاسع عشر ﴿ رواية وردة ﴾ الّتی تعرف آداب قدماء المصریین وحریتهم قبل ثلاثة آلاف سنة قبل المسیح فكانت هذه الروایة سبب النهوض الأدبی فی (ألمانیة) والمسلمون لا یفكرون فی الأمم ولا الدول ولا الممالك ولا یشیرون العزائم والهمم ولا یفكرون فی قوله تعالی - وذكّرهم بأیام الله - ألیست هذه هی أیام الله تعالی وهی ماضیه بالأمم أمة بعد أمة . اللهم إن القرآن نزل لرقی الأمم . واذا رأینا الله یذكر لقمان علیه السلام ویسمی سورة باسمه ویقول - ولقد آتینا لقمان الحکمة أن اشكر لله - فلیس معنی هذا أن الحکمة خاصة بلقمان فلا تقرأ إلا حکمته . كلا . فان الله یقول - فبشر عباد الذین یستمعون القول فیتبعون أحسنه - ولم یخصص القول بقول علماء الاسلام ولا لقمان . وقال فی آیه أخرى - یؤتی الحکمة من یشاء ومن یؤتی الحکمة فقد أوتی خیرا کثیرا وما ذکر إلا أوّلوا الأبواب - فالحکمة لیست خاصة بلقمان بل هی نور من الله نستضیء به من أی حکیم فالمسلم یقرأ کل حکمة وكل علم . هذا تمام المقال فی قوله تعالی - وكلا ضربنا له الأمثال - الخ . انتهى صباح الثلاثاء ٢٨ نوفمبر سنة ١٩٢٨

﴿ الانسان فی هذه الأرض کتاب لا یدرسه ویعقله إلا المفكرون - ﴾

لقد خیل الی هذا الانسان وهیکله المنصوب وقد أشرقت النجوم لیلا والشمس نهارة علی الأرض وأضاءتها وزدهرت بالازراع والأنهار والحوالی وانتظمت الأحوال وعمرت الارض وأشرقت بنور ربها فبرز هذا الکتاب لیقرأه المفكرون ویدرسه المستبصرون . هذا الهیکل أمره عجب . نراه قد جعل منار الحکمة والعلم والفضائل والرزائل . فانظر ماذا ترى

(١) ترى طعاما یزدره فیهمضمه فیکون الدم فینتظم الجسم انتظاما

(٢) وما بقی من هذا الطعام بعد الذی حوّل الی دم یصیرفضلة غلیظة أورقیقة فینزل علی الارض فیکون سمادالزرعنا ونحیا به أرضنا فتبارک الله الذی لم یضع من الوجود شیئا فالذی بقی ولا منفعة له فی أجسامنا بعد الدم رجع الی الأرض حتّی یحوّل فیها الی طعام آخر نهضمه کرة أخرى فما أشبه هذا الطعام الذی لم یصلح دما فی أجسامنا ونزل سمادا بالتعلیمذ بقی فی فصله سنة أخرى حتّی یعقل دروسه ثم یرتقی الی أعلى فی الدراسة العلمیة ثم إن هذه الفضلة منزلتها أسفل فلذلك خرجت من السبیلین أسفل هذا الهیکل المنصوب

(٣) أما الدم الذی استخرج من هذا الطعام المهضوم فانه یدور دورته فی الجسم كما نراه مرسوما موضعا فی (سورة المؤمنون) عند قوله تعالی - وهو الذی أنشأ لکم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون -

هو يدور في الجسم كما يدور الماء سواء بسواء فهو يخرج من البحر بخارا ثم يكون سحابا ثم مطرا فأنهارا ثم يجري الى البحر كحركة أخرى وذلك ليحدث في البحر على طول الأزمان والآماد وآلاف السنين قارة أخرى ينشأها في قاع البحر سنة فسنة حتى تظهر تلك القارة بعد مئات آلاف السنين . هذه حال الماء فهو يدور ليحدث قارة على أقل تقدير اذا ترك مهملًا . وهذه القارة لا تظهر إلا بعد الآماد الطوال لا في الحال ولكن هذه الأنهار في حال دورتها كدورة الدم في الجسم لها آثار أخرى حالا فهي تسقي الزرع وتدر الضرع ويكون الانسان والحيوان وأنواع النبات ويكون ذلك أتم اذا جعلت للنهر سدود وجبوس فهناك ترى العمران أتم والنظام أكمل كما ترى في نيل مصر وغيره من الأنهار التي نظمها نوع الانسان

(٤) فلننظر إذن في دم الانسان ماذا فعل ؟ رأينا يدور كما يدور الماء في الجوف والأرض وفي أثناء دورانه في الجسم يغذي الأعضاء المختلفة كما يفعل مثل ذلك الماء في الأرض ثم ترى الدم من جهة أخرى قد حصلت منه فضلة وتلك الفضلة أعدت لايجاد هيكل آخر كهذا الهيكل الانساني ومثله أكثر الحيوان في ذلك . إن الانسان يكون من دمه تلك الفضلة المنوية ليكون منها انسان آخر كأكثر الحيوان كما رأينا الأنهار تخلف منها في البحر طبقات ستكون قارة على مدى الزمان تشبه القارة التي يجري فيها الماء أو تخلفها بعد حين اذا استدار الزمان وتغيرت الأحوال

(٥) لم تكن الذكورة والانوثة في الانسان والحيوان شرطا لبقاء النوع . كلا . إن بقاء النوع قد يكون بالانقسام أو بغيره وقد تكون الولادة بلا أب كما تقدم في (الحمار) في البحار وذلك مشروح في أول (سورة صريم) بمناسبة ذكرها وذكر عيسى . لعمر الله لم يكن الذكران والاناث شرطا في التورية . كلا ، فهذه ذم مسألة المسيح التي قصت لنا باب (الحمار) فرأينا الأثني تلد الآلاف بلا ذكر وهكذا تلك الحشرة التي رأيتها بعيني تضر بالأشجار وقد ذكرت في أول (سورة الأنفال) موضحة أيما إيضاح فهذه قد تقوم الأثني فيها مقام الذكر فلا تحتاج اليه وتبيض آلاف البيض الذي لا يرى إلا بالمنظار العظيم فانقسم الانسان وأكثر الحيوان الى ذكر وأنثى ليس ضروريا للتناسل ولكن هي الحكمة العظمى والآية الكبرى في التكوين قصت الارتقاء فكان الذكران وكانت الاناث

(٦) هنالك تجلى لنا هذا الانسان بمنظر بهيج فظهرت الذكورة والانوثة على مسرح الوجود وهنا تجلى العمل الإلهي والابداع والجمال فكان العشق والنقش والتصوير والشعر والموسيقى وتقر يد الطير وعلوم القضاء في سائر الأمم بين النساء والرجال وأحكام العقد والطلاق والنققات وقصائد الشعر وروايات الحب والغرام وكثير وعزة وقيس ولبنى وتوبة ولبلبي . ثم كان هناك الزهاد والرهبان والمجاهدة لكبح جراح هذه الشهوة حفظت فذكت العقول وحفظت العلوم وظهر العباد وهنالك علوم أيضا وعلوم فهذه الشهوة بارسالها كانت علوم في الفقه والحب ونحوهما وبحبسها كانت علوم التصوف والعبادة وهكذا

لا يكاد الانسان يشعر بقوة الشباب حتى يشعر كل من الصنفين الذكور والاناث بالحاجة للآخر فاذا يحصل تنهيج النفوس وتشرق الوجوه وتخطاط الملابس وتنفق تجارتها وتعمر الأسواق ويكثر الشارون والبائعون وتنصب الزينات ويعتني الذكران والنساء بأجسامهما وينسقون ملابسهما ويفقهون دروسهما وينظمون الأشعار ويؤلفون الروايات ويتصفون بالفضائل وتقام المراسح وما أصل هذا كله إلا أمر واحد هو التورية أصل هذا الحب وهذا الغرام وهذا الجمال وهذا النقش وهذا التصوير وهذا الغناء وهذه الموسيقى وهذا الشعر . كل ذلك لأصل واحد هو التناسل

فاجب لتناسل جاء بغير أب ولا حب في (الحمار) قد أصبح في نحو الانسان مبدأ لكل زينة وجمال وشعر وتصوير . له ألفت كتب الفقه في النققات ونصبت المحاكم وبنيت السجون للذنين من الرجال الذين لا ينفقون

وقام القضاء في الديانات من مسيحيين ووثنيين ويهود ومسلمين وقد ألفوا كتباً لذلك

عجب لهذا الانسان ولهذا الوجود . نرى له نفساً داخلاً وخارجاً لاصلاح الدم ثم هو نفسه يكون في أثناء ذلك مبدأ الكلام . النفس انما جعل لاصلاح الدم ولكن الحكمة عظيمة جداً فقد جعلت له حكمة أخرى وهي الكلام وفهم العلوم هكذا هنا التناسل أمره سهل لا يحتاج لذكور ولكن بخلق الذكور والاناث ظهرت علوم وصناعات وقضاة وحب وغرام وشرائع وديانات . جلّ الله وجلّ العلم . أصل تفرّعت منه فروع شتى كما تفرّعت المادة الى كواكب وشموس وأقمار وهي عناصر محدودة معلومة

(٧) بعد ذلك تعالى الانسان وتعالى وأخذ يبحث في العالم العلوى ونظر في أمر الملائكة وأخذ يتخيل الملائكة والأرباب وأنزلهم جميعاً الى حظيرة الانسانية ؟ فإذا قال . قال انهم جميعاً يأكلون ويشربون ويتزوجون ويعشقون ويحاربون ويهلكون الأعداء

الانسان يقيس كل شئ على نفسه فلما رأى أنه هو أحب وعشق وحارب قال ان الآلهة تحب وتعشق وتحارب هذا هو السبب في ضرب الأمثال في الروايات الهندية السابقة والبابلية . إن الانسان قديماً لم يعقل الا له إلا كما يعقل نفسه . إن العشق الذي بين الذكور والاناث الذي خلق لأجل التناسل قد جعل وسيلة لاتساع دائرة الوجدان والعقل ولارتقاء الانسان عن هذا المستوى الحيواني ولذلك قال العلماء ﴿ الحب ثلاث درجات دنيا وهو الحب المعتاد ووسطى وهو حب العلوم وحب أعلى وهو حب الله تعالى ﴾ إذن الذكورة والانوثة في الحيوان التي ليست ضرورية للتناسل قد جعلت سبباً لارتقاء الانسان درجات بعضها فوق بعض في العلم وفي حب الله (٨) قلنا ان الانسان الأول لم يعقل الله إلا على مقدار عقله وعواطفه حبا وعشقا وحراباً واستعباداً

ولذلك لا تجد أمة من الأمم السالفة إلا والحرب من طباع دينها . الآلهة عندهم محاربون آكلون شاربون متزوجون عاشقون والدون فيقولون الأب والابن ولكن جاء الاسلام فقال . كلا . ثم كلا

أيها الانسانية قفي قفي يا محمد قل لهم - الله أحد - فلا كثرة في الالهية - الله الصمد - فلا جوف له فإذن لادم له وبناء عليه لا يلد كما قال - لم يلد ولم يولد - فلا زوجة ولا حب ولا عشق ولا غرام . إياكم أن تقيسوه عليكم . فأما الحرب فانه لا يحارب - ولم يكن له - أي وليس له - كفوا أحد - فهذه السورة ضاعت الروايات المتقدمة وغيرها وتجلت الرحمة واستعبد الانسان حديثاً الى التعاون تدريجاً . وهناك يظهر انسان جديد لا يجد ذلك الإله العاشق المحارب الذي يلد ويشارك البشر فيلد عيسى كما يلد ملوك اليابان ونحوهم ولا يحارب بل هو رحن رحيم . فإذا لم يكن الإله محارباً فمن الذي يقلده الانسان . إن الناس قديماً أغرموا بالحرب لأن أرباب الديانات القديمة وصفوا أربابهم بالحاربة والقرآن أمر بالحرب حتى تضع أوزارها ومتى وضعت أوزارها يكف المسلم عن الحرب وهناك لا يجد ذلك الإله المحارب بل الإله الرحن الرحيم الموصوف بالقدس والسلام . اختفت تلك الروايات الحربية الغرامية وتستحل محلها روايات التي تحدث عواطف الرحمة وانتشال الضعفاء وارتقاء الشعوب . إن القرآن جاء في مقدمة أمم ستكون أرقى من هذه الأمم يجدون لهم رباً لا يأكل ولا يشرب ولا يتزوج ولا يلد ولا يغالب أحد بل هو الغالب واذن يكف الناس عن الحرب والضرب لأنهم سيكونون أمة واحدة وأسرة واحدة يربى بعضهم بعضاً ويعطف بعضهم على بعض وهذا قوله تعالى - وكلا ضربنا له الأمثال - على السنة الأنبياء فزين للقوم الشيطان أعمالهم فأتوا بأمثال غير أمثال أنبيائهم وأنزلوا الدين على حسب عقولهم فتبرناهم تنبيراً * والدليل على ذلك تلك القرية التي أمطرت مطر السوء وهم يمرّون عليها ولا يعتبرون بها كأنهم لم يروها واذارأوك يا محمد استهزؤا بك لأن ما جئت به لا يلائم ما نلقفوه عن آبائهم فاعتبروا الحق ضلالاً وتمادوا في غوايتهم وجروا عليها . إن هؤلاء لم يعبدوا الا أهواءهم . ان أكثر هؤلاء عطّلوا أسماعهم وأبطلوا عقولهم بل ما هم إلا كالأنعام بل الأنعام خير منهم . انظر الى الظلال كيف نمّتها وكيف نقبضها وكيف

كانت آثارا للشمس المشرقة المنظمة المسير التي جعلناها دليلا على الظل - فأينما أضاءت بنورها تركت آثارا من الظلال تابعة لها مدا وانقباضا وطولا وقصرا بحيث يتبع حساب الظل حساب سير الشمس صباحا ومساء ثم اننا نسلخ النهار من الليل فيكون الظلام وذلك ان أضواء الشمس تكسو الجو ووجه الأرض بنورها فلما مالت الى الغروب سلخنا ذلك وبقى الظلام على حاله فنام الناس وكان الليل لباسهم سائرا لأجسامهم واستراحوا بنومهم فاذا طلع النهار نشرناهم في الأرض لطلب الرزق الخ

هذا ملخص المعنى من قوله تعالى هنا - وكلاضر بنا له الأمثال - الى قوله - وجعل النهار نشورا - ذكرته بمناسبة ضرب أمثال القدماء الذين أنزلوا الديانات على حسب عقولهم وجاء الاسلام مغيرا وجهة نظر الانسانية الى سبيل تؤدى الى المحبة والاخاء واتحاد الأمم والصفاء العام والرحمة التي اتصف بها الخالق وسيأخذها الناس لهم نبراسا قائلة واحدة ورحيم والناس سيتحدون ويتراحون و - الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم - الذى لا يحارب ولا يعشق - مالك يوم الدين - وحده . إذن فن ذا يحاربه ؟ فله العبادة وبه الاستعانة والهداية

ومن الأمثال عند القدماء ما جاء من الحكم فى نصائح (بتاح حتب) من علماء المصريين القدماء فيها « لا يحملنك علمك على التكبر واستقم مع الجاهل والعالم لأن الباب لم يفاق دون الفن ولانال أستاذ ما يدعيه من الكمال لنفسه » ومنها « ما أعظم العدل الثابت الأركان الذى لم يكدر صفوه منذ أمد قديم »

ومن ذلك ما ظهر من الروايات أيام ارتقاء هؤلاء القدماء منهم فى الأسرة الثانية عشرة واتصلهم بالأمم المجاورة لهم مثل لبنان وسوريا والصومال والنوبة وجزيرة كريد . فقد كانت إذ ذاك عندهم هذه القصة (قصة البحرى الغريق) ذلك انه ركب سفينة كبيرة فيها (١٥٠) ملاحا من نخبة المصريين الذين امتازوا بالشجاعة كالأسود فينبأهم جاذون فى الاقتراب من البر إذ اشتدت الرياح وارتفعت الأمواج من كل جانب ففرقت السفينة وهلك من فيها أما هو فألقته موجة على جزيرة فوجد فيها ما يقتات به وسمع صوتا كصوت الرعد اذا هوى عيان مبين يقترب منه طوله (٣٠) ذراعا وطول لحيته ذراعا وجسمه كالذهب وبعد محادثة قص عليه البحرى قصته فأكرمه الثعبان وبقى معه مدة مكرما ثم حضرت سفينة حمله الى بلاده ثم إن الجزيرة بعد أن غادرها رجعت لجة بحر . وأعجب من أن هذه القصة أشبه بقصة (السندباد البحرى) التى نلخصتها لك فى أول (سورة يوسف) وكذلك تشبه قصة (حجى بن يقظان) التى ذكرتها فى (سورة البقرة) عند قوله تعالى - واذا قال ابراهيم رب أرنى كيف تنهى الموتى - وما قبلها من الآيات . وتشبه أيضا رواية (رو بنسون كروزو) الانجليزية التى نسجت على منوال رواية (حجى بن يقظان) وتشبه ما جاء فى كتاب (ألف ليلة وليلة) من أن ابن ملك مصرى قد أدخر له أبوه حلة فيها صورة فتاة جميلة وجعلها فى خزانة وأقفلها ولم يأذن بأن ابنه يراها لصفر سنه واسكن هذا الابن اطلع عليها بواسطة الخازن سرا فوجد صورة الفتاة مرسومة فى حلة من الحرير الأخضر جميلة جالا فائقا وانها صورة بنت ملك الجان فأخذ يسعى وسافر مع جند من جند أبيه وساروا فى السفن فى البحار وهلكوا إلا هو ودخل جزائر كثيرة وقاسى أنواع العذاب ثم وجد ابنة ملك الجان ونال مراده ورجع بها الى أبيه سالما غانما بعد ما قارب الموت

فهذه الروايات والقصص يتبع بعضها بعضا وقد ألقاها الله على قلوب الأمم . فانظر كيف اتصلت القصص من أيام قدماء المصريين وتشابهت الأمثال عند قدماء المصريين وعند الأمم الاسلامية والانجليزية . إذن الله مع كل الأمم ومع كل أحد - ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم - فهو لم يدع أمة إلا ألهما ووعظها على السنة أنبيائها وعلمائها ولم يهلك أمة إلا بعد ما أبان لها سبيل الرشاد

ومن الأمثال المضروبة للأمم ما جاء عن الملك (جورابى) عامسة (٢١٠٠) ق م فى مدينة (بابل) الذى

هزم أهل (عيلام) سنة (٢١٠٠) ق م في تلك المملكة وملك البلاد وقد عثر المؤرخون في زماننا على خمس وخسين رسالة من رسائل عمله وأهم ما عثروا عليه القوانين التي سنّها في زمانه وقد جمعها من قوانين أسلافه وسطرها على لوح من الحجر ورسم صورته فوقها وكأنه يتسامها من الشمس التي كانوا يتقربون إليها وقد وجد هذا اللوح في معبد قديم . واعلم أن الكشف الحديث كاه مصداق لهذه الآية فآله ضرب الأمثال لكل أمة من الأمم - وما كنا عن الخلق غافلين - ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هورا بهم ولا خسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم - ألا ترى أنه علم أن الفأرمضطهد من الناس فلقونه بالسواد ليشابه سواد الليل حتى لا يقع فريسة لأعدائه من الآدميين وغيرهم . وهو الذي لما أعطى الزناير لونا براقا أعطاهم سلاحا تدافع به عن نفسها ما يفتاجها من الطيور فلذلك صارت آمنة . وهو الذي أعطى السمك الذي في قاع البحار هيئة جيلة عبقرية بهجة أشبه بما في قاع البحار من الحشائش والأشجار البهجة والأزهار البهية ليختفي عن قاصديه بالأذى . أنظر هذه المجائب في أول (سورة المؤمنون) عند آية - وما كنا عن الخلق غافلين - هذه هي العناية الإلهية بالحيوانات فهكذا عنايته بالإنسان فهو سبحانه عدل وعدله شامل لم يترك أمة بدون مرشدين - وإن من أمة إلا خلا فيها نذير - وهذا معنى اسمه الهادي ومعنى - إن ربي على صراط مستقيم - وبهذا تفهم آية - ألا بذكر الله تطمئن القلوب - فإن الإنسان ربما يخطر له أن الهداية خاصة بأمة فيقول في نفسه إن تلك الأمم لا هداية عندها فيظن سوء المعاملة فبذكر الله ومعرفة نظامه تطمئن النفس وتعلم أن العدل جار مجراه في كل أمة من الأمم وكل جيل من الأجيال وحيوان ونبات - فتبارك الله أحسن الخالقين -

(اللطيفة الرابعة عشرة في قوله تعالى - أفرايت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا -)
لعلك عرفت أن الواحد من أهل الجاهلية كان يعبد الحجر فإذا مرّ بحجر أحسن منه ترك الأول وعبد الثاني . ولعلك فهمت ما ذكرناه عن الحسن أن الآية واردة في كل متبع هواه . وقال ابن عباس في معنى الآية « أرايت من ترك عبادة الله خالقه ثم هوى حجرا فعبده ما حاله عندي » ويقال أيضا « الهوى إله معبود » أفلا ترى أن أكثر الناس يعبدون هواهم . أفلا ترى أن الناس مغمورون في هذا العالم الموزون المنظم الذي صنع بحكمة وهم في أنفسهم إلى الآن لم يصلوا إلى تلك الحكمة في أنفسهم بل هم للهوى عابدون أما صنع العالم من حكمة فانههم يرون الأشجار والأوراق والأزهار والكواكب والنجوم والأقمار وأجسام الإنسان والحيوان كلها مركبات بحكمة . أفلا يرون هذا كله ثم دم عن أنفسهم غافلون . نعم نظم الإنسان ما حوله وما أحاط به اتبع في أكثره العقل والحكمة وهم عن أنفسهم في غفلة جاهلون . انظر كيف وزن سير الشمس وحسبه بعلم الفلك والجداول الحسابية واتخذ له من المعادن ما يمثل له سيرها وبعض الناس صنع ساعة تبين سير الكواكب جميعها والساعات والدقائق والثواني والسنين . كل ذلك حسن . وقد كال الناس الأنجام ووزنوا الأثقال وقاسوا الأطوال وضبطوا حساب ذلك كله بل انهم فوق ذلك قاسوا علو ماء الأنهار ونقصها وحسبوا الضغط الجوي والرياح وسرعتها والأمطار ومقدارها على وجه الأرض ومقدار ما بها بالوزن طول السنة أو الأشهر وقيروا سرعة القطرات الجارية على وجه الأرض وعرفوا مقدار الحرارة في القطرات والكهرباء والنور والماء ووزنوا ذلك كله بما لا يفلت منه تغير ولا قطمير ولا كثير ولا قليل فالوزن عم كل شيء عند الناس مما قلّ وجلّ وعظم وصغر فلم يدر الحرارة والنور للطفهما ولا الفحم والحجر لثقلهما ولا الشمس والقمر لعظمتهما بل تراهم ضبطوا أبعاد كل كوكب عرفوه وحجمه ووزنه والعناصر التي تركب منها بما رأوا بالآظير المعظمة من ضروب أنوارها وفنون أشعتها التي تماثل الأشعة الناشئة من المعادن التي على الأرض والعناصر المعروفة بهذه الأشعة الواردة إلى الأرض مع ضوء الشمس والكواكب أمكنهم معرفة العناصر وردوا كل شعاع إلى عنصره وبذلك عرفوا أن عناصر الأرض من عناصر الشمس بل انهم أدركوا أن عنصرا في الأرض كشفوه في

عناصر الشمس قبل أن يكشفوه في الأرض ثم وجدوه . كل ذلك عرفه الانسان وعلمه وضبطه ولكنه مع هذا كله جهول في أمر نفسه فهو مضيع لقواها وملكات مطير لذلك في الآفاق ظانا انه لا وزن لأقواله ولا آرائه ولا خطراته ولا لوثباته ولا لنظراته كلا ومن فلق الحب والنوى لا - يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين - . فإذا كنت أيها الانسان قدوزنت الضوء وحسبته ووزنت الحرارة الجوفية وحرارة جسمك بدرجات فعرفت الصحة والمرض بها وعرفت كل طائر يطير وحيوان يسير وكوكب يحمر ورسمت ذلك في جداولك ؟ فهل تظن أن نفسك التي هي أرق وأعلى من كل مأتري وما تسمع مهملة الحساب ليس لها كتاب . وإذا كنت ترى أن لكل شيء ميزانا فلنفسك ميزان في داخل جسمك كما للكهرباء وللضوء وللحرارة وللنساء ميزان يزنها وأنت لاتشعر وهذا الميزان بين جوانحك تظهر لك ثمراته ولا تعرف إلا علاماته . فكل كلمة تقولها ونظرة تنظرها وفكرة لك خاطرة ترفع نفسك أو تخفضها والتجارب تعلمك والنهذيب يريك . ألم تر أنك إذا أمسكت عن الكلام فيما لا يعينك أيما وغادرت مانتعاده من ذلك أمدا طويلا وجدت النفوس اليك مائلة والعقول نحوك متجهة لأن ميزان عقلك ارتقى درجات فأحست نفوسهم بما لديك وشعرت بما ارتقيت وما ذلك إلا أنك أعرضت عن كل مالا فائدة منه ولم تطع هواك وترك القول الذي فيه الافتخار والحديث عن نفسك خففت في النفس آثارها وأبقيت فيها أنوارها فجذبت النفوس اليها وألزمتها العطف عليها فحت اليها وهي ساكنة وعطفت عليها وهي ساكنة وأصبحت نفسك أشبه ببرج الحمام حفظت فيه آراء كادت تطير فجذبت سواها من أمثالها وهي تسير كما قدمناء في هذا التفسير . ولا يعلمك صدق هذا القول إلا التجارب فاحفظ لنفسك آراءها واكتم فيها أخبارها بضعة أيام ولا تتظاهر بما لديك من المفاخر تجذب النفوس حنت اليك والقلوب عطفت عليك . فأما إذا مزقت حجابها وهتك ستارها وأزحت خمارها فإن كل امرئ يقول ما لها فتصبح العوبة في يد الجاهل

هذا مثل ضربته لك في اتباع الهوى وعبادته وكيف يصبح الناس عبيده إذا أطاعوه . وإذا كانوا عبيدا للهوى فأنهم اليه بذلون . فأما من ملك هواه فقد علمت ماذا من العزجناء . أفلمست ترى أن هذا يفهمنا قوله تعالى في أول السورة - وخلق كل شيء فقدره تقديرا - وقوله - وكل شيء عنده بمقدار - وقوله - وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم -

أفلمست ترى أن الذي أطلق العنان للسانه أو لبصره أو لجنانه فنكلم بلا استبصار ونظر لغير اختبار وتفكر فيما ليس له اعتبار قد عبد هواه وأتى فرق في العبادة بين هذا وبين من صنع التمثال فاتخذ معبودا فالأول سلم حواسه وعقله لهواه والثاني أبرز من هواه صورة وسلم لها قياده في العبادة فسمينا الأول فاسقا وسمينا الثاني كافرا وهما في شرعة الجهل سيان صوان لا يفرقان غاية الأمر أن الأول ضل في الفروع والثاني ضل في الأصول ولكن الضلال عموما والجهل لزمهما . كل ذلك لأن أعمال النفس اليوم موزونة كما وزنت الأمور المحيطة بها وتناجى الزنة ترسم على جبينها وتظهر في أحوالها وأخلاقها وآدابها ومعاشرتها - ومن لم يجعل الله له نورا فإنه من نور -

(الانسان اليوم أكثر في جهالة كما قال تعالى - إن الانسان لظالم كفار -)

إذا أردت أن تعرف ما عليه الانسان اليوم في السكرة الأرضية وتفهم حقيقة الناس في الأمم الشرقية والغربية فاقرا كتابي (ابن الانسان) الذي ألفت وأرسلته الى مؤتمر الأجناس في انكلترا وجعل في جلة المقررات الرسمية وهذا الكتاب قدم لها في سنة ١٩١١ قبل الحرب العاقمة بنحو (٣) سنين وأبنت فيه أن الدول كلها يغالب بعضها بعضا وقد ضاعت قواها العقلية كما أضاعت الأنهار ماءها في البحر الملح لا يابى ماؤها على المزارع والرياض والبساتين إلا قليلا وأكثرها ينصب في البحر بلا فائدة هكذا عقول الناس تذهب هباء

منشورا في الهباء مع الهواء وجهل الناس انهم أعضاء جسم واحد وانهم لو اتحدوا لاستخرجوا ما في الطبيعة من علم وما في الأرض من حكمة وما في البحار من عجائب ولكنهم خائبون خائفون لبعضهم فهم يدبرون المكاييد لبعضهم فتضيع القوى والملكات فيما لا فائدة فيه وهم بذلك ضائعون تائهون صم بككم عمى فهم لا يفهمون انما مثل اقوى الانسانية والعقول البشرية اليوم كمثل البخار وكمثل الكهرباء . كان الناس قديما يرونهما ولا يلتفتون اليهما فعقلوا اليوم فاندتهما وانتفعوا بهما . فأما العقل الانساني اليوم فانه مهجور متروك منبوذ مجهول يضيعه الناس في الخيل السياسية والأخلاق الأسدية والحروب الدولية ولوانهم اجتمعوا فاجاروا به الطبيعة وكانت تلك الخيل لاستخراج كنوز الأرض لأصبح الناس في نعمة وهم سعداء . ذلك هو تفسير قوله تعالى - أفرايت من اتخذ إلهه هواه - وأمثالها من الآيات . فهذه هي عبادة الهوى وكيف يكون الهوى إلهام معبودا ويظهر أن أهل الأرض مخلوقون ليرتقوا في العالم الذي بعده لأن أهواءهم اليوم غالبة والعقول سيكون لها السلطان شيئا فشيئا كما نرى الشيوخ أقرب الى التعقل من الشبان لغلبة الهوى على الآخرين . انتهى

(اللطيفة الخامسة عشرة في قوله تعالى - إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا -)
هذه اللطيفة مفهومة من سوابقها . انتهى الكلام على المقصد الأول من (سورة الفرقان)

(المقصد الثاني)

أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظَّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا * ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا * وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا * وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا * لِنُخْرِجَ بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنْآسِي كَثِيرًا * وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كَذُورًا * وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا * فَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا * وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا * وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشْرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا * وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا * وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا * وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا * الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا * وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنْسَجِدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا * تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ

بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَرَأَ مُنِيرًا * وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا

التفسير اللفظي

قال تعالى (ألم ترالى ربك) ألم تنظرا الى صنعه (كيف مد الظل) بسطه نعم الأرض من حين طلوع الفجر الى وقت طلوع الشمس فلا هو ظلمة الليل ولا هو وقت اشراق الشمس (ولو شاء لجعله ساكنا) دائما لا يزول ولا يذهب الشمس (ثم جعلنا الشمس عليه دليلا) فان الأشياء تستبين بأضدادها ولولا الشمس ما عرف الظل (ثم قبضناه اليها) أخذنا ذلك الظل الممدود الى حيث أردنا (قبضا يسيرا) سهلا غير عسير أو قليلا قليلا جزأ جزأ بسبب ضوء الشمس الذى ينسخه (وهو الذى جعل لكم الليل لباسا) جعل الظلام كاللباس فان كلا منهما ساتر لما أحاط به (والنوم سباتا) راحة لأبدانكم وقطعا لأعمالكم وأصل السبب القطع ويطلق على الموت لأنه يشبه قطع الحياة ومنه المسبوت لبيت وقال تعالى - وهو الذى يتوفاكم بالليل - (وجعل النهار نشورا) وهو فى مقابلة الموت المذكور فى أحد المعنيين السابقين فكأنه سبحانه يقول جعلنا سباتكم أى موتكم بالنوم فى الليل وجعلنا نشورك أى انبعاثكم من النوم الذى يشبه الموت بالنهار ففيه ينشر الخلق للعاش كما ينشرون بعد الموت للحساب * قال لقمان لابنه « كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشئ » فالنوم واليقظة نموذج للموت والنشور (وهو الذى أرسل الرياح بشرا بين يدي رحته) البشرجع مخفف بشر بالضم جمع بشور بمعنى مبشر أى مبشرات باقدام المطر * وقرئ - نشرا - أى ناشرات للسحاب جمع نشور وهو إماعلى وزن فعل مخففا واما على وزن سحب جمع سحب (وأنزلا من السماء ماء طهورا) أى بليغا فى طهارته وهو فى اللغة إما اسم لما يتطهر به كالوضوء لما يتوضأ به والوقود لما توقد به النار واما صفة كما ذكرناه هنا واما مصدر بمعنى التطهر تقول تطهرت طهورا حسنا * وقال عليه الصلاة والسلام ﴿ لا صلاة إلا بطهور ﴾ بفتح الطاء أى بطهارة . وأما قول ثعلب « انه ما كان طاهرا فى نفسه مطهرا لغيره » وهو مذهب الشافعى فذلك زيادة بيان للطهارة وليس هذا معنى الطهور لأنه لازم وصيغة المبالغة من اللازم لازمه فطهور لا يفيد التطهر لأن اللازم لا يفيد معنى المتعدى (لنحيى به بلدة ميتا) أى لنحيى بالمطر بلدة أو مكانا لا نبات فيه فنجعله مزدانا بالشجر والنبات والأزهار والأثمار وذلك للأرض أشبه بالحياة للانسان والحيوان (ونسقيه مما خلقنا أنعاما وإناسا كثيرا) أى ونسقى الماء أنعاما وهى البهائم وأناسى مما خلقنا وسقى وأسقى لغتان * قال الشاعر

سقى قومي بنى نجد وأسقى * نبيرا والقبائل من هلال

والاناسى جمع أنسى كالكراسى جمع كرسى أوجع انسان وأصله أناسين كسرحان وسراحين فأبدلت النون ياء وأدغمت الياء فى الياء . يقول الله أنزلنا الماء فأحيينا به الأرض للنبات وخلقنا الأنعام لنا كل النبات وتشرب الماء وخلقناكم لتشربوا الماء وتأكلوا النبات والأنعام وهذا المعنى يفيد ترتيب الذكر فقدم الأرض ثم الأنعام ثم أخرا الانسان لاحتياجه الى ما تقدمه (واقعد صرفناه بينهم) أى صرفنا المطر بين الناس مرة ببلدة ومرة بأخرى وجعله ثلجا أو بردا ومطرا أو مخزونا فى باطن الجبال ينزل شيئا فشيئا ليمد الأنهار على طول السنة وجاريا فى نهر ونازلا فى بحر وبحارا مرتفعا من البحر الملح وغيره وسحابا تصرفه الرياح واذا صار ثلجا كبر حجمه واذا كبر الحجم كان سببا لتكسير الأحجار القائمة فوقه فيكون من ذلك العيون النابتات ويفتح الماء لنفسه طريقا الى الخارج ويكون فى مجارى تحت الأرض اما فى غورها البعيد كالسيل الباطنى الذى يخرج من جبال القمر وراء خط الاستواء ويمر فى مجارى تحت الأرض المصرية جاريا الى البحر الأبيض وهذا النيل

صالح للشرب لصفاء مائه . واما في غورها القريب كالماء المعدني الذي يستخرجه الناس لسقي أرضهم بالنواعير والسواقي والآلات الرافعة فان ذلك الماء مخلوط بمعادن قد اتصف بأوصافها كالكبريت والملح والفضة والنشادر وما أشبه ذلك والناس يسقون منه زرعهم ويستشفون به ونحو ذلك . أما الذي في الغور البعيد فهو بعيد المنال جدا يحتاج الى عمق يصل الى (١٠٠) متر أو (١٥٠) أو نحو ذلك وماؤه يرتفع أكثر من القسم الثاني لأنه ينزل من مكان أعلى وراء خط الاستواء في مكان ينزل منه النيل الظاهر الذي لا يصح شرب مائه إلا بتصفيته وفي بعض الأيام يجبر عليه لقتل ما فيه من المواد الضارة . فهذا كله داخل في قوله تعالى - ولقد صرفناه بينهم - فهو جامد يشبه الحجر وسائل يشبه الزيت وسائر المائعات وجسم بخاري يشبه الهواء وهو غادر رائح في الجو وفي النهر وفي الغدران وفي أجسام الحيوان والنبات والانسان ومنفصل عنها سائر في الجو طائر للسحاب وهكذا دواليك وهو مع ذلك في البحار صقيل يظهر فيه كل كوكب من شمس وقر والناس يتطهرون وبشربون وهم غافلون عن جلاله فيتركون قلوبهم حجرة وهم يتطهرون كل يوم من المياه الحسنة الأشكال البهجة الزينة والمنظر المعطية للأجسام حياة وطهارة . يقول الله ولقد صرفنا المطر بين الناس على أنحاء شتى فلا يمر ساعة ولا ليل ولا نهار إلا كان لنا فيه آثار فنزله على قوم ونحجبه عن آخرين بحيث يتبع أحوال الجو والشمس التي تجري بحسب ما يرى في الحس ويكون هناك صيف وشتاء وربيع وخريف وفي كل ذلك أطوار شتى للمطر والشتاء عند قوم صيف عند آخرين وهكذا الربيع والخريف في نصفي الكرة الشمالي والجنوبي فنحن صرفنا المطر بينهم كما صرفنا الليل والنهار فالشمس جارية من عند قوم ذاهبة لآخرين . هكذا المطر والسحاب - صنع الله الذي أتقن كل شيء - . فعلنا كل ذلك التصريف (ليذكروا) ليتذكروا ويتفكروا (فأبى أكثر الناس إلا كفورا) أو صرفناه بينهم ليعتبروا أو يعرفوا حق النعمة فيشكروا فأبى أكثرهم إلا كفر النعمة وجحودها وقلة الاكترائها (ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا) نبيا ينذر أهلها فتخف عليك أعياء النبوة ولكن بعثناك الى القرى كلها وحثاناك فقل النذارة تستوجب بصرك ما أعددنا لك من الكرامة والدرجة الرفيعة (فلانقطع الكافرين) فيما يدعونك اليه من موافقتهم ومدايحتهم (وجاهدكم به) بالقرآن (جهادا كبيرا) شديدا (وهو الذي مرج البحرين) فلهما متجاورين متلاصقين بحيث لا يمتازان من مرج دابته اذا خلاها (هذا عذب فرات) قاطع للعطش من فرط عذوبته (وهذا ملح أجاج) شديد الملوحة أو مر ملح زعاق لا يصلح لقطع العطش بالشرب منه (وجعل بينهما برزخا) حاجزا من قدرة الله تعالى (وحجرا محجورا) وتنافرا بليغا أو سترامنوعا فلا ينبغي أحدهما على الآخر ولا يفسد الملح العذب (وهو الذي خلق من الماء بشرا) جعله جزأ من مادة البشر ليجتمع ويسلس ويقبل الأشكال والهيئات بسهولة أو من النطفة (جعلنا نسبنا وصهرا) أي جعله ذا نسب وصهر والنسب ما لا يحل نكاحه والصهر ما يحل نكاحه وقد حرم بالنسب سبعا وبالسبب سبعا ويجمعهما قوله تعالى - حرمت عليكم أمهاتكم - الآية فارجع اليها في سورة النساء أو قسمه (قسمين) ذوى نسب وهم الذكور ينسبون اليه وذوات صهر أي اناثا يصاهرهن كقوله تعالى - فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى - (وكان ربك قديرا) إذ خلق من مادة واحدة بشرا عجيب الصنع بديع الخلقة (ويعبدون من دون الله مالا ينفعهم ولا يضرهم) يعني الأصنام وكل ما عبدوه فليست تنفعهم ان عبدوها ولا تضرهم إن تركوها (وكان الكافر على ربه ظهيرا) مظاهرا ومعينا على معصية ربه فهو يعاون الشيطان على معصية الرحمن (وما أرسلناك إلا مبشرا) للمؤمنين (ونذيرا) منذرا للكافرين (قل ما أسألكم عليه) أي على تبليغ الرسالة المأخوذ من قوله - مبشرا ونذيرا - (من أجر إلا من شاء) إلا فعل من شاء (أن يتخذ الى ربه سبيلا) أي أن يتقرب اليه ويطلب الزلفى عنده بالإيمان والطاعات وهذا من أحسن الأساليب التي جاءت في علم البديع كقول الشاعر ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ••••• بين فلول من قراع الكتائب

يصف الشاعر المدوحين بأنهم لاعيب فيهم إلا عيباً واحداً وهو أن سيوفهم مفلولة من مقارعة الأبطال هكذا يقول لأسألكم عليه أجراً إلا شيئاً واحداً وهو أنكم تتقربون إلى الله فهذا هو أجرى وإذا كان هذا هو أجره فهو دليل على غاية الاخلاص والصدق في الدعوى وذلك دليل على أن السعادة القصوى أن يكون العمل محبوباً لذاته لا لغاية أخرى فكأنه جلال . وإذا كان الجلال مطلوباً لذاته فهو خير مطلوب فالنبوة لتكميل الخلق فأجرها لا يكون عرضاً دنيوياً بل سعادة النبوة في نفس النبوة أي في نتائجها . والأنبياء بالنسبة للناس كالآباء بالنسبة للأبناء فالأب لا يطلب من تعليم ابنه إلا الرقي ابنه وسعادته هكذا لا يطلب الملائكة من الناس ولا الأنبياء من الأمم ولا الحكماء ولا العلماء الخاصون إلا هداية الناس ويرون في نفوسهم لذة لا تضارعها لذة ولا يفرحون بمال ولا بعقار . ومن هذا الحديث الشريف ﴿لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم﴾ وهذا كلام إذا سمعته صغار أهل العلم ظنوا أن المقصود ثواب الآخرة وحده وما أدروا أن قائل ذلك يستلذ بإيمان رجل أكثر مما يستلذ بحمر النعم فلا تنتظر يا محمد إلى ما عندهم من مال ليعطوك أجراً ولا تخف من شرهم فلا هم رازقوك ولا هم مؤذوك مادمت قائماً بهدايتهم فنحن نعطيك ما يكفيك ونكفيك شر من يؤذيك ونفعل ذلك مع كل من هو على طريقك سائر وهذا معنى قوله (وتوكل على الحي الذي لا يموت) فأما الأحياء الذين يموتون فانهم إذا ماتوا ضاع من توكلت عليه منهم (وسبح) نزهة عن صفات النقصان (بحمده) مثبته عليه بأوصاف الكمال طالبا مزيد الانعام بالشكر على سوابقها ومن صفات النقصان التي ينزه عنها أن يكل إلى غيره من توكل عليه (وكفي به بذنوب عباده خيراً) أي كفي الله خيراً بذنوب عباده فهو خير بأحوالهم كاف في جزاء أعمالهم (الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش) قد تقدم الكلام على هذا فيما سبق موضحاً بحجج من الله بهذا عباده على التوكل عليه إذا قاموا بما وجب عليهم من الدقة في العمل والثبات في القيام على الوجه الأحسن فإذا فعلوا ذلك فليتوكلوا على الله في نتائجهم ويفرحوا بما يحس به القدر لأنه هو الأحسن كما أن خلق السموات والأرض حسن . خلق السموات والأرض في ستة أيام والاستواء على العرش عبارة عن النظام البديع وإدارة شؤون الملك الموضح في سورة ﴿يونس وهود﴾ فن تخلق بأخلاق الله على قدر طاقته البشرية في الأعمال الأرضية من الأفراد والأمم فهو حري أن يتوكل على الله والله كافيه لأنه لا يضيع أجر من أحسن عملاً وأتقن صنعا وقوله (الرحمن) فاعل استوى وقوله (فاسأل به خيراً) أي فاسأل عما ذكر من خلق السموات والأرض في ستة أيام واستواء الرحمن على العرش وعن الرحمن علماً يخبرك بحقيقته لأن خالق السموات والأرض في ستة أيام معناه أمر غير ما يفهمه العامة لأن اليوم يطلق على ألف سنة أو خمسين ألف سنة أو أكثر من ذلك . والاستواء على العرش ليس معناه الجلوس عليه فذلك مستحيل بل هو يفهم مما ذكرناه هناك في سورة ﴿يونس وهود﴾ فليس كل امرئ يعرف ذلك فليبحث الناس في العلم وليجدوا في البحث ولا يبقوا عند ظاهر اللفظ فالضلال في الوقوف فمن كان جاهلاً فليقف عند ظاهر اللفظ ويترك البحث في معناه ومن كان ذكياً فعليه بالبحث والدراسة بسؤال العلماء فإن العلماء إذا قرؤا مثل هذا فهموا غير ما يفهمه العامة . وأيضاً كان القوم لا يعرفون الرحمن فإن هذا الاسم المشتق من الرحمة الذي هو أبلغ من الرحيم لم يكونوا يعتادونه بل يعرفون الرحيم والراحم والرحوم . ولما كانت هذه الأمور الثلاثة تحتاج إلى العلماء بالعلوم المختلفة كعلم الأرتماطيقي حتى يعرف لم يختص عدد السنة بالذكر مع أن العوالم خلقت في آلاف آلاف آلاف الآلاف فلم اختار عدد (٦) وكل علوم جيعها من فلسفية وطبيعية حتى يعلم كيف يكون الاستواء بطريق الاجال وكلم اللغة العربية والاطلاع الواسع فيها حتى يعرف الرحمن . ولما كان الأمران الأولان قد تقدم بحثهما في ﴿يونس وهود﴾ وغيرهما من هذا التفسير . وسنزيد الأول منهما بحثاً وتنقيحاً في لطائف هذا المقصد إن شاء الله . لم يبق إلا الثالث الذي ذكره الله تعالى بقوله (وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن) اخضعوا

له (قالوا وما الرحمن) أى لا نعرف الرحمن فنسجد له بل نعرف الراحم والرحيم وأما الرحمن فليس يطلق عندنا على الله . فهذا سؤال عن المسمى به لأنهم ما كانوا يعرفونه بهذا الاسم أو سؤال عن معناه لأنه لم يكن مستعملا في كلامهم (أنسجد لما تأمرنا) أى أنسجد للذى تأمرنا بالسجود له أولا أمرك بالسجود يا محمد من غير علم منا به (وزادهم) قوله - اسجدوا للرحمن - (نفورا) تباعدا عن الإيمان ولما كان الرحمن مشتقا من الرحمة وهو أبلغ من الرحيم أردف ما تقدم بهجة رحته ونور جلاله وسعة ملكه ليعرف معنى الرحمن فقال (تبارك الذى جعل فى السماء بروج) البروج فى اللغة القصور العالية أو القصور فيها الحرس وهى هنا أما البروج الاثنا عشر وهى الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والنوس والجدى والدلو والحوت . وأما النجوم الكبار التى عدتها المتقدمون نحو ألف وعددها المتأخرون أكثر من مائتى ألف ألف . وإنما سميت البروج المتقدمة بهذا الاسم لأنها للكواكب السيارة كالمنازل لسكانها . واشتقاق البروج من التبرج لظهورها (وجعل فيها سراجا وقرا منيرا) أى شمسا متوقدة وقرا مضيا (وهو الذى جعل الليل والنهار خلقة) يخلف كل منهما الآخر بأن يقوم مقامه عند مضيهِ والخلقة فعلة من خلف كالركبة من ركب وهى الحالة التى يخلف فيها كل واحد منهما الآخر أى جعلهما ذوى خلقة وقوله (لمن أراد أن يذكر) متملق بقوله - جعل - أى لمن أراد أن يتعظ باختلافهما ويتذكر آلاء الله فيهما ويتفكر فى صنععه (أو أراد شكورا) أى شكر نعمة ربه عليه فيهما . انتهى التفسير اللفظى للمقصد الثانى وهنا ﴿ أربع لطائف ﴾

- (١) فى قوله - ألم ترى الى ربك كيف مد الظل -
 - (٢) وفى قوله - وأنزلنا من السماء ماء طهورا - الى قوله - وكان ربك قديرا -
 - (٣) وفى قوله - الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام -
 - (٤) وفى قوله - تبارك الذى جعل فى السماء بروجاً - الخ
- ﴿ اللطيفة الأولى فى قوله تعالى - ألم ترى الى ربك كيف مد الظل - ﴾

تقدم بحث الظلال مطولا مستوفى فى السور المتقدمة قبل سورة الكهف فلتنظرها نظرا آخر فقول انظر أيها الذكى نظرة أوسع مما كتبناه وتأمل فى هذه الدنيا . انك لا تجد فيها إلا نورا على نور كما تقدم فى (سورة النور) إذ جاء فيها - الله نور السموات والأرض - ثم ضرب المثل هناك فأتت اذا تأملت لا تجد فى هذه الدنيا ظلالا وظلاما إلا قليلا جدا . ألا ترى أن الكواكب العظيمة المشرقة التى بلغت مئات الملايين كماها مضية بأنفسها لا ظل لها بل هى مشرقة ليلا ونهارا لا انتهاء لنورها . واذا أردت أن تعرف جميع الشموس فانظر شمسا هل تظلم ليلا أو نهارا . لا ظلام لا ظلام . فاذا كانت شمسا على صغر حجمها بالنسبة للشموس الأخرى لا تظلم فبالك الشموس الكبيرات التى شمسا بالنسبة لها صغيرة فثبت أن الكون نورى نور ولا ظلمة فيه اللهم إلا ظلا قليلا وما هو ؟ هو ظل الأرض التى نسكنها . واعلم أن الأجرام على ﴿ ثلاثة أقسام ﴾ أجرام مضية وأجرام معتمة وأجرام شفافة . فالأجرام المضية هى هذه الشموس فالعالم كله نور كما قلنا والأجرام المظلمة المعتمة هى الأرض التى نحن عليها والقمر الذى يجرى حولها وماشابه هذين الجرمين من كل سيار يجرى حول الشمس وقد أصبح متجمدا كتجمد الأرض سواء أكان فيه سكان كما فى أرضنا أم خلا من السكان كما فى قرنا الذى يقال انه قد خرب بعد أن كان يصلح للسكنى ويقال بطريق القياس ان حول الشموس الأخرى سيارات كأرضنا وأقمارها وكما فى الحكم كما فى سياراتنا فلترجع الى أرضنا وفرنا فانا نجد أن الشمس متى أشرقت على وجه الأرض أضأت وكان هذا نهارا ويكون الجانب الآخر ليلا ولا معنى لليل إلا أن الشمس حجبت عن وجه من الأرض فأصبح مظلما . هذا معنى الليل . ومعنى النهار أن تتجه الأرض الى الشمس بالوجه الآخر فالليل ما هو إلا ظل الأرض والنهار ما هو إلا ضوء الشمس وهكذا للقمر ليل ونهار كذلك ومن ظله يكون كسوف الشمس

لأنه يحجب ضوءها عنا فيقال كسفت الشمس . ولامعنى لحسوف القمر إلا وقوعه في ظل الأرض المخروطى ويكون ذلك في أنصاف الشهور لوقوع الأرض وقت الاستقبال بينهما . فأما الكسوف فانه يكون في أواخر الشهور لوقوع القمر بين الأرض والشمس . اذا فهمت هذا عرفت قوله تعالى - ألم ترالى ربك - أى الى صنعه وعجابه واتقان فعله - كيف مد الظل - وراء الأرض من الناحية الأخرى المخالفة للناحية المقابلة للشمس . ومعلوم أن الدنيا كلها نور في نور لأن هذه الكواكب كلها نور مشرقات . واذا كانت هناك سيارات للشموس الأخرى فهي في جانب الشمس ضئيلة لا تذكر ولا تؤثر ظلالها فالدنيا كلها نور لأن - الله نور السموات والأرض -

يقول الله تعجب أيها العبد من صنع ربك كيف ابتدع أجراما قليلة جدا كالأرض وجعلها معتمة بسبب برودة ظواهرها وبهذه العتمة صار لها ظل من ورائها ولولا ذلك ما كان في هذا العالم ظلال يستريح الناس فيها ولاهم وقت مناسب للنوم فيه . ولو كانت الأرض شفاقة كالهواء وكالزجاج وكالماس وأشباهاها لم يكن لها ظل فانه هو الذى اخترع الأجسام المظلمة رحمة منه ليكون لها ظل فيكون الليل والنهار وفي النهار تختلف الظلال اختلافا كثيرا بسير الشمس فانه لما خلق الشمس مثلا جعل الهواء وجعل الجسم الأثيرى الذى فوق الهواء شفافين وجعل الأرض معتمة فالشفاف واسطة لوصول الضوء والمعتم يمنع فيكون ظلام الليل والظلال الأخرى النهارية . ثم ان الأرض لو كانت ساكنة وكان وجهها المحاذى للشمس ثابتا لا يتحرك لم يكن ليل ونهار ولم تكن هناك رحمة بالناس والحيوان تامة لذلك أعقبه بقوله - ثم جعلنا الشمس عليه دليلا - فان ضوء الشمس بحسب الظاهر يتنقل فيكون نور الشمس ناسخا لظلمة الأرض بحيث يكفر الله كل واحد على الآخر . فقوله - ثم جعلنا الشمس عليه دليلا - حكمة أخرى غير حكمة الظل فالظل نعمة وتغيره نعمة أخرى والمراد بالظل على هذا المعنى ما يعم الظلام الدامس وقوله - ثم قبضناه اليها قبضا يسيرا - متم لما قبله لأنه بنسخ الشمس الظل يكون التدرج فيه وهو معنى - قبضناه اليها قبضا يسيرا - انتهت اللطيفة الأولى

﴿ اللطيفة الثانية في قوله تعالى - وأنزلنا من السماء ماء طهورا - ﴾

اعلم أن هذه الآية وتركيبها من أعجب العجب فان لفظ - طهورا - هنا كقوله تعالى في (سورة الحجر) - وأرسلنا الرياح لواقح - كلاهما وضع رمزا لعالم واسع ولكن أكثر الناس عنها معرضون ﴿وبيانه﴾ أن قوله - وأرسلنا الرياح - إنما نزلت في مقام الامتثال بارسال الرياح وانزال الماء من السماء لتحييه الأرض بعد موتها . فقوله - لواقح - جاءت كمفتاح لعلم لقاح النبات . واذا كنت اطلعت على ما كتبناه في كتبنا أو ما جاء في (سورة الحجر) في التفسير هناك . أقول اذا اطلعت عليه هناك رأيت عجبا عجبا في بدائع صنع الله تعالى من اللقاح ولولا هذه الكلمة لم يكن لذكر ذلك في التفسير معنى وعلم اللقاح أهم ما في علم النبات لأن عدد الأوراق في الزهور التى فيها أعضاء الذكور وأعضاء الاناث عليها مدار تقسيم هذا العلم . هكذا هنا فان الله امتن على العباد بانزال الماء من السماء وذكر هذه اللفظة وهى - طهورا - مع أن المقام مقام النعمة بسقى الأرض به وإخراج النبات وسقى الحيوان والانسان . فأما الطهارة فليس المقام لها فإذن يقال إن الماء أنزله الله لحياة الأرض والنبات والحيوان والانسان ولنظافة الانسان وثوبه ومكانه . فالله لحياتنا ولنظافتنا . هذا ملخص ما يفهم من الآية . فانه عز وجل له علينا المنة إذ جعل الماء حياة لنا ولزرعنا وحيواننا وطهارة لنا ولا جرم أن طهارة الظاهر تتبع طهارة الباطن فلا خير في ظاهر لا يتبعه الباطن . إن الله عز وجل جعل الماء شفافا تسطع فيه الكواكب والشمس والقمر فلورأيته في الليالى المظلمة لألفت الكواكب فيه مرسومة فالله يحينا وينظفنا واذا نظرنا اليه وجدنا جوهره يسع العالم الذى تقابله فهو مرآة للعالم المقابلة له . الماء يكون بخارا ويكون سحبا ويكون ضبابا وتلجا وبردا كما تقدم . يقول الله - ولقد صرفناه بينهم ليدذكروا فأبى أكثر الناس

إلا كفورا - ؟ بيم كفور الناس ؟ كفروا النعمة لأن الماء لو انهم فهموه وفقهوه لكان فيه للناس غنية ولكن كافيهم ولكنهم كفروا النعمة . نظروا الى الماء من حيث انه حياتهم وان كانوا متدينين نظروا اليه من حيث انه به نفاقة أجسامهم ولكن أكثر الناس كفرون بحقايقه فانحطت نفوسهم الى الدرك الأسفل . أفلم ير الناس الى اشراق الكواكب فيه وانها مرسومة . أليس هذا نبراسا لهم عسى أن يتذكروا أن أنفس الناس يجب أن تكون مشرقة . ترسم فيها العلوم كما ارتسمت الكواكب في الماء . الروح أطف من الماء والماء وسع الكواكب ؟ فلماذا لا يفهم الناس من هذا أن تشرق نفوسهم بالعلوم والحكمة والأخلاق وبالفقه كما أشرق هذا الماء بالكواكب وظهرت فيه ورسمت في خلاله . هذا كتاب كتبه الله بيده في الطبيعة وقال - ولقد صرفناه بينهم - وقال في القرآن - ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل - ولكنه شدد هنا فقال - فأني أكثر الناس إلا كفورا - . هنا يقول الله - صرفناه - وفي القرآن يقال الله - صرفنا - وفي الماء يقول - فأني أكثر الناس إلا كفورا - فكأن الماء كتاب وكأن الذي لا يفهمه ولا يعمل بما فيه كفور - . فهذا الماء صاف شفاف كما قدمنا بحسب طبعه وهو يسع الكواكب المتألفة له كما قدمنا . هكذا فلتكن قلوب الناس خالية من المعاصي والمطامع فتشرق عليها العلوم . ومن أظلمت نفسه بالظلم والذنوب لم يشرق فيها العلم كما لا تظهر صور النجوم في الماء الكدر . وأيضا ان النظر في أمر الماء يدل على بقاء الأرواح فاذا كان الصفاء والكدر في الماء يختلفان من حيث قبول انطباع الصور وعدم قبولها كما يحصل في أرواحنا هكذا يكون تصريف الماء حرارة وبرودة إذ يكون سائلا وبخارا وتلجا فاذا كان داخلا في أجسام الناس والحيوان والنبات فانه يكون سببا في الحياة كما ان الأرواح في الأجسام كذلك واذا خرج من الأجسام بالبخار صار بخارا كما تخرج الأرواح بالموت الى عالم آخر وكما أن البخار يرجع فيصير سحابة فينزل مطرا على اليابسة فيدخل الأجسام ثانيا هكذا أرواحنا خروجها من أجسامنا لا يمنع بقاءها ورجوعها ثانيا الى عالم الحياة . فاذا كان خروج الماء من أجسامنا بصفة بخار لم يدل على أن الماء فني بل انما هو صار بخارا والبخار لم يفن بل هو موجود فعلا ويرجع ماء وهكذا فالله تعالى بهذا التصريف يفهمنا أن الماء لم يفن بل الماء من آدم الى اليوم والى أن تنفى الدنيا هو هو لم يتغير فالله الآن هو الماء الى يوم تنفى الأرض هو الماء الذي كان منذ مئات الألوف من السنين وهو المطر وهو البخار وهو الأنهر وهو الذي يرجع الى البحر المالح وهو الذي يكون بخارا وفناؤه سيكون يوم تنفى الأرض فليس تحت الشمس من جديد فالله الذي شر به أجدادنا هو الماء الذي نشربه أو نظيره . ولكن ذلك لم يفن فلما أن يكون هذا منه واما أن يكون ذلك قد يرجع الى البحر وهو فيه الى الآن وسيرجع بخارا يوما ما . هذا ملخص المعنى . فاذا كانت هذه حال الماء الذي هو مركب من أكسوجين وأدروجين فما بالك بأرواحنا التي لا تركيب فيها . إن الحكماء قرروا أن الجسم كلما كان أكثر تركيبا كان أسرع انحلالا وكلما قل تركيبه عسر انحلاله وطال أمد وجوده . ألا ترى الأشجار فانها أسرع انحلالا من الأحجار لأن الأحجار أقل تركيبا من الأشجار فالله أولى لأنه أقل تركيبا إذ هو مركب من الأكسوجين والأدروجين ولا انحلال لهما إلا في أيام خراب الأرض وتبديلها أو بتحليله في المعامل الكيميائية وهذا لأن الماء قليل التركيب بخلاف النبات والحيوان والإنسان فالروح التي لا تركيب فيها لا فناء لها . فاذن يكون في تصريف الماء عبرة لنا وهي بقاء أرواحنا بعد الموت والصفاء في نفوسنا المرموز له بصفاء الماء وهذا من أهم أغراض الرسالة فالرسالة انما جعلها الله لتهديب الأرواح وتذكيرها بميعادها ورجوعها الى عالم الأجسام مرة أخرى وهو يوم القيامة ولذلك ذكر بعد ذلك قوله تعالى - ولوشأنا لبعثنا في كل قرية نذيرا - وذلك لتذكير الناس بما يصرف الله في القرآن وبما يصرف في الماء وفي غيرهما لتصفو نفوسهم ويعلمو كنههم في الحكمة والعلم . هذه هي المناسبة الداعية لذكر الرسالة مع الماء وأيضا الرسالة والعلم حياة للنفوس والماء حياة للأجسام

زيادة كشف وإيضاح

(اتقان الصنعة من موجبات دوامها إما بأن تبقى هي أو بأن يتجدد أمثالها)

اعلم أن اقتران ذكر الماء والتصرف فيه بقوله تعالى - ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا - داع للبحث والتفكير والموازنة بين القرآن وبين الماء وكذلك الانسان . فها هو ذا بعد أن ذكر ذلك بين كيف يتصرف في الماء بقوله - مرج البحرين - الخ وكيف يتصرف في الانسان فقال - وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا - الخ . فهنا قرآن وماء وانسان تصرف فيها كلها . ولقد رأيت كيف تصرف في الماء فيها كتبناه هنا . وأزيد عليه بأن أشير الى ما تقدم في (سورة الأنعام) من التصرف فيه بالاشراق والنور . ذلك ان هذا الماء المذكور في هذه الآية يكون مشرقا مضيئا جيلا سواء أ كان في الأفطار الاستوائية أم في القطبية . ألا تعجب معي كيف ذوب الله فيه مادة الفوسفور كما تقدم في الأنعام . ذوبها من الحيوانات التي تموت في البحر من حيواناته . فلما أذاب الفوسفور اتقد نورا وظهر على هيئة شهب وذوات أذنان وقوس قزح وظهر وبهر وجل وكانت له أشكال باهرة مختلطة مزدوجة يراها المسافرون في البحر . ألا تعجب معي كيف كان ذلك أيضا في القطبين ؟ ماذا فعل الله هناك . الجو هناك بارد والبرد جعل الماء ثلجا . فانظر ماذا ترى . ترى الثلج اذا أشرق عليه نور الشمس أروء الصباح هناك يلعب ويكون من لمعانه أنوار وبهجة لا تنقل في قلبها عما في بحر خط الاستواء . هذه هي الصنعة المتقنة . تفنن وتفنن واتقان واتقان وأنوار وأنوار . لم يحجب ذلك حرًا مفرط ولا برد شديد . ففي كليهما لم يعدم وسيلة يهربها العقول ويحسن بها الأشكال في الماء فضلا عما تقدم من أنواع الصور والأحوال . هذا هو الماء وهذه تصرفاته المذكورة في الآية فانظر في أمر القرآن ثم قد اشتمل على حكم ومواعظ وأخبار وأحكام وأمثال ووعد ووعيد وأنواع من البديع وتفنن في القول وحسن التعبير فدام على مدى الزمان دام هذا الوجود لحسن اتقانه . ودام هذا القرآن لحسن اتقانه فهذه الدنيا وهذا الوجود كان دوامهما لحسن الاتقان في الصنعة كما ترى في الماء وهكذا القرآن واعلم أن الكتب يكون دوامها على حسب حسن التفنن والاتقان فيها فعلى مقدار تفننها واتقانها تدوم كما دام الماء ونظام الوجود لحسن التفنن وعلى تفنن واصف فيه بحسنه * يفنى الزمان وفيه مالم يوصف

بقي علينا أن ننظر في أمر الانسان فنرى نظامه فيه ذلك التفنن كما رأيت في نظام الماء . الماء يكون ممزوجا بالنبات مختلطا بجسم الحيوان يدور في دورة كل منهما وهو بخار وماء وثلج الى آخر ما تقدم وهو شئ واحد هكذا هذا الانسان ترى له روحا واحدة ومن عجب انها هكذا

مخيلة	في مقدم الدماغ	متكلمة	باللسان أيضا
مفكرة	في أوسطه	ماضغة	بالأسنان
ذاكرة	في مؤخره	هاضمة	بالمعدة
حافظة	في مؤخره	محجرة الدم	بالشريين
كاتبه	باليد	مصفيه الدم	بالرئة
ناظرة	بالعين	موزعة الدم	بالقلب
سامعة	بالأذن	طابخة الدم	بالكبد ونحوه
باطشة	باليد أيضا	حافظة القلب وما حوله	بالضلوع
ماشية	بالرجل	حافظة الماء	بالكلية
ذاتقة	باللسان	مخرجة الفضلات	بالسبيلين وهكذا

فالفنس واحدة وهي الفاعلة الأفعال المختلفة ففي كل عضو بحسبه فهي تنزل على حسب الآلات فهي في الدماغ عقل وفكر وخيال وذكر وحفظ وهي في الحواس سمع ونظر الخ وفي الدائرة الغذائية هاضمة وفي الدوائر التنفسية مصفية ومدخلة الأكسوجين ومخرجة الأديروجين فمن هذا عرفنا حسن النظام في الماء وفي الإنسان وفي القرآن . هذا قوله تعالى - ولقد صرّفناه بينهم ليدكروا - وقوله - مرج البحرين - وقوله - وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا - الخ

إن دوام الأشياء على مقتضى حسن اتقانها . فأمثال الهرم بالبلاد المصرية بقاؤه لحسن الصنعة وكذا الماء والسكواكب وأمثال القرآن كذلك . أما مثل الحيوان والنبات فحسن اتقانها كان سببا في تجدد الأشخاص فحسن الاتقان في النظام كان سببا في تجدد هذه الأشخاص وقتا بعد وقت والحمد لله رب العالمين

﴿ اللطيفة الثالثة في قوله تعالى - الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام - الخ ﴾
اعلم اني لما وصلت الى هذه اللطيفة قال لي أحد الفضلاء وقد اطلع على ما سبق ذكره في سور مختلفة كسورة يونس وهود وغيرها وقرأ ما كتبت على قوله - استوى على العرش - وعلى ما ذكرته في قوله تعالى - في ستة أيام - فقال ان ما ذكرته هناك لا غبار عليه ولكن لا يزال في النفس شيء مما قلته في ذكر - ستة أيام - ومعلوم أن السموات والأرض لم يصنعها الله إلا في ملايين الملايين من السنين واذا كانت الأرض لم يتم صنعها إلا في مئات الملايين فما بالك ببقية العوالم كالشمس ونوابعها . واذا كانت الطبقة الصوانية التي هي فوق الكرة النارية التي هي عبارة عن باطن الأرض لم تكون على رأى بعض العلماء إلا في نحو ثلثمائة مليون سنة فما بالك ببقية الطبقات . فإذن مسألة الأيام الستة لا جرم انها مدد عظيمة . هذا هو الذي يؤخذ مما تذكره في هذا التفسير . انما الذي يهمني الآن أن أعرف لم اختار عدد (٦) ولم لم يقل عددا آخر مع انه لو قال أى عدد لصح لأنها أزمان طويلة فلتقدر بأى عدد . فقلت اعلم أن الجواب على هذا لا يعرف إلا بعلم الارتماطيق وهذا العلم هو أصل جميع العلوم الرياضية وهذا الفن قد كتبت مجله في كتابي ﴿ الفلسفة ﴾ التي جمعت فيه سبعة عشر علما هي مجموع العلوم التي كان يقرؤها القدماء في الحكمة والمقام لا يسع التفصيل ولكن أذكر هنا مجالا لتعرف لم اختر عدد (٦) في التوراة والانجيل وهى عرفت ماسأذكره لك استفدت سبب اختيار الستة فاعلم أن العدد كانه مركب من الواحد لأن اضافة واحد الى واحد يكون اثنين والاثنان أول العدد لأن العدد يشعر بالتعدد ولا تعدد في الواحد فالواحد خاص بالبدء الأول الذي منه كل الوجود والاثنان أول العدد والثلاثة أول العدد الفرد وجميع الأعداد لا تخلو من الزوج والفرد إذن هي ﴿ قسمان ﴾ أزواج وأفراد . فاذا أضفت الى واحد ٢ و ٣ و ٤ وهكذا تكونت عندك الأعداد الفردية كلها الى ما لانهاية لها . واذا أضفت الى اثنين ٢ و ٣ و ٤ و ٥ و ٦ و ٧ و ٨ و ٩ و ١٠ و ١١ وهكذا الى ما لا يتناهى لا تخلو من ﴿ أمرين ﴾ إما أن تكون أعدادا أولية أى صماء لا تنقسم لأنها ليست من ضرب عدد في عدد آخر مثل عدد ٥ و ٧ و ١١ و اما مركبة من ضرب أعداد كلها فردية ولا دخل لعدد زوجي فيها ألبتة مثل ٩ و ١٥ و ٢١ و ٢٥ و ٢٧ وهكذا فان هذه كلها مركبة من أعداد فردية . هذه هي الأعداد الفردية من أولية وغير أولية . أما الأعداد الزوجية فانها جميعها يمكن تحصيلها من عدد ٢ وضربه في كل عدد بعده فان ٢ اذا ضربت في ٣ و ٤ و ٥ و ٦ و ٧ و ٨ الخ أحدثت الأعداد الزوجية ٦ و ٨ و ١٠ و ١٢ و ١٤ و ١٦ وهكذا الى ما لا يتناهى . هذه هي الأعداد كلها وهكذا حكمها زوجية وفردية والفردية إما أولية واما غير أولية رغب الأولية لا تكون إلا من الفردية وضربها في بعضها . أما الزوجية فانها كلها مركبة من ضرب (٢) في كل عدد بعدها الى ما لانهاية له

اذا فهمت ذلك فاعلم أن العدد الزوجي والعدد الفردى جميعا ينقسم الى ﴿ ثلاثة أقسام ﴾ إما زائد واما

ناقص واما كامل فالزائد مثل عدد ١٢ وهو عدد يزيد مجموع مضاربيه عنه . فمضاريب ١٢ هي ١ - ٢ - ٣ - ٤ - ٦ - ١٢ والمجموع ١٦ وهي أكثر من (١٢) والعدد الناقص هو ناقصت مجموع مضاربيه عنه وذلك مثل عدد (٨) لأن مضاربيه (١-٢-٤) وهذه عددها (٧) وهي أنقص من (٨) والعدد الكامل هو ما يساوي جميع مضاربيه وذلك مثل العدد (٦) فإن مضاربيه هي ١ و ٢ و ٣ التي مجموعها (٦) وكذلك عدد (٢٨) فهو عدد كامل لأن مجموع مضاربيه هي (١ و ٢ و ٤ و ٧ و ١٤ و ٢٨) هو عدد (٢٨)

وهكذا قد توصل العلماء بقاعدة المتوالية الزوجية وهي المتوالية الهندسية التي أسها (٢) وحدها الأول ٢ مع تكرار حدها الثاني وهو (٤) أن يستخرجوا الأعداد الكاملة التي هي قليلة العدد بحيث تكون في الأحاد العشرة عددا واحدا وفي العشرات كلها عددا واحدا وفي المئات كلها عددا واحدا وفي عشرة الآلاف الأولى عددا واحدا ومن عشرة الآلاف الى مائة الآف لا شيء منه فيها . وهكذا رأى العلماء أن العدد الكامل نادر جدا وهاك جدول

٦
٢٨
٤٩٦
٨١٢٨
١٣٠٨١٦
٢٠٩٦١٢٨
٣٣٥٠٣٣٦
٥٣٦٨٥٤٥٢٨
٨٥٨٩٨٦٩٠٥٦
١٣٧٤٣٨٦٩١٣٢٨
٢١٩٩٠٢٢٢٠٦٩٧٦
٣٥١٨٤٣٦٧٨٩٤٥٢٨
٥٦٢٩٤٩٩٣٦٦٤٤٠٩٦
٩٠٠٧١٩٩١٨٧٦٣٢١٢٨
١٤٤١١٥١٨٧٨٠٧٤٢٠٤٨٦
٢٣٠٥٨٤٣٠٠٨١٣٩٩٥٢١٢٨
٣٦٨٩٣٤٨٨١٤٣١٢٤١٣٥٩٣٦

فترى في هذا الجدول انه من (١) الى (١٠) لا يوجد إلا عدد كامل واحد وكذلك من (١٠) الى (١٠٠) ومن مائة الى (١٠٠٠) ومن (١٠٠٠) الى (١٠٠٠٠) ومع هذه القلة لا يصح اطراد القاعدة فلا نقول انه من (١٠٠٠٠) الى (١٠٠٠٠٠) تقريبا أو من هذا الى واحد مليون يوجد عدد كامل لما ظهر من هذا الجدول انه من (١٠٠٠٠) الى (٨٠٠٠٠٠٠٠٠) ونحوها لا يوجد إلا عدد كامل واحد ولذلك قال أحد علماء الرياضة كما قال أستاذنا المرحوم علي باشا مبارك وهو صادق في المقال ﴿ إن في ندرة الأعداد الكاملة لعماء لندرة وجود الكمال ﴾ انتهى المقصود من العدد الكامل في علم الارتمطيق

أفلاترى أيها الذكي أن عدد (٦) في القرآن وفي التوراة في خلق السموات والأرض يراد به التنبيه على أول عدد كامل والعدد الكامل كما علمت عزيز الوجود . كيف لا وهاتان إذا لم تر في الأعداد من (١) الى مليونين عددا كاملا إلا خمسة أعداد وليس في الأعداد من (١) الى (٣٣) مليون ونصف

مليون إلا هذا العدد وستة أعداد معه كما رأيت . ولا شك أن سبعة في ٣٣ مليون ونصف مليون تعتبر نادرة جدا جدا . فنبه الله به على انه لما خلقه في ستة أيام راعى أكل الوجود وأتمه بحيث انه اختار من أنواع الوجود ما هو أكمل ولا ريب أن صور الموجودات لانهاية لها فاذا خلقها الله على هذا النمط فهو أحسن وأجل الأنماط والاشارة لذلك بلفظة (٦) التي هي عدد كامل فهو يشير الى الكمال المطلق في الوجود المعبر عنه بقول الحكماء ﴿ ليس في الامكان أبدع مما كان ﴾ فاذا اختار في التعبير أكل الأعداد وأولها في الكمال فلا بد أن يكون اختار في خلقه أكل الأوضاع وأولها وأحسنها في الكمال وهذا هو معنى قوله تعالى - الذي أحسن كل شئ خلقه -

فقال صاحبي حسن ما تقول ولكن خبرني رعاك الله أليس يكتفي فيه بالآيات الواردة في حسن الخلق وجماله

ومالنا ولهذا الرمز . قلت له على رسلك أيها الاستاذ اعلم أن هذا حسن في العدد وحسن العدد مطلوب كحسن المحسوسات ، قال فهل جاء هذا في القرآن . قلت قال الله تعالى - والشفع والوتر - فأقسم الله بالشفع والوتر وهما جميع علم الارتباط الذي هو أساس العلوم الرياضية من حساب وهندسة وجبر وفلك وموسيقى فهي كلها مبنية على علم الارتباط وفي هذا العلم راجع للزوج والفرد وهما المذكوران في الآية . والله أقسم بهما ولا معنى للقسم إلا شرف القسم به والمقسم به هو العدد وشرفه يقتضي البحث عنه من حيث دلالة على الإبداع والابتكار كالكواكب التي أقسم بها والشفق والشمس والقمر والنجوم فهكذا أقسم بالأعداد جميعها فإذا ظن المسلم أن الله لا يعتبر العدد فقد أخطأ من زعم ذلك وعليه يكون اختيار ستة أيام لهذه الحكمة الجبية ولولم يكن فيه سوى الحظ على مزاوله هذا العلم الذي هو أسس العلوم الرياضية لكفى . وإذا رأينا علماءنا رضى الله عنهم ألقوا الكتب الضخمة والأبواب الواسعة في تسكين الميت وغسله والصلاة عليه وفي الحيض والاستحاضة وفي الطلاق وأمثالها ولذلك آيات في القرآن محدودات ؟ أفلا ينبغي أن يؤلف في علم الأعداد الذي أقسم الله به ما يضارع تلك الكتب . عجبا وألف عجب لأمة الاسلام ، أيجوز أيها الأمة العريقة المجد الشريفة المنزع أن ينزل الكتاب علينا فتحفظون البعض وتنسون البعض

أيجوز يا أمة محمد الذي هو خاتم الأنبياء أن تقفوا بالنوع الانساني وقفة تزدى بشرفكم . خبروني في أي آية أقسم الله بالحيض والنفس . خبروني في أي سورة من القرآن أقسم الله بالدين وبالطلاق . خبروني في أي آية أقسم الله بالبيع وبالبهية وبالميراث وأنتم قد قسم بما يطلبه الدين في هذه العلوم وأرضيتكم الله وخلقه فما بالكم تعرضون عما أقسم به الله فقال - والفجر * وليال عشر * والشفع والوتر - وقال - والشمس وضحاها * والقمر اذا تلاها - وقال - والليل اذا يغشى * والنهار اذا تجلى - وهكذا . هذه هي الأشياء العظيمة التي أقسم الله بها ؟ هل أقسم بها لتصدقوه . كلا . والله انما أقسم بها ليحشكم على فهمها وإدراكها والتأليف فيها أكثر من التأليف في الأحكام الشرعية . علم الله أن أمة الاسلام ستكون عالة على الأمم فأنزل في القرآن هذه الأقسام وحرص أهل العلم على استخراجها وإظهارها للأمة ليقرأها اللاحقون كما قرأ الأحكام الشرعية السابقون وسيكون في هذه الأمة من يدرس العلوم كلها كما درست الشريعة سابقا ، سيكون في هذه الأمة من يقرأ - والشفع والوتر - ويقرأ علم العدد الزوجي والفردى ويعرف نظام الله في الأعداد التي هي سر الوجود عجبا وألف عجب يقول (فيثاغورس) الفيلسوف ﴿ إن العدد أول الموجودات ﴾ ويقول الفلاسفة بعده ﴿ إن الحساب في الطبيعة دال على حاسب والحاسب هو الله ﴾ فكأن الفلاسفة عرفوا الله من طريق علم العدد ولذلك جعلوا الواحد دلالة على الله عز وجل

﴿ حكاية ﴾

لما وفد الشعبي على ملك الروم من قبل عبد الملك بن مروان سأله مسائل منها ؟ كيف يتصور الانسان نعيما في الآخرة لا ينقص ؟ وكيف يكون نعيم يؤخذ منه ولا ينقص ؟ فهل لهذا مثال في الدنيا فقال نعم السراج يوقد منه ألف سراج فلا ينقص . فقال ملك الروم أهل الجنة يأكلون ويشربون ولا يبطلون ولا يتفوتون هل لهذا نظير في الدنيا فقال نعم الجنين في بطن أمه لو انه بال أو تغوط لقتلها . قال ، الله واحد ليس قبله شيء فهل هذا معقول ؟ فقال نعم العدد أوله واحد وليس قبل الواحد شيء اهـ

﴿ رؤيا منامية ﴾

اعلم اني أيام أن تخرجت من مدرسة (دارالعلوم) ووظفت مدرسا بالمدارس الأميرية كان اتجاه نفسي لما أنا فيه الآن وكان ذلك غالبا على فأخذت أفكر في هذا الوجود و بيننا أنا نائم ليلة اذا جاعة أشبه بقوم من بلاد الغرب يقرؤون في قصة أبي زيد الهلالي فوقفت بجانبهم فقال أحدهم ؟ هل أنت تعرف هذه القصة فقالت

نعم أعرفها ونظرت اليه نظر الذي لا يهتم . فقال عدد (١) إذا زدنا عليه ٢ و ٢ و ٢ الى مالا نهاية له والجميع نسميه واحدا ؟ فهل هذا معقول . فقلت العدد الذي لانهاية له ليس له اسم خاص فان مائة وألفا لها أسماء خاصة وأما الذي لانهاية له فاسمه عدد لاغير فنسميه واحدا إذ لا تعدد يظهر فيه ، فالتفت الى من حوله وقال (هو يفهم) ففجئت في المنام كيف يعبر بهذا التعبير مع اني أجبت اجابة تامة ، ولما استيقظت قابلت أستاذي المرحوم الشيخ حسنا الطويل وأخبرته بها ولم يكن لي إلمام بهذه المسألة ولا أمثالها ، فقال لي رحمه الله إن هذا الجواب تقريبي لأن الجواب على هذه المسألة مذكور في الكتب وهو أن الأعداد كلها مركبة من الواحد فلولوا الواحد لم تكن ، ومضت عشرات السنين ودخلت في تأليف هذا التفسير فرجع الخاطر لي ثانيا وكان رجوعه قبل تفسير - في ستة أيام - المذكورة في الآية . وكنت أعجب لماذا جاء في هذا الخاطر ولماذا أراني مفكرا في الزوج والفرد ، ولماذا أفكر في أن الأعداد الفردية إما أن تكون أولية مثل ٣ و ٥ و ٧ و ١١ و ١٣ و ١٧ وأما أن تكون من أعداد فردية تضرب في بعضها مثل عدد (٩) من (٣ في ٣) وليس لعدد (٢) دخل فيها وهكذا (٢١) من (٧ في ٣) وكذلك (٢٥) من (٥ في ٥) و (٢٧) من (٣ في ٩) وعدد (٣٥) من ضرب (٥ في ٧) ونجد أن عدد (٥) اذا ضرب في (٣) وفي ٥ و ٧ و ٩ و ١١ و ١٣ و ١٥ وهكذا أي ان عدد (٥) اذا ضرب في عدد فردي بالتتابع مثل السؤال الذي أتني على فانه ينتج ١٥ و ٢٥ و ٣٥ و ٤٥ وهكذا فكل عدد فردي يضرب في ٥ ينتج ٥ متبوعه بعدد العشرات وهكذا ، ولماذا أرى أنه يتحدث في نفسي أن عدد (٢) بضربه في كل عدد يعده زوجي أو فردي ينتج عددا زوجيا أي ان الأعداد الزوجية كلها تنتج من ضرب (٢ في ٢) و ٣ و ٤ و ٥ و ٦ و ٧ الذي هو عبارة عن ٤ و ٦ و ٨ و ١٠ و ١٢ و ١٤ الخ

فلما وصلت الى قوله تعالى - في ستة أيام - عرفت أن هذا الخاطر يقصد منه البحث في علم الأرقام تطبيقي واستخراج الأعداد الكاملة لافادة السكال الإلهي وللتنبية على أن علم العدد له منزلة شريفة ، كيف لا والله يقول بعدها أليس - في ذلك قسم لذي حجر - . أقسم الله بالفجر والليالي العشر والشفع وبالوتر ثم قال أليس - في ذلك قسم لذي حجر - . فلماذا ذكر هذا الاستفهام التقريري في هذا المقام . يقول الله أتري أيها المخاطب أن هذا فيه قسم اصحاب العقل . لم يذكر الله هذا القول إلا في هذا المقام . لم يقل الله ذلك إلا هنا مؤكدا ومبينا فضل المقسم به ولافضل فيه إلا ما فيه من جلال وجمال وحكمة وعلم فليس العدد والله معبودا وانما هو مما يفهم ويعقل ، وانظر كيف يقول أليس - في ذلك قسم لذي حجر - أي عقل ليوقظ العقول الاسلامية لترقية العقول بعلم الحساب وأصوله . إن أفلاطون أبان في جمهوريته أن رؤساء الجيش ورؤساء الأمة يجب أن يكونوا بارعين في العلوم الرياضية لأنها علوم ترقى العقول البشرية وتجعل العقل علويا لأن الأعداد عارية عن العالم المادى فهي الى عالم الأرواح أقرب ولذلك كرر الكلام على الأعداد والرياضيات بحيث تدرس سنين وسنين لرجال الجيش ورجال الحكومة ، والى هذا نبه الله هنا فقال - لذي حجر - . ينهينا الى التعقل والفهم بدرس هذه العلوم . ثم أتني هنا بلفظ - ستة أيام - ليحير العقول وانما يحيرها لتبحث واذا بحث علمت ذكر الأيام الستة ليقول الناس لم خص الستة ، ولم جعل العدد ستة . فاذا عرف الناس أن الستة هي أول الأعداد الكاملة ووجدوا الجدول كله تحت الستة أدركوا أن الأعداد منها ما هو كامل وهو نادر ومنها ما هو ناقص أوزائد وهما كثير عرفوا أن هناك علوما خفية ووجدوا في العلوم أسرار لانهاية لعددتها وهناك يعرفون العددين المتحابين اللذين تألف كل منهما من مضارب الآخر مثل عدد (٢٢٠) و (٢٨٤) فان (٢٢٠) يساوي جميع مضارب الآخر وهي (١ و ٢ و ٤ و ٥ و ١١ و ٢٠ و ٢٢ و ٤٤ و ٥٥ و ١١٠) ولايجاد الأعداد المتحابية رسموا قواعد بها استخراجها كما استخرجوا الأعداد الكاملة بقواعد . واعلم أن قول القائل ان عدد (١) اذا زيد عليه ٢ و ٢ و ٢ الى

مالانهاية له ثم يقال له عدد واحد الخ والاجابة عليه بأنه واحد كما أجبت هذا الجواب حق في علم ما وراء الطبيعة لأنهم قالوا إن الواحد مساو للوجود ، فكل ما يصح أن يقال عليه موجود يصح أن يقال له واحد حتى ان الكثرة مع بعدها عن طباع الواحد يقال لها كثرة واحدة فعلم الالهى ينظر في الواحد وأقسامه والكثرة ولواحقها كما ينظر في الوجود وأقسامه ولواحقه . وقد قسموا الموجود الى المقولات العشرة ، وأيضا الى القوة والفعل والقديم والحديث والتام والناقص والعلة والمعلول ، وقسموا الواحد الى واحد بالجنس وواحد بالنوع وواحد بالعرض وواحد بالمشاركة في النسبة وواحد بالعدد الى آخره . وعلى ذلك تكون الاجابة التي أجبت بها أن العدد الذي لانهائية له يقال له واحد صحيحة في علم ما وراء الطبيعة لأن كل موجود كثيرا أو قليلا يطلق عليه اسم الواحد فالواحد مع الموجود أينما كان . وأيضا ان اضافة (٢) مكررة الى واحد تنتج أعدادا كلها فردية الى ما لا يتناهى فهما كان العدد فهو واحد وأيضا هو فردى . انتهى ما أردته في هذا المقام والحمد لله رب العالمين

وأما اللطيفة الرابعة فهي مفهومة مما تقدم من سابق التفسير . وههنا ﴿جوهرتان * الأولى﴾ في قوله تعالى - وهو الذى مرج البحرين - الخ ﴿والثانية﴾ في قوله تعالى - وهو الذى خلق من الماء بشرا - الخ ﴿الجوهرة الأولى في قوله تعالى - وهو الذى مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا -﴾

اعلم أن الله عز وجل قد ذكر البحر في مواضع كثيرة في القرآن ، فقرأه في (سورة الرحمن) يقول - مرج البحرين يلتقيان * بينهما برزخ لا يبغيان * فبأى آلاء ربكما تكذبان - وتراه يقول في (سورة النحل) - وهو الذى سخر البحر لنا كلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون - ويقول في سورة أخرى - هو الذى يسيركم فى البر والبحر حتى اذا كنتم فى الفلك وجرى بهم برىح طيبة وفرحوا بها جاءها رىح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم - الخ . فبالتى شعري ما هذا الوصف والتذكير وكثرة التكرار . يقول الله - ومن آياته الجوار فى البحر كالأعلام - ويقول ان البحر يخرج منه الثؤلؤ والمرجان ، ويقول بأى نعم ربكما تكذبان أيها الثقلان . فالبحار آيات والثؤلؤ والمرجان آيات وسير السفن فيه آيات ولما علم الله عز وجل قبل أن يخلق الناس على الأرض أن النوع الانسانى لاسيما المسلمين منهم سيشملهم الغرور ويعمهم داء الجهالة والبلاهة البتراء أنزل القرآن وقل فيه في (سورة يس) - يا حسرة على العباد - . يقول الله على طريقة الاسلوب العربى - يا حسرة على العباد - كما يقول الانسان يا حسرة على فلان قد فاتته الفرصة واعتزته النكبة وحق به الويل والشبور ، فهو هنا يقول إن هذا النوع الانسانى حزين أن يتحسر عليه لما أصابه من الجهل فهم اذا سمعوا المذكورين لهم بالعلم من الرسل استهزؤا بهم ، ثم أتبع ذلك بذكر (١) هلاك الأمم (٢) واحياء الأرض بعد موتها بالنبات (٣) واخراج الحب منها (٤) وظهور الجنات من النخيل والأعناب فيها (٥) وتفجير العيون فيها (٦) وانسلاخ الليل من النهار (٧) وجرى الشمس (٨) والقمر (٩) وانه خالق لهم السفن فى البحار ثم ختم ذلك كله بقوله - وما تأتئهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين - وانما ذكرت لك هذا مع أنه في (سورة يس) لأذكرك بأن هذا الانسان جدير بالحسرة عليه حقيق بالشفقة لأنه جهول وكيف لا يكون جهولا وهو لا يسمع النصيح اذا أتى له من رسول ولا يعقل ما يراه من عجائب الدنيا حتى قال الله عز وجل فى هذا الانسان انه مهما عرضت عليه آيات المنعم عليه بالترية فانه يعرض عنها ولا جرم أن المسلم يصدق عليه ذلك فانه يفتر بأنه مؤمن بالله ويقول كفى ذلك وهو يقرأ صباحا ومساء فى القرآن والقرآن نبي عليه الاعراض عن نفس الآيات . إن المسلم تسنعه سوانح البر وسوانح البحر فيعرض عنها ويقول أنا مؤمن بالله تعالى والبحار ومالى

والجبال ومالى وللاشجار وهذا دأب كثير من الفقهاء فى الاسلام وكثير من الصوفية وكل هذا غرور وهؤلاء جميعا قد شملهم الغرور لأنهم أعرضوا عن الآيات التى أتتهم ؟ فهل بقى للمسلمين بعد ما بيناه فى هذا التفسير وغيره عذر فى الجهالة . كلا . ثم كلا . هذا جلال الله وهذه عجائبه تجلت فى هذا التفسير وفى أمثاله من كتب يؤلفها العلماء فى عصرنا . فانظروا وأعجبوا . هذا (اللورد أقبرى) مؤلف كتاب (جبال الطبيعة) يصف عجائب البحر فيه من صفحة ٢٣٢ الى صفحة ٢٤٨ باحثا عن جلاله وعجائب الله فيه . فيا عجباً كل العجب . قوم من أوروا با يعرفون بعقولهم وحدها جلال البحار ويفرحون بحمال ربهم ويميمون بآياته ونحن لنا عقول ولنا دين يذمنا الله بالأعراض عن آياته فيه ثم هم يسبقوننا لمعرفة ربنا . أفليس هذا مما تجزع له القلوب وتشق له المرائر وترتعد الفرائص ولا أقول إلا ما أمر الله به فى المصائب - إنا لله وإنا اليه راجعون - ثم أرجع فأقول ، لقد آن زمان ارتقاء المسلمين وانتشالهم من الجهالة وارتقايتهم الى العلياء . اللهم اليك المشتكى اللهم أنت البر الرحيم فأخرج هذه الأمة المسكينة من الدنل الى العز ومن الجهل الى العلم وأنا واثق ومؤمل إجابة الدعاء فقد أجيب دعاء زكريا إذ طلب ولدا يخلفه فى بنى اسرائيل ليقوم بأمرهم لأن الدعاء اذا كان لأجل المنفعة العامة استجيب . وهاهم أولاء المصلحون فى بلاد الاسلام يدعونك أن ترفع الأصر عن الأمة الاسلامية وأن تشوقهم للعلوم ، فهؤلاء يوقنون باستجابة دعائهم وأنا من هؤلاء الموقنين لاسيما أن أمتنا أكبر جدا من أمة بنى اسرائيل . إذن فلا ذكر البحار وعجائبها من كلام (اللورد أقبرى) وأبدأ بقول الشاعر الذى خاطب البحر

إن فى صدرك الرحيب رجالا * جمعوا البأس والنهى فى الصدور
أخرستهم مدافع مرعدات * فأصموا عن داعيات النفير
وهم اليوم بعد طعن وضرب * فى قرار غير المقام القرير
لك ما شئت من نضار ودر * لم يك البحر بالقديم الفقير

(الحيوانات فى البحار)

(١) منها (الاخطبوط) وهو يعيش فى ماء (نيوفوندىلاند) ويبلغ على صغر بدنه (٦٠) قدما من طرف الى طرف

(٢) وهناك نوع من الحيتان المسالة يبلغ طول الواحد منها (٧٠) قدما

(٣) ومن آياته وعجائبه (الكاشولات) فهذه حوت يطوف فى أنحاء المحيط طولا وعرضا قد اتصف بشدة الرحمة على من ساله وبالغضب والبطش بمن عاداه وشاكسه وقاومه وأنيابه محدودات يسطوبها على الحيوانات البحرية فيلتقمها ، ومتى مس بتخدش صغير من ركاب سفينة اندفع اليها وعاونته على ذلك أهله وعشيرته وما أكثرهم وما أقواهم حتى ان هؤلاء يوما ما هاجوا مركبا أمريكية لخطموها وأغرقوها فى البحر جزاء ما كانوا يفعلون

(٤) وأقوى من هذا وذاك وأضخم جثة وأعظم بطشا (الزوركال) ويبلغ طوله (١٢٠) قدما ، يقول وربما كان هذا مبالغة ، ولقد علم باليقين أن أكبر فصائل الحيتان جثة وأطولها فصيلة (سيدالد) والحوت منها لا يبلغ إلا (٨٠) قدما أو (٩٠) قدما

(٥) ذكر (سكورسبى) ان قرص البحر يغطى من سطحه أميالا والميل المكعب من البحر لا يحوى أقل من (٢٣٨٨٨٨٠٠٠٠٠٠٠٠٠) أى (٢٣٨٨٨٨) ألف ألف مليون . ويقول إن هذه المخلوقات لا تنفوس فى البحر كثيرا ولكنها تغطى مسافات من السطح لا يحصها الحصر ولا يحيط بها الحساب

وهذه الحيوانات الصغيرة تجعل ماء البحر ملوثاً بلوان عجيبة يشاهدها النوتية والسالكون في طارق البحار (٦) الحشرات وبعض ذوات السدى التي تعيش في الماء لا تبعد عن البر إلا قليلاً . ومن هذه (عجول البحر)

(٧) الحيتان العظيمة المسكخة للأمواج تسكن الأعماق بطبعها . ومن أعجب العجب أن طائراً بحرياً يسمى (الصخاب) قوى الجثة عظيم الصوت كأنه صوت الجار يبلغ طول جناحيه الممدودين معاً (١٥) قدماً وقد يبقى ساعات متواليات طائراً لا يقع وقد ينام محلقة في الهواء . فهذا الطائر في ضخامته يشبه الحيتان في قاع البحار من حيث الضخامة كأن هناك مناسبة بينهما

(٨) ما أعجب منظر البحر لركاب السفن إذ يرصدون في ظلمات الليالي مناظر النجوم فيرون عجبا وجالا باهرا يأخذ بالألباب فإذا رجعوا إلى النظر فيما حولهم رأوا حول المركب عجائب وبدائع الأشكال والألوان في الحيوانات البديعة البهجة المتفنة الأشكال البديعة المناظر

(٩) إن جبال البرّ قاصر على سطح الأرض فإن العجائب النباتية والحيوانية ليست تكون إلا على سطح الأرض . أما عجائب البحر فهي (ثلاثة أقسام) قسم منها في ظواهر الماء وقسم منها في قرار البحر وقسم ثالث بينهما . إذن جميع أقسام المياه في البحر مملوءة بالعجائب . أما الطبقة العليا من البحار فأمرها معلوم فيما تقدم هنا وفي مواضع كثيرة من هذا التفسير كالذي تقدم في (سورة آل عمران) وغيرها . فأما الطبقة الوسطى فإن فيها السمك المعروف بالسمك الهلامي (المدوزا) باللغة الانجليزية (والحسكل) وهي دويبات صغيرة كالذرة . أما الطبقة السفلى فقد كشف العلماء كثيرا من أنواع المخلوقات فيها فقد وجدوا سمكا يعيش على عمق (٢٧٥٠) قامة (القامة مقياس طوله ستة أقدام) وهذه يسمونها القرارية أو الدركية وهذه لا يصلها النور لأن ضوء الشمس معدوم على عمق ٢٠٠ قامة وبعد ذلك يكون الظلام الحالك وهناك لا يكون للحيوان عيون ألبتة . ومن عجب ما ذكره (سروليم تومسون) عن نوع من السرطان له عيون إذا عاش قرب سطح الماء فإذا عمق مسكنه وصار ما بين (١٠٠) و (٤٠٠) قامة من السطح فقد عينيه . وهكذا ما يعيش منه على بعد (٥٠٠) إلى (٧٠٠) قامة

(١٠) إن بعض الحيوانات البحرية لالون له بل هي شفافة وبعضها براق لماع في غاية العجب فسفوري الجسم وقد يكون له أعضاء ساطعة ذات شعاع يكاد يذهب بالأبصار . وترى السمك الذي يعيش في الأعماق فضى اللون جيلا بهيا غالبا وبعضها أحر وبعضها أسود ومتى حركت أعضائها اللامعة صارت بهية اللون جدا وهذا السمك قد جعل الله له هذه الأعضاء النورية تحت سلطانه فإن شاء أضاء بها ماحوله من الماء وإن شاء أطفأ النور ، فكما أن الله خلق شمسا وكواكب بهما استضاء أهل الأرض هكذا خلق سبحانه هذه الحيوانات الساكنات في الظلمات هذه الأعضاء المشرقة تتصرف بها على حسب مطالبها في المعاش ، فإن رأى الحيوان فريسته استعمل النور المعلن لكشفها ، وإذا أحسّ بعدو مفاجئ أطفأ ذلك المصباح . ومن عجب أن هذا النور كما يستعمله السمك لاقتناص فريسته يستعمله أيضا لكره أعدوه المفاجئ له على البعد عنه إذ هذا النور متى سطع وظهر لأعين الحيوان المهاجم بهر بصره فيكاد سنا نوره يذهب بتلك الأبصار فيفرّ المهاجم حالا . أقول فهذا النور عند هذا السمك فعل مافعله رائحة الظربان في حيوان البرّ إذ يجعل الرائحة التي يطلقها على عدوه سببا في ازعاجه وكبعض الحشرات التي لا تنجس من صائدها الذي أمسكها إلا إذا أنزلت عليه سائلا في جسمها كرية الرائحة فبذلك تعيش ولا تخاف من عدو يفاجئها فسبحان الخلاق العليم

(١١) وهل أتاك نبأ السمك المعروف بعفريت البحر ، ذلك الذي له زعانف شائكات ورؤس ضخمة يسكن قرب شواطئ البحار وله ثلاثة خيوط ألوانها تضرب إلى الحرة يطلقها في الأمواج ويجعلها كأنها حبال

للصيد تقوم له مقام نسيج العنكبوت وشبكات الصيد فان العنكبوت نسيجها يصطاد الذباب وأنواع الحشرات وقد جعلت بيوتها مناسبة لذلك . أما هذا فليس له سبيل الى صيد السمك الصغير إلا بأن يطلق تلك الخيوط الحجر فقصبتها تلك السمكات عشيا بحريا وماهى فى الحقيقة إلا حبال قد أرسلها ذلك الشيطان العفريت وقد اختبأ هو فى الرمال أوفى وسط حديدة البحر فتأتى تلك السمكات المسكينات لتأكلها فينقض عليها فيفترسها هذا اذا كانت قريبة من سطح الماء ، فأما اذا كانت فى قاع البحار حيث الظلام حالك فلا ضوء هناك ولا شعاع فمن أعجب العجب أن تصير هذه الحبال براقعة لماعة لتظهر فى الظلام وتفترس تلك السمكات الصغار

أقول أيها المسلمون . أليس هذا قول ربنا فى القرآن - وإن من شئ إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم - وقوله - إنا كل شئ خلقناه بقدر - وقوله - وكل شئ عنده بمقدار - وقوله - وكفى بنا حاسبين - وقوله - وما كنا عن الخلق غافلين - وهكذا آيات كثيرة . أيها المسلمون كفى كفى ، ظهر فى هذا التفسير أن أم الاسلام المتأخرة لم يدرس أكثر علماتهم هذا القرآن ولو درسوه لكانوا أعلم الأمم بهذه العلوم . أيها المسلمون أنا فى حجب من أن يكون هذا القرآن ديننا وهذا الجهل صفتنا ، إن هذا لآثم كبير وعار عظيم اللهم إني أديت ما أقدرتني عليها وأنت الملمم المعلم . اللهم أنت المنتقم ممن عرف من المسلمين وسكت ولم يدع هذه الآراء فى أقطار الاسلام ويعلم المسلمين بما يراه ملائما لأهل زمانه والله هو الولي الجيد

(١٢) إن النباتات البحرية لاتعيش على أعماق من (١٠٠) قامة كما هو آخر ما يعلم الناس اليوم ، وقعر المحيط الاطلانطيق وهو بحر الظلمات ما بين (٤٠٠) الى (٢٠٠٠) قامة ماهو إلا طبقات مؤلفة من مادة بيضاء طباشيرية وأعظمها أصداف مهشمة مكسرة وتحت هذه الأعماق تكون المواد صلبة صافية تميل الى لون الحمر وقد تسون فيها مواد بركانية ، وقد قالوا ان كرتنا يسقط عليها فى العام الواحد مائة ألف ألف شهاب

(١٣) إن أقصى أعماق البحار يشبه أعلى الجبال وقد سبروا البحر فبلغوا (٣٩٠٠٠) تسعا وثلاثين ألف قدم ولم يصلوا لعمقه وأعماق مكان فى الاطلانطيق (٣٨٧٥) قامة وذلك فى شمالى جزائر (فرجينيا) وبلغ عمقه (٥٢٧٠) قامة فى مكان آخر ، وليس هذا هو منتهى ما يمكن الوصول اليه . فهذا ما وصل اليه الناس وسيعلم الناس بعدنا ما لم نعلم من عمق البحار

﴿ الجزائر المرجانية ﴾

الجزائر ﴿ ثلاثة أنواع ﴾ جزائر هي قسم من البر ويفصلها مقدار من الماء قليل العمق بجزيرة سيلان وجزائر بركانية وجزائر مرجانية وهذه الأخيرة عددها كثير جدا وأكثرها فى المحيط الهندي والهادى الباسفيكى فهناك ترى جزائر كثيرة مستديرة الشكل وقد تكون بشكل الخاتم أو الحلقة ، وكثيرا ما يكون فى وسط الجزيرة حوض ضحل ضارب ماؤه الى الصفرة والخضرة معا وهذا مخالف لماء المياه المحيطة به فانها سوداء لقرط عمقها . ولهذا الجزائر سواحل رملية بيضاء غالبا وغالبا مائى مكسوة بنخيل الكوكو (الشكولاته) والجزائر المرجانية المعروفة باسم (بلسكاديف) و (ملاديف) أى ببحيرة الجزائر أى (١٠٠٠٠٠) جزيرة و ١٠٠٠ جزيرة (انظر أشكال المرجان وهي ﴿ قسبان ﴾ قسم شجرى وهي (شكل ٣٣) و (شكل ٣٤) و (شكل ٣٥)



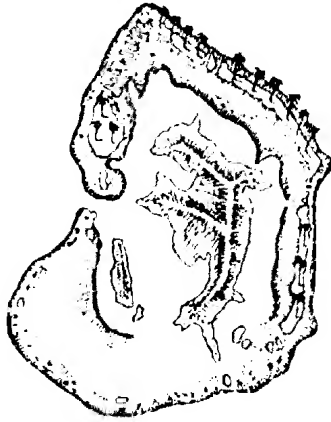
(شكل ٣٣ - رسم المرجان بهيئة شجر)



(شكل ٣٤ - هذه صورة أخرى للمرجان)



(شكل ٣٥ - صورة غير المتقدمة للمرجان أيضا ظهرت فيها ثغور حيوانات ضاحكة مستبشرة كأنها أزهار النبات)
 وقسم بيئة الجزائر وهي إما بركانية حلقية مثل (شكل ٣٦)



(شكل ٣٦ - رسم جزيرة حلقية من المرجان داخلها بحيرة عمقها قليل جدا)
 وأما جزء من جزيرة بركانية مثل (شكل ٣٧)



(شكل ٣٧)

واما جزيرة تامة بركانية مثل (شكل ٣٨)



(شكل ٣٨ - رسم جزيرة المرجان المسماة « جزيرة الرمل الأبيض » وترى فوقها شجر الشكلاته وهذه في غرب أمريكا الجنوبية في غرب كالو)

هذه الصور الثلاث من كتاب « علوم للجميع » تأليف العلامة (روبرت براون) وهو باللغة الانجليزية

(تذكرة)

يزعم بنو آدم انهم أكثر آثارا وأعظم أعمالا ؟ فهل صنعوا جزيرة واحدة عاش فيها الحيوان والنبات وانتفع بها الناس . فهذا المرجان بنى جزائر تعد بالآلاف ومئات الآلاف عاش فيها الحيوان والنبات والأشجار واستكن في بحيراتها أنواع الحيوانات فعاشت قرية العين سعيدة بعيدة عن مهالك البحر المحيط . فأى عمل للانسان يضارع عمل هذا الحيوان الصغير - قتل الانسان ما كفه - إنه كان ظلوما جهولا - فكيف للفضول من عمل أعظم من عمل الفاضل ، فكيف يغتر هذا الانسان بترعة يحفرها أو نفق في الأرض أو هرم فوقها أو قصر مشيد - إن ربك هو الخلاق العليم - انتهى يوم الأربعاء ٢٤ اكتوبر سنة ١٩٢٨

(البحر المالح)

اعلم أن الحكمة في كون ماء البحر ملحا انه بهذه الملوحة يحفظ ما فيه من جثث الحيوانات المائية من ظهور الفساد فلولا الملح لأتقن الماء وفسد الجو ولم تصالح الأرض للسكنى فالملوحة في البحر حكمها حكم الملوحة في ماء العين ، فلولا ملوحة ماء العين لأتنت الحديقة ، فهذا الملح يحفظ العين ويمنع نتن ماء البحر ، وعسى أن أوفى الكلام حقه في (سورة النحل) عند قوله تعالى - وجعل بين البحرين حاجزا - ولكن أقول هنا من لطف الله عز وجل ورحته انه جعل البحر ملحا للحكمة التي ذكرناها ، ثم هو تطفأ فأرسل شمع الشمس الى ماء البحر فخرج البخار تاركا الملح في البحر صاعدا في الجو متراكما سحابة فيه ماء صالح للشرب ، فبارك الله الحي القيوم ، جعل الماء ملحا عند الحاجة الى المالح . ولما احتاج الانسان والحيوان والنبات الى ماء عذب خلصه بحرارة الشمس لفصل الانتفاع به . فهذا هو البحر المالح وهذا هو العذب . ومن عجب انك ترى المطر ينزل على الأرض ويجرى يتابع تحنها منها العذب ومنها الماء المعدني ولا يختلط أحدهما بالآخر . وإذا جلست بجانب البحر المالح وحفرت قليلا في بعض المواضع أفقت هناك ماء حلوا . أليس هذا عجبا ؟ حلوت تحت سطح البحر مرة فوقه حلوا في البخار الطائر منه في الجو والسحاب والأنهار ، فالحلو يحيط بالمالح من سائر الجهات

فلاماء البحر المالح يختلط بما تحت القاع للمانع الطبيعي ولا بما فوقه في الجو لأنه هرب منه وترك له ملحه وترى الأنهار كالنيل والفرات ودجلة تصب في الدحار كالبحر الأبيض المتوسط والخليج الفارسي ونحوها ومع ذلك لا يطنى البحر المالح عليها فيجعل ماءها ملحا ولا الأنهار الصابة في البحر تجعله حلوا . فهذه مجامع الحواجز التي دبرها الله لحفظ البحرين المتجاورين فلا يبغي أحدهما على الآخر بتلك الحركة الدائمة المحكمة ، تبارك الله رب العالمين ومن هذا القبيل أن الجارى المعدنية تحت الأرض لا يختلط أحدها بالآخر وقد تقدم هذا في (سورة الأنعام) مشروحا . وأعجب من هذا أيضا أن الهواء يجتمع فيه أصوات الانسان والحيوان والموسيقى والرياح الهابطة فلا يختلط أحدها بالآخر ، وكذلك يحمل الهواء أنواع الروائح كلها ، وأيضا نجد ذرات اللقاح التي تخرج من الأزهار وتسير في الجو من أعضاء الذكور الى الاناث تتخذ مجارى لا يختلط أحدها بالآخر الى أن تقع على الأزهار التي هي من جنسها وقد تشاهد تلك الذرات طائرات كالسحاب من عشرات الأنواع وهي متميزة لا تختلط احداها بالآخرى . وهذا قوله تعالى - وكل شئ عنده بمقدار - وقوله - مرج البحرين يلتقيان * بينهما برزخ لا يبغيان -

وأعجب من هذا كله أن الشمس تحمل صور جميع المخلوقات وترسلها في كل مكان ونحن لانراها وانما الذي يحس بها هي آلة التصوير (الفوتوغرافية) فتى سلطت عدستها على قوم جالسين التقطت تلك الصور وسلمتها الى لوحة التصوير وراها في الخزانة المظلمة . فهذا دليل على أن صور جميع المخلوقات على الأرض سائجة في الجو الهوائي لا يختلط أحدها بالآخر فصور بنى آدم والحيوان والنبات والجبال والبلاد كلها طائرات طول النهار لا اختلاط فيها . كل ذلك يذكرنا به قوله تعالى هنا - وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا - انتهى

﴿ الجوهرة الثانية في قوله تعالى - وهو الذي خاق من الماء بشر - الخ مع قوله قبلها في الماء أيضا - واقد صرّفناه بينهم ليدكروا - وقوله بعد ذلك - تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقرا منيرا - ﴾

في يوم الخميس الخامس عشر من شهر نوفمبر سنة ١٩٢٨ أى في مساء ذلك اليوم خرجت لرياضة كما قال توبة في محبوبته ليلي

وأخرج من بين البيوت لعاني * أحدث عنك النفس بالليل خاليا فتوجهت الى شاطئ النيل الشرقى كهادتي ووقفت قبيل غروب الشمس فوق قنطرة عند النيل أمام مصر القديمة اذا الجوف في حال لم أعهد لها ومنظر لم أشاهده من قبل ، نور أحر يرتقالي يكاد يقترب من الأرض وأمر عجب فرفعت طرفي اذا السماء مغطاة بسحاب يمتد من الغرب الى الشرق أشبه بسلاسل الجبال المتوازيات فعددتها نحو عشرين جبلا سحابيا والشمس قد آذنت بالغروب وتلك الجبال مشرقة اللون جرمية وقد امتدت في أفطار السماء كلها وكلما كانت أقرب الى الشمس كانت أبهج لونا وأزهي حرة مشوبة بصفرة برتقالية وكلما تباعدت الى الجنوب أو الشمال رأيتها مسودة كأنها تندب حظها لبعدها عن الشمس . أما تلك المقتربة منها فما أجل طلعتها وما أبهرها وأحسنها . جال وأي جال . وبهجة وأي بهجة . تراها فتخال بينها أودية زرقاء اللون كرياض كستها الطبيعة أزهار البنفسج . وما أشبه ذلك المنظر البهيج الذي يكاد يضيء إلا بمنظر الجنود مصطفات لملك عظيم الشأن وقد أخذ يودعهم ليتفقد مملكته وهم صفوف وراءها صفوف يهتفون له بالاجلال والاعظام أو كسناء ازدهت بالجمال وأشرقت بالحسن وقدهرع لجأها المحبون بها - من كل حذب ينسلون - وهم بمنظرها فرحون

الله أكبر . منظر هذا العالم جميل غفل عنه صغار العقول . جهل الناس هذا الجمال في الأرض وفي السماء

ذلك أن كل حيوان قد حيل بينه وبين هذا الجبال بما أودع فيه من عمل حياته وسمى لذريته ثم هم عن الأرض راحلون ؟ فأتى هؤلاء أن يتهجوا بالجبال الذي يفشاهم وهم لا يعلمون . منظر السماء في ذلك التاريخ كان بهجا وجيلا والناس غادون ورائحون وهم لا ينظرون فكأن الجمهور عمي أمام أجل الفائنات صم عند سماع أجل الأصوات . ذلك ان الناس أكثرهم عن الجبال محجوبون وعن العجائب معرضون . تحدثنا الشمس والقمر والنجم والفلك والماء في السحاب والبحار . يقلن كلهن بلغة فصيحة ويعقلها أولوا الآلباب إن في قلب الليل والنهار والصبح والمساء روايات تمثل لكم وأنتم لا تنظرون . شمس تشرق فتكسو الأرض جلبابا ذهبيا وتبرقع المزارع والهواء والجبل والماء والسحاب ببراقع مختلفات الألوان فهي على الهواء زرقاء وعلى الزرع خضراء وعلى الزهر صفراء وأجواء وهكذا

أما البحار في (خط الاستواء) وما قرب منه حدث ولا حرج . ترى الأمواج ترمي بالدرر اللامعات والماس الجبل والزبرجد الأخضر واللزورد وقوس قزح وهيئات متنوعة من الجبن ونضار ومن هيئات المصاييح المشرقة في أكناف السماء . كل ذلك لما فيها من الفوسفور البديع المنبت في تلك الأرجاء (انظره في سورة الأنعام) وهكذا نرى ما هو أعجب عند القطبين من جبال جاريات من الثلج بديعات عائمت فوق سطح الماء تمثل القصص الخيالية والأعمال السحرية وتصطدم تلك الجبال وتتدخل أجزاؤها وهناك تكون أنواع من أفانين الصور وبدائع الألوان مما لا يكاد يتصوره الخيال (انظره في أول سورة الكهف عند قوله تعالى - إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها -) وهذه كلها صور للماء في حاله سائلا وجامدا نلجيا . الماء خلق لسقي النبات والانسان حتى يعيشا ولكن الحكمة الواسعة لا حد لابتداعها ولانهاية لصنعها . ماء ينزل للسقي وللحياة يستعمل هو نفسه زينة ونورا . فهو في ليلة ١٥ نوفمبر جنود تحيي ملكة النهار الذاهبة الى ملكة الليل فكما ان الجيوش معدة لطرد الأعداء وقتلهم هي أيضا تحيي الملوك اذا قدموا أو ودعوا . ذلك لسعة هذا الوجود وللتفنن في التصوير والابتداع والجبال . الليل والنهار يشرقان معا . هذا بالماس المرصع في القبة الزرقاء . وهذا بالنضار السكاسي وجه الغبراء . نجوم مشرقات بهجات جيلات متلاثلثات ليلا تقول للنفوس المستعدة في الأرض هلموا الى وتعالوا أنل عليكم نبأ الحكمة والعلم والجبال . تقول - هاؤم اقرؤا كتابه - فيرونها صفوفًا تتلوها صفوف وصنوفًا تتلوها صنوف قد ازينت للنظرين وحيرت المفكرين حتى اذا أقل الظلام وأقبل موكب الصبح أخذت تتغير المعالم وتبدل المشارق والمغارب وتهزم جيوش البيض سود الجيوش وكما ازداد موكب النهار قبلا ازدادت حجافل الليل إدبارا وأخذت تلك الفائنات البهيات المطالع الناعسات الطرف المشرقات في الدياجي تنواري بالحجاب تودع العاشقين وتعدهم أن ساعود لتروا جالى ولا تزال مواكب الصباح ترد تباعا حتى اذا أقبل الجمع وتكامل أشرقت الغزاة اشراقا يهيج الجميع . هناك يتم سلطان النهار ويدبر تمام الادبار سلطان الليل وتتجه الأنظار الى مناظر الجبال والبحار والأنهار والحقول والرياض ويستبدلون بها بالنجوم الزاهرات في الدجئات . وههنا يتجلى النهار في ثوب قشيب ويغتمق الطفل صار شابا ضحى كهلا ظهرا شيخا عصرا ثم يودع الحياة عند الغروب . وهناك تسفر غايات الليل ويرفعن القناع ويبدون سافرات ضاحكات بهجات مشرقات ويقلن لعشاقهن بالأمس عوجوا الينا وأقبلوا علينا

هذه هي الرواية التي يمثلها الليل والنهار وهما لا يفتان يمثلان رواية وراء رواية والمناظر مختلفات وليس يعقل اختلافها من الناس إلا قليلا . ولما غفل الناس عن ذلك الجبال ألهموا أن يصنعوا هم لأنفسهم أعراسا وولائم وأعيادا فيها يفرحون وفي أيامها يتهجون فهم كصناع في قصر ملك معه وزراءه وخوادم دولته وهم يشاهدونه كل حين مبتهجون بمنظره فرحون بقربه وفي القصر عبيد منكودون لا يرون الملك إلا في عربته سائرا أوفى موكبه متجلبا وفيه حيوانات ودواجن لا تعقل هذه الكرامة ولا تأبه لهذا الجبال . هذه

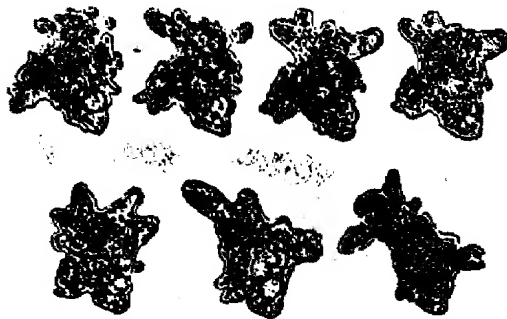
نظرات النفوس الحكيمة في بدائع السموات والأرض . فادارجهت الى أنفسها ونأملت أجسامها رأت في هذا الجسم المركب من أمشاج وأخلاط مظلمة أرضية مايفوق ما في الكواكب من جبال وما في الشمس من جلال وما في البحار من لآلئ وما في الجبال من نصار . ماذا يرون ؟ يرون جنودا بحاربون وجيوشا من أعدائها مجندلات وممالك عظيمة كلها في داخل هذا الهيكل الجثمانى . فكما أن العقول الضعيفة غفلت عن التمثيل الذى تمثله المشرقات والشمس في العوالم الأرضية والسماوية هكذا نراها غبية جامدة أمام البهجة والعلم والجمال المودع في أجسامها . وكما يرى الحكيم منظر السماء فيعقل البهجة والجمال هكذا ينظر في أمر جسمه فيرى عجبا عجبا يذهله بل ينسبه منظر المشرقات في الدياجى البهجات المناظر . فباليت شعرى من ذا الذى كان يعتقد أو يظن أو يتوهم أن في جسمي أنا آلاف في آلاف من الجيوش البيضاء شاكية السلاح الحاد القوى تصطف صفوفا وتحارب جيوشا تعد جنودها بالآلاف والآلاف وتجند لها في ساحات الوغى من (الحيوانات النرية وهى المكروبات) وهى أنواع مختلفة وتلبس جنودى أنا لكل حال لبوسها . فباليت شعرى من ذا الذى يقول هذا ولا ينسب الناس الى الجهالة والجنون . وهل كان أحد في الأرض يعتقد أن الورم في الجرح ماهو إلا هذه الجيوش المتكاثرة اجتمعت لتهلك الجيوش الداخلة في جسمي لتحدث في مرضا . أليس هذا من العجب أن جسمي يكون فيه هذه الجيوش المسلحة الواقعة بالمرصاد لكل فأتك به ثم هى تهلكه وتنتصر عليه بل انها تأكل الأعداء أكلًا وتصلح ما أفسدوا من جسمي ؟ هل كان لا يقتل في هذا مجال . اللهم لا . لا مجال لعقولنا في هذا لولا تعليمك لنا في هذه السنين ثم ما هذه الدول والممالك والجنود المجندة ؟ أهذه كلها لجسمي وحده أالجسمي هذا تخلق هذه الجيوش والممالك ؟ أحياتى أنا تكون تلك الدول والممالك والحيل والحروب والجوع والجيوش . اللهم حارت عقولنا في وضعك وأصبحنا لاندرى أمفردنا جمع أم جمعنا مفرد ثم كيف يكون جسمي مع أن علمي به قليل جدا يكاد يبلغ سعة السموات والأرض في التدبير والكثرة . بمالك جسمي لاحصر لها وبمالك الوجود لاحصر لها فتساوى الكبير والصغير في العظمة والجراة . ثم أقول يا من تجلبت بجلايب الكبرياء وزديت بأردية الجلال ونثرت أرواحاني هذه التربة ودفنت نفوسنا في هذه الأجسام الترابية وأحطتها بكل لطف ورحمة قد حنت أرواحنا اليك وشاقتها باسم الاصباح وبواهر الامساء ؟ فتى تكشف لنا عن جمالك لقد لحنا من الحجب المسدلة علينا لوامع من نورك فاعلمنا انك رحمتنا بالحجاب وأنعمت علينا ببيص من نورك ولوانا كوشفنا به تمام الكشف لطاحت أرواحنا وصرنا الى العدم مادمننا لم تكمل فينا المواهب العالية التى بها نستطيع ادراك ذلك الجلال ولكننا تشرق في نفوسنا الذكري بعد الذكري والشوق يقبه الشوق ثم بعد هذا كله ما أنا إذن . أنا أقول بأعلى صوتي أنا أجهل نفسي جهلا تاما وأنتظر من الذى أبدعنى أن يزجنى في عوالم تكشف القناع لى عن نفسي وعن هذا العالم . نعم من ذا الذى كان يخطر له أو بهجس في نفسه أن كل حيوان وكل نبات ترجع الى مايسمونه خلية فالخلية منها منشأ جميع الأحياء . إذن الوحدة ظاهرة في هذا الوجود منها تركيب كله كما ان الأعداد تركبت من الواحد . إذن هذا توحيد عملى والديانات توحيد قولى واعتقادى . وان آيت يا صاح إلا الافصاح فهالك مقالا لدكتور مصرى في (طبيب العائلة) تحت العنوان الآتى وهاهوذا

﴿ سر من أسرار نظام الحياة ﴾

انك لتجد يد الله وقدرته البليغة رامية كل شئ في الوجود جل أودق و تراهما متجلبتين على الأخص في الحياة ونظامها وتطوراتها منذ الخليقة . هذا النظام وما به من غريب ومدعش هو ما أقصد الى تبيان جانب منه بهذه الكلمات القليلة لأن المقام لايسع التوسع على الرغم من خطر الموضوع خطرا هوفوق ما تتصوره العقول . إن ظهور الحياة على الأرض كان لغزا من الأغوار الغامضة التى تعبت في حلها الأجيال وعظماء البشر

من حكماء وعلماء ولكن شغف الانسان بالتطلع والاستقراء لخفايا الوجود وأسرار الطبيعة جعله لا يمل ولا يكل من السعي حتى ظفر بكثير مما تصبوه نفسه وخصوصا فيما كان له مساس بكيفية ظهور الحياة على الأرض فقد ظل يفكر ويستعين بعقله ومداركه ثم تدرج في بحثه واستقصائه الى أن ظفر بنتائج باهرة سارة قربته كثيرا من الحقيقة التي نشدها منذ القدم وإذا تقرب منها اتخذها عمادا في تقرير العلم الراهن وتوسع فيها الى الدرجات الباهرة التي وقف عند حدها في أيامنا الأخيرة وتتلخص هذه الحقيقة فيما يلي

ظهرت الحياة على الأرض لدى الخليقة بالبسيط وانتهت بالمركب . ابتدأت بخلية واحدة وانتهت بملايين الخلايا مندمجة في شبح واحد . ابتدأت بالشئ الذي لا يقوى على الإدراك والعقل وانتهت بالإنسان الذي هو أكل مخلوق . واعتقد أن الله الذي جلت قدرته وتعالى حكمته عند ما شاءت مشيئته إبداع هذا الوجود أراد لكمال هذا الوجود أن يظهر فيه من يدرك ويدرك صنعه ويدرك قوته فأبدع الفكر وأودعه الإنسان الذي انما كانت الغاية من اظهاره أن يكون أقوى أداة مفكرة في العالم . فالحياة ابتدأت بصنع الله للخلية وانتهت بصنع الله للفكر وبه اتصل المخلوق بالخالق . نظم الله الخلية ودبرها على نسق تدرجي وبسط لها بقوته أسباب التدرج والرق والتوارث والتسلسل والتفرع والتشعب وأعد لها صور مختلفة وأشكال وأوضاع ووظائف وغايات متعددة مختلفة فمنها النبات وعليه قوام حياة الكائنات الأخرى . ومنها الميكروبات والأسماك والطيور والحشرات والحيوان والإنسان وكان من المدهش أنها كلها ترجع في أصل الخليقة الى وحدة متحدة دالة على وحدة الابد القوية القادرة التي أبدعتها ألا وهي الخلية ، تلك الخلية التي ظهرت بمؤثرات وتفاعلات كيميائية وطبيعية جعلتها تتحرك وتعيش وتتضاعف وتتفرع وتتوارث وترقى على مرور الأجيال والأزمان وتتجنس وتنوع وتستقر في النهاية على ما هي عليه الآن جاهلين على كل حال ماذا تدخره لها المقادير في مستقبل الدهور والحدثان . هنا نرى من المفيد أن يعلم الناس أن كل كائن حي يبتدىء عند خلقه بأن يكون خلية إشارة من الطبيعة الى أن ذلك الكائن الحي مهما تضاعف في تراكيبه وأعضائه يرجع في نشأته الى تلك الخلية الواحدة (أو بعبارة أخرى) إشارة الى الوحدة التي نشاهدها مسيطرة على هذا الوجود ، كذلك من المفيد أن يعلموا أن كل بيضة تتطور في نموها تطورا غريبا مدهشا حيث تظهر فيها لدى نموها كل التطورات والتغيرات التي طرأت على نوعها منذ الخليقة الى الآن . وبحق تعتبر هذه البيضة أنها خلاصة تاريخية للتطورات التي تطورها نوع ولبيدها بمرور كل هذه العصور التي قضاهها منتقلا في تطورات من حالات الى حالات . وعلى كل حال فإن الإنسان لم يك في الواقع في مجموعه إلا خلايا لا تعد ولا تحصى مرتبطة بعضها ببعض ارتباطا متينا متضامنة تضامنا قويا في الصحة والمرض على السواء وهي كلها وليدة الخلية الأولى ، فكل حي في الوجود نباتا أو حيوانا أو ميكروبا يتربك من خلية أو أكثر . ومن الأسرار المثيرة للعجب أن من المخلوقات المشاهدة حتى الآن كائنات حية لا تتربك إلا من خلية واحدة (انظر شكل ٣٩)



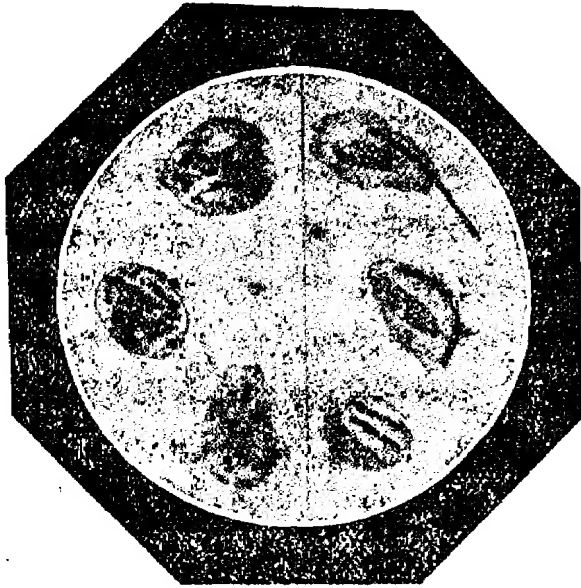
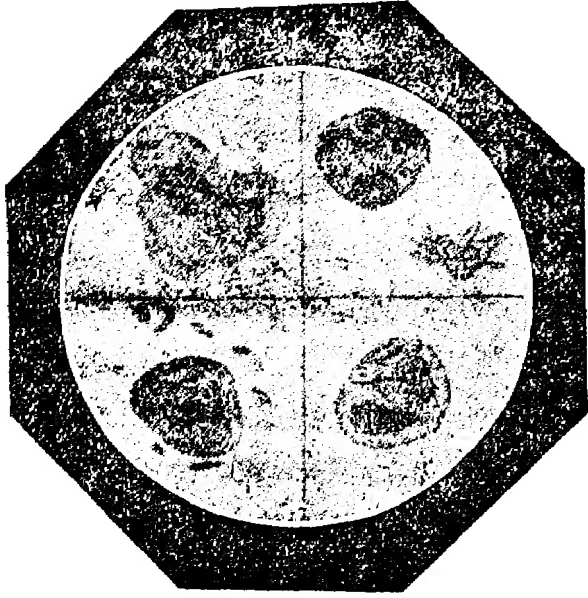
(شكل ٣٩ - صور للاميبيا مأخوذة عن فلم سينماتوغرافي للاميبيا وهي تتحرك ، أخذت بسرعة ٣٠ صورة في الثانية ، والصور السبع التي ترى هنا منتخبة من حركة الاميبيا في ثانية واحدة)

وقد تنقسم الى قسمين ويصيران خليتين ولكنهما لا يتصلان بل يعيشان ككائنين حين منفردين ، وتوصل العلم الى معرفة مئات من هذه الأجناس (بروتوزوا) ذات الخلية الواحدة تعيش في المستنقعات والبرك والبحار وهي أبسط كائن حي تعرف حتى الآن ، وإذا دقت النظر في محتوياتها لا تجدها أكثر من غلاف داخله مادة مخاطية لزجة تسمى (بالبروتوبلاسم) فإذا صادفت هذه الخلية ذرة من نبات تراها تندفع اليها وتحيط بها بمهارة فلا تشعر الذرة إلا وترى نفسها داخله في ذلك الغلاف ومحاطة بأكملها بهذه المادة اللزجة مع قليل من الماء فتضم بواسطة كيميائية قسرية وتصبح جزءاً من ذلك البروتوبلاسم وهذا كل ما فيها من وظيفة الهضم ، وغريب أنك تجد خلايا لا تعيش إلا في سوائل الجسم (الدم والنف) تعيش عيشة مستقلة كما تعيش الكائنات ذات الخلية الواحدة المسماة (بروتوزوا) في قاع المستنقعات والبحار كما قدمنا ، وانك لو أخرجتها من تلك السوائل ونظرت اليها (بالمكروسكوب) ومزجت معها قليلاً من النترات الملونة لرأيتها بعينيك تصنع ما صنعت الكائنات المذكورة في أساليب غذائها وهضمها على السواء . هذه الكائنات ذات الخلية الواحدة التي تعيش في سوائل الجسم هي التي نطلق عليها اسم الكرات البيضاء وهي كانت معروفة قبل عصر باسستور ، أما في عصر باسستور فقد ظهر بفضل فكره الواسع وعبقريته الممتازة مادهاش له العالم طراً ، ذلك أن قد ظهر لنا عالم خفي كنا نجهله هو عالم الميكروبات وبرهن لنا على أن هذا العالم الخفي علة جميع الحيات المعديّة وأن عوارض هذه الحيات لم تكن إلا نتيجة تسمم الجسم متى تسلطت هذه الميكروبات من الخارج الى داخل الجسم ، ثم أتى لنا بعده ليستروبرهن على أن تقيح الجروح نتيجة تسلط هذه الميكروبات على الجروح ، وأن هذا التقيح هو انحلال الخلايا الناتج عن فتك هذه الميكروبات بها (انظر شكل ٤٠ في الصفحة التالية)

ثم أتى بعدهما (كوين هايم) وبرهن على أن في كل موضع ملتهب من الجسم سواء كان نتيجة ميكروبات أو صدمة فإن الورم الذي يطرأ عليه يكون عبارة عن تراكم الكرات البيضاء بكميات كثيرة تخترق الأوعية الشعرية وتتصل الى ذلك الموضع الملتهب ومنه ينشأ الورم ، ثم أتى بعدهم (ميتشنيكوف) وأرانا بأعيننا أن الغاية من تراكم الكرات البيضاء وخروجها من الأوعية الشعرية وذهابها الى المواضع الملتهبة هو الدفاع عن الخلايا ومقاتلة الميكروبات الطارئة الضارة بها والتغلب عليها بأكملها وهضمها وأكل سمومها وأكل الخلايا التي فسدت بسبب فتك الميكروبات بها . كل ذلك رأيناه بأعيننا وتأكدنا من عمل هذه الكرات البيضاء الضرورية للحياة ولذلك سميت بالخلايا الأكلة أي (الفاجوسيت)

هذه المدهشات علمت واكتشفت أسرارها وأسرار وظائفها وهي مع ذلك خلية واحدة للجسم الانساني ، فمك لله في باقي صنعه من أسرار لا زال امرها غائباً مجهولاً من الانسان

(أخذت هذه الكرات البيضاء وهي تزدرد الميكروبات)



(شكل ٤٠)

- (أ) تنغذى الكرات البيضاء بكربوب الدفريا
- (ب) تنغذى الكرات البيضاء بكربوب الستر بتوكوك
- (ج) تنغذى الكرات البيضاء بكربوب الحلي الراجعة
- (د) تنغذى الكرات البيضاء بكربوب الكوليبيسيل

تنغذى الكرات البيضاء بكربوب الاندراكس

﴿ بهجة الجوهرة في هذه الآية - وهو الذي خالق من الماء بشرا - الخ وأن المصلي رجع في الركوع والسجود من الحق الى الخلق ، والفيلسوف رجع من الخلق الى الحق ﴾
تباركت يا الله ، جعلت الناس شعوبا وقبائل ليتعارفوا كما في آية (الحجرات) وجعلتهم - نسبا وصهرا - كما هنا فنرى قبائل ودولا في القارات الأرضية شرقا وغربا ، ونرى أسرات وجاعات بينهم علاقات واشتراك يستنون قرية واحدة ، ثم نرى جسم الانسان وحده فيه أنواع الحواس وهي خمس قد قسمت عليها العوالم التي تدركها فبالعين المناظر وهي عشر وللأذن المسموعات وهكذا . وفيه أيضا أعضاء مختلفة لكل عضو منفعة خاصة كاختلاف منافع الحواس . كل هذا يذكره المصلون في صلواتهم وأكثرهم ساهون ، فيقول الراكع ﴿ خضع لك سمى وبصرى ونحى وعظمى وعصبى وما استقلت به قدمى لله رب العالمين ﴾ ويقول الساجد ﴿ سجد وجهى للذى خلقه وصوره وشفق سمعه وبصره تبارك الله أحسن الخالقين ﴾

فها هو ذا الراكع يذكر جماعات الحواس المتضامات من السمع والبصر ومثله الساجد ثم كل منهما يذكر جماعات الأعضاء المتضامات من العظم والعصب والمخ . فياسبحان الله . جماعات في الأمم بجماعات المدن بجماعات الحواس في الجسم بجماعات أعضاء الجسم داخلا وخارجا وكأها راجعات لنظام وحدة كلية . فالأهم تكون أهل الأرض جميعا والأسرات تكون البلدة الواحدة والحواس والأعضاء تكون الجسم الواحد ؟ وم تكون هؤلاء كلهم ؟ تكونوا من الماء المذكور في هذه الآية والقاعدة في الجميع واحدة . فهل لك أن أسمعك الآن ما هو بعد مدى وأقرب هدى . انظر كيف كانت نفس أجسامنا مركبات من خلايا وهذه الخلايا جماعات بينها اشتراك كاشتراك الدول وأهل القرية والأسرة والحواس والأعضاء في الجسم الواحد . فهناك ما جاء في بعض المجلات العلمية

﴿ حياة الخلية ﴾

كان الفضل في اكتشاف الخلية أو وحدة تركيب الأنسجة في جسم كل كائن حتى لاخترع النظارات المكبرة وأذهان العلماء المشتغلين بها مثل (شوان) و (شليدن) و (فيرشو) وقد أوجد هذا الاكتشاف ما يسمى بنظرية الخلية وهي تلخص في أن كل كائن حتى بدأ حياته بخلية مفردة لأن قسما من الخلايا المفردة لم يقنع بحالته الوضيعة وصارت كل خلية تبنى لنفسها جسما كبيرا بانقسام الخلايا التي تناسل منها واستمرت هذه الكائنات الكثيرة الخلايا في تقدمها حتى استطاعت لكثرة ما فيها من الخلايا أن تقسمها أقساما وتجعل لكل قسم عمله الخاص ومن هنا نشأت الأعضاء والأجهزة المختلفة التي نراها في جسم الحيوان أوفى تركيب النبات

﴿ الوجود التضامني ﴾

ولما اجتمعت الخلايا وكوّنت جسما واحدا ووزعت الأعمال المختلفة على كل طاقة منها صارت حياة الكائن المشتمل هي عبارة عن مجموع قواها الحيوية ومع ذلك فلكل خلية حياتها الخاصة . ويقول العالم السرلانكستر ﴿ يمكن أن نعتبر الحيوانات والنباتات العديدة التي بنيت أجسامها من خلايا كثيرة كائنات حية مركبة وأن خلايا كل جسم حتى مثل السكان في مدينة لكل جماعة عملها ولكل فرد كفايته . وأن الغاية من أعمال هذه الجماعات وتضامنها هو تحقيق غرضها المشترك وهو الحياة للحيوان أو النبات التي توجد فيه ﴾

﴿ أساس الحياة ﴾

ويعد الهيبولي أو المادة الأولى (البروتوبلاسم) أساس الحياة الطبيعية وهي المادة التي تحيا بها أجسامنا والتي ترتكز عليها حياة الخلية فان أول شيء يتكون في أي حيوان هو الهيبولي ثم الخلية والخلية تتولد منها خلايا وهكذا الى أن تتكون جميع أعضاء الجسم ويتم بناء هذا الكائن الحي

﴿ من أين تولد الخلية ﴾

لاتولد الخلايا الحية إلا من خلايا حية سبقتها في الوجود وباتصال الذكور بالاناث . وقد حاول كثير من العلماء اثبات التولد الذاتي أو تكون الكائن الحي بنفسه فأخفقوا في إيجاد أقل الكائنات في التركيب انتهى هذا ثم انظر ما ذكره (السيرأوليفرلودج) هناك ما ورد في نفس المجلة بنصه

﴿ الجسم والروح ﴾

يقول (السيرأوليفرلودج) رئيس المجمع العلمي البريطاني ﴿ انه لمن أغرب الامور أن تكون أجسامنا قادرة على تكوين أناس مماثلا كله من مواد الغذاء فان نفس هذه المواد الغذائية كان من الممكن أن تصير دجاجا أو كلابا ولم يفعل ما قامت به من المجهزات المدهشة إلا ما فيها من العوامل الحيوية ذات المزايا الخاصة التي حتمت أن يصير هذا انسانا ولم يجعله قردا مثلا بل جعلته انسانا بشكل خاص يتقيد فيه بعدة عوامل وراثية وأخلافها ترجع الى أبيه وأمه أو أسلافه . أما الأجسام فتبلى وتوَجَّع التراب الى التراب كما قالت الكتب المقدسة . أما

تلك العوامل التي قامت بالمعجزة فانها تبقى في كائن لطيف لم يدرك العلم حقيقته ولكنه لا يستطيع أن ينكر وجوده وأثره وهو الروح ﴿ انتهى

هذا كلام (السرأوليفرلودج) ولعمري ما هذا إلا معنى تسبيح المصلي في سجوده وركوعه وثنائه على ربه . يسبح المصلي في الركوع والسجود أي ينزه ربه عن الحوادث والأجسام ثم يذكر نعمة السمع والبصر وأعضاء الجسم وهذا معنى ﴿ سبحان الله وبحمده ﴾ فهنا تنزيه عن الحوادث مع خلقها منه والحمد عليها منا نحن فالسرأوليفرلودج يقول إن هذه الروح هي التي دبرت هذا الجسم وخصصته بكونه إنسانا مثلا فأرجع الأجسام والحواس إلى الروح والروح ليس يقدر العلم على معرفتها ولا على إنكارها فهي إذن - من أمر ربى - فالعالم ﴿ قسمان ﴾ عالم الخلق وعالم الأمر والأول هو المذكور من أعضاء الجسم والثاني هو الروح والله خالقه وهو منزّه عن الحوادث وعن ملابسة الأجسام . فالسر (أوليفرلودج) سار بكلامه من الخلق إلى الحق بعقله هو لا بدنيه أي أن الفلاسفة ينتهون بعد مشاهدة المادة إلى خالقها . إن هذا هو الذي جرى عند أعظم حكماء هذه الكرة الأرضية . واعلم رعاك الله أن فلاسفة اليونان ابتدؤا نظرهم على هذا الخط فقام (تاليس) قبل الميلاد بخمسمائة سنة فقال ﴿ إن هذا العالم أصله الماء ومنه اشتق ما هو أثقل منه وهو الأرض وما هو أخف منه وهو الهواء ﴾ ثم قام (أنكسيانيس) بعده فقال ﴿ كلا بل الأصل هو الهواء ﴾ وفعل به ما فعل (تاليس) بالماء ثم قام بعدهما (ديموقراطيس) فقال ﴿ ويحك كيف حصرتما العالم في عنصر واحد . كلا . بل الأصل هو الجزء الذي لا يتجزأ فاذا قام من قبلى واستغنى عن صانع للعالم بعنصر فأنا استغنى عنه بهذه الأجزاء التي لا تتجزأ إذن العالم هو هكذا من الأزل إلى الأبد ﴾

هنالك حاراليونانيون وظهر فيهم (السوفسطائية) الذين ينكرون الحقائق وقام بعدهم (فيثاغورس) وهو يوناني فنظر فرأى هذا العالم فيه نظام وابداع وحساب وحكمة فقال ﴿ كلا إن أصل العالم أرقى من المادة فليكن هو العدد لأن كل شيء له نظام محدود ﴾ ثم قام الفيلسوف (أبنيوقليدس) فقال ﴿ إن هناك حجة وعداوة فالأولى تجمع والثانية تفرق وما العالم إلا جع وتفرق ﴾ فقام بعده في القرن الرابع قبل الميلاد (أنكساغورس) وقال ﴿ كلا هذا لا يكفيني إن هذا العالم له عقل صنفه فهذا العقل فعل مع المادة ما صنعه للذي يدبر الساعة فهو أولا نظمها فدارت ثم تركها فهي تجري أبدا وأمدا لأن هذا النظام لا يكون بلا عقل ﴾ ثم قام بعده سقراط فقال ﴿ هذا رأي أبت . إن الآلة لا تصنع من نفسها فلا بد لها من مدبر يديرها ويلاحظها أبدا . إذن الذي صنع هذا العالم هو الذي يعلمه وهو معه دائما يديره ويحكم صنعه ولا يتركه والافسد ثم جاء أفلاطون وقرّر هذه النظرية بشكل أتم وأبهى وأبهر . ثم قام (أرسطاطاليس) فأيد الذين قبله وإلى هنا انتهى علم جميع الأمم شرقا وغربا

إذا عرفت هذا أيها الذكي فاعلم أنك قد ظفرت بكثرة لم يحرزها سواك . ومتى عرفت هذا وحفظته وعقلته فاعرض على هذا الجدول عقول أبناء أمتك الذين تعيش معهم فستسمع أحدهم يقول اتى لا أصدق إلا بالمحسوسات فاعلم أن هذا المسكين لم يزل طفلا أشبه بما قاله (تاليس) أو (ديموقراطيس) وإذا سمعته يقول إن أصلى وهل الله محتاج إلى صلاتي فاعلم أن هذا لا يصدق بأن الله محيط بالكائنات فهو أشبه أنكساغورس فقل لأبناء الشرق إن العلامة (ابنيسر) الفيلسوف الانجليزى ومثله (سنتلانه اللياني) يقولان بأعلى صوتهما وعلى مسمع من أوروبا قاطبة أننا لم نصل في هذا العالم (أي فيما هو المقصود من الفلسفة وهي هذه المباحث) إلى (سقراط) و(أفلاطون) . كلا . ويقولان إن جميع فلاسفة أوروبا لم يزدوا على ما ذكر فيما كتبناه هنا وغاية الأمر أن أحدهم يختار قول (تاليس) مثلا أو قول (ديموقراطيس) والفلسفة في طفوليتها فيعلنه ثم يقوم آخر ويختار مذهب (سقراط) فيعلنه . إذن من درس هذه الفرائد التي ذكرناها هنا فقد حفظ أمهات المذاهب

التي اليها ترجع جميع أقوال علماء أوروبا في العصر الحاضر وأقوال المقلدين لهم من المتعلمين نصف تعليم في بلاد الشرق فهؤلاء وهؤلاء مقلدون ولكن المسلم في صلاته قد جمع خلاصة المذاهب واتباع أعلاها فقال ﴿ سبحان ربّي العظيم ﴾ وذكر الأعضاء والحواس وما تحتها من الخلايا التي دخلت ضمنها فهي كلها مجموعات مشتركات في حياة الفرد كله الذي جعلته الروح التي صارت أقرب إلى ربها المنزلة عن المادّة . وهذا آخر ما انتهت إليه الفلسفة وذلك بسقراط وأفلاطون إلى آخره . فالفلاسفة ساروا من الخلق إلى الحق والمصلّي المسلم سار من الحق إلى الخلق في الركوع والسجود وهذا في الفاتحة والشهادة إذ يحمد الله ويقول إن التحيات له ثم هو بعد ذلك يطلب منه الهداية والاستعانة الخ ويطلب منه الصلاة والسلام على النفوس العالية والصالحين . وإذا قال المصلّي في سجوده تبارك الله أحسن الخالقين بعد ذكر أعضاء جسمه وحواسه فذلك مقابل لما في الآية هنا - تبارك الذي جعل في السماء بروجا - فهذا الفعل وتلك البركة كما اجتمعت فيها الشموس التي لا يعرف عددها فصارت عالما منتظما هكذا بها انتظمت أعضاء الانسان والخلايا التي لا يعرف عددها وهن مشتركات في نظام الجسم الانساني وحياته فكما أن الانسان حيوان صغير هكذا العالم كله حيوان كبير وهذا كله يشير له قول المصلّي في سجوده ﴿ سجد وجهي للخالق ﴾ وهذا العالم الصغير يجتدي حتى يرجع إلى ربه فيصير روحا طاهرة وهذا سرّ قوله تعالى - واسجدوا وقرب -

هذا معنى كون الاسلام دين الفطرة ومعنى قوله تعالى - وأن إلى ربك المنتهى - فإليه انتهت مباحث الفلاسفة وهناك وقف نظره وصار جميع الباحثين يأخذ كل منهم من سلسلة المباحث ما يوافق عقله بقدر طاقته وسيأتي ايضاح هذا المقام في (سورة النحل) في آخرها إن شاء الله تعالى والحمد لله رب العالمين . كتب يوم الخميس (٧) فبراير سنة ١٩٢٩

﴿ لطيفة في قوله تعالى - تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقرا منيرا -

إلى قوله - أو أراد شكورا - ﴾

تباركت يا الله وتعاليت أبدعت نجوما وشموسا وتلايلات في سمائك وانتشرت في أقطارها جبال منيرات مشرقا . أبدعتها بالحكمة وزينتها بالجمال وقلت لها املي أقطار السموات وأفيضی نوراً على المخوقات لتبهج بك القلوب ولتعشّقك العقول ولتفرح بك النفوس . أيتها النجوم وأيتها الشموس أنتم بهجة عبادي مقسمات الزمن معطيات الضياء منميات الزرع مكثرات الضرع أنتم بأمرى مجريات الرياح الحاملات السحاب بضوئكن وحرارتكن نما النبات واتعش الحيوان وبكن غنت القمارى على أعوادها والفواخت في دوحاتها وراحت الحشرات المغنيات وغدت تجمع العسل وتلقح النبات كل صباح وكل مساء . وب نظام سيركن انتظم لعبادي علم الحساب بأنواعه فعرفوا السنين والشهور والدهور وبهجتكن انطلقت ألسنة الشعراء فتقنوا في وصفكن بأفانين القول وبدائع الحكم وروائع الفنون . ففیکن يقول الشاعر

كأن سهيلا في مطالع أفقه * مفارق إلف لم يجد بعده إلفا

كأن بنى نعش ونعشا مطافل * بوجرة قد أضلن في مهممة خسفا

كأن سهاها عاشق بين عود * فأؤنه يسدو وأؤنه يخفي

كأن قدامى النسر والنسر واقع * قصصن فلم تسم الخوافي له ضعفا

سقتها الذراع الضيغمية جهدها * فما أغفلت من بطنها قيد أصبع

بها ركز الرمح السماك وقطعت * عرى الفرج في مبيكى الثريا بأدمع

ويستبطأ المريح وهو كأنه * إلى الغور نار القابس المتسرع

وتبسم الأشراف فجرا كأنها * ثلاث حمامات سدكن بموضع

وتعرض ذات العرش باسطة لها * الى الغرب في تغويرها يد أقطع
(من سقط الزند للمعري)

ولم تغزل فيك عبادى الشعراء ، فأنت نبراس الخيال لشعراء عبادى كما أنك نبراس العقول والحكم المستودعات فى قوى الحكماء والفلاسفة الفكرية إذ يحسبون سيرك ويعقلون بعض سرّك وهم بك فرحون إذن أنت مسرح القوتين الخيالية والفكرية ومناط العالمين عالم شعر الشعراء وعالم حكمة الحكماء . ولقد جعلتك زينة للناظرين وأغنيت بمرآك الصادرين والواردين ، ومنحتك الجلال بهجة للعالمين ، زينتك أعلى زينة وأبهج حلية وأعلى منار ولم يقتصر التفنن فى محاسنك على شعر الشعراء وحساب الحكماء بل تعدى ذلك الى غيرهم من سائر الخلق فقد أنزلوك منازل حيواناتهم التى ألفوها ودواجنهم التى ربوها ليقرّبوك من متناولهم حتى كأنك بين ظهرانيتهم مألوفة لهم

(١) فهام أولاء عبادى الآريون سكان الهند صوّروا جميعك بصور حيوانات يعرفونها وذلك فى كرتهم المصوّرة قبل المسيح بتسعة قرون لجعلوك بجمعة ووزتين وشجرة كبيرة فيها كلب وصورة زنجى ضخمة الجثة وامرأة مغطاة بوشاح

(٢) وهام أولاء عبادى العرب سموا بعضك باسم بنات نعش الصغرى والفرقدى والجدى وبنات نعش الكبرى والقائد والعناق والجون والسها والهلبة والحوض والظباء الخ

(٣) وهام أولاء الصينيون قد سموا أكثر من ثلاثمائة اسم ذكروا فيها أسماء كثير من عظمائهم (٤) ولقد تمادى العرب عبادى فى الخيال وأخذوا يقولون أنك الراعى وكلب الراعى والشاة والأغنام والضباع والكف الخضيب وسمام الناقة والخباء والعز والجديان وممسك الاعنة والحية والدلو والحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت ، وسموا هذه الاثني عشر بوجا

(٥) وهام أولاء عبادى أهل (سكندنيا) قد سموك بالكلب والمركبة والمغزل (٦) وكذلك عبادى فى الأقطار الشمالية (الاسكيمو) سموك (صائد القط) والقط حيوان بحرى عندهم فهام أولاء عبادى اتفقوا فى مشارق الأرض ومغاربها على تسميتك أيتها النجوم بما لديهم من الصور المألوفة الحية وغير الحية ليستزولك من سمائك الى المعانى القريبة من متناولهم استثناسا بك وفرحا بمرآك وأنسا بمشاهدتك . أيتها النجوم وبأيتها الشمس أنتن جال وأى جبال . أنتن أنس وأى أنس . أنتن مثيرات العشق والغرام . أنتن المنعشات لحب العالم . أنتن المضمرات نار الشوق للقائى ومثيرات نيران الحب لجالى أنتن عنوان جالى وكلى . أنتن حلية عوالمى . أنتن العرائس المصطفيات لأحبابى من عبادى وما العرائس المزينات المجلوات فى الأرض إلا نموذج لزينة كتن وجالكتن حتى اذا فرحوا بأقل الجالين طمعوا فى أكملهما بهاء وأبهامهما حسنا ولألاء

(٧) ولقد تعلم عبادى الذين يطربون الناس بالنغمات دواوين الغناء والألحان من نظام مسيرك وهكذا الشعراء فهؤلاء استمدوا الحساب ونظامه من حسابك فأصبحوا لا يفرقون بين حساب الأبيات الشعرية والأوزان الغنائية والحركات الفلكية (انظر هذا فى سورة يوسف عند قوله تعالى - وقطعن أيديهن - وفى مواضع أخرى من هذا التفسير مثل ما تقدم فى سورة الرعد عند قوله تعالى - وكل شئ عنده بمقدار -)

أيتها النجوم . أيتها الشمس . أيتها الأقمار . أنت اللاتى هام بك القدماء والمحدثون من مخلوقاتى حتى دخلت فى العبادات وصوّرت على صناديق بعض الأموات وأنزلتك فى القرآن فقلت - تبارك الذى جعل فى السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقراً منيراً - انتهى صباح يوم الاثنين ٢٩ اكتوبر سنة ١٩٢٨

هذه المقالة جاشت في صدرى في هذا التاريخ . ولقد تقدم في هذا التفسير أن قدماء المصريين أغرموا
بجمال الكواكب وهاموا بها هياما شديدا وأولعوا بها وأحبروا الله حبا جاعا وجعلوها رمزا لكمالها وصلة بينهم
وبينه ونحن معاشر المسلمين أمرنا بالنظر فيها لدعونا للشوق الى مبدعها الحكيم وخالقها العظيم ولكن قدماؤنا
المصريون جعلوها معبودهم وهذا المعبود يوصلهم لربهم لأن الرب أجل من أن يذكر على اللسان بل الذى
يذكر انما هم مخلوقاته ولذلك تنوعت الآلهة وكثرت الأصنام احتراماً لمقام الألوهية . أما الاسلام فقد قوّض
هذه الأركان وهدم الأوثان وقال أيها الناس اعبدوا ربكم فليس تعظيمه بالاشراك ولا تقديسه واحترامه بعبادة
الأوثان بل هو المعبود قولاً وفعلاً والمذكور سرا وعلاً . ولقد ترى في تفسير (سورة يونس) صورة منطقة
البروج وحولها الكواكب المعروفة عند قدماء المصريين قد كشفوها مرسومة على صندوق أحد العظماء
فالكواكب معظمات عندهم في حياتهم وبعدهموتهم . ومن ذلك ما ذكرته لك هناك من أن الهرم الذى تراه
مرسوماً هناك مشروحاً مذكوراً سببه قد بنى بحذاء كوكب الشعرى المعبود المعظم عند القوم وقد كانوا يجعلون
صورة الهرم مع الميت تيمناً بكوكب الشعرى الذى بنى الهرم بحذاءه . وإذا مات الميت وجهوا وجهه الى جهة
الهرم المرموق بنظر ذلك الكوكب . هذا ما عثر الباحثون والكاشفون عليه في خبايا الأرض وأحافيرها
وطوايرها ونوايسها بالبلاد المصرية في داخل الأجداث . ولقد عثروا على غرام الأحياء بالكواكب في
البلاد المصرية فوجدوا حبها متمكناً في القلوب بحيث امتزج بالدم والعمل والدين (انظر ما تقدم في سورة
يونس) فانك ترى في أولها هناك حساب الهرم وانه بنى على سير الشمس وعلى مقتضى دائرتها السنوية وأن
محيط الهرم منسوب لمحيط مدار الأرض حول الشمس وارتفاع الهرم منسوب لبعد الأرض عن الشمس حتى
إذا هدم الهرم أمكن أن تعرف مقاييساً من نفس مدار الشمس . وترى هناك مقاييس مصر كالذراع البلدى
ومكاييلها كالأردب وموازينها كالرطل كلها مستخرجات من مساحة الهرم المبينة على مدار الشمس وعلى بعدها
عن الأرض فارجع اليه إن شئت تجد الحب الحب . وههنا أريدك تبياناً جليلاً بما قرأته في كتاب مترجم
حديثاً ترجمه أحد القائمين بالمتحف المصرى فآثرت نقل ما يناسب المقام منه لتعجب من جلال الله الذى أشرق على
الكواكب الراقصات في جوار السماء فأرقت أهل الأرض وهاموا بالجلال والبهاء وجعلوه عبادة لله وإن كان
هذا لا يوافق ديننا لأنه أشرف الأديان ولأن الله يقول لنبينا - لكل أمة جعلنا منسكاً هم ناسكوه فلا ينافى عنك في
الأمر وادع الى ربك انك لعلى هدى مستقيم - فهناك ما نقلته من ذلك الكتاب تحت عنوان ﴿ الرقص
وأنواعه وأوصافه ﴾ ترويحاً للنفوس وتنويعاً للدروس وتشويقاً للعلوم والحكمة وفهماً لقوله تعالى - إنا زينا
السماء الدنيا بزينة الكواكب - وقوله تعالى - وزيناها للنظرين - وها هو ذا

﴿ الرقص وأنواعه وأوصافه ﴾

﴿ عند قدماء المصريين ﴾

قال مونسترية « كان قدماء المصريين يرقصون حول الهياكل والمعابد على شكل دائرة ويتخيّلون
الهيكال كالشمس في كبد السماء فيدورون حوله تمثيلاً لمنطقة البروج أى كاندور الكواكب والنجوم والسيارات
حول الشمس دورتها اليومية والسنوية » وقال لوسيان « كانت حركات الرقص عند قدماء المصريين تشبه
في السرعة انحدار الماء وتمازج لبيب النار في الهواء وخيلاء الاسود وغضب الفهود وترفع الغصون فهو
أبداع ما يكون »

قد دلت الآثار المصرية التى يرجع تاريخها الى (٥٠٠٠) سنة على أن المصريين هم أقدم الشعوب مدنية
وأوسعهم حضارة وقد توسعوا في المدينة وفنونها حتى أقنوا فن الرقص وأحكموا قواعده . وما هو جدير

بالذكر انهم لم يتخذوا الرقص للخلاعة والملاهي كما نراه الآن بل كان عند خدمة للشعائر الدينية ونموذجاً للحركات الفلكية وتمثيلاً للأنعام الموسيقية . وكانوا يقصدون من الرقص جملة فوائد دينية وديوية . أما الدينية فهو ما كانوا يتقربون به حول الهياكل والمعابد فقد قال كسينيل بلاذ (إن تمجيد الخالق عند قدماء المصريين أذاهم الى انشاء الأناشيد المقدسة واحداث الرقص اظهاراً لسرورهم وأفراحهم وقياماً بشكر النعم وتمثيلاً للعبودية والخضوع لمقام الربوبية حتى اعتبر قدماء الشعوب أن الرقص جزء جوهري من دياناتهم ولم يكن ذلك قاصراً على المؤمنين منهم بل الطبيعيون أنفسهم وهم الذين يعتقدون أن الالهية منحصرة في نظام الطبيعة . كانوا يرون أن مجموعة الأناشيد وأنواع الرقص ممثلة لاعداد الكمالات في ذلك النظام وكفيلة باحترام الطبيعة ومجدها) ومن العجيب أن قدماء المصريين بلغ احترامهم الرقص عندهم لدرجة أن اعتقدوا أنه من ضمن التعاليم المتزلة فقد قال ديودور الصقلي المؤرخ اليوناني المولود في القرن الأول ق.م ان أسوريس (وهو المعبود العظيم) كان يحترم توت (هرمس) ويحمله نظير ماسرعه وبثه في الهيئة الاجتماعية من علوم الفلك والموسيقى والرقص والألعاب الرياضية وغيرها من الفنون التي بلغت عندهم درجة الكمال وسبقوا بها الأمم في مدارج الرفعة وسعادة الحياة * قال مونسيرييه في كتابه الذي وضعه سنة ١٦٨٣ وسماه (الرقص القديم والحديث) مانصه

« إن الرقص عند قدماء المصريين كان يمثل الحركات السماوية على نموذج الألفان الموسيقية وكانوا يرقصون حول الهياكل والمعابد على شكل دائرة ويتخيلون الهيكل كالشمس في كبد السماء فيدورون حوله تمثيلاً لمنطقة البروج أي كما تدور الكواكب والنجوم والسيارات حول الشمس دورتها اليومية والسبوعية » ولم نعر في النصوص المصرية القديمة على تفصيلات هذا الرقص الديني القديم حول الهياكل وغاية ما قاله لوسيان المولود في القرن الثاني للمسيح في بلدة ساموزات التابعة لسوريا القديمة « ان مجموعة الكواكب ودائرة النجوم والسيارات هي محور لهذا الرقص الفلكي ، والرسوم المنقوشة في المعابد والهياكل لم تدل على أي بيان لهذا الرقص الفلكي وقد كان له قوانين محترمة كغيره من الفنون . أما (أفلاطون) فقد وصفه وصفاً مبهماً حيث نقل عن قدماء المصريين انه كان من واجب الشبيبة المصرية أن لا تترن إلا على الرسوم والألفان البالغة حد الكمال لذلك كانوا يختارون نماذج مخصوصة للرقص ويحدثونها ويضعونها في الهياكل والمعابد وكان محذورا على النقاشين والرسامين الذين يحضرون هذه المشاهد أن ينقلوا شيئاً عنها أو يمثلوها في الخارج حذراً بانما يقتضي نصوص قوانين البلاد وقد قدسوا كل أنواع الرقص والأغاني

قال (مينار) في كتابه الذي سماه (تاريخ الشعوب الشرقية) ان المصريين القدماء كانوا أكثر الأمم تديناً وكانت أكبر اجتماعاتهم الدينية محافل طرب لميلاد إلههم وعودته أو مجامع حزن وبكاء لموته وكانت هذه الاحتفالات تشتمل على أنواع من الأناشيد المقدسة وأشكال من الرقص الديني

ونقل أيضاً لوسيان أن الرقص والغناء كانا مقتسين عند قدماء المصريين ومن لوازم الاحتفالات الدينية وذكر (هيردوت) أن المصريين هم أول الشعوب الذين وضعوا الاحتفالات الدينية ومنهم أخذ اليونان جميع عاداتهم وتقاليدهم . وكان عند المصريين أعياد كثيرة في كل سنة لأنهم كانوا يجعلون لكل معبود تمثيلاً خاصاً به . وكانوا عند ما يذهبون الى مدينة (بوسط) للاحتفال بعيد المعبودة (ديان) يركبون السفن في النيل والنساء يلعبن فيها بالساجات والرجال يضربون بالناي مدة السفر ويغنون ويصفقون وكلما رست السفينة على شاطئ يجتدون حفلة راقصة . وقد وصف (ابيليه) الروائي الروماني المولود في القرن الثاني للميلاد حفلة عيد من أعياد المعبودة (اسيس) فقال « كان النساء في ذلك اليوم يلبسن الثياب البيضاء ويضعن على رؤسهن أكاليل الزهور تلوح على وجوههن علامات البهجة والسرور ويفرشن الطرق التي يمر منها المحفل المقدس بأنواع الورد والرياحين وينشدن نغمات لذبة ويضربن بالناي ويلهين كوكبة من أعظم المصريين لابسين الملابس

البيضاء القيمة و يترنمون بالأناشيد المقدسة ثم يأتي بعدهم جاعات من الرجال والنساء من كل الطبقات المتأهلة للأسرار الإلهية لابسين حلا باهرة من الكتان الأبيض وكان النساء يضعن على رؤسهن المعطرة المنسوجات الشفافة وكانت رؤس الرجال محلوقة ويضربون على الأعواد التي يتخذونها من النحاس والفضة والذهب بتوقيعات مطربة منعشة . وكانت الأئمة كلها تشارك في عيد الجبل (أييس) لإحياء مراسمه وتعظيمه له واجلالا لمقامه . ومن عجيب ما اتفق أن (كبير) ملك الجعم رجع منهزما من حربه مع إحدى الممالك فدخل مصر في عودته فصادف دخوله يوم احتفال المصريين بعيد ظهور الجبل (أييس) وهم لابسون اغتر الحلل وقائمون بمظاهر الأفراح لهذا العيد وكان كميز قد دخل مصر قبل هذه المرة فلم ير من المصريين مثل هذا الاحتفال فظن أنهم يشمتون فيه وأن هذه الولائم والمحافل أقاموها فرجا بخذلانه وتشقيا في انهزامه في الحرب فاستحضر رؤساء مدينة (منفيس) وسألهم لماذا يقيم المصريون الآن معالم الأفراح والزينات عند ما فقدت جنودى في ساحة القتال ورجعت بالفشل ولم أر ذلك منهم يوم دخلت (منفيس) أول مرة منتصرا فأجابوه ان هذا اليوم صادف ظهور الجبل (أييس) معبودهم فأقاموا له الأفراح ومظاهر الأعياد فلم يصدقهم وأصر على اعتقاده أن ذلك شتمته به وأعلن غضبه على المصريين وأذاقهم أنواع النكال والعذاب

قال (دى كاهوداك) في كتابه الذى وضعه سنة ١٧٥٤ وسماه « الرقص القديم والحديث » ما نصه « إن الرقص عند قدماء المصريين كان أمرا جوهريا في الدين وقد تفرغوا فيه حتى اخترعوا رقصا خاصا للعيد معبودهم الجبل (أييس) وذلك أنهم كانوا اذا مات الجبل أخذوا يبحثون عن عجل غيره مستوف للشروط والتعليمات الخاصة له حتى اذا وجدوه فرح به الكهنة وخصصوا لخدمته جهورا من السيدات مدة أربعين يوما ثم يضعونه في قارب ويذهبون به الى الهيكل بمدينة (منفيس) مصحوبا بالكهنة وسراة القوم وجاهير عظيمة من طبقات الشعب ويستعملون لهذا الاحتفال ألف آلة موسيقية يوقعون عليها بمختلفات الأنغام وبدائع الألحان ثم يختمون الاحتفال بأنواع الرقص المدهشة . وكان اذا مات (الجبل) أييس هذا ألقاه الكهنة في النيل ثم أخرجوه منه وحطوه ودفنوه بكل الاجلال والاكرام ورقصوا الرقص الجنائزى على شواطئ النيل وفي المقابر والطرق وعمم الأسف والحزن الشعب أجعه ومتى ظهر لهم عجل آخر تبدلت الأتراح أفراحا وانقلبت المآتم مواسم وأقاموا الأعياد والولائم وأنواع الرقص مدة سبعة أيام . ثم توسعوا في حفلات الرقص حتى اتخذوها شعارا الجنائزهم فقدموا في آثارهم على رسم راقصات لباسات ثيابا صفراء ومنهن ثلاث واقفات يضربن الطبول وثلاث أخريات الميت . ويوجد في مقابر (طيه) منظر جميل يمثل حفلة مأتم الأمير (حورح) وفيها امرأتان تقدمان للميت أواني معدنية مملوءة زهورا وعطرا وثلاث نسوة أخريات يرقصن ويضربن آلات موسيقية

ويوجد أيضا رسم لمرئيو يمثل النساء راقصات ضاربات على الطبول حدادا على الميت بينما الرجال بأيديهم عصي من الخيزران يضربونها في الهواء جهة اليمين واليسار ليطردوا الأرواح النجسة في زعمهم . واشتهر الرقص عندهم أيضا في الحروب ونقله الأثيوبيون وقد وصفه (لوسيان) فقال « كان الأثيوبيون اذا أرادوا الحرب يرقصون أولا في ميدان القتال ولا يصوبون رماحهم الى الأعداء قبل أن يرقصوا ويظهروا حركات حماسية يهتدون بها الأعداء . ثم ازدادوا توسعا في الموضوع فاخترعوا الرقص الحديث الذى عرف بالرقص العائلى الذى أخذه عنهم جميع الشعوب القديمة والحديثة » وقال ديودور الصقلى « انه لما ذهب اسوريس الى اثيوبيا كان يصحبه تسع بنات يعرفن كل الفنون وأنواع الغناء والرقص وهن اللاتي نشرن هناك هذه الفنون الجيلة

« صفة الرقص »

قال (بارون) في كتاب الرقص « إن الآثار المصرية القديمة تمثل أنواع الرقص العائلى . ولاحظ أخيرا روسيليني سنة ١٨٣٤ أن حركات الراقصات المصريات في الزمن القديم أكثر شبيها بحركات الرقص في عصره

وكان الرقص عندهم على (نوعين * النوع الأول) يكون بحركات القدمين والذراعين (والنوع الثاني) بحركات كل أعضاء الجسم * قال لوسيان (إن الرقص عند قدماء المصريين كانت حركاته تشبه في السرعة انحدار الماء وتماوج لهيب النار في الهواء وخيلاء الاسود وغضب الفهود (١) وترغ الغصون فهو أبدع ما يكون) ويوجد بالمتحف المصرى تحت نمرة ٢٣٣٣ بالدور الأسفل حجرا كتشف في أحد قبور الأسرة الخامسة يمثل حفلة راقصة وفي أسفله ترى امرأتين تصفقان وأمامهما الراقصات يتمايلن على ايقاع التصفيق وفي أعلاه ترى رجلا يضرب آلة شبيهة بالعود وآخرين ينفخان في البراع المثقب (الناي) وبجانبيهم المغنون المطربون وقد وضع أحدهم يده على وجنته ليتمكن من ضبط صوته ورفع آخرون أيديهم ليحسنوا الإيقاع ويرشدوا الموقعين كما هي العادة المتبعة اليوم . وكانت الموسيقى تتبع دائما الرقص وأهم آلات الطرب عندهم الطبلية والقنارة والربابة والعود والصنج والناي والأجرسة وغيرها ومحفوظ منها نموذج بغرفة من الدور الأعلى بالمتحف المصرى

وكانت أبواب الراقصات تصل الى أقدامهن مع اتساع الأبدان وهي من الشفاف الذى تظهر منه هيئة الأعضاء وحركاتها . قال (لافاج) في كتابه الذى وضعه سنة ١٨٤٤ وسماه (الرقص القديم والحديث) « ان الرقص عند قدماء المصريين كان على (نوعين * النوع الأول) مجرد حركات بسيطة (والنوع الثاني) تمارين رياضية يتمايل الجسم فيها الى كل جانب بينما تتخطو القدمان بسرعة بعض خطوات قليلة مع مد اليدين وتحريكهما يمنة ويسرة ومن هذا أخذ المتأخرون الرقص الحديث وتفننوا فيه في كل زمان ومكان قد رأينا في قبر (تي) رسما يمثل امرأة ترقص على الطراز الحديث وتغنىها الأيمن معتمد على أطراف قدميها وذراعاها فوق رأسها وكانت حفلات الرقص تجعل عادة ختاماً للولائم والأفراح والرسم الموجودة في المتحف المصرى ومقابر (سقارة) و (بنى حسن) و (طبيه) تبرهن على أن الرقص قديم جدا وأنه باق على حالته لم يتغير منه شئ منذ (٥٠٠٠) سنة وأنه كان معتبرا عندهم علما وفناله قواعد أساسية لا تتغير ولا تزال معالمة محفوظة الى اليوم عند جميع الشعوب الشرقية والغربية انتهى

وانما نقلت لك هذا أيها الذكى لتتظرفى أمر هذه النجوم وكيف هام بجمالها النوع الانسانى كله وكيف هام الناس برهم وتشوقوا اليه بما رأوا في مصنوعاته من الجلال . ولا تظن أن أم الاسلام غفلت عن هذه المباحث الدقيقة فانظر كتاب السماع في الإحياء للغزالي وكيف أباح السماع اذا لم يثر الشهوة البهيمية بشروط خمسة فاقراها هناك وانظر في كتاب الاشارات لابن سينا فقد قال ان العبادة مع الفكر موصلة لله وقال أيضا إن الصوت اللطيف بشروط خاصة موصول الى الله عز وجل . وأنا لست الآن في مقام الأخذ بقول من هذه الأقوال ولكنى أريد بذلك أن الأم كلها اسلامية وغير اسلامية نظرت في الجلال المنظور والجمال المسموع فالمنظور من الجلال والمسموع من النعمات كلاهما بهياج النفوس الى معالى الامور . وتجد الامام الغزالي في الاحياء يفصل المعاني عند القوم ويبين ما يوصل الى الحكمة وما يكون قاطعا للنفوس عن الوصول . فانظر كيف شغف قدماء المصريين بالكواكب في الموازين ونحوها وفي لهوهم وفرحهم وما تتمهم . وهكذا الأمم جميعها قديمها وحديثها تلعب (الغرد) وما الترد إلا مثال للنظام السماوى فالجبران اللذان يرميها اللاعبون كل واحد منهما له ستة أوجه عدد الجهات الست وفي كل وجهين متقابلين (٧) نقط فان كان في أحدهما (١) كان مقابله (٦) وان كان (٢) كان مقابله (٥) وان كان (٣) كان مقابله (٤) وهكذا فهذان الجبران يمثلان عالم الأفلاك الدائر في مداره والنقط السبع تمثل الكواكب السبعة المعروفة عندهم التى تأتى بالسعد والنحس في عرفهم وما يصيب اللاعب من خير وشر كالذى يصيب الحى من خير وشر بسبب استعمال ما تأتى به هذه الكواكب من سعد ونحس فالحي واللاعب كلاهما يأتيه ما كان مجهولا عنده وذلك بطريق المصادفة والمدار على حسن

استلزاما جاء له وبضدها تميز الأشياء . فهذه دلائل على أن هذا الانسان كان مغرما بالكواكب فرحا بها متجها للعالم العلوى . ومن عجب انى رأيت اليوم رأيا للعالم المخترع الكبير الأمريكى المسمى (اديسون) فى أصل الحياة يقول انها أتت لنا من عوالم أخرى مجهولة لنا ففرج هذا الى ما كان عليه القدماء إذ كانوا مغرمين بالكواكب والعوالم العلوية وأن منها السعد ومنها النحس ولكن اديسون لا يعين ذلك العالم الذى أتت منه الحياة وانما يقول هو عالم غير العالم الأرضى مستدلا بأن الأرض كانت كرة غازية فلما ظهرت فيها الحويصلات الحيوية فى البذر والبيض والحيوان والانسان احتلتها تلك الحياة ونظمت شؤونها وهى وان كانت طارئة على الأرض تميز بين بيضة الدجاجة واستعدادها وبيضة المرأة وتعطى كلا منهما حياة تناسبه وزاد على ذلك أن الخلية الواحدة من خلايا جسم الانسان تحتوى على ملايين الذرات التى أعطيت قوة التعقل والتفكير والتدبر والعمل وهى طوائف كطوائف الناس فكل له عمل وهذا هو السبب فى اننا نرى الجرح اذا سال دمه يلتئم وهذا الالتئام ناشئ بأعمال متقنة مبنية على علم بل يقول انها تعقل أكثر من الانسان . ويقول أيضا هو لمحدثه كجاء فى جرائدنا المصرية يوم الاثنين ٢٩ اكتوبر سنة ١٩٢٨ أنه لما أغلق أحد العمال عليه باب السيارة انطبق على أصبعه فطار منها الظفر فها هو ذا أخذ يتدمل ومن أين هذا الاندمال ؟ انما تصنعه تلك الخلايا اللاتى تعد بالملايين فى أصبعى وهى تعقل ما تفعل ومنها المدبرات أمرا والعاملات والصانعات . أقول وكأنه نطق بقوله تعالى - ان كل نفس لما عليها حافظ - وبقوله - فالمدبرات أمرا - وبقوله تعالى - بأيدي سفره * كرام بررة - وبقوله تعالى - وما لنا إلا له مقام معلوم - وبقوله تعالى - وان عليكم لحافظين * كراما كاتبين * يعلمون ما تفعلون - وهكذا من آيات أخرى . ويقول (اديسون) المخترع المشهور المذكور أيضا ﴿ ان هذه الخلايا المتحددة ماهى إلا ممالك متحدة منظمة فنادام العمل بينها قائما على السداد بقيت واذا حصل اضطراب غادرتها تلك الحياة التى جاءت لها من عوالم أخرى وكأنه نطق بقوله تعالى - وفى السماء رزقكم وما توعدون - ومما قاله لمحدثه أيضا ان أباه أخذ منه قهودا وسافر الى أوزوبا وشاهد ما أراد من البلاد ورجع مسرورا وكانت سنه فوق الثمانين ولما بلغت سنه فوق (٩٣) سنة قال يابنى انى اريد أن أموت فقال له ولماذا قال لأن كل ما كنت أريد الاطلاع عليه وعمله فى هذه الأرض قد تم فلامعنى لبقائى وانامتوجه الى أخذك لأموت ضدها فحاولت منعه فلم اقدر فتوجه لها وهو صحيح الجسم قوى متين ومات بعد ثلاثة ايام . قال وانما مات لأنه أحس بأن تلك الخلايا فى الجسم رات انه لاملامة بينها فسمت البقاء على الاجتماع فأنذرتة بالاحرف ولاصوت ففارق الحياة . أقول ومما قرأته فى كتاب (الأسفار) للشيرازى ان سبب الموت الطبيعى ان الروح لا تزال تزداد حرارة والجسم يزداد برودة بتقدم السن حتى لا يقدر الجسم على حفظ الروح لشدة حرارة جها للعالم العلوى فتنتقل منه وهذا رأى أيضا خاص بصاحبه كما ان رأى (اديسن) المذكور (مخترع القنوغراف وغيره) خاص به - وفوق كل ذى علم عليم -

وانت خير ايها الذكى انه لم يقل هذا على انه يقين عنده بل يقوله من باب الفرض لا غير ونحن نعتبره كذلك . ومن عجب ان يكون هذا الفرض هو الذى اتقاه بطريق اليقين عنده وفى نظره الشيخ الدباغ الذى نقلت عنه كثيرا فى (سورة الكهف) وغيرها إذ يقول هو ويقول الشيخ الخواص ﴿ ان الجادات جميعها تعقل ﴾ وهذا الفرض الذى فرضه (أديسن) والقول الذى قاله الشيخ الخواص والدباغ ذكرته هنا ترويحيا لاتعلما ودعا الى ذكرها مسألة الكواكب وأن القدماء فرحوا بها وعشقوا ربهم بالتفكير فيها وخططوها بمجدهم وهزلهم بل قالوا انها سبب سعدهم ونحسهم فقلنا ان بعض أهل عصرنا يرجع الحياة فى الأرض الى تلك العوالم هذا والقرآن لم يدع فرصة تمر إلا ذكر السموات والأرض وأمر بالتفكير فيهما وهذا معناه أن المسلم عايه ان يكون أحرص على جلال هذه العوالم من الأمم السابقة لأننا خيرامة أخرجت للناس وهل خير الأمم بمجلون

ما علمه من هم أقلّ منهم من جلال الله وكبره . أما أنا فأقول سيكون بعدنا أم إسلامية يكونون أرق من الأمم السابقة واللاحقة وهذا التفسير بحمد الله من مقدمات تلك النهضة الجبيلة والحمد لله رب العالمين . انتهى مساء يوم الاثنين ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٢٨

(بهجة السموات)

(كيف تعرف صور النجوم السماوية)

اعلم أن علم الفلك قد خطا فيه الأولون خطوات واسعة . ولقد كنا نتعلمه في (دارالعلوم) في أواخر القرن التاسع عشر وهذا صورة ماتلقينا نقلته من كتاب المرحوم استاذنا حسن حسنى بك فلاذكر ما فيه هنا من صور النجوم ومن الآراء المعروفة إذ ذاك ولكن الذى عرف بعد ذلك أكثر مما يدلك أن العلم اليوم سريع الخطو حتى ان الأجرام السماوية التى عرفت للآن أبغدها يصل نوره لنا فى مائة مليون سنة وهذا القدر عظيم جدا فهو فوق العقل البشرى . وقد عدوا بنجوم المجرة (٢٠) مليونا وهى الآن تعد بمئات الملايين فهناك ما فى الكتاب المذكور

(وصف السماء . الصور السماوية . النجوم المشهورة)

(٢٥) الاحصائيات . الكرات والخرط السماوية

الفلكيون بمعرفتهم الطرق التى بها تعين الأوضاع المضبوطة للنجوم على الكرة السماوية أمكنهم أن ينشؤا إحصائيات فيها النجوم مرتبة على حسب كبر مطالعها المستقيمة وأمام كل نجمة مطالعها المستقيم وميلها واستعملوا هذه الاحصائيات لوضع النجوم بأوضاعها النسبية على كرة صناعية وذلك بأن يرسم على سطح هذه الكرة الصناعية دائرة عظيمة من نقطة ما مثل (ق) نعتبرها القطب الشمالى مثلا وتكون هذه الدائرة العظيمة هى دائرة المعدل ثم ترسم جلة دوائر أخرى موازية لها وتكون هى الموازيات التى ترسمها النجوم تبعا للحركة اليومية ثم ترسم جلة دوائر عظيمة تدل على دوائر الليل ثم تعلم على سطح هذه الكرة جلة نقط تعين كل واحدة منها بالمطلع المستقيم والميل لنجمة مطابقة ويتحصل حينئذ على كرة سماوية كالكرات الصناعية الميئة لسطح الأرض . وكذلك تنشأ خرط سماوية بطرق المساقط

(٢٦) الصور السماوية . النجوم الأصلية - لأجل مساعدة الذاكرة فى دراسة النجوم قسموها من القلم الى مجموعات متميزة تسمى (الصور السماوية) وهى صور كائنات حية وغير حية تصوروا رسمها على الكرة السماوية وليس كل هذه الصور مشابهة لسمياتها بل البعض فقط وذلك كالنجوم الأصلية من صورة الثور فان لها وضعاً مثلثيا يشابه نوعا للجزء العظمى من رأس هذا الحيوان وكذا العقرب والاكيل والحية والتنين . وليان نجوم كل صورة تستعمل الحروف الهجائية فالحروف (ا) و(ب) و(ج) و(د) تدل على أربعة نجوم أصلية من كل صورة بحيث انه بالمرور من صورة الى أخرى تكون هذه الحروف ميئة لنجوم تختلف عن بعضها فى الضوء

(٢٧) عدد الصور . قد عدت (بطليموس) ٤٨ صورة منها ٢١ فى الشمال و١٥ فى الجنوب و١٢ فى الجزء المتوسط بالقرب من دائرة المعدل فى المنطقة التى يظهر أن الشمس تقطعها فى سيرها السنوى ويشتمل مجموع هذه الثمان والأربعين صورة على (١٠٢٩) نجمة منها (٣٦١) للصور الشمالية و(٣١٨) للصور الجنوبية و(٣٥٠) للصور المنطقية . والاثنى عشرة صورة المنطقية اعتبرت المنازل المتتالية للشمس فى مدة سنة وأسمائها هى (حمل) ثور . جوزاء . سرطان . أسد . سنبله . ميزان . عقرب . قوس . أوريح . جدى . دلو . حوت) وهى مجموعة فى قول بعضهم

حمل الثور جوزة السرطان * درعى الليث سنبل الميزان

ورمى عقرب بقوس لجدى * نزع الدلو بركة الحينات

والاحدى والعشرون صورة الشمالية هي (الدب الأصغر أو بنات نعش الصغرى . الدب الأكبر أو بنات نعش الكبرى . التنين أو الثعبان . الملتهب . العوا . الاكليل الشمالى . هر كول أو الجاني على ركبته . النسر الواقع أو السلحفاة . الدجاجة . ذات الكرسي . برشاوش . ماسك العنان . الحواء . الحية . السهم النسر الطائر . الدلفين . الفرس الأعظم ، الفرس الأصغر . المرأة المسلسلة . الثلث الشمالى أو الدلتا) والخمس عشرة صورة الجنوبية هي (قيطس . الجبار . نهر الأردن . الأرنب . السكب الأصغر . السكب الأكبر . السفينة . الشجاع . الكاس أو الباطية . الغراب . المحراب أو المجمرة . سنطورس . الذئب . الاكليل الجنوبي . الخوت الجنوبي)

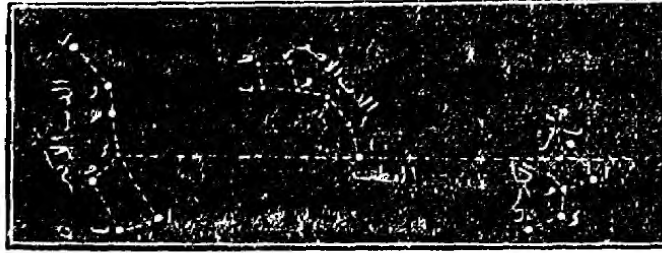
(٢٨) والنجوم التى تتكوّن منها الصور المعروفة عند الأقدمين تنقسم الى أقدار فأضواها تسمى من القدر الأول ثم ما يليها فى الضوء يسمى من القدر الثانى وهكذا والقدر السادس يشتمل على النجوم التى هى آخر ما يمكن رؤيته بالعين وهذا الترتيب اعتبارى لأن آخر نجمة من القدر الثالث مثلا يمكن أن تكون هى أول نجوم القدر الرابع ولذا يوجد اختلاف بين الفلكيين فى هذا الاعتبار ، ولكن المتأخرين حافظوا على هذا التقسيم وعلى رأى الموسيو (أرجيلاندر) يحتوى نصف الكرة الشمالى على ٩ نجوم من القدر الأول و٣٤ من القدر الثانى و٩٦ من الثالث و٢١٤ من الرابع و٥٥٠ من الخامس و١٤٣٩ من السادس . والمجموع هو ٢٣٤٢ وأما نصف الكرة الجنوبي فيحتوى على ٤٦٨٤ نجمة منها ١٨ من القدر الأول و٦٨ من الثانى و١٩٢ من الثالث و٤٢٨ من الرابع و١١٠٠ من الخامس و٢٨٧٨ من السادس . وأشهر الخراط لا تعطى اليوم سوى ٢٠ نجمة من القدر الأول وهى مرتبة على حسب ضوئها

أسماء	أسماء	أسماء
(١٥) الطائر	(٨) الشعري الشامية	(١) الشعري النيمانية
(١٦) السماء الأعزل (نير)	(٩) كتف الجبار	(٢) سهيل اليمن
(السنبل)	(١٠) آخر النهر	(٣) (١) من سنطورس
(١٧) فم الخوت	(١١) الدبران	(٤) السماء الراح
(١٨) ب من الدجاجة	(١٢) ب من سنطورس	(٥) رجل الجبار
(١٩) رأس التوأم المؤخر	(١٣) (١) من الدجاجة	(٦) العبوق
(٢٠) قلب الأسد	(١٤) قلب العقرب	(٧) الواقع

(٢٩) عدد النجوم المنظورة - يظهر أن عدد النجوم التى ترى بالعين عظيم جدا . ولقد حصر الموسيو (أرجيلاندر) ٣٢٥٦ نجمة ترى بالعين وتمتد على القبة السماوية بين القطب الشمالى و ٥ من ٣٦ من الميل الجنوبي وهذه المنطقة تشتمل تقريبا على ٨ من ٩٠ السطح الكلى للكرة وبهذه النسبة يكون للعشرين الآخر (٨٤٤) نجمة ويكون العدد الكلى للنجوم التى ترى بالعين (٤١٠٠) نجمة . وبعض الراصدين ذوى البصر الحاد أمكنهم رؤية بعض نجوم من القدر السابع حتى ان العدد السابق وصل الى ٦٠٠٠ نجمة تقريبا أو يزيد من ذلك . وإذا استعملت النظارات يزيد هذا العدد كثيرا ويصل الى (٢٠٠٠٠٠ ر ٢٠٠٠) نجمة تقريبا فى جميع السماء من ابتداء القدر الأول لغاية القدر الخامس عشر

(٣٠) وصف السماء - أسهل طريقة لمعرفة الصور السماوية هى مقارنة السماء بالخراط السماوية المنشأة على

حسب القواعد . وإذا لم توجد خطوط وأريد ذلك فبمساعدة بعض نقط تعتبر مبدأ يمكن إيجاد المجموعات النجمية الأصلية وفي قطرنا (مصر) نجعل المبدأ صورة الدب الأكبر
 الدب الأكبر (شكل ٤١) - إذا وجه الإنسان نظره جهة الشمال فإنه يرى صورة الدب الأكبر وتحتوي على سبع نجوم أصلية وجميعها من القدر الثاني ماعدا النجمة (د) فهي من القدر الثالث والنجوم (هـ) و (و) و (ز) تكون ذنب الدب الأكبر (انظر شكل ٤١)

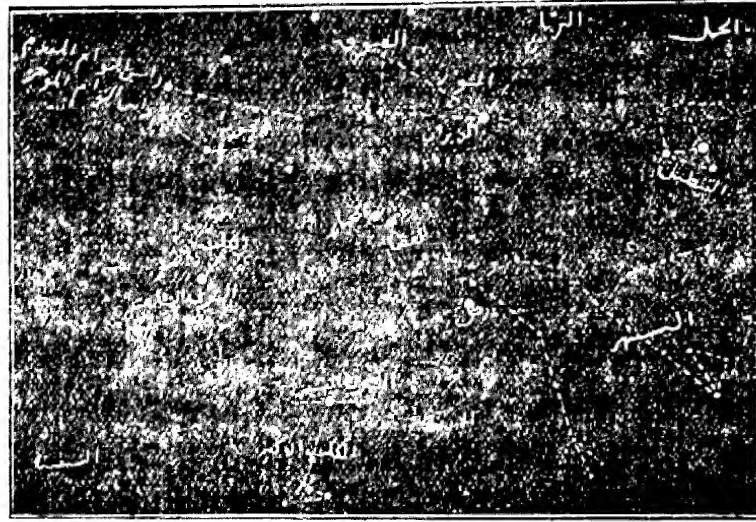


(شكل ٤١ - الدب الأكبر)

(النجمة القطبية) - إذا مد الخط (ب ا) من جهة (ا) ببعد يساوى (ا ر) فإنه يمرّ بالقرب من نجمة من القدر الثالث أو الثالث وهي النجمة القطبية التي تستعمل في إيجاد جميع الصور المهمة المنظورة في سماء مصر وهذه النجمة لا تبعد عن القطب إلا بقدر درجة ونصف وبواسطة النجمة القطبية يسهل معرفة الأربع نقاط الأصلية فإنه بالنظر إليها يكون الشمال أمام الناظر والجنوب خلفه والشرق عن يمينه والغرب عن يساره ، والنجمة القطبية هي ثالث نجمة من ذنب صورة مشابهة للدب الأكبر إلا أنها أصغر منها وموضوعة بعكسها وتسمى الدب الأصغر (ذات الكرسي) - إذا وصل بين نقطة (د) من الدب الأكبر والنجمة القطبية بمسقيم ومد من جهة النجمة القطبية بكمية تساويه توجد ذات الكرسي وهي تشتمل على جلة نجوم من القدر الثالث وهذه الصورة هي في مقابلة الدب الأكبر دائماً بالنسبة للنجمة القطبية

(الفرس الأعظم) - المرأة المسلسلة - (شكل ٤٢) - إذا مد الخط الذي عين النجمة القطبية من جهتها فإنه يقابل صورة الفرس الأعظم وبإضافة النجمة (ا) من المرأة المسلسلة إليه يتكون ما يسمى مربع الفرس الأعظم وزوايا هذا المربع تشغلها نجوم من القدر الأول فإذا وصل بين (ا) من الفرس الأعظم و (ا) من المرأة المسلسلة توجد النجمتان (ب) و (ج) من المرأة المسلسلة اللتان تأخذان في الاقتراب من النجمة القطبية (برشاوش) - إذا مد الخط (ب ج) من المرأة المسلسلة يمرّ بالنجمة (ا) من برشاوش ، ومربع الفرس الأعظم والخط (ب ج) من المرأة المسلسلة والنجمة (ا) من برشاوش تكون جلة شكلها يشابه الدب الأكبر إلا أنه ذو امتداد أعظم منه

(الغول) - النجمة (ا) من برشاوش توجد أيضاً على امتداد الخط (ا ج) من مستطيل الدب الأكبر وإذا مد هذا الاتجاه الأخير قليلاً من جهة (ا) يقابل (ب) من برشاوش وتسمى الغول وهي نجمة شهيرة جداً بتغير ضوءها تغيراً عظيماً ، والغول هي أضواء نجمة من رأس الغول موضوعة في يد برشاوش (انظر شكل ٤٢ في الصفحة التالية)



(شكل ٤٤)

(الكلب الأصغر) - (الشعري الشامية) - النجمة (أ) وهي الشعري الشامية من الكلب الأصغر توجد على امتداد الخط الواصل بين النجمة القطبية ورأس التوام المقدم من جهة هذه الأخيرة وإذا مد الخط (د ب) من جهة الشعري الشامية فانه يقابل النجمة (أ) أو الشعري اليمانية من الكلب الأعظم وهي أضواء نجوم السماء (ذوالعنان) - (العيوق) - (شكل ٤٤) إذا مد الخط (ب ج) من المرأة المسلسلة من جهة (أ) من برشاوش توجد نجمة من القدر الأول وهي (أ) من ذى العنان أو العيوق (الثور) - (الدبران) - (شكل ٤٥) إذا مد الاتجاه (د أ) من الذب الأكبر من جهة ذى العنان فانه يمر بصورة الثور ويمر بالقرب من الدبران أو عين الثور وهي نجمة من القدر الأول وفي صورة الثور توجد الثريا وأرجل التوامين (انظر شكل ٤٥)



(شكل ٤٥)

(الجبار) - (الكلب الأعظم) - (الشعري اليمانية) إذا مد الخط الواصل بين النجمة القطبية والعيوق من جهة العيوق فانه يقابل الجبار وهو أجمل صورة في السماء (شكل ٤٤) ويحتوى على سبع نجوم أصلية أربع منها موضوعة على شكل شبه منحرف وفي مركزه توجد الثلاث الأخر التي هي أقل ضوءاً من الأربع وتوجد هذه النجوم الثلاث على خط مستقيم وتكون ما يسمى منطقة الجبار أو العصا ورأسان من رؤس شبه المنحرف هما نجمتان من القدر الأول (أ) أو كتف الجبار و (ب) أو رجل وإذا مد خط العصا يقابل الشعري اليمانية من الكلب الأعظم التي علمت بتخطيط آخر

(العواء) - (السمك الراح) - (شكل ٤٦) - إذا مد ذب الذب الأكبر فانه يمر بالقرب من نجمة من القدر الأول منسوبة الى صورة العواء هي السمك الراح وهي أضواء نجوم السماء بعد الشعري اليمانية (انظر

﴿ ما وراء المجرة ﴾

(العوالم الجزرية وعظمة الكون . أحدث المباحث الفلكية)

علم الفلك أو علم الهيئة من أسمى العلوم وأعلىها بالنفس ، وإذا أريد التدقيق فيه فهو من أعوص العلوم لأنه مبني على أدق القوانين الرياضية والطبيعية ، وهو كذلك أول علم استقرى الإنسان شيأ من قواعده وأدق علم وصلت اليه معارف البشر وأسمى علم يتفرغ له كبار العلماء ، وفيما يلي نبذة من أحدث المباحث الفلكية في موضوع يفتن كل لب وهو سعة هذا الكون وعظمة مبدعه ، فقد أثبت علماء الفلك حديثاً أن في الفضاء أكوانا عديدة كل كون منها مثل المجرة التي منها نظامنا الشمسي سعة وعظمة حتى إذا صغرت أرضنا وصار حجمها حجم الجوهر الفرد بلغ حجم الكون الذي يرى بالتلسكوب حجم الأرض ، وبلغ حجم الكون كله على ما يقضى به مذهب (اينشتين) ألف مليون أرض منتشرة حولها في الفضاء ، فما أصغر أرضنا إزاء هذا الكون العظيم ، وما أحقر أمورنا ومنازلنا إزاء القوى التي تديره وتحركه

أدرك القدماء أن في القبة الفلكية أجراما غير الشمس والقمر والنجوم لأن الذين راقبوا السماء منهم في ليال صافية شاهدوا قرب كوكبة الجبار وكوكبة المرأة المسلسلة تلك الغيوم المنيرة التي ندعوها بالسدم الآن . وقد أشار إليها أبو الحسن الصوفي أكبر علماء الفلك عند العرب فقال انه رأى سديم المرأة المسلسلة وسماه (لطخة سحابة) وأشار إليه وإلى غيره مما يماثلها بكلمة اللطخة أو السحابة ، على أن هذه الأجرام بقيت أسراراً مغلقة على الفهم البشري حتى كشف التلسكوب فأزاح اللثام عن حقيقتها ، فلما استنبط (غليليو) تلسكوبه انكاس وجهه الى أنحاء المجرة التي تظهر فيها السدم أو اللطخ السحابة فثبت له انها في الحقيقة مجاميع من النجوم تظهر قريبة بعضها من بعض لبعدها فتعذر رؤيتها نجماً نجماً . وفي آخر القرن السابع عشر استنبط (السر اسحق نيوتن) التلسكوب العاكس وعكف العلماء على اتقانه ، فلما انقضت مائة وخمسون سنة على استنباطه صنعت تلسكوبات كبيرة واستعمل اللورد (رس) أحدها في البحث عن حقيقة السدم فوجد أن السديم الذي في كوكبة السلاقيين يظهر لدى رؤيته بتلسكوب قوى مجموعة من الكواكب منتظمة في شكل حلزوني ومن ثم صار البحث عن السدم الجديدة والانقطاع لدرس أشكالها وبنائها من أكبر أعمال الفلكيين شأننا وأعلقها بألبابهم وقد كشفت حتى الآن مئات من السدم المولوية وغيرها ، وما كاد العلماء يكشفون هذا القدر منها حتى أخذوا يتكهنون في حقيقتها وذهبوا في ذلك مذاهب شتى . هل هي مجاميع من النجوم تظهر لطخاً سحابة لبعدها وانما إذا نظر إليها بتلسكوب قوى حللها الى أجزائها؟ أم هي غيوم منيرة بنور النجوم القريبة منها . أم هي غاز ملتهب منتشر في الفضاء ؟

في الجواب عن هذه الأسئلة أثبت (السروليم هيجنس) ان من السدم ما هو مجموع نجوم ترى نجوما لبعدها الشاسع ، ومنها ما هو في الحقيقة لطخ سحابة من الغاز الملتهب لأن خطوطها الطيفية تماثل خطوط غاز بلغ من الجود درجة أخذ يبعث عندها بمقادير القوة التي يتميز بها عن غيره من الغازات . ومن هذا القبيل سديم الجبار الكبير وغيره من السدم المنتشرة في الفضاء ، فإذا بلغت الغازات التي تتألف منها هذه السدم درجة كبيرة من الجود أطلقت تلك الأشعة التي لا تشعها الجواهر إلا حين انحلالها ، وقد أثبت علماء الحل الطيفي أن في هذه السدم عناصر الهيدروجين والهليوم وأحيانا النتروجين والكربون وأن فيها عناصر لم يجدوا له مثيلاً في عناصر الأرض فأطلقوا عليه اسم (نيوليوم) أي السديمي . وليست كل السدم على درجة من الحرارة تحملها على إرسال أشعتها الى الفضاء فبعضها مضى بالنور المنعكس عنه الصادر من الكواكب المجاورة له في الفضاء ، وبعضها بارد يمتص نور الكواكب الذي يصل اليه فقراه لطخاً مظلمة في صدر الكون . ومن هذا النوع سديم

مظلم في جهة الصليب الجنوبي يدعى باللغة الانكليزية غير العلمية (كبس الفحم) وقد وقف الاستاذ (برنار) الأميركي حياته على درس هذا النوع من السدم فذكر (١٨٠) سديما منها تباين من اللطخ الصغيرة الواضحة الحدود الى الغيوم السديية التي تشاهد قرب كوكبة الحواء ، فالأجرام السماوية التي تعرف بالسدم تقسم الى (قسمين * أولها) غيوم من الغاز الملتهب (والثاني) السدم اللولبية وما إليها وهي في الغالب مجاميع من النجوم تظهر لطلحا بعدها . وكان الرأي أولا أن هذه السدم اللولبية مجاميع صغيرة من النجوم تحيط بشمسنا من كل الجهات ولكن لما أنقذت آلات الرصد والتصوير والحل الطيفي ثبت للعلماء انها لا تقاس بنظامنا الشمسي لسعتها بل كل منها كون مستقل كالمجرة التي تحيط بنا ، وثبت أيضا أن في الفضاء ألوفا من السدم اللولبية كل منها سعة سعة مجرتنا ، ولا يعقل أن تكون ضمنها لذلك قيل ان كلا منها كون مستقل بنفسه خارج مجرتنا وأطلق عليها علماء الفلك من الأميركيين اسم (الأكوان الجزرية) ولما كانت لفظة (كون) تطلق عادة على كل ما أبدعه مبدع السموات والأرض فاستعملها في الانكليزية والعربية يخرج بذهن القراء عن منظورها الأصلي ولكن اصطلح عليها علماء الافرنج بخاريناهم في ذلك ، فالسدم من هذه الجهة تقسم الى (قسمين) أيضا (الأول) السدم التي داخل مجرتنا (والثاني) السدم التي خارجها

لا يخفى أن مجرتنا مجموعة عظيمة من النجوم والسدم الغازية وهي تشتمل على كل الكواكب التي ترى بالعين المجردة وألوف من الكواكب التي ترى بالتلسكوب وملايين أخرى لا ترى إلا بالآلة الفوتوغرافية فانها لبعدها لا تترك أثرا في اللوح الفوتوغرافي الحساس إلا بعد ما يتعرض لنورها الضئيل القادم من أطراف الفضاء ساعات متوالية . والثابت من رصد المجرة بكل وسائل الرصد المعروفة انها قرص عدسي الشكل طول قطره نحو مائة ألف سنة نورية وسمكه (٢٠) ألف سنة نورية وأن نظامنا الشمسي في وسطها تقريبا وفي هذا القرص نحو ٣٠ ألف مليون نجمة منتشرة في فضاءه على أبعاد كبيرة ، ولما كانت هذه النجوم لا يبعد أحدها عن الآخر بعدا واحدا فان بعضها يرى مجتمعا كتلا كتلا في أنحاء مختلفة وهذه لبعدها تظهر كاللطخ السحابية كما ترى في كوكبتى الراعى وهرقل ، وفي المجرة أيضا سدم غازية بعضها منير وبعضها مظلم على ما مر

نعود الآن الى السدم التي خارج المجرة وهي تلك الغيوم الغازية المنتشرة في الفضاء خارج المجرة كانتشار الجزائر في بحر متراعى الأطراف ، وأشهر العلماء الذين عنوا بدرس هذه السدم هو الاستاذ (هبل) من علماء مرصد (جبل ولسن) الأميركي فقد أشار له في رسالة حديثة له نشرها في (مجلة الاستروفزكس) (علم الفلك الطبيعي) الى نتيجة بحثه في أربعمائة سديم منها فقال ان منها سديما غير منتظمة الشكل أى ليس لها شكل قياسى خاص وأشهرها ما يعرف بغيوم مجلان ترى من نصف الكرة الجنوبي ويحسبها رائيها جزءا من درب التبان ولسكنها في الواقع بعيدة عنه بعدا شاسعا ولكن السدم التي لها شكل خاص أكثر من السدم غير المنتظمة الشكل وأكثرها اما اهليلجى الشكل أولولبيه ، ونور السدم الاهليلجى الذى حلل بالسبكتروسكوب يثبت انها تماثل مجرتنا الى حد بعيد مما لا يترك مجالاً للشك في انها مجموعة نجوم كمجرتنا ويتعذر تصوير هذه النجوم واحدة واحدة لبعدها الشاسع ، والمحتمل أن نجومها في طور التكوّن من الغاز الحامى الى حد الاضاءة وأن الغاز الذى لا يدخل في تكوينها يغشاها كبرقع الحسناء ، وبعض السدم في دور الانتقال من الشكل الاهليلجى الى الشكل اللولبي والبعض الآخر لولبي لا غش فيه تظهر فيه الأذرع المعكوفة التي تظهر عادة في السدم اللولبية كما ترى في الصفحة المقابلة في سديم السلاق . وقد قيست أبعاد هذه السدم فثبت أن السديم الكبير في كوكبة المرأة المسلسلة يبعد عنا نحو ٩٠٠ ألف سنة نورية وأن السديم اللولبي الذى في كوكبة المثلث يبعد البعد نفسه تقريبا ، ويظن أن ألوفا من السدم اللولبية الضئيلة تبعد عنا أضعاف ذلك ، وقد وجد الاستاذان (هبل) و (شپلى) أن في جهة كوكبتى شعر برنيكى والسنبلة سديما لا يقل بعدها عن مائة مليون من سننى النور

وقد استعمل السبكتروسكوب لمعرفة سرعة حركة هذه السدم في الفضاء فظهر أن سديم المرأة المسلسلة سائر نحو مجرتنا بسرعة (٣٠٠) كيلومتر في الثانية ، ولكن أكثر السدم اللولبية تبعد عنا بسرعة (٦٠٠) كيلومترا في الساعة . والطرق التي ابتكرها الباحثون لمعرفة جرم سديم من هذه السدم يتعلم بسطها هنا لصعوبتها ولكن يؤخذ من تطبيقها أن جرم السديم في كوكبة المرأة المسلسلة يساوي جرم شمسنا ألفي مليون ضعف وأن هذا السديم يستغرق (١٧) مليون سنة للدوران على نفسه مرة مع أن أرضنا تدور على نفسها مرة كل ٢٤ ساعة . مهما أمعنا ببصرنا وآلاتنا في الفضاء فانا لا نؤمل أن نصل الى نهايته لا في الزمان ولا في المكان وهذه الملايين التي تشع في الفضاء تدهش العقل وتحير القلب ، على اننا نشعر بطمأنينة حين ننظر الى ما كشفه العلماء عنها فنقول مع بسكال ﴿ اننا صغار ، بل من أصغر الكائنات وأضعفها ولكننا نعرف اننا صغار وفي ذلك سر عظيمنا ﴾ انتهى يوم الخميس ٢٤ يناير سنة ١٩٢٩

﴿ تذكرة ﴾

قد اطلع بعض العلماء على الصور السماوية الست المتقدمة وهي الدب الأكبر والدب الأصغر وذات الكرسي وأمثالها فقال انك قد كتبت هذه المقالة من كتاب أستاذك بدار العلوم منذ (٤٠) سنة . فقلت نعم . فقال إذن أنت تكتب لنفسك وكأنك نسيت انك تكتب في تفسير القرآن والتفسير لمجموع الأمة لا للعلماء . فقلت كيف ذلك . فقال اني لم أفهم حرفا واحدا من هذه المقالة المنقولة وخير لك أن تسير على طريقك فتكتب بهيئة تلخيص ، فهذا وحده يفهم أكثر الناس ، أما هذا فلن يفهمه إلا قليل . فقلت له انني قد لاحظت في هذا انه مسائل علمية والعلوم لا بد من المحافظة على أوضاعها ، ثم ان الأمر سهل جدا . فقال وكيف ذلك . قلت له ألم تطلع في (سورة النور) على رسم القارات مع حيواناتها . قال بلى . قلت فهل فهمته . قال نعم وهو جيل . قلت فهمنا كذلك ، فهذه الصور الست التي رأيتها ما هي إلا أما كن من السماء فيها صور النجوم قد رسمت ليطلع عليها الناس ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ يقف الانسان ليلا في الخلاء وفي الصحارى القفار وألحقول فيرى نفس هذه الصور بعينها بل هي أسهل من القارات الأرضية المتقدمة في (سورة النور) لأن القارة لا يراها الانسان كلها مرة واحدة بعينه في الطبيعة بخلاف هذه الصور فانك تراها جيلة واضحة . فقال زدني زدني . فقلت أنا ولدت في بلاد الشرقية من البلاد المصرية وعشت في أول حياتي مع الفلاحين وكنت أسمعهم يقولون يافلان انظر (وند النجم) أي النجمة القطبية . ان وقد النجم لا يتحرك والنجوم كلها تتحرك حوله وكنت أسمعهم يقولون (بنات نعش) يريدون بذلك الدب الأكبر المرسوم في الصور الست المتقدمة يريدون بذلك ان النجوم المرموز لها بحرف (ا ب ج د) هي هيئة النعش والنجوم المرموز لها بحروف (ه و ز) هي هيئة بناته يتيكن وراء النعش ، فالمجموعة المسماة بنات نعش هي نفسها الدب الأكبر فالنجوم الأربعة هي الدب والثلاث التي سميها بنات هي ذنبه ، فتأمل الشكل وقل لي هل فهمت ؟ قال نعم فهمت ولكني لا أعرفه في نفس الطبيعة . فقلت قف ليل في العراء كما قلت لك في ليلة حالكة السواد وارفع بصرك الى الجهة الشمالية وتأمل فانك تجد الدب الأكبر المرسوم هنا أمامك في السماء مرتفعا فوق الأفق نحو ٣٠ درجة سماوية . فقال وما معنى هذا . قلت معناه انه يبعد عن الأفق ثلث المسافة التي بينه وبين كبد السماء ، ذلك لأن المسافة ما بين القطب الشمالي والقطب الجنوبي يجمعونها (١٨٠) جزأ كل جزء درجة ، ومن الأفق الى كبد السماء في سمت الرأس (٩٠) درجة ، فاذن هذه الصورة في (٣٠) درجة أي ثلث المسافة بين الأفق وسمت الرأس . قال فهمت الآن ثم ماذا فقلت فهذا الدب ذو النجوم السبعة لا يقيب أبدا فهو يدور كل أربع وعشرين ساعة دورة حول نجمة القطب التي تراها عندك في الدب الأصغر أي الذي هو بعكس الدب الأكبر في نفس الصورة المتقدمة . قال أنا الآن فهمت وسأنظرها الليلة في السماء ، ثم جاء في اليوم الثاني وقال لقد نظرت في السماء فوق نظري على

هذه الصورة ففهمتها حالا بدون نصب بل وجدت الفلاحين يقولون لى هذا وتد النجم وأشاروا اليه اذا هو نفس النجمة القطبية التي في الدب الأصغر ورأيت الدب الأكبر يدور حولها وهي لا تتحرك . فقلت هذا هو السبب الذي جعلني أرسم هذه النجوم هنا ، ذلك لعلني أن مبادئ هذه الصور معروفة عند الفلاحين وأهل القرى ، ومتى كان القطب معروفا سهلت معرفة بقية الصور لمن أراد . ألا ترى أن ذات الكرسي تبعد عن النجمة القطبية بمسافة تساوي المسافة التي بين النجمة القطبية وبين الدب الأكبر . قال بلى وربى وأنا شاهدتها في السماء كذلك فكما أن الدب الأكبر على شمال نجمة القطب هكذا ذات الكرسي على يمينه في هذا الوضع والمسافة متساوية والناظر للسماء ليلا يعرف هذا بنظره بدون آلة ولا معلم ثم قال أما أنا الآن فقد فهمت هذه الثلاثة في نفسي وفي التفسير وفي نفس السماء . فقلت له إن بعض العلماء في عصرنا يقولون ان هذه النجمة القطبية تبعد عنا (٥٠) ألف سنة نورية وذلك أيام تعلمنا فلا أدري أهذه المسافة عظمت وزادت بزيادة الكشف في عصرنا ام لا ؟ فالنظر في هذه الصور نظري في عظمة الله عز وجل وهذا هو المقصود من هذا كله لأنه اذا كان القرآن لا يفهم سره إلا بعد فهم لفظه فهكذا هذه النجوم لانعرف عجائبها إلا بعد معرفة مواقعها وأسمائها . فقال صدقت والله . فقلت له إذن أنت عرفت ثلاث صور من الصور السماوية في السماء . قال نعم عرفتها . فقلت الأمر في البقية سهل لأن هذه جعلت مبدأ منه يمكن معرفة الباقي ، ألا ترى أن الشكل الذي بعد الشكل الأول من الأشكال الست وهو (شكل ٤٢) قد عرفنا فيه الفرس الأعظم وهو أربع نجوم كهية الأربعة التي في الدب الأكبر ووراءها ثلاث متصلات بها تشبه الثلاث التي في الدب الأكبر ، إذن هذه السبع كالذئب الأكبر وقد عرفناه بأمر سهل بسيط وهو أن الخط الذي امتد من الدب الأكبر إلى ذات الكرسي زدناه مدا فوصل الى الفرس الأعظم والذي معه هو المرأة المسلسلة وبرشاوش ، فهنا تبين لنا صور الدب الأكبر والأصغر والنجمة القطبية وذات الكرسي والفرس الأعظم والمرأة المسلسلة ونجمة الغول . فهذه صور عرفناها الآن واضحة في نفس السماء وفي (شكل ٤١ و ٤٢) أفلا يكفيك هذا الايضاح ؟ قال كفاي ولكن لا يفهمه غيري إلا اذا نظر نفس السماء وصبر على الفهم . فقلت وهل الفهم إلا بالصبر ، وهل السماء ليس لها حراس ، إن الله متكبر ومتعال وهو الذي جعل السماء سقفا محفوظا ومن حفظ هذا السقف أن لا يعقله إلا الذي تأهل له ، هذه سعادة وملك عظيم وهل الملك العظيم يعطي مجانا والله يقول - وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون - فالاعراض عن الآيات السماوية يمنع فهمها والاقبال عليها مفتاح فهمها والله عز وجل رحيم بخلقه ولكنه حكيم والحكيم لا يعطى إلا المستحق . فقال الحمد لله قد فهمت هذا المقال حق فهمه . فقلت الحمد لله رب العالمين ثم جاء صاحبي بعدها بأيام فقال لقد شغلتني هذه الصور وقد فقهتها جيدا وأريد اليوم أن تبين كيف نعرف الجوزاء والأسد والسنبلة المشروحات في الرسم . أريد منك بيانا مختصرا بحيث أحفظه نهارا وأطبقه ليلا ومتى عرفت ذلك هان على معرفة البقية . فقلت أحفظ هذه الحروف الأربعة

ج د
من مربع الدب الأكبر الذي أمامك قال حفظتها . قلت الأمر سهل فابتدى بالقطر
(د ب) من جهة (ب) وسرفي خط مستقيم فانك تقابل الجوزاء . فقال نعم . قلت

ب ا
والجوزاء واضحة في الرسم أمامك فانظرها ففيها نجوم واضحة رسمت شكلا وهي (٦) منها رأس التوأم المقتم ورأس التوأم المؤخر . قال نعم . قلت ثم مد الخط (ا ب) من جهة (ب) أي من جهة تقابل جهة القطب وسرفي السماء ببصرك فانك تقابل صورة الأسد وهي أمامك في الرسم وفيها كوكب قلب الأسد وترى فيها ما يشبه المثلث وما يشبه خطا مستقيما أسفله منحنيا أعلاه وبينهما خط وهمي . قال نعم قد فهمت ذلك . قلت فلم يبق إلا أن تتوهم امتداد القطر (ا ج) من جهة (ج) أي من الجهة المقابلة لنصف الكرة تقريبا فانك تقابل السنبلة فانظرها هنا في الشكل ثم انظرها ليلا في السماء ففيها مستطيل من أعلاها بقرب الأسد وتحت

مثلث بجانبه شكل شبه منحرف يحيط به ست نجومات . فهذه الأشكال الثلاثة هي السنبلة . إذن الجوزاء والأسد والسنبلة التي هي ثلاث بروج من اثني عشر برجاً قد عرفناها بامتداد القطر (د ب) وبامتداد الخط (ا ب) وبامتداد القطر (ا ج) وهي كلها أمامك في هذا الشكل وبهذا عرفت إحدى عشرة صورة من الصور السماوية وهي الدب الأكبر والدب الأصغر والنجمة القطبية فيه وذات الكرسي والفرس الأعظم والمرأة المسلسلة وبرشاوش والغول والجوزاء والأسد والسنبلة ومن الجوزاء نجمان أيضاً فنكون عرفنا (١٣) صورة . وإذا لاحظنا أن الحمل والثور المرسومين في الصور الأخرى هما يتقدمان الجوزاء ظهر لنا اتنا عرفنا مواضع الحمل والثور والجوزاء والأسد والسنبلة . ولاشك أن السرطان بعد الجوزاء إذن نكون عرفنا (٦) بروج اهـ

﴿ بهجة العلم ﴾

سيأتي ان شاء الله تعالى في (سورة ياسين) عند قوله تعالى - وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون - عجائب تدهش العقول فوق ما ذكرناه فان بعض العلماء يتوقع أنهم سيرون نجوماً تبعد عنا (١٠٠) ألف مليون سنة ، ويقولون أنهم شاهدوا نورا وصل الى الأرض دلم على أن هناك شمساً أضواؤها لحرارة فيها بخلاف شمسنا ونارنا فحرارتها متعدة بضوئها كما ان قوانا الفضائية متعدة بأنوار عقولنا تشغلها عن كمال صفاتها كما ان الحرارة الصباحية لأضواء الكواكب لولاها لكانت أضواء تلك الكواكب أضعافاً مضاعفة ، وقالوا أيضاً ان هناك شمساً لو وضع منها مقدار حجم الحصة على بعد ألف ميل من جسم انسان شوته وأحرقتة . فهذه العجائب المدهشة في زماننا سيرتقي بها أناس ويسعدون بأدراكها ويعجبون والعجب أول منازل المعرفة والحمد لله رب العالمين

﴿ إيضاح مسألة النور والحرارة ﴾

عجبت لأمر هذه العوالم التي نعيش فيها . أرى الموت والحياة معا في الماء وفي الهواء وفي الحرارة . أقف على شاطئ البحر فأشرب منه فأحيا ولكني أرى الموت قاب قوسين مني اذا أنا دنوت منه ففرقت فالما موت وحياة هكذا الهواء فهو حياة وموت ، حياة باستنشاقه صافيا ، وموت باستنشاقه بما خالطه من الذرات الحيوية القاتلة ، والحرارة بها حياة كل مخلوق وبها اذا اشتدت الموت . ومن العجب أن الانسان يعيش ويموت وهو في أضواء من الكواكب السماوية والنيران الأرضية وهو لا يكاد يفرق بين الحرارة والضوء لانهما متلازمان ، نوقد الفحم فنحس بحرارة ولكن لانرى الضوء إلا بعد اشتدادها ، ونرى ضوء الشمس يأتي إلينا مصحوبا بحرارة فلاندرى أهم أمران متلازمان الى الأبد ؟ أم هما يفترقان ، ولكن انظر الى العقول الانسانية اليوم واعجب من هذا العقل الانساني الذي يريد أن يهجر بالانسان الى عالم أرقى من عالمنا وذلك العروج لا يكون إلا بنوره ، ذلك النور الذي هو أرقى من الأنوار الحسية وهو الذي سنخلص بمساعدته من هذه العوالم التي جمعت بين الموت والحياة معا في موادها ، لم يفرق الماء ولا الهواء ولا الحرارة بين الموت والحياة بل تراها جميعها مجهزة للأمرين معدة للحالين ولكن العقل بنوره يهدينا الله للخروج من مأزق هذه العوالم المنحطة الى عالم يكون أرقى منها فيه السوام والخلود وهو العالم الذي يتعالى عن المادة ، فهذا العقل العام هو الذي أملى على عالم أمريكى أمورا ينتظر تحقيقها في المستقبل فقال « ومن المستنبطات المنتظر تحقيقها قريبا النور البارد » وأبان أن السلك المعدني اذا أحجى بالكهرباء في المصباح الكهر بائي حتى أضاء فان الضوء لا يبلغ فوق (٤) في المائة من القوة الكهر بائية التي يبذلها الناس في هذا المصباح ، وأما الباقي وهو (٩٦) في المائة من تلك القوة الكهر بائية فانه يصير حرارة . ويقول انه اذا تمكن أحد من تحويل الحرارة الى نور أي (نور بارد) فان النور إذ ذاك يكون أرقى من هذا النور المستعمل الآن عشرين ضعفا وذلك بالاكتفاء بأربعة في المائة من الحرارة والباقي وهو (٩٦) في المائة يصير نورا (وعبارة ٢٠ من المقتطف ولعلها ٢٤)

هذا ما يقوله ذلك العالم الأمريكي . أقول وبيننا هذا العالم يقول ذلك اذا بعلماء الفلك يقولون ﴿ يا أيها الطبيعي - ان ما فكرت فيه قد فعله الله قبل خلق الأرض فانه خلق الشمس الباردة فضوؤها لاجل حرارة معه وخلق الشمس الجهنمية ﴾ اللهم ان العلم أرقى ما في هذا الوجود والمجد لله رب العالمين . انتهى صباح يوم الاثنين ١٨ فبراير سنة ١٩٢٩

﴿ لطيفة في قوله تعالى أيضا - تبارك الذي جعل في السماء بروجا - ﴾

(عجائب التقويم)

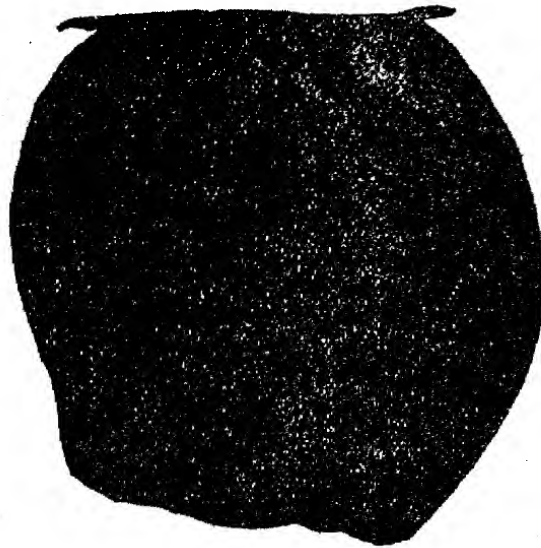
اعلم أن الله ذكر الكواكب والبروج والشمس والقمر في القرآن لأمر عظيم جدا . إن الله خلقنا من طين لازب أى لاصق ومن كان من الطين ان لم يحجن بما يرفعه الى العلا فانه لا يفارق الطين . جعل الله أضواء الشمس والكواكب سببا لحياتنا فلو لا الحرارة ماسر سحاب ولا ارتفع بخار من البحار فالحرارة رافعة له والرياح الجارية بالسحاب ما أثارها إلا الحرارة . إذن الحرارة أصل حياتنا وهكذا الضوء فلو لا الضوء لم نعرف الطرق ولا الأعمال ولا الأيام والشهور والسنين ، وبالضوء ظهرت خضرة النبات ونما ، ولو لا ضوء الشمس والكواكب لم تكن حياة على الأرض ولم يكن نظام لها فالحياة والهداية في المعاش كسير السفن في البحار والقطرات في اليابسة . كل ذلك مبني على سير الكواكب في السماء فالحرارة بها الحياة والضوء به الهداية وانتظام الحركات به الحساب الذي به تمام النظام . أليس هذا عجيبا ؟ نعيش في الأرض وأصول الحياة من السماء والناس غافلون . ولقد شاهدنا هذه العوالم المنبثة فوق الأرض منتظمة ولم نرايد التي نظمت ، أحسنا بالحرارة وشاهدنا الأضواء ولكن جهلنا تلك النظام التي شاهدناها في الحيوان والنبات . فاذا رأينا الحرارة والضوء من عالم السموات فهكذا لتكن تلك المنظمات نفوسا ليست من عالم الأرض ، فالضوء والحرارة اللذان بهما الحياة من هناك وهما محسوسان فبالأولى والأولى أن تكون النفوس التي صورت تلك الصور اللازمة للنمو سماوية وهذا قوله تعالى - وفي السماء رزقكم وما توعدون -

يا الله ، أنت حكمت علينا بالحبس في هذه الأرض مدة فنحن هنا يارب مسجونون ومن عادة المسجون أن يؤتى له بالرزق داخل السجن ويوعده بأنه عند تمام مدته يخرج الى أهله هكذا نحن الآن في الأرض سجننا وحكمت علينا أن لا نأكل مطعما وملبسنا إلا بالعمل داخل سجننا ولكنك أرسلت لنا ضوءاً من المشرقات وجعلت نظامنا متوقفاً عليها . تقلبنا في الأرض لطلب المعاش وهذا الطلب لا تمام له ولا نظام إلا بحساب سير الكواكب والشمس فالمشرقات فضل الحياة وفضل النظام ، ولقد سخرت منا جماعة يحسبون سير تلك الكواكب لأجل النظام عندنا فلا أفراد يهتدون في الطرقات بالأضواء والأمر تعين جماعة لحساب سير تلك الكواكب . كل ذلك فعلته لتضطرنا الى البحث والنظر فنولى وجهنا جهة السماء ونسمع الأنبياء والحكماء يقولون ان هناك عالماً آخر تتوجه اليه اذا متنا وما هذا العالم إلا ما هو فوق أرضنا ، فعل الله ذلك ليشوقنا الى عوالم الجنات في السموات ، واذا كانت العوالم العلوية قد سببت حياتنا ونحن مجنونون من التراب لاصقون بالأرض فكيف تكون حالنا اذا توجهنا بأرواحنا من الأرض الى السموات ولم يبق هناك مانع يمنعنا من الرحة مبلشة فهناك يكون ملاعين رأيت ولا أذن سمعت

هذا ولقد ذكرت حساب السنين القمرية والشمسية في (سورة الكهف) وآخر (آل عمران) وأزبد على ذلك بيانا يشرح الصدر فأقول

إن المصريين كانوا أمة زراعية فكان تقويمها تابعا للشمس ، أما اليهود والأمة العربية الذين لم يكن جلي اعتبارهم على الزراعة فانهم قد اكتفوا بالأشهر القمرية . ولما جاء (بوليوس قيصر) الى مصر ووجد تقويمها مرتبكا أمر الفلكي المصري (سوسيجنس) فوضع تقويما قدر فيه السنة (٣٦٥) يوما وربع يوم

وجعل الأشهر ١٢ مختلفات بين ثلاثين و ٣١ يوما إلا فبراير فانه (٢٨) ثلاث سنوات و ٢٩ في السنة الرابعة وسارت أوروبا وبلاد الشرق الأدنى على ذلك حتى سنة ١٥٨٢ ذلك أن البابا (غريغورس) الثالث عشر رأى أن حساب (سوسيجنس) جعل السنة أطول من حقيقةها (١١) دقيقة و (١٤) ثانية وعلى ذلك أمر بأن ينقص من كل (٤٠٠) سنة ثلاثة أيام وجرى على هذا التقويم الغربيون ، أما القبط في مصر الذين يتبعون الكنيسة الشرقية فانهم لا يزالون يجعلون عيد الميلاد (٧) يناير والكنائس الغربية تجعله (٢٥) ديسمبر ذلك لأن الغربيين عرفوا الخطأ فأصلحوه . أوليس من العجب أن المكسيكيين القدماء كانوا يضمّدون على الزراعة وتقويمهم يشبه التقويم الحديث وهذا صورته (شكل ٤٧)



(شكل ٤٧ - تقويم أمريكي وجد في مكسيكا)

وانما ذكرت لك هذا هنا لأريك جلال الله الذي ظهر في هذه الأرض ، فانظر هذا الرسم من مكسيكا وانظر ما تقدم في (سورة يونس) من صور البروج المرسومة في (دندره) والأخرى المرسومة على صندوق (حتر) ذلك (أولاً) لأروى ظمئى للعلم وطمأئك لأنى كنت أحب أن أطلع على آثار الأمم القديمة في هذه العلوم (وثانياً) لتعلم معى عناية الله بالأمم واتصالهم جميعاً الى عوالم السموات كأنه يقول لهم ارفعوا وجوهكم الى السماء فاقروها الآن لأنكم ستسافرون اليها بعد الموت - وما كنا عن الخلق غافلين - وفي السماء رزقكم وما توعدون - (وثالثاً) ليكون هذا التفسير معرضاً علمياً تعرض فيه بهجة علوم الشرق والغرب فيشوق الناس للعلم والحكمة أو كسوق الصور الذى يلبس كل من الناس ماشاء من الصور العلمية فيه فيرقى عقله وترقى أمته ، فهذا قوله تعالى - تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وجعل فيها سراجاً وقراً منيراً * وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً - فهذا تذكر ومبدأ شكر لأنه لا شكر إلا اذا علم الشاكر بالشكور عليه فأقول الشكر العلم بنعمة المشكور وقد علمت معى أيها الذكى كيف قوم الله السنين وعلمها لأهل الأرض قاطبة وشوقهم الى الرقى الى عالم أعلى والله يقول الحق وهو يهدى السبيل . انتهى الكلام على المقصد الثانى من السورة

(المقصد الثالث)

وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا *
وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ

عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا * إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا * وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا * وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا * إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَبْدُلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا * وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا * وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا * وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْ لَنَا لِمَتَّعِنَا إِمَامًا * أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا * خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا * قُلْ مَا يَعْبُودُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا *

بعد ما ذكر الله عز وجل حسن صنعه وجمال ابداعه بالماء المبارك النازل من السماء وابداعه في البحر الملح والنهر الحلو ، وكيف يكونان متجاورين ولا يطنى أحدهما على الآخر ، وكيف تكون منه الماء والنبات والانسان والحيوان وكان منه النبات والبنون ، وكيف أبدع في نظام كواكبه وشمسه وقمره ، وكيف نظم طرقها وأبدع منازلها ، بعد ما ذكر ذلك كله أخذ سبحانه يصف عباده الذين هم أهل للقرب من مبدع هذه المجائب ليبين العباد بعد العلماء وليظهر مقام العبادة بعد مقام الحكمة وأن الأولى تابعة للثانية ومقدمة على الأولى وليفيد المسلمين أن العلم مقدم على العمل فذكر صفات عباد الرحمن ، أنهم في النهار يتصفون بوصفين وهما

- (١) أنهم يمشون بسكينة وقار على الأرض
- (٢) ويفضون عن السفهاء فلا يخالطونهم بقبيح الكلام ويتاركونهم ، وهم في الليل يحيونه بالعبادة ساجدين قائمين في الصلاة
- (٣) ويدعون ربهم أن يصرف عنهم عذاب جهنم
- (٤) ويكونون كرماء لامقترين ولا مسرفين
- (٥) ويوحدون الله
- (٦) ولا يقتلون النفس إلا بالحق
- (٧) ولا يزنون
- (٨) وينفرون من مجالس الكذابين ومحاضر الخطائين فترها عن مخالطة الأشرار
- (٩) وإذا مروا بأهل اللغو والمستغلين به كرموا أنفسهم عن التلوث به أي إذا سمعوا اللغو عرضوا عنه
- (١٠) وإذا وعظوا بالقرآن أذكروا بمجائب الله كانوا مقبلين عليها وخروا سجدا وبكيا لانهم يكونون صامد عيانا لاعراضهم

(١١) وهم يدعون الله أن يرهم زوجاتهم وأبناءهم مطيعين لله ليكونوا معهم في الجنة
 (١٢) ويكون من دعائهم أن يقولوا ربنا اجعلنا متبوعين في الدين أئمة يقتدى المتقون بنا في الخير
 فهؤلاء المؤمنون المتصفون بهذه الصفات الاثنتي عشرة (١) يجزون الغرفات وهي العلالى في الجنة بسبب
 صبرهم (٢) ويدعى لهم بالتعمير وهي التحية (٣) ويدعى لهم بالسلمة ، فالتحية للبقاء والسلام للملائكة .
 (٤) ويخلدون فيها . هذا هو جزاؤهم . غرفات عالية وتعمير وأمان ودوام والبشارة بذلك من الملائكة .
 ولما بين العلم والعمل ختم السورة بأن الله لا يعتد بهذا الانسان ولا يعابى به لولا عبادته إذ لا شرف له ولا كرامة
 إلا بالمعرفة والعبادة والأخلاق والا فلا فرق بينه وبين الحيوان ، واذ أنزلت عليكم القرآن فكذبتم وخالفتم
 وقصرتم في العبادة والعلم فسوف يكون جزاء التكذيب لازما وقد تم ذلك بخذلان كفار مكة في يوم بدر وفي
 غيره . هذا هو ملخص المقصد الثالث من السورة

﴿ ايضاح لبعض الكلمات ﴾

قوله (هونا) هينين أو مشيا هينا وهو مصدر وصف به أى انهم يمشون في سكينه وتواضع (قالوا سلاما)
 أى تسليما منكم ومشاركة لكم لآخر بيتنا وبينكم ولاشرا أو قالوا سلاما من القول يسلمون فيه من الابداء والإثم
 (والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما) لأن العبادة بالليل أجع للفكر وأبعد من الرياء أى يبيتون في الليل
 بالصلاة سجدا على وجوههم وقياما على أقدامهم ، وقوله (إن عذابها كان غراما) لازما ومنه الغريم للآزمته
 فهم مع حسن مخالطتهم مع الخلق واجتهادهم في العبادة وجلون من العذاب مبتهلون الى الله في صرفه عنهم
 (انها ساءت مستقرا ومقاما) أى بئست وفاعلمها ضمير مبهم يفسره المميز (والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم
 يقتروا) وهذا هو ضد الكرم عند الحكماء (قواما) وسطا وعدلا (حرم الله) أى حرم قتلها (يلق أناما)
 أى جزاء الإثم وقوله (يضاعف له العذاب) بدل من ياق (فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات) بأن يححو
 سابق معاصيهم بالتوبة ويثبت مكانها لواحق طاعاتهم وهكذا يبدل ملكة المعصية بملكة الطاعة (ومن تاب
 وعمل صالحا فإنه يتوب الى الله متابا) أى ومن تاب عن المعاصي بالترك والندم ودخل في الطاعة فإنه يرجع
 الى الله متابا مرضيا عند الله مححو العقاب محصلا للثواب أو مرجعا حسنا وقوله (والذين لا يشهدون الزور)
 لا يقيمون الشهادة الباطلة أولا يحضرون محاضر الكذب فان مشاهدة الباطل شركة فيه (واذا مروا باللغو)
 أى ما يجب أن يلغى وي طرح (مروا كراما) معرضين عنه مكرمين أنفسهم عن الوقوف عليه (لم يخرؤا عليها
 صما وعميانا) لم يقيموا عليها غير داعين لها ولا متبصرين بما فيها (الفرقة) أعلى موضع الجنة وهي اسم جنس
 أريد به الجمع أى الغرفات (بما صبروا) أى بصبرهم على المشاق من مفض الطاعات ورفض الشهوات
 وتحمل المجاهدات (ويلقون فيها تحية وسلاما) أى تحييم الملائكة ويسلمون عليهم ، أو يلقون بقبلة دائمة
 وسلامة من كل آفة (ما يعبؤا بكم ربى) ما يصنع بكم من عبآت الجيش اذا هيأته أولا يعتد بكم (لولا دعاؤكم)
 لولا عبادتكم والعبادة يتقدمها العلم . انتهى تفسير بعض ألفاظ المقصد الثالث من السورة

﴿ جوهرة في جبال القرآن في قوله تعالى - والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخرؤا عليها صما وعميانا - ﴾
 الحمد لله على نعمة الحكمة والعلم والشكر له على جبال النور والفهم ، سبحانه اللهم أعنت على هذا
 التفسير وأحسنن بالالهام والتيسير وجعلت أسلوبه سهلا يتناول أكثره المتوسطون وبعضه لا يعقله إلا العالمون
 جعلته شارحا لآياتك سهلا لفهم كتابك مذكرا لأنعمك ناظما لجواهرها في عقده فذكر به اللهم قلوبا
 وأشرح به صدورا ويسر به أمورا واستخرج به رجالا يعقلون آياتك . اللهم انك أنت فسررت هذه الآية في
 نفس القرآن وذكرت معانيها في حكمك البهجات . أنت قلت - ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم اذا أنتم
 بشر تنشقرون - وعظمت على ذلك ذكر خلق الأزواج لنسكن اليها الخ وخلق السموات والأرض واختلاف

الأسن والألوان ومنامنا بالليل والنهار وابتغاء الرزق وهكذا كون السموات والأرض قائمتان بأمرك وقيامنا بعد موتنا وهكذا وذلك في (سورة الروم) وأنت الذي جعلت الليل والنهار آيتين في (سورة الاسراء) والقائل أيضا - ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر - الخ وقد أوضحت سبحانه في سورة البقرة هذا فجعلت من الآيات خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والسفن في البحر والتجارة والنبات والمطر وخلق النبات والحيوان وهكذا في آخر (آل عمران)

فيا الله انك لم تدع في كتابك أسلوبا إلا أنزلته حتى جعلت الآيات تشمل جميع العلوم العالوية والسفلية ولم تقصر ذلك على أنها آيات بل أقسمت بها فأقسمت بالشمس والقمر والليل والنهار والتين والزيتون والطور والحليل فكما جعلت كل خلقك آيات أقسمت بجميع خلقك حتى قلت - فلا أقسم بماتبصرون ومالانصبرون - ولا جرم أن مانبصر ومالانصبصر يشمل كل علم وكل صناعة . هذه هي آياتك التي ذكرت بها عبادك وجعلت هذا التفسير أيضا لها وشارحا لها ومبينها . واني يا الله أكتب هذا وأمضي الى عالم أردته لي بعد هذه الحياة وأترك هذا التفسير بين يدي المسلمين حجة على من قرأه فهو مسؤول بين يديك مسؤول عن نشر كل ما يعلم من هذا الكتاب ومن كل علم من علوم أوروبا وأمريكا واليابان . اللهم إن ذلك كله آياتك التي أقسمت بها أعظاما لها واجلالا حتى اذا قرأناها عرفنا انها هي التي شرفها الله بالقسم فهي آيات وهي ذات الشرف العظيم بأن الله أقسم بها . اللهم إن المسلمين في القرون الأخيرة قد عموا وصموا عن آياتك واذا ذكروا بآيات ربهم خروا عليها صما وعميانا فيقول الغافل من المتعلمين هذه العلوم كفر أو يقول هو كلام النصارى أو يقول هو لامتفعة فيه (انظر ماجاء في سورة الأنعام عند قوله تعالى - تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا -) لتعلم ماذا حل بالاسلام بعد القرون الأولى من الجهل الواضح والذل الفاضح وانتكاس العقول ومخالفة العقول والمنقول . فالحمد لله قد ظهر في هذا التفسير أن ما كان يسمى كفرا هو نفس الشكر وهو نفس القربى الى الله وهو السعادة في الدنيا وهو باب الجنة وهو الروح والريحان وهو مقدمات النظر لوجه الله الكريم وهو مفتاح السعادة ومنهاج السيادة فأصبح الكفر شكرا والذي زعموا انه كلام النصارى وغيرهم هو كلام الله تعالى وهو المشرف بقسمه وهو الذي به النظر لجل وجهه وهو النافع في الدنيا والآخرة . اللهم اني قد أدت ما على المسلمين . اللهم أخرجهم من ظلمة الجهالة واجعل هذا التفسير سببا في اتحاد جميع العقول من المذاهب المتشاكسة والطوائف المختلفة من شيعة وسنية وزيدية وامامية وشافعية وحنفية . اللهم يامقلب القلوب والأبصار كما قلبت أفئدة المتأخرين من الأمم الاسلامية فرأت العلوم التي أمرت بها في كتابك كفرا لانفع فيها نفروا صما وعميانا اذا سمعوها فاشرح الصدور لفهمها وأزل الغشاوة عن الأعين والحجاب عن القلوب وارفع الوقر عن الآذان وأثر البصائر . اللهم إن المسلمين متقاطعون متباعدون لحصر عقولهم في الفقه وفي الجدل المسمى علم التوحيد . اللهم إن سر دينك هي نظافة الباطن وجمال النفوس بالأخلاق الفاضلة وهكذا استكمال النفوس بالعلوم التي ترى في السموات وفي الأرض فاجعل هذا التفسير من مشارق الأنوار وسواطع البرهان . انتهى يوم ٢٩ شعبان سنة ١٣٢٥ هـ

﴿ فمعرض الحكم في هذه الآيات ﴾

ما أجل العلم والحكمة وما أبهى الفهم وأبهجه والنظر في هذه الآيات وتأملها . هذه الآيات كأنها ملخص السورة كلها والسورة سميت فرقانا وهو الفرق بين الحق والباطل ونتيجة هذه كلها النظر في آيات الله تعالى في السموات والأرض في قوله - لم يخترنا عليها صما وعميانا -

في الآية آداب النفس مع الخلق ومع الخلق كالسكينة في المشي وحسن المخاطبة مع الجاهلين وقيام الليل والدعاء والاقتصاد والتبرى من الشرك ومن الزنا واللغو والكذب . هذه عشر خصال فمن كان متصفا بها استعد

لفيض العلم والحكمة . ملخص هذه الأوصاف ستكون النفس وتوجهها لله . فسرعة المثني نهوش على العقل وتذهب الهيبة وهكذا اللجاج مع السفهاء فترك هذين وترك الاسراف والشره الخ كل ذلك يجعل في النفس اطمئنانا وسكونا والدعاء وقيام الليل تذكير بالله تعالى . ههنا ﴿ثمان خصال﴾ ترجع اسكون النفس وهمدورها فلا اضطراب في الحركات ولا الخطاب ولا الانفاق وهكذا . وخصلتان ترجعن للتذكير بالله القيام بالليل والدعاء وهذه المقدمات انعم للفتح والعلم والعرفان . إن النفس لا يتم لها توجه في الصلاة والدعاء اذا تقسمت الامور عليها . فأما اذا اطمأنت اعتقادا وعملا بالخصال الثمانية فانها يصدق توجهها لله تعالى والصلاة والدعاء معراجا للعلم . ومعنى هذا أن النفس بتعود التوجه لله يفتح لها باب العلم والعلم هو المقصود من هذه الدنيا ومن وجودنا ومن هذه الخصال المذكورة . فلأجل العلم خلقنا وبه سعادتنا في دنيانا ويوم القيامة بل هو اللذة القصوى التي تتضاد دونها الجنات الحسية بحورها وقصورها وولدها . إذن نتيجة الصفات العشر المذكورة ما بعدها وهو أن لا يكون الانسان أعشى أصم عن آيات الله أى أن يفكر في هذا الوجود ﴿وبعبارة أصرح﴾ أن يكون حكما عالما أو محبا أو متعلما أى أن تكون له درجة من درجات العلم حبا واستماعا أو كلالا فيه . إذن نتيجة هذه السورة حوز العلوم والحكمة وارتقاء النفس بذلك وهذا غاية الدين والدنيا . وهناك ﴿خصلتان﴾ بعدها وهما أن هذا العبد يجب في اكل أهل منزله من زوجة وولد اكمل المتقين فيكون قدوة لأهله ولأئمة أى يكون نورا للناس وفارقا بين الحق والباطل الذي هو معنى الفرقون . إذن هذه السورة لتخرج قواد يكونون أنوارا مشرقة للناس بمنعوتهم من الضلال . هذا هو نتيجة سورة الفرقان

وههنا عجب عجاب . ذلك ان الناس عادة يقرؤون هذه الآيات ويمرّون على الخصلة السادسة وهي عدم الاشرار بالله وعلى الخصلة الحادية عشرة وهي انهم اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخشوا عليها صما وعميانا فيخيل للقارئ أنهما يرجعان لمعنى واحد وهذا يكون كالسكر ولكن هذا التكرار فيه سر قد كشفه الزمان وأظهره ما أحاط بنا من الحدثن بل ان سر هذا المقام قد ظهر في انحطاط أكثر أئم الاسلام واستبان أيما تبيان . ولما وصلت الى هذا المقام حضر العلامة الذي اعتاد أن يحاورني في الامور العلمية في هذا التفسير واطلع على هذا الموضوع فقال مالى أراك تكثر ذكر السر في القرآن كأن مثل هذا لم يعرفه الناس قبلك . يا عجب لك أين السر هنا . ﴿جلتان﴾ جاءتا في هذه الآيات جلة تفيد عدم الاشرار بالله وجلة تفيد عدم الغفلة عن آياته عند التدكير بها وبينهما فرق في المعنى . قلت له ولكن لم قدم عدم الاشرار بالله الذي لا يتم إلا اذا لم يعرض الانسان عن آيات ربه وكيف تقدم النتيجة على المقدمة . هنا نظر في آيات وتوحيد لله وثانيهما نتيجة لأولهما فلم قدم عليه ؟ فقال إذن ما نقول في الجواب . قلت إذن أجيبك . اعلم أن الأمم الاسلامية بعد القرون الأولى في أكثر الأحوال وأعمها اكتفوا من دين الاسلام بأمثال الخصال العشر المتقدمة على قوله - والذين اذا ذكروا بآيات ربهم - ومنها عدم الاشرار بالله . فاذا رأى المسلم انه آمن بالله ولم يشرك فانه قد ينسلى بذلك ويقول كفى كفى . فاذا ضم الى الايمان الأخلاق الفاضلة كالسكينة والتباعد عن الكذب وشهادة الزور والقتل الخ فانه يعد صالحا . هذا هو الذي سار عليه المسلمون في أقطار الاسلام . فأهم أمور الدين التوحيد والأعمال الصالحة ووقف أكثرهم عند هذا الحد وأخذوا يرددون كلنى الايمان والصالح وفرحوا بما عندهم من العلم - وحق بهم ما كانوا به يستهزؤن - . فقال وما الذى به يستهزؤن . قلت هي الخصلة الحادية عشرة وهي - اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخشوا عليها صما وعميانا - . فقال والله إن هذا العجب أنا لم أسمع من مؤمن بالله يعرض عن آياته أو يكون كالأصم أو كالأعمى وإنما ذلك في الكفار . فقلت اذا كان كذلك فتكون هذه الجلة ملغاة لا عمل لها . قل فأين الصمم والأعمى عن آيات الله . قلت جمل في أقطار الاسلام وخطب كثيرا من العلماء والجهلاء وقل لهم ماذا تقولون في علم الفلك والطبيعة والنبات والحيوان والانسان

والتشريح وجيع العلوم الكونية فانك لاتسمع منهم إلا ان هذه العلوم فروض كفايات ويستكون عن ذلك وعند الوعظ والارشاد والخطب على المنابر والتعليم لا يقرؤون هذه الجباب ولا يشوقون الناس لرهبهم ولا يفرحونهم به وليس من المعقول أن يحب الانسان صانعا ويعرف حكمته إلا بفهم صنعه . قال إنك تقول هذا القول في قوم ماتوا قبل هذا العصر أما أهل هذا العصر فقد عرفوا كل شيء . قلت له أكثر أهل الدين لا يزالون غافلين فهم اذا سمعوا عجائب التشريح والفلك صموا آذانهم وأغمضوا أعينهم لا بغضا في آيات الله ولكن اعراضا عن الآيات لذاتها ظنا منهم انها لا تفيد قربا لله إما لأنها كفر وإما لأنها لا فائدة منها وسبب ذلك الاقتداء بمن علموهم من علماء الدين الذين قباهم . فهذه الجملية جاءت لترفع الغشاوة عن أعيننا في هذا الزمان وقد ظهر أثرها في هذا التفسير الآن . فلتوجه أيها الذكي نظرا أهل زمانك الى أن هذه الجملية مذكورة لنا بجميع العلوم وأن الايمان والنوحيد لا يكفيان لرقى المؤمن وسعادة أمته

تقدم أن هذه الآيات كأنها ملخص المقصود من السورة والسورة مبتدأة بأن الله تعالى تكاثر خيره وتزايد على كل شيء وتعالى عنه في الصفات وانه له ملك السموات والأرض وانه خلق كل شيء وقدره تقديرا بحساب متقن منظم . ولا جرم أن كل شيء أعم من السموات والأرض والعالم المخلوق هو الخير الكثير الذي يفيد معنى - تبارك - ثم انه أعاد هذه الجملية هنا قبيل هذه الآيات فقال - تبارك الذي جعل في السماء بروجا - والبروج هي الاثنا عشر المعلومة أو هي نفس الكواكب العظام وهي بعض ما خلق الله وقدره تقديرا . ولما شرح بعض خلق الله الذي من خيره الكثير أردفه بذكر عباد الرحمن وصفاتهم وجعل نتيجة الصفات كلها العلم والحكمة والعلم والحكمة يرجعان الى هذا العالم الذي نعيش فيه الذي ذكر في قوله تعالى - الذي جعل في السماء بروجا - الخ فانظر كيف أعاد الجملية التي في أول السورة هنا ليعقبها بصفات المؤمنين الذي يفهم هذا الخير الكثير الذي تضمنه - تبارك الذي نزل الفرقان - . فملخص السورة اخراج علماء في الاسلام يقرؤون نظام السموات والأرض ويكونون حكماء هادين لذرياتهم وزوجاتهم وأمتهم . فلولا ذكر التوحيد قبل التذكير بآيات الله وعدم الاعراض عنها ما تيسر لنا فهم هذه المعاني . إن هذه المعاني استخرجت من تأخير وتقديم وكأن هذا كهرباء ومغناطيس بهما أشرق النور وبهر الفرقان . فانه يذكر في أول السورة ملكه وخلقه وتقديره للعالم كلها ثم يعيد ذلك بهيئة جيلة في ذكر البروج والكواكب وذلك كله داخل في آيات الله التي اذا أعرض عنها المسلمون أعرضت عنهم الدنيا والآخرة كما هو حاصل الآن في أكثر بلاد الاسلام . فياطوبى لمن ذكر بآيات ربه . ويا طوبى لمن تذكر وتدبر وقرأ

يا الله إني أحمدك . ها أنا ذا قد ذكرت بآياتك بارشادك وإلهامك مع اني أقر وأعترف بالضعف والعجز حقاً وصدقا . فاجعل اللهم هذا التفسير ذكرى وألهم الأمم الاسلامية أن ينسجوا على منواله ولا يخرؤا عن الآيات صا وعميانا

فقال صاحبى هذا حسن ولكن يظهر لي أن المقام مقام تصييد للمعاني بحيث تأخذ ما يلائم وتذر الذي لا يلائم قصدك ويكون هناك ترجيح بلامرجح وهذا معيب يجعل القارئ في حيرة ويتشكك في قولك ويقول إن القرآن لم تقصد منه هذه المعاني ولوانها كانت مقصودة لكانت على وتيرة واحدة . فقلت ماذا تقصد ؟ قال ان قوله تعالى - تبارك الذي - قد ذكر (ثلاث مرات) فذكرت أنت اثنتين منها . أما الثالثة فقوله تعالى خطابا للنبيه ﷺ - تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصورا - وهي واقعة في غصون السورة بين الآيتين فهل لهذه حكمة . قلت نعم وأى حكمة أجل منها . فقال وما هي . قلت ان النظر للسموات والأرض الذي جاء ذكره في المقامين الأول والثالث هو هو عينه المذكور في الخصلة الحادية عشر من خصال عباد الرحمن وهو عينه الذي في قوله تعالى - ويجعل لك قصورا -

الأتري رعاك الله أن الجنة على ﴿قسمين﴾ جنة حسية وجنة معنوية وهي العلم والمعرفة والعلم والمعرفة مقتدمان للنظر إلى وجه الله فأنكشاف الحقائق غذاء للنفس وسعادتها للحكام في الدنيا والآخرة . وإذا كان الحكماء بهذه المثابة فما بالك بالأنبياء والصدّيقين فهل تظن أن رسول الله ﷺ في الآخرة يقنعه الحور والولدان ويستغنى عن النظر لوجه الله الذي لا يكون إلا بعد تمام العلم والحكمة كما لا يجالس الملوك والأمراء إلا أهل الجبا والعقول . فإذا كان الله وعده بجنت تجري من تحتها الأنهار ووعد به بقصور فليس معنى ذلك أنه قاصر على ذلك بل هو رمز إلى انكشاف الحقائق ومعرفة العلوم . ومن عكف في قصره على المحسوسات فهو قاصر جهول (اقرأ هذا المقام في سورة البقرة عند قوله تعالى - وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات - الخ) فستجد هناك العبارة المنقولة من كلام السلف الصالح ﴿أن الجنة الحسية للجهلاء وجنة العلم للحكماء أفلا ترى سيد الرسل في أعلى جنة العلماء﴾ فرجعت هذه الآية إلى أختيتها وظهر أن الدنيا لا يرقى فيها الناس إلا بالعلم والآخرة لا يسعدون فيها إلا بالعلم وأن قوله - والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخجلوا عليها صبا وعميانا - هي نهاية العلم والحكمة وفيها ملخص علوم هذه الدنيا ومقاصد هذه السورة وانها الخصلة التي بها تكون الجنة والحكمة ويكون صاحبها قطبا تدور عليه رحى الأمة وبه يقتدون وعليه يقولون

﴿بلاغة القرآن﴾

فانظر إلى أمر التقديم والتأخير في جملتين كيف أنارنا موضوعا يتعلق بحياة أمتنا الاسلامية وبين عيوبها ومخازيها ويفضح سرّ تأخرها وينير السبل لتقدمها وارتقاها . إن هذا المقام هو الذي ألفت له الامام الغزالي كتاب الإحياء فقد قال فيه ﴿إن هذا الكتاب قد صنفته لإحياء ما اندرس من علوم الاسلام﴾ وبين ذلك بأنه ايضاح صفات القلوب والعلوم الأخلاقية والاخلاص ثم المعارف العاتية في السموات والأرض ثم إن هذا التفسير قد جاء لمثل ما جاء له الإحياء . كل ذلك أثاره في هذا المقام تقديم وتأخير . بمثل هذا تعرف بلاغة القرآن لا البلاغة اللفظية التي يفرح بها صغار العلماء ويقولون نحن نقرأ المفتاح للسكاكي وكتاب سعد الدين الفتازاني وكتاب عبد القاهر الجرجاني وغيرها لنعرف بلاغة القرآن فقول لهم وهل عند هذا تقفون أو تنكصون على الأعقاب . إن الذي تبحثون عنه إنما هو أن القرآن مجز وتبيح ذلك أن يكون المرء به مؤمنا وقدّمنا أن خصلة الإيمان وحدها لا ترقى المسلم بل رقيه إنما يكون بمعرفة هذه الكائنات فلم يخرج البلغاء في أمة الاسلام عن كونهم أشبه بالبدوي القح في البادية وعن أنهم إذا وقفوا على ذلك قد دخلوا في حوز الموحدين المذكورين في الخصلة السادسة في هذه الآيات وهم عن آيات ربهم خروا صبا وعميانا ، اللهم ان أمة الاسلام طال عليها الأمد وقست القلوب وكثير منهم فاسقون . لقد اعتري العمى والصمم كثيرا من أهل العلم في أقطار الاسلام جهالة وغرورا وقد آن انتشاع هذه الغشاوة والحمد لله رب العالمين . كتب هذا المقال بعد عصر يوم الجمعة أول يوم من شهر رمضان سنة ١٣٤٥ هجرية

﴿ياقونة في معنى قوله تعالى في هذه الآيات - والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخجلوا - الخ﴾
بعد أن كتبت ما تقدم أردت أن أبين بعض أنواع التذكير التي ذكرنا الله بها معاشر المسلمين ليكون ذلك تكملة للجوهرة السابقة وتبصيرا للأذكياء . التذكير إما بالقول أو بالفعل . أما بالقول

(١) فهناك هذا القرآن يدرس صباحا ومساء وصيفا وشتاء ليلا ونهارا يدرسه المسلمون ويقرؤه قراؤهم وفيه سور كثيرة ليس فيها حكم شرعي وإنما هي ذكرى الأمم السالفة وذكرى آيات الله في السموات والأرض وهذه الأخيرة كما تقدم مرارا (٧٥٠) آية كما ان نظيرها في العدد أيضا تقريبا جاء في اصلاح الأخلاق

(٢) وهالك العبادات كما تقدم في (سورة البقرة) في تفسير آية الكرسي فقد ذكرت هناك أن هناك آيات قد جعلها العباد والصالحون بذورا بذروها للمسلمين ليربوهم تربية يكونون بها صالحين فهو لاء نراهم اختاروا

الآيات الدالة على أفعال الله العجيبة كآية الكرسي ونحو - الم * الله لا إله إلا هو الحي القيوم - الخ ونحو - شهد الله أنه لا إله إلا هو - الخ وأول سورة الحديد وهكذا . فهذه الآيات هي روضات الجنات تمتع الصالحون بالفاظها فست قلوبهم فذكروا ربهم وهي مسعدة للفكرين والحكماء والصديقين ليدرسوا نظام ربهم ويمتدحوا بكواكبه وبشجره ويبحاره ونظمه العجيبة التي ذكر منها في هذه السورة أي سورة الفرقان التي نحن بصدد الكلام عليها

(١) نظام الظلال

(٢) ونظام الليل والنهار ، فالأول لباس يستر الناس وفيه النوم للراحة ، والثاني ينشر الناس فيه لطلب المعاش

(٣) ونظام السحب والأمطار والماء الطهور

(٤) ونظام سقي الناس والأنعام وحياة كل حيّ فبقى الأرض

(٥) ونظام البحرين العذب والملح

(٦) ونظام الكواكب والبروج وعجائبهما

(٧) ونظام الشمس

(٨) ونظام القمر ، وأن كلا من الليل والنهار يخلف الآخر

هذه مجامع ما ذكر الله به في هذه السورة فضلا عن بقية سور القرآن وختم ذلك بقوله - لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا - فهذه الجوانب جميعها وأمثالها تكون ذكرى للذاكرين وشكرا للشاكرين فانظر كيف يقول - اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا - بعد أن ذكر هذه الآيات في نفس السورة وجعلها ذكرى وشكرا للفر يقين المذكورين فاذا ذكر الله بالقرآن كله وذكرنا بالآيات التي اختارها العباد والآيات التي في هذه السورة فان الاعراض عن التفكير في معناها ودراسة علومها لكل قادر من المسلمين يعتبر كفرا بالنعمة وكأن الانسان أصم أعمى . لقد تكرر الذكر والتذكير في القرآن . ناهيك ما ترى في سورة - اقتربت الساعة وانشق القمر - فهناك - ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر - وقد كررها مرارا بعد كل حادثة وقصة ، هكذا في آيات كثيرة كقوله - وذكروا ربهم بأيام الله - الخ وقوله - إن في ذلك لآيات لقوم يذكرون - وقوله - تبصرة وذكرى لكل عبيد منيب - وقوله - أقلم يدبروا القول الخ - وآيات كثيرة . هذا هو التذكير القولي . أما التذكير بالفعل فهو ما أحاط بالأمم الإسلامية اليوم من القوى القاتلة والأمم القوية الظالمة وفتكهم بهم فهذا تذكير لانوع الانساني فعلى . فاذا نام المسلمون عن هذا التذكير بنوعيه فلا يلومون إلا أنفسهم والعقاب الأكبر على كل مفكر عرف أمثال ما كتبناه في هذا التفسير ثم ترك النشر والتعليم . انتهى تفسير (سورة الفرقان) يوم الاثنين التاسع من شهر فبراير سنة ١٩٢٥ م والحمد لله رب العالمين

(تذكرة)

قد يستعين الناظر للصور السماوية السابقة المذكورة قريبا بمسطرة طولها ثلاثة أمتار يضعها على النجوم المعلومة لتوصل الى النجوم المجهولة على مقتضى التعليمات المتقدمة . انتهى

(تم بحمد الله وحسن توفيقه الجزء الثاني عشر من كتاب « الجواهر » في تفسير القرآن الكريم)

ويليه الجزء الثالث عشر * وأوله تفسير سورة الشعراء)

(الخطأ والصواب)

غلبنا التصحيح ففاننا سقط وأشياء أخرى يدركها القارىء بلاتنبية وهذا جدول مما عثرنا عليه من ذلك

صواب	خطأ	سطر	صحيفة	صواب	خطأ	سطر	صحيفة
وقتل منهم كثير	وقتلوا منهم كثيرا	٣	١٧٥	باباحة	باباحة	٢	١٤
	فقتل			المتزوجين	المتزوجين	٢٠	١٤
فلاح به	فلاح له	١٠	١٧٥	متقاربان فلذلك	متقاربان	٣	١٥
ويقولون	يقولون	٥	١٧٦	عدا في الاجال			
السماء وجههم	السماء والعالم	٢٦	١٧٦	وجها واحدا			
الحمة	الحبة	٢	١٧٧	وانظر	والنظر	٢٥	٢٣
وذكر	قد جاء	٦	١٧٧	الواقية	الواقية	٣٢	٣٣
لبنان	ولبنان	١٦	١٩٦	صورتهما	صورتهما	١٨	٤٠
خلاهما	فلاهما	٢١	٢٠١	ظهر	ظهر	١٤	٤٣
واذ	فاذا	١٣	٢٠٥	معدنيا	معدني	٤	٦٩
السكر بون	الادروجين	٣	٢٠٧	الحيوان	والحيوان	٦	٧٣
والقرآن	والانجيل	٢١	٢٠٧	الثلاث	الثلاثة	٣٢	٧٥
وغير	رغير	٣٣	٢٠٧	أن يزول	أن يزول	١٣	٩٢
فان (٢٨٤)	فان عدد (٢٢٠)	٣٢	٢١٠	هود	يونس	٢٢	٩٢
وكذلك (٢٢٠)	وكذلك (٢٨٤)	٣٣	٢١٠	محركة	محركة	٣٠	٩٤
يساوى مضارب	يساوى مضارب			كتبوه هم	كتبوه	٩	٩٧
(٢٨٤)	(٢٢٠)			يرقون	يترقون	١٢	٩٧
	من المرجان	٣	٢١٦	أقره	أقره	١٨	١١٠
وأعدها صور	وأعدها صور	١٢	٢٢١	ينظر	ينظر	٢٦	١٢٢
مختلفة وأشكالا	مختلفة وأشكال			وانقذت	وانقذت	١٩	١٢٣
وأوضاعا	وأوضاع			البرية	البرية	٢٧	١٢٦
ابنوقليس	ابنوقليس	١٩	٢٢٥	سدوم	سدوم	٥	١٣٤
ألفوها	ألفوها	٨	٢٢٧	لا تعمل	لا تكون	٨	١٣٦
بل كان عندهم	بل كان عند	١	٢٢٩	ترك	ترك	٣٣	١٤٤
٣٦ درجة	٣٦ من	٢٧	٢٣٤	واد	واد	٤	١٤٥
العباد (بتشديد	العباد	١٥	٢٤٦	واد	واد	٤	١٤٥
الباء)				الغابر	الغابر	١٨	١٤٥
				فتعرفوا	فتعرفون	٤	١٦٩
				المسرات	العترات	٩	١٧٣

فهرست

الجزء الثاني عشر

من كتاب الجواهر في تفسير القرآن الكريم

صحيحة

- ٢ تقسيم سورة النور الى (ثلاثة أقسام) وكتابة القسم الأول منها بالحروف الكبيرة مشكلة
- ٤ التفسير اللفظي لهذا القسم . حكم الزنا . فصل في حكم القذف وفي حكم قذف الرجل زوجته وفي الملاعة
- ٥ فصل في قصة الإفك ومحصل القصة
- ٧ (أربع لطائف * اللطيفة الأولى) - ولاتقبلوا لهم شهادة أبدا - الى قوله - فان الله غفور رحيم - لانقبل شهادة القاذف أبدا عند شريح . متى حذرت شهادته عند أصحاب الرأي . لا يسقط الحد بالتوبة إلا أن يعفو عنه المقدوف فيسقط عند قوم الخ
- ٨ (اللطيفة الثانية) - فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله - الى آخر الآيات (اللطيفة الثالثة) في قوله تعالى - ولولا فضل الله عليكم ورحته ما زكا منكم من أحد أبدا - (اللطيفة الرابعة) في قوله تعالى - الخيئات للخبيثين - الخ
- ٩ حكاية العابد والفارة المسوقة الى أن الأشكال تحن الى أشكالها بمناسبة الآية (القسم الثاني) أوله - يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم - الى قوله تعالى - ومرعظة
- للتفتين - مكتوبا بالحرف الكبير مشكلا
- ١٠ التفسير اللفظي لهذا القسم
- ١١ بعض أحكام التكاح من النذب والجواز وهكذا . فصل في المكاتبه ووجوبها ونذرها
- ١٣ فصل في عدم اكراه الإمام على الزنا (اللطيفة الأولى) في قوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم - الخ وبيان أن الاستئذان ثلاث وأنه لثلاثة أمور
- ١٤ (اللطيفة الثانية) وفيها قوله ﷺ « تزوجوا الولود الودود الخ »
- ١٥ عناية أمة الألمان باكثر النسل وتصوير المصورين حال ذوى النرية والذين لا ذرية لهم وتأثير ذلك في الشعب
- (القسم الثالث) - الله نور السموات والأرض - الى آخر السورة قد كتب بالحرف الكبير مشكلا
- ١٧ التفسير اللفظي لهذا القسم
- ١٩ تفسير - ألم تر أن الله يرحى سبحانه - والآيات قبلها وبعدها
- ٢٠ فصل في علم الحيوان وذكر ما يناسل منه بالانقسام وما يناسل بالبيض وما يناسل (بالتبرعم) وبيان الحيوانات الفقرية وانها خمسة أقسام والحيوانات الحلقية وانها خمسة أيضا والحيوانات القشرية وانها ليس لها عظام ولادم ولا حلقات والحيوانات الشعاعية . كل ذلك تفسير لقوله تعالى - والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه - الخ

٢١ بيان أن الخنافس وحدها (٨٠.٠٠٠) صنف والحشرات المعروفة (٢٠٠.٠٠٠) صنف ويتوقعون أن تكون مليوناً

٢٢ ﴿أربع لطائف في اللطيفة الأولى﴾ في قوله تعالى - الله نور السموات والأرض مثل نوره - الخ وبيان أن قوله تعالى - مثل نوره - راجع لنبينا ﷺ أولسيدنا ابراهيم عليه السلام أولكل انسان الخ ثم تبيان الحق من هذه الأقوال وأن هذا التمثيل مثل نظيره العلماء جسم الانسان بسفينة أودار أولوح الخ ثم بيان الوجوه السبعة السابقة

٢٤ عجائب القرآن في قوله تعالى - الله نور السموات والأرض -

٢٥ ايضاح الكلام على القنديل والمشكاة في المسجد وبيان العقل بالقوة والعقل بالفعل والعقل المستفاد والعقل الفعال وضرب مثل لدرجات العقل المذكورة بدرجات الغنى وبدرجات الملك لشاين أحدهما تاجر والآخر ابن ملك وقياس درجات العقل على درجتهما في الغنى والملك بالقوة وبالفعل والاستفادة وهكذا وبيان أن العقل الفعال نسبته الى عقولنا كنسبة الشمس الى أبصارنا فهي تضيء لأعيننا وهو يضيء على عقولنا الصورة والمادة والمعاني والعقول وأن عقولنا تعقل أنفسها فهي عاقل ومعقول وهذه العقول أنفسها على منوال العقل الفعال فهو الذي طبعت الصور القائمة به في المادة فحدثت الأكران ، فما نراه نحن الآن من الصور هو الذي كان مرسوماً في ذلك العقل العام فلما رأيناه فيها فرحنا به ورسمناه في عقولنا كما كان في ذلك العقل قبل وجود الصور في المادة . قطرة ماء في تفسير قوله تعالى - الله نور السموات والأرض - وبيان أن العلامة (هنشو) الأمريكي يقول : ان قطرة الماء اذا كبرت حتى صارت أكبر من فلك الأرض حول الشمس فان الأكسوجين والادروجين وهما العنصران اللذان ركب منهما الماء يرجعان الى نقطة ضوئية ترسم خطوطاً نورية وهمية بحيث تدور نقطة ضوء كهربائي سالب حول نقطة ضوء كهربائي موجب ستة آلاف مليون مليون دورة في الثانية وهذه النقط الضوئية باختلافها كما وكيف تختلف العناصر التي ليست شياً سوى هذه النقط ومع ذلك هذه القطرة المائية لوجعت الجواهر المائية التي فيها لم تملأ إلا جزأً من (مائة ألف ألف ألف) جزء من النقطة المائية ، فالمسافات بين الجواهر المائية فيها كالمسافات بين الكواكب والشمس الخ وعدد الجواهر الفردة المائية فيها (٥) على يمينها (٢٠) صفراً ، وهنا بيان المشكاة والزجاجة والمصباح والشجرة المباركة من نفس القطرة المائية

٣٠ النور قديماً وحديثاً في أرضنا كالمشاعل ومصايح الزيت الخ ﴿اللطيفة الثالثة﴾ - والطير صافات -
﴿الجوهرة الأولى﴾ في تسبيح الطير ، هل الجاد يعقل والأشجار تتعاشق ؟ هكذا يقول بعض الصوفية ولكن عقولنا لم تعرف إلا الثاني أما الأول فلا . ﴿الجوهرة الثانية﴾ في الطيور الرحالة (مترجم عن الانجليزية) وأن الخطاف يصرف زمن الشتاء عند بحيرة (تسادو) في أواسط افريقيا ويربى أولاده في بلاد الانجليز زمن الربيع . وبيان سبب تلك الرحلة . صورتان مرسومتان للخطاف الوارد بعد المهاجرة بيان أسرع المخلوقات الحية وهي حشرة تجرى (١٤) ميلاً في الدقيقة وجناحها يدوران بضع آلاف مرة في الثانية ، وأسرع طيارة لا يدور دولاها الأمامي أكثر من (٢٠٠٠) مرة في الدقيقة

٣٣ مقاييس السرعة مثل أعظم سرعة للانسان الركض وأعظم سرعة للطيارة ، أسرع طيارة في العالم لاجناح لها ولا مراوح ﴿الفائدة الثانية﴾ جاء في الأنباء البرقية أن طياراً حاول الوصول الى القارة المجهولة في الأقطار القطبية التي نهجر الطيور اليها ولم يصل لها الانسان ولكنه لم يتم -

٣٤ ﴿اللطيفة الرابعة﴾ في قوله تعالى - وينزل من السماء من جبال - الخ وبيان أقوال علماء الاسلام في

القرن المتأخرة في معنى هذه الآية

٣٥ نص السؤال المرفوع الى الشيخ ابن المبارك تلميذ الشيخ عبدالعزيز الدباغ في الثلج والبرد والبرق وهكذا من الحوادث الجوية المسماة قديما بعلم الآثار العلوية وبيان انه قرأ كتب علماء الاسلام جميعها فلم يجدهم موفين الموضوع حقه فرجع الى شيخه الدباغ فشرح له الثلج كما في العلم الحديث وهكذا البرد وأوضح المقام حق الايضاح وذكر الصاعقة وأبان أن السماء ليس فيها جبال من برد بل فيها جبال الثلج التي يخلق فيها بعض البرد ، وهذا الذي قاله ذلك الشيخ منذ مائتي سنة قد رسم في صفحة (٣٧) بالطيارة وهذه معجزة قرآنية دللتنا على أن القرآن خير مفسر له العلم الحديث

٣٨ (شكل ٤) صورة هضبة (موت بلانك) من جبال الالب وما اتصل بها والثلج الدائم المغطى لها

موازنة كلام الشيخ الدباغ المذكور بمذاهب الفرنجة الآن في البرد وكيفية ظهوره

٣٩ (شكل ٥) صورة الطرف الأدنى من الجرف الثلجي في (الرون) بجاني فركا

٤٠ (شكل ٦ و ٧) صورتان للبرد الحجري البلوري الشفاف الذي سقط على الأرض في ٩ يوليو سنة ١٨٦٩ م وهما هندسيتان جيلتان سداسيتان مشتملتان على أشكال كثيرة هندسية

٤١ (شكل ٨) و (شكل ٩) أولهما صورة الرسم الهندسي الذي أبان قطعة من البرد الصخري الذي سقط في بلاد فرنسا سنة ١٨١٩ م (وثانيهما) صورة البرد الصخري ذي الطبقات المتحدات المركز المركبات من جليد أزرق صاف وأبيض غير شفاف . بهجة العلم في البرد الصخري تفسير آية - ألم تر أن الله يزجي سحابا - بالرسم (شكل ١٠) صورة السحاب المتجمع (شكل ١١) صورة السحاب المركوم (شكل ١٢) صورة السحاب الذي يخرج الودق من خلاله (الجمهرة الأولى) في قوله تعالى - وينزل من السماء من جبال فيها من برد - (الجمهرة الثانية) فيها تهب من هذه الدنيا ونظامها في الماء وبخاره وبرده وتلجج الخ

٤٢ اتمام الجبال في هذا المقال وذكر كيفية تكون الشواطئ الشمالية القصوى من آسيا وأوروبا وأمريكا وانها تاج حول القطب الشمالي ، وذكر الذين حاولوا كشفه مثل (دانيس) ومن بعده الى الدكتور (هيس) الذي مات ورجع أمهابه وبيان أن الثلج هناك قد يكون جبالا بمفاوزها ومضايقها الخ أوسهولا واسعة وانه قد يرتفع مائة متر وأن الثلج في المساء قد يكون ثلاثة أمثال ما فوقه ، وبيان أن حاستي السمع والبصر هناك تطفان وتظهر هناك هالات وشموس وأقمار كاذبات وشفق شمالي ، وأن الانسان يسمع سقوط الحجركه صوت المدفع وأن صوت الانسان يسمع على مسافة ألف متر وأن الشمس تدور حول الأفق ولا تهب وتور القمر يظهر الاشخاص على مسافة كيلومتر وأهل تلك الأقطار يحتفلون بظهور الشمس ويقومون الأعياد ، وبيان رحلات القطب الجنوبي كرحلات ثلاثة فرنسيين وكوك ، وبيان انهم كشفوا هناك أرضين وانهم وصلوا الى (٧٨) درجة ، ويقولون إن هناك جبالا وبراكين وقارة جنوبية ومناجم للفحم الحجري

٤٣ بهجة العلم وظهور سر من أسرار القرآن في قوله تعالى - ألم تر أن الله يزجي سحابا - الخ واجتماع ٢٥٠ عالما أوروبيا من علماء الجمعية الجغرافية وقرارهم بأن هذه الآية منطبقة على نهر النيل وأن الخريطة التي صنعها بمصر بحسبة مصطفى بك منبر مقدسة وانهم وضعوها بحيث تضيء عليها الشمس ، وذكر مساحة بحيرة (فكتور يا نيارا) وهكذا الجبال وارتفاعها ونحو ذلك

٤٨ رسم الخريطة المقدسة وهي خريطة النيل

٤٩ مقال عام في هذه الآية - الله نور السموات والأرض - الى قوله تعالى - يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شئ قدير - . وبيان أن هذه الآية هي ملخص ديانات الأمم القديمة لاسيما دين قدماء المصريين ، وذكر أن الهند الجرمانية عندهم الله هو النور أو الشمس والنور عندهم (ديف) ومنها اشتق نحو (١٣) لفظا بمعنى الله وكلها راجعات للنور مثل (ديفاس) في لغة السنسكريت و (ذيوس) عند اليونان وهكذا والسبب في ذلك انه لولا الشمس ما ظهر حي على الأرض فعشقها الناس وذكروا الله بها أو عبدوها والى النور ترجع عبادة الصابئين وقد اختلط الحق القديم بوحداية الله في دياناتهم بالباطل وهو عبادة الشمس ونحوها فجاء النبي العربي وقال ، يا أيها الناس الشمس والنور من صنع الله فلا تعبدوا إلا إياه

الكلام على دين قدماء المصريين وظهور أسرار هذه الآية فيه وأن الأرض راقصة بحركتها اليومية حول الشمس عليها حللها وحلاها في مشهد عرس وحولها ثريات النجوم مشرقات عليها ، ومن حلاها قوس قزح والثلوج في القطبين وفوق جبالها وهكذا الأزهار في الرياض الخ وتبين أن دين قدماء المصريين كان التوحيد المطلق وتوت أى الشمس يرجع الى خالق العالم في الحقيقة لانفس الشمس وهم وان عدوا الآلهة فقد وحدوا فعلا أيام الملك (ميناء) بحيث يكون (أوم) في مدينة (عين شمس) هو نفسه (فتاح) في مدينة (منفيس) وهكذا لتكون السياسة واحدة كالدين ، وذكر أنشودتين من أناشيد قدماء المصريين مترجمتين من كتب الألمان ، وبيان أن حكماء الأمم مع الناس بأجسامهم وهم الآن في جنة العرفان

٥٢ بهجة العلم في قوله تعالى - الله نور السموات والأرض - . الجلال (نوعان) جلال ظاهري وجمال باطني وقداماء المصريين ذكروا الجالين معا الظاهر والباطن وتمجيد الله أذاهم الى انشاء الأناشيد المتقدمة والى الرقص ، وبيان عشق الله عند الأمم الاسلامية في (كتاب الاشارات) للرئيس ابن سينا ومعنى العشق العفيف

٥٣ بيان السماع الجائر والمحرم ملخصا من الإحياء في كتاب السماع ، وذكر حى بن يقظان تأليف ابن الطفيل

٥٤ الأنوار الظاهرة والأنوار الباطنة التي ازدانت بها أرضنا ومنها (شكل ١٤) صورة مناطق النبات حول الأرض و (شكل ١٥) صورة المناطق الخس وحيواناتها و (شكل ١٦) نبات افريقيا و (شكل ١٧) حيوان افريقيا

٥٨ تفصيل الكلام على المناطق التي فيها اسماء النبات حول الأرض ، وبيان ان الحيوان كتاب مفتوح للناس قاطبة

٥٩ تفصيل الكلام على الأقسام الثلاثة الماشى على بطنه وعلى رجلين وعلى أربع وأن هذا الشرح ليس خارجا عن التفسير وقد أكثر المسلمون في الصلاة والزكاة ونحوهما تأليفا ولم يعد ذلك خروجا عن المقصود وهذه العلوم تزيد الناس مالا وعقلا وحبا لله تعالى . وهذه العلوم منفعتها أعم من منفعة الصلاة والزكاة . أقسام الحيوان خمسة من مبدا الفقرية الى النباتية (شكل ١٨) نبات أوروبا

٦٢ (شكل ١٩) حيوان أوروبا

٦٣ الحيوانات الفقرية التي فيها الأقسام الثلاثة في الآية وهذا القسم فيه (١٢) نوعا من الحيوان ذى اليدى وهو الانسان وذى الأربعة الأبدى وهي القردة والثالث وهو كلات اللحوم والرابع وهو الحيوانات الثديية البحرية الى الحادى عشر وهو الحيوانات القيطسية ، والثاني عشر وهو الحيوانات ذوات الرجين في بلاد (هوللاند الجديدة) . الكلام على القسم الثاني من الحيوانات ذوات الفقرات وهي الطيور وهي ستة أنواع كالديجاجة مثل الدجاج والطاووس وكذوات الأرجل الكفية مثل البط والشاطئية مثل أبى قردان

وإني مغازل وكالدودية مثل البلبل والعندليب وكالتسلقة وكالجارحة . الكلام على القسم الثالث من ذوات الفقرات وهي الزواحف مثل السلاحف وسورل والثعابين . الكلام على القسم الرابع من ذوات الفقرات وهي الضفادع . والقسم الخامس السمك وهنا (شكل ٢٠) نبات آسيا و(شكل ٢١) حيوان آسيا و(شكل ٢٢) نبات أمريكا الشمالية و(شكل ٢٣) حيوان أمريكا الشمالية و(شكل ٢٤) نبات أمريكا الجنوبية و(شكل ٢٥) حيوان أمريكا الجنوبية

٧٢ شكل نبات وحيوان أفريقيا ، وبيان الكلام على أن من الحشرات ما لا جناح له ومنها مستقيم الجناح كالصرصار وأنصفه كالبق أو غشائه كالنحل أو غمديه كخنفس الفول وذو الجناحين كالبرغوث

القسم الرابع الحيوانات الرخوة مثل المحار والصدف

٧٣ القسم الخامس الحيوانات النباتية أو الشعاعية . محادثة مع أربعة فضلاء من رجال المعارف مفتش وناظر مدرسة ومدرسين واعتراضهم على الاطالة في امثال هذه الآيات ورسم خرائط القارات وما فيها من النبات والحيوان والاجابة على ذلك بأن القرآن هو الذي قسم الذي يمشى من الحيوان الى ثلاثة أقسام من المشي على رجلين وأربع وهكذا ففيه فتح باب للتقسيم . ولا جرم أن المنطق تحليل وتعريف وتقسيم وقياس ولكل من هذه حظ من العلم ولا علم في الدنيا بخارج عن هذه الأربع ، وإذا كان الله يقول انه هو بثّ الدواب في الأرض فلا يمان لها إلا برسم نفس الدواب في كل قارة ، ولما منع من تصوير تلك الحيوانات وجعلها في الصور المتحركة

٧٥ هذا التفسير وأمثاله يرجع المسلمين الى العصور الأولى وبيان أوصاف الأسد والثعلب والذئب والجل ونحوها بهجة العلم في صور هذه الحيوانات وما أعد لها من النبات في هذه القارات وغرائرها وفي عادات الانسان التي جعلت في سجين . بيان أن احاطة الآيات القرآنية بالحيوان والنبات مجزة أمأطت اللثام عن الحقيقة وأخرجت الانسانية كلها من الخيرة إذ يقولون العلم شئ والدين شئ آخر فالسعادة للناس أن يكون دينهم هو عين فطرتهم وهذا هو القرآن وتنبأ المؤلف أن الناس سيكتبون هذه الآيات على أسوار حدائقهم في المستقبل

٧٧ جهل أكثر هذا النوع الانساني وغفلته بالتقليد الأعمى وهو لا يحب التعب والنصب بل يسير على سبيل الآباء طلبا لراحة نفسه والحيوان يسير على مقتضى الغريزة والغريزة لا خطأ فيها ولكن الخطأ في تقليد الانسان وغفلته وقد ذمّه الله على ذلك وسيبتر المتبوعون من التابعين . الحيوان من نوع واحد وعاداته متشابهة أما الانسان فعاداته كثيرة الاختلاف فمن متزوج أمه وأخته ومن محرم ذلك ومن آكل لحم الانسان ومن محرم لحم كل حيوان . إن الانسان ضلّ عن فطرته والحيوان لم يضلّ عن غريزته ، لذلك كان تقليد الانسان للانسان جهلا مينا يحط الانسان عن مرتبة الحيوان . وبيان أن التقليد هو الذي يمنع منسكّر للدين الاسلامي أن يكتب ويقرأ هذه الآيات التي توافق كل الأمم لأنها ترجان الفطرة إذن التقليد يحط بالفطرة الانسانية وينزلها الى اسفل سافلين ، وترى الشعراء والفلاسفة في كل جبل وأي أمة محترمون بخلاف آيات الدين الموافقة للفطرة فهناك من يمنعها وهم رجال الأديان الأخرى حرصا على المكاسب الأرض أشبه يراقصة ترقص حول الشمس ، وفيه ذكر نظم أوله

* الأرض ترقص حول الشمس من فرح * الخ

٧٩ اللذات وتقسيمها (ثلاثة أقسام) عليا ووسطى وسفلى (العلم . السلطة . شهوة البهائم) الحيوان مقسم على حواس الانسان وحاجاته فالسك من حيوان للشم واللبن من حيوان للذوق وهكذا

٨٠ الحيوان كتاب مفتوح فنه الحز كالآساد والمستعبد كالغنم . هكذا الانسان اذا أهمل صار كالثاني اولنشط كان كالأول والقرآن أشار لذلك بذبح البقرة وبالوحى للنحل ، وأيضاً قد أسمعت النملة نبيا وهذا شرف لها لم تله البقرة ونحوها . حفظ القوة الشهوية في الانسان حسن كما حفظها الحيوان

٨٢ يحمد المؤلف ربه على نعمة العلم وانه في كبرسنه اليوم أقرب الى الصحة منه أيام الشباب ، ويقول المؤلف ان جهله بعلم الصحة في شبابه قرّبه من المرض وعلمه بالصحة وعمله اليوم أكسبه بعناية الله الصحة وأن الناس بجهلهم شقوا ومن الجهل العام في الانسان اذاعة القول في الجرائد أن الكبراء وعظماء الأمم قد شربوا في محافلهم العائمة المرطبات ، ومعلوم أن ذلك لم يكن لداعية العطش فهو غير صحي لم تقدم عليه الأنعام التي هي خير من الانسان في ذلك ، وقد شاعت عادة التدخين والمخدرات وكل ذلك مما دخل في قوله تعالى - وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم -

٨٣ نداء الى أم الاسلام بذكر خطبة الاستاذ (فيشر) الأمريكي الذي يقول ان الجيل (٢١) سيكون متوسط اعمارهم (١٠٠) سنة لأنهم لا يدخنون ولا يشربون الخمر الخ والناس اليوم يقصرون اعمارهم بأمثال هذا ، ويتعجب المؤلف من أن هذه الخطبة نشرت عند كتابة موضوع الحيوان هنا الذي ليس مفرطاً في طعامه وشرابه ونحوهما ، ويقول المؤلف ان المسلمين قرؤا آية الخمر وكان شعراؤهم يتباهون بها أمام ملوكهم جهلاً . ذكر الدود والجراد والنمل والنحل والحمام والغربان والآساد والفيلة . فالجرادة والذباب والناموسة لا يرين ذريتهن والنمل والنحل يعطف الفرد على المجموع والدجاجة والحمامة لاتعرف نظام المجتمع . والغربان لها حكومة منظمة والبقرة والشاة لا يعرفن إلا أنفسهن وذريتهن . والفيلة والذئاب والقرود تعرف نظام المجموع وسيقول أبنائنا في المستقبل ان الطفل والهرم كاللدود والاقوياء يلدون الذرية وتكون لهم جماعات فاليابان والألمان ونحوهم وصلوا الى درجة الغربان والذئاب في علم الاجتماع والناس الآن في الشرق والغرب لم يزدوا عن الغربان . هذه الأمم كلها فعلت فعل الحيوان فأما بعض المسلمين كأبناء العرب في شمال افريقيا وسوريا والعراق فانهم لم يصلوا الى درجة أعلى الحيوان كأهل الصين واليابان وممالك أوروبا . وسيقول فلاسفة المسلمين في المستقبل ﴿ يجب على كل أمة شرعية بجمعها دين أو وطن أو لغة أن تحافظ على مجموعها ثم يجب على هذه الأمم كلها في الشرق أن يتحدوا كما اتحدت الممالك المتحدة ليكونوا أرق من الحيوان ومن الأمم الحالية شرقاً وغرباً . ثم يقولون نحافظ على أخلاق آبائنا ولكن لانقذ عندها وأن ماخافه نبينا ﷺ علينا من فتوح البلدان قد تم ووقعنا في ما نرقي الحياة مع الأمم فيجب علينا الآن أن نسعى في اتحاد الأمم جميعها شرقياً وغربياً لأن الجمعية كلها كانت أكبر كانت منافعها أوفر ﴾ وهذه المسائل نطقت بها الاشتراكية والبلشفية ولكن هذه المحاولات الى الآن لم تند وقراءة علوم الحيوان وغيره مثل ما هنا تعين على هذه الفكرة وهكذا الوحى الذى أمر بذكر الله أكثر من ذكر الآباء في الحج وأمر بان يؤذن بلال وهو غير عربى في الكعبة وهناك يعممون تعليم كل ذكر وكل أنثى وينظمون المجموع الانسانى كما تقدم ويشير لذلك حديث الصدقة إذ لا يجد المتصدق من يأخذ صدقته ذلك لأن الأمم كلها عاملة وكل فرد نافع للمجموع فيكون مجبزة

٨٧ ذكر انتشار الاسلام في بلاد (البرازيل) وأمريكا وقول المستر (ولز) ﴿ كل دين لا يسير مع المدنية لا ينفع والاسلام هو الدين الحق الخ ﴾ فانتشار الاسلام في الشرق والغرب الآن ومعه أمثال هذا التفسير ربما يساعد على اتحاد أمم الشرق والغرب ويتم إذ ذاك حديث الصدقة وعدم اخذها الانوار على ﴿ قسمين ﴾ نور ظاهر وهو نور الشمس والاقار والكواكب ونور باطن وهو قوى النفس وما فيها من الصور والانسان لجهله يحقر الأمرين معا الشمس والكواكب وقواه الباطنة لأنه لم يتعب في

تحصيلها . اما الصور الشمسية (الفتوغرافيا) مثلاً فإنه يفرح بها لأنها جاءت له بعد التعب فهو جهول والعوالم ألواح نفوسنا وكل أنوار في الأرض إنما جاءت من السماء ويقاس عليها أنوار عقولنا فهي من السماء لا من الأرض . فإذا نسي لأحد لها فلا درسها ولا أقلد بعض الشيوخ الجاهلين الذين قالوا ﴿ إن الأعمال الدنيوية لا تقرب العبد من ربه ﴾ وهناك طوائف يقتصرون على الذكر وحده ولا بد من قراءة كل علم في الدنيا لأن نفوسنا لأحد لها ، ولكن هذه القراءة توزع على جميع الأفراد وهم متعاونون تعاون قوى الدماغ سواء بسواء ، هنالك يتم سعادة هذه الأرواح المرسله من السماء بالاتحاد العام وترتقي ارتقاء لأحد له والله لا يعطي هذا الانسان إلا على قدر تعاونه العام

٨٩ (القرآن والعالم المادى) المادّة لم نرم منها منفعة إلا على مقدار ما استخرجناه منها كالمعادن ونحوها من الأرض ، هكذا القرآن لا ينتفع منه إلا على مقدار ما نستخرج من علومه ، فهذه القصص فيه قد ترك الناس مغزاها . عرف سليمان قيمة نعمة العلم بكلام النملة فشكر النعمة وهكذا في مسألة العرش واستقراره عنده وشكر النعمة بقبولها والعمل لها . مسألة الهدد فوز سياسى ومسألة النملة فوز علمى فوجب عليه شكر النعمتين ومن لم يشكر النعمة سلبها ولا شكر إلا يعلم . سبأ كان لهم سد العرم والجنتان فكفروا النعمة فزالت والشياطين يعملون لسليمان محاريب وتماثيل ، فهنا علم وملك وصناعة وزراعة فالأول بالنملة والثاني بذكر الهدد والثالث بعمل الجن الصناعات لسليمان والرابع بجنتى أهل سبأ وكأها قد ذكر معها الشكر أوضده . إذن هذه القصص جاءت لا يقاط المسلمين لأمثال هذه الأعمال ولا نذارهم باهمالها . هذا بعض سرآية - وقليل من عبادى الشكور - وكل ذلك مناسب لهذه الآيات لأن أرواحنا نور من الله وللمناسبة الهدد والنملة التي ذكرت في مساق الدواب والطيور هنا

٩٢ تفصيل الكلام على الشكر وقول المصلى ﴿ ولك الشكر الخ ﴾ ولا شكر لأهم الاسلام اذا لم يحافظوا على عروشهم وعلى بلادهم ولم يتركوا الترف والتعم . والملك اختبار للانسان لاختليد وسليمان يقول فيه - ليأوفى أشكر أم أكفر - فكيف بالمسلم الذى لم يعده الله بالملك كما وعد سليمان عليه السلام . وبيان أن السلام في بلاد الاسلام لا يتم إلا بتعميم التعليم وجميع أقوال الصلاة تشهد لهذا المقام

٩٤ ذكر أن أمان الله خان قد عمم الثورة أنحاء بلاده كما كنت أنوقعه في نفس هذا التفسير في (سورة الحجر) وأن هذا التفسير جاء لمساعدة الملوك والأمراء المصلحين فهو خير من الضغط الذى يورث الانفجار

٩٥ ونظير هذا ما حصل أيام المغفور له محمد على باشا إذ اعترض العلماء جهلا على الأطباء لاتخاذهم الحجر الصحى (الذى هو شرعى) حقاً وهم نسوه وردّه عليهم فسكتوا . كل ذلك وهذا للجهالة بهذا الدين بيان أن ما نقوله في هذا التفسير قد ابتداء العلماء قبلنا كالامام الغزالي فقد ذكر أصناف الحيوان وانقسامه وعجائب البقة والنحلة والعنكبوت وهندستها وأن الناس لما ألفوا ذلك سقط وقع من قلوبهم ولا يحبون إلا من الأمر الغريب مع ان العجائب كثيرة أمامهم في الأنعام ومنافعها وفوائدها وقطعها للبوادى وهكذا جاء في كتاب التفكر أحاديث وآيات للحث على التفكر . ولقد سلط الله على المسلمين صفار العلماء الصوفية من الداخل والتار من الخارج بعد العصور الأولى ، فهذا الذى كتبناه في التفسير اليوم تتم به ما كانوا ابتدؤوه قبل (٩٠٠) سنة ونسير معهم لاعم المتأخرين النائمين

٩٧ بيان ان علماء أوروبا في القرن العشرين ينظرون لعلمائهم في القرن التاسع عشر نظراً الى الأطفال كما تقتم في (سورة المؤمنون) فصغار المتعلمين من المسلمين الآن عرفوا آراء القرن التاسع عشر والى الآن لم يعرفوا آراء علماء القرن العشرين فضلوا وجهلوا

٩٨ يقول الامام الغزالي : « أعظم علوم القرآن أسماء الله وصفاته ، فعلى المسلم أن يفهم صفات الله من ذكر أفعاله كالسموات والأرض بحيث يرى الله في كل شئ وكل شئ هالك إلا وجهه وأول علم المكاشفة أن وجود كل شئ تابع لله فليتنامل المسلم أعضاء الانسان وعجائبه الظاهرة والباطنة وتلك تذكر بصفت الله » ويناسب هذا قطرة الماء المتقدمة وانها ترجع هي وجيع المادّة لأنوار ، وهنا ذكر الغزالي رحمه الله انصراف الناس عن فهم القرآن بتيقظهم لخارج الحروف وللجمود على مذهب أولاتباع الهوى أولتفسير لفظي جدوا عليه

٩٩ بيان ماهو التفسير بالرأى المذموم كأن يفسر القرآن مبتدع ويلبس على خصمه كأن يجعل حديث « تسحروا » للمستغفرين بالأسحار وكأن يفسر بظاهر العربية وقد جهل الحذف والاختصار الخ وذم التفسير بالرأى لاينا في ماقاله على وأبو الدرداء من أن للقرآن وجوها والاقتصار على المنقول عن الصحابة جهل ورسول الله ﷺ لم يقم بتفسير القرآن كله . إذن القرآن فيه معان تفتح لكل جيل فاقفها لجهل الجوهره الأولى في آية - لقد أنزلنا آيات مبینات - الى قوله - وما على الرسول إلا البلاغ المبين - وهو التفسير اللفظي لهذه الآيات

١٠١ هنا « موضوعان * الموضوع الأول » محاضرة في القرآن الكريم وأثره في اللغة والعلم والاجتماع والأخلاق ألقاها في مؤتمر المستشرقين الاستاذ محمد أحمد بك جاد المولى المفتش بوزارة المعارف وقد سمعها (٧٠٠) عالم منهم (٧٠) عالما من الألمان في مدينة (أكسفورد) وأقروا هذه الخطبة التي اشتملت على أن النبي ﷺ أعظم مصلح قام في الأرض وفيها وصف القرآن ومحتوياته وآثاره في اللغة العربية وأثره في الأحوال الاجتماعية والخلقية والعلمية ، وفيها ذكر العقائد والفرائض الدينية والأوامر والنواهي والانذار والتبشير والجدل والتحدى والقصص والتشريع الاجتماعي والجنائي والمدني والحربي والوعظ والارشاد ، كل ذلك مبين بالآيات

١٠٦ بيان أن سيدنا محمدا ﷺ أعظم مصلح ظهر

١٠٧ أثر القرآن في الأحوال الخلقية وأثره في الحال العلمية

١١٠ ومن التبيين الذي وصف به القرآن ما جاء به تقرير كتاب « نظام العالم والأمم » في الجمعية الاسيوية الفرنسية على يد عشرة علماء وفلاسفتهم إذ جاء فيها أن هذا الكتاب اثبت أن الاسلام دين الفطرة بعد أن لخصوا ما في الكتاب من المباحث التسعة وأن مباحث « نظام العالم والأمم » التي طبقها المؤلف على القرآن جاءت بطريقة سهلة لم يسبق المؤلف بها احد من أم الاسلام الذين جدوا على الألفاظ جودا معيبا أدى الى انحطاط أم الاسلام

١١٣ أنواع تبين القرآن في الارشاد خاصة وهي « ثلاثة أنواع » الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن ووضع كل منها في موضعه ، ومن ذلك آية الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك فلم يكلمه إلا بمسألة الشمس ومشرقها ومغربها لأن النمرود من عبادها . فهذه مجادلة ولذلك لم يقل فيها - وتلك حججتنا آياتها إبراهيم على قومه - الخ وما قل هذا إلا عند آية الحكمة وهي التي في الأنعام حين ذكر الشمس والقمر والنجم ، فهذه حجة وإيقان . فأما الموعظة الحسنة فتل آية الكرسي ونحوها فهذا من تبين القرآن ، ومن الحكمة المخبوءة في القرآن قوله تعالى - ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا - وهذا عند التكلم في الاتفاق والمناسبة التامة لاتعرف إلا بأن يعرف الناس انهم جميعا اذا تعاونوا شرقا وغربا سعدوا السعادة التامة لأنها ترجع الى كل فرد على قدر كثرة الاتحاد العام ، ولقد

جاء في كتاب أصول القوانين أن المدار على اسعاد المجموع وكذلك مسألة الخضر وموسى فقتل الغلام لاصلاح الأسرة كلها ، فالمصيبة الخاصة للاصلاح العام لاضرر فيها بل قتل الكفار يوم بدر لمنفعة أعم وهو اسلام أبناهم وهم أم كثيرة

١١٥ ﴿ الجوهرة الثانية ﴾ في قوله تعالى - وعد الله الذين آمنوا منكم - الى قوله - ومأواهم النار وابليس المصير - وتفسير الآيات اللفظي

١١٦ ﴿ أربع لطائف في اللطيفة الأولى ﴾ في قوله تعالى - وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات - واخبار النبي ﷺ لعدى أن الامن يم البلاد حتى ان الطعنة لتأتى من الخيرة وتطوف بالكعبة فلا تخاف وهذا مجزة ، ثم اللطيفة الثانية ﴿ في قتل عثمان وفي أن الاسلام دين علم وعمل

١١٧ فصل في وعد الله للمسلمين بالتمكين في الأرض والاستخلاف فيها . فصل في أن المسلمين ينقصهم أمران الاتحاد والعلم . ضرب مثل لحال المسلمين مع غيرهم . معنى الجهاد وانه ليس خاصا بضرب العدو بالسلاح بل هو يشمل كل ما يقوى الأمة من زراعة وتجارة وصناعة بجميع الصناعات فروض كفايات جهاد

١٢٠ ﴿ الجوهرة الثالثة ﴾ - يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم - الى - لعلمكم تعقلون - وتفسيرها اللفظي

١٢٢ ﴿ الجوهرة الرابعة ﴾ - انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله - الى آخر السورة وتفسيرها اللفظي خاتمة وفيها ملخص السورة

١٢٣ الجلال والنور في سورة النور وفيها ذكر تناسب السور الثلاث (الحج والمؤمنون والنور) في ذكر خلق

الانسان وانه من نقطة فضضة الخ في سورة الحج وفي سورة المؤمنون ، فأما في سورة النور فقد جاء ما يحفظ حواسه ، ففي الأوليين جعل هيكل الانسان مستمدا من الأرض والهواء والماء والضياء أى من كل ما حوله ولذلك قيل - فتبارك الله أحسن الخالقين - الذى جعل له منافذ تطل على العوالم المحيطة به فيستفيد الانسان بها ، ومن عجب أن اللسان يعبر عن كل ما احسن به بحواسه الخمس من هذه العوالم وأيضا حاسة البصر تشاهد صور كل ما عرفته الحواس الأخرى من الملموسات والمشمومات الخ وتعرف نعمة الحواس بموازنة الانسان بالدود الذى فقد أكثرها ، وأكثر الذنوب ذنوب اللسان ويعين عليه طموح العين لمحاسن النساء . إذن اللسان خلق لمنفعة هامة فوضعه في غير موضعه ظلم . خاطب الله عباده بهذه الحواس والجوارح فهو يقول الناس ﴿ فريقان ﴾ أصفياء وأغبياء ، فالأغبياء ينظرون جمالى في النجوم والثمار والأزهار فلا يعقلون إلا ما يشتهونه كالحيوان ، ومتى سخطت لهم سائحة نحو العلا سلطت عليهم زبانية الشهوات تضربهم بمقامع من حديد فتدفعهم الى أسفل شهواتهم وألسنتهم عاكفة على الأذى لقومهم كأصحاب الإفك . إن تكلفى لكم بالتسبيح والتحميد لتذكروا نعمى المحيطة بكم فليس الجلال في الانسان وغير الانسان لمجرد التناسل . ألم تفكروا في فتوركم بعد فراغكم من تلك المنة . تنادىكم الشمس والقمر والنجوم والأنهار والطير المفردات أن هلموا الى العلا . ان لم تصنونا اللسان عن تضييعه لأوقانكم والفرج عن الفاحشة والعين عن المحرم فكيف ترون انى نور السموات والأرض ؟ انكم تحجبون عنه . الحيوان لا يسرف في لذة الوقاع فالكسب تسرفون

١٢٧ آراء الانسان المخزونة في عقله أجنحة يطير بها الى العلا . السمع والبصر والفؤاد اتم عنها مسؤولون . هذه الجمل ملخص سورة النور

١٢٨ ﴿سورة الفرقان﴾ هي «ثلاث مقاصد» المقصد الأول «من أول السورة الى قوله - بل هم أضل - سبيلا - قد كتب مشكلا بالحرف الكبير

١٣٠ التفسير اللفظي

١٣٣ تفسير لفظي - لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني - الى قوله - وأصحاب الرس -

١٣٤ تفسير لفظي لقوله تعالى - وقرونا بين ذلك كثيرا - الى آخر هذا المقصد . وهنا (١٥) لطيفة

١٣٥ اللطيفة الأولى في قوله تعالى - تبارك الذي نزل الفرقان - الى قوله - نذيرا - كذا اختل النظام كان الملك أسرع انحلالا ، وكلما كان العدل أتم كان الملك أدوم ، وبيان الهدية التي يقال ان أرسطاطاليس أهداها الى تلميذه الاسكندر وهي دائرة ذات ثمان كلمات وكل منها تصلح مبدءا ونهاية اشارة الى أن الأمة متضامنة وفي هذه الكلمات علم السياسة كلها

١٣٧ اعتراض على المؤلف بأنه لا يفتر عن ذكر الحيوان والكواكب في كل مناسبة ؟ فنحن في صفات الله فلماذا نتعدها ؟ وجوابه اننا لانعرف دوام الملك بعقولنا إلا بالموازنة فلماذا دام ملك الله ولم يهدم كملك بني آدم عرفنا أن ذلك من التقدير في قوله تعالى - فقدره تقديرا -

١٣٨ بيان الدائرة الكبرى العاقمة . بخارجها يكون مطر بتحريك الشمس له أولا وللهماء ثانيا وهي تلح على الحب المبدور فينمو ويتبادل الحيوان والنبات التنفس فما يخرج من الحيوان بالزفير ينفع النبات والعكس وغذاء الحيوان متوقف على السماد الذي منه ما يكون من فضلات الحيوان ، والانسان متوقف على النبات والحيوان والجميع على ضوء الشمس والهواء . هذا نظام عام . فأما الخاص فكجانب النحل والنمل وقد كتب منه كثير في هذا التفسير ، ومن نظام جسم الانسان تعاون الدائرة التنفسية مع الدائرة الدموية وهكذا بقية الدوائر الثمان المتقدمة في سورة المؤمنون . فهذه دوائر متعاونات تعد بالعشرات أوسع من دائرة (أرسطاطاليس) التي هي في سياسة الأمة وحدها وهذه في نظام العالم العام فتعجب وافرح بالحكمة . وهنا ذكر اللطيفة الثانية وفيها ذكر حكم (توت) وهو (هرمس) وأعداد المتواليات العددية عند قدماء المصريين وذكر الياقوتات الثلاث في ترتيب الآية . وبيان أن الانسان جنين في الأرض (٣٠٠) ألف سنة وهو اليوم طفل والحقائق تظهر الآن وانتشار الاسلام في افريقيا وترقيتهم ونشره في الصين ليرجعوا له بعد احتقار الأصنام التي شرعوا في تحويرها الآن بالعالم وبيان أن مسلمي الصين الآن علمهم قليل

١٤٣ ملخص هذا المقال أن الأم كلها أطفال وأن رحمة الله تشمل الأمم كالأفراد وأن دين الاسلام مهد لهم ليهتدوا به ، وإن التقديم والتأخير حصلا في قوله - نزل الفرقان - وقوله - الذي له ملك السموات والأرض - فانزال القرآن بجملة فعلية وملك السموات والأرض بجملة اسمية والأولى للحدث والثانية للدوام . قدم الله ذكر نزول القرآن بجملة تقتضي الحدث وأخر ذكر ملك السموات والأرض وهذه هي حال المسلمين الآن لم يعرفوا إلا ألفاظ القرآن كالصبي يرضع لبن أمه ولم يفقهوا ملك السموات والأرض مع أن هذا الملك ترتيبه الوجودي قبل نزول القرآن وهو دائم فالتأخرون من المسلمين كالأطفال الرضع وسيمزجون العلم بملك السموات والأرض بالقرآن ليكونوا رجالا كما يفعل الشاب بعد زمن العبا ، وبيان أن ما فعله مصطفى كمال باشا من عدم مزج العلم بالدين (طرفة) لا تؤمن عواقبها كما حصل بعد كتابة هذا الموضوع للأمر أمان الله خان الذي قلده مصطفى كمال باشا في تلك المجازفة وهذا كالأدوية المسهلة تنفع مؤقتا ولكنها تترك في الجسم داء ، وذكر أقوال الأطباء مثل (غرابيشتاين) الألماني القائل «إن

الضعف ناتج من استعمال الأدوية ولو كان المستعمل لها طبيباً ماهراً (كيسر) القائل (إن السواء والطبيب كلاهما شر من المرض في أغلب الأحوال) وهنا (٨٠) علماً قرروا أن الاقتصاد على الطبيعة كالأطباء والغذاء الجيد خير من الأدوية ، فهذا تمثيل لأمر السياسة فعزلها عن الدين أشبه بهذه الأدوية ولا فرق بين جسم الأمة وجسم الإنسان والطبيب السياسي والطبيب لجسم الإنسان . وبيان أن هذا التفسير روح بها الله في الإسلام لترجيح الملوك والمصلحين من العناء وإن كانت آثاره يتأخر زمان ظهورها ولكنها تدوم

١٤٦ وبيان أن ذلك نظير شيخ طريقة كان مجاوراً لي في طولون ، وكان يظهر بعض الكرامات الصناعية فيها به الريدون في الصعيد بمصر وهذه حال لا تقيد لأنها وقتية كالأدوية التي ذمها الأطباء

(الياقوتة الثالثة) في قوله تعالى - وخلق كل شيء فقدره تقديراً - . نظرة المؤلف للعنكبوت اتخذت لها بيوتاً وضربت خيامها في آلاف الأفدنة بجوار (بلدة المرج) قرب القاهرة وأنها نساجة غازلة صائدة مفترسة للذباب وهي أشبه بالأم الصانعة التي تفتك بالأمم الزارعة لأنها أرقى منها وقد عرف هذه الفكرة السلطان سليم فإنه لما فتح مصر أخذ جميع صناعاتها فبقيت البلد زراعية لئلا يمكن استعبادها ، وهنا بيان ما في جسم العنكبوت من المصنعين مصنع الغزل ومصنع السم لجلب المنفعة ودفع المضرة ، ومثلها في ذلك النحل لها (مصنعان) مصنع لصناعة العسل ومصنع لاحداث السم ، فأذن جميع ما في الأرض من مصانع الذخيرة ما هي إلا تكرار لمصانع في الحيوانات كهذين المصنعين في العنكبوت والنحل ، وهكذا مصانع الغزل والنسج والسكر تكرار لذلك في العنكبوت والنحل ، وبيان أن العنكبوت ليست من الحشرات كالذباب والنحل في عدد أرجلها فهي ذات ٨ أرجل والحشرات (٦) أرجل ، ومثل العنكبوت العقرب في عدد الأرجل وكذلك أبو شيت وأكثر الحشرات غير سامة وأقلها كالنحل والزنبور سام بخلاف العناكب والعقارب وأبو شيت . هذه حكم المصانع من مغازل ومناسج وذخيرة للاهلاك ملأت بيوتنا وحقولنا في الأماكن التي تركها الإنسان لتكون عبء لعقلاء الأمم المفكرة (شكل ٢٧) فيه رسم جهاز الغزل في جسم العنكبوت مكبراً (شكل ٢٨) رسم إبرة النحل مكبرة جداً (شكل ٢٩) رسم العنكبوت وله إرئنان في طرف رأسه يلسع بهما وتحت إبرة مكبرة وإلى يمينها الغدة التي تفرز السم (الحكمة العملية) وهي أن الأمم الصانعة تستعبد الأمم غير الصانعة لأن الأولى تخلقت ببعض أخلاق الله ،

١٤٨ انظر إلى الألمان الذين صنعوا حريراً من خشب القطن وخشب التوت وهو أرخص من حرير الدودة وإذا دام هذا تنقرض الدودة . في الهند يزرع نبات نيلة الصباغة في مليون فدان فلستخرج الألمان مادة الصباغة من الفحم فبارت تلك الأطنان . إذن هذا الإنسان خلق في الأرض ليصنع كل شيء بنفسه فلا يتكفل على حيوان ولا نبات وهذه حال أشرف للانسانية العامة ويكون الإنسان أقرب إلى ربه

١٤٩ بماذا يشير الله للناس إذ أراهم صنع أمثال العنكبوت والنحل وتقديرهما الذباب نعمة لأنه يحيل الرطوبات إلى جسمه ولكن هو نفسه ينقل العدوى لأمراض كثيرة ، لذلك خلق له العنكبوت يسلط عليه . إن الامم الموفرة الرزق ذليلة والأمم التي تعبت في التحصيل عزيزة الجانب . فالأولى كالذباب الذي يجد الرزق في كل مكان والثانية كالعنكبوت الذي يحتاج إلى شبكات يصطاد بها . هذا كله من معنى - وخلق كل شيء فقدره تقديراً - . لذلك كله ضرب الله الأمثال وأنزلها في القرآن إذ علم أن المسلمين سينامون أمداً طويلاً فقال - وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون - (بكسر اللام) ثم إن هذا التقدير ليس خاصاً بما فوق الأرض بل يشمل ما في البحر من السمك ومن الحيوان صاحب السفينة

١٥٢ فهنا سمك كهربائي (شكل ٣٠) و (٣١) يكون بالبرازيل وغينا ويقتل السمك بالكهرباء المتولدة من صفائح منشورية الشكل أشبه بخلايا النحل كالمسطر المسدسة الأضلاع . فهذه جعلت أصيده في البحر كشبكة العنكبوت في البر . وهكذا (شكل ٣٢) صورة حيوان (الوئيلوس) أو صاحب السفينة بهجة العلوم المسطورة في لوح الطبيعة وهي (ثلاثة فصول)

١٥٤ (الفصل الأول) في خطاب الله للأمم ، وفيه بيان أن منازل بني آدم تكون ظواهرها حيطاناً متينة ولكن الحيوان منه ما جعل كذلك كصاحب السفينة وأمثاله من كل ما جعلت له صدقات تحيط بجسمه ومنه ما لاصلاية في جسمه لا داخلا ولا خارجا كالخشرات ، ومنه ما جعلت صلابته في الداخل لا في الخارج كالإنسان وذوات الأربع والطيور أي جميع الحيوانات الفقرية فهي تخالف بناء منازلنا ، صلبها داخل ولطيفها خارج كجسد الإنسان والحيوان بالنسبة للعظام

١٥٦ (الفصل الثاني) في خطاب الله للمسلمين بنفس هذه الحيوانات ، يقول هذه سنتي وهذه أفعالي فسنتي ابراز جميع الصناعات كما أرى يتكلم في جسم النحل والعنكبوت والسمك وصاحب السفينة (الفصل الثالث) في خطاب الله للأمم الإسلامية المتحيرين في خوارق العادات فلا يفرقون بين الأولياء والسكران ، وفيه بيان أن الشيوخ الذين ظهر صلاحهم وأخبروا بالغيب فرضا لا يدل ذلك على رفعة قدرهم فإن اتنويم المغناطيسي قد حدث بذلك صدقات نادرة وكذبا أخرى ، وهل زاد الصادق من هؤلاء الشيوخ عن الهدد إذ أخبر سليمان بما لا يعلمه ، فهل الهدد بهذا الاخبار صار أفضل من سليمان ؟ وهل خرق بعض العادات من غير الأنبياء إن صح أنها المسلمون يزيد عما صنعه العنكبوت من المراكب الهوائية التي طارت بها في الجو ، فهل اتخذت الحيوانات البرية العنكبوت أئمة لها لما فعلت ذلك ؟ أم اتخذت حيوانات البحر السمك الطيار أئمة لها بسبب الطيران غير المعتاد عندها . أيها المسلمون والله مادمت جهالا فاني أرسل اليكم هؤلاء الجهال ليصوموا دماءكم هم والمستعمرون من الأمم القوية جزاء ما كنتم تجهلون ألساء مثلا القوم الجاهلون

١٥٧ ذكر ما قاله الشيخ الديباغ من أن من فتح الله عليه بسبب العبادة ونصب نفسه لقيادة الناس وجعل ذلك بابا للرزق فهو خاسر ، وبيان قول الفيلسوف (سبنسر) ان الناس قرؤا قبل أن يكتبوا فعلمنا أن نبتدي بالكلام قبل الكتابة مشاككة لتاريخ ذلك والله خالق العالم قبل خلق الإنسان . فليدرس المسلمون الحيوان والنبات وظواهر العلوم قبل درس تشریح الانسان ، إن النبات والحيوان مخلوقان قبل الانسان فليدرس قبل دراسة جسمه ليكون ذلك أسهل لهم جسم الانسان فهذا صراط الله ونحن نقول - اهدنا الصراط المستقيم - وهذا المعرف يرجع الى المنكر

١٥٨ بيان أن الطوفان والجراد والقمل والضفادع المذكورات في القرآن انها آيات مفصلات من الأمثال التي ضربها الله للناس وما يعقلها إلا العالمون . إذن هذه آيات مفصلات وآيات القرآن آيات مفصلات ولا تفصيل لآيات هذه الحشرات والحيوانات والطوفان إلا يعلم يشمل نوع الانسان . وليس يعقل تلك الآيات إلا علماء بنص القرآن . فالمسلم الجاهل يحقر الضفدعة والقملة والجرادة والدم ويقول هذه أشياء معروفة أنا أعرفها ولا تحتاج الى علم ولا فهم ولكن الله يقول كلا ثم كلا لا يعقلها إلا العلماء اختصوا بها والجاهل يعلم كل شيء والعالم يتوقف حتى يعلم . فالطوفان يهلك البلدان اذا لم يحترس الناس من غوائل الأنهار كالنيل ولم يبنوا القناطر والجسور . وترى بلاد اليمن زراعية كان بها سد العرم قديما فانتفعوا به واليوم لا علم في البلاد كالذي كان في الجاهلية أيام ممالك سبأ فأقفر الجنتان . وهل يرجع المجد

للقوم إلا بالتبحر في علوم الهندسة وأما الهاكلاثم حولنا اليوم ؟ وهل يعرف المسلمون ما عرفه الناس في أيامنا من أن البراغيث تستعمل الفيران كما نستعمل نحن الخيل فتركب منها وتهجم على الناس فتقع على الأجسام حاملات جوائيم مرض البرقان والنزيف ومرض الدودة الخيطية والديدان المعوية والطاعون وأن نفس الفيران مدمرات لما نخزنه وأن الاحتراس منها ومن البراغيث يستحيل أن يكون إلا بعد العلم بذلك الخطر ومن لم يعلم لم يعمل . هذا معنى كونها آيات مفصلات . نعم البرغوث ليس مذكورا في الآية ولا الفيران ولكن البرغوث من الحشرات كالقمل فالذكور في القرآن يراد به فتح باب البحث إذن هذه آيات مفصلات وليس يفصلها إلا العلم بها والمسلمون أكثرهم اليوم جاهلون بها . إذن على المسلمين جميعا أن يدرسوا هذه العلوم من باب فرض الكفاية وهي طاعة واجبة . وهذا زمان ظهور سر بعض أسرار القرآن . كل ذلك من قوله تعالى - وقدره تقديرا - لأن هذا من التقدير والنظام وهو لا يعرف إلا بالعلم

١٦١ ومن هذه الآيات المفصلات (الناموس) الذي يسبب مرض (الدنج) الذي يسمى بمصر (أبالركب) ويسمى (حى البلح) فلهذا المرض جرائيم لم يمكن رؤيتها لدقتها وتنتشر بالناموس والناموس يتغذى من دم الانسان ، وهنا كيفية أعراضها وكيفية منع انتشارها وطرق الوقاية منها في بلاغ الحكومة المصرية إذ أمرت أن يعدم الناموس وأن تغطي الأسرة وأن لا تترك الماء راكدا لأن الناموس يعيش فيه ويعزل المريض عن الأضواء . كل هذا ذكرته لبيان قول الله تعالى في سورة أخرى في هذه الحيوانات وأمثالها أنها آيات مفصلات فهذا نوع من تفصيلها بالعلم والمسلمون إذا لم يعلموا هذا فالتة لهم بالمرواد في الدنيا بالنذل وفي الآخرة بجحيمهم

١٦٤ (اللطيفة الثالثة) - ولا يملكون مونا ولا حياة ولا نشورا - وبيان أن هذه (سبع صفات) لا بد منها للالهوية وبيت القصيد منها قوله - ولا نشورا - لأن الإله الذي يخلق الخلق ثم لا يعيده قد فعل فعلا عبثا فالإله كامل والسكامل لا يفعل العبث بخلق أرواح في الأرض ثم اهلاكا بلا فائدة تترتب عليها . وانظر إلى عدد (١٩) الذي مر في اللطيفة السابقة فقد جعله قدماء المصريين رمزا للبعث

١٦٥ (اللطيفة الرابعة) - وقالوا مال هذا الرسول - الخ . الناس لا يعظمون إلا من كثر ماله وحشمه والترف عندهم علامة الشرف فكيف يأكل الرسول الطعام الخ وهذه الفكرة الجاهلية هي هي نفسها اليوم تملك قلوب كثير من أمم الاسلام إذ يقولون لو كان ديننا حقا مادخل الفرنجة بلادنا

١٦٦ (اللطيفة الخامسة) - ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا - يقول المعبودون جوابا على سؤال الله لهم عن العابدين ان هؤلاء تنعموا فاتبعوا أهواءهم فهلكوا ، وعليه يكون الأنبياء المذكورون في الآيات لو أنهم لم يعيشوا في الأسواق وكانت لهم كنوز يأكلون منها لكانوا منعمين والمنعم ضال غالبا . إذن التمتع ليس نتيجة النبوة بل نتيجة الضلال ، فالأنبياء إذن ليس من شرط نبوتهم الغنى . إن الملائكة والأرواح العالية لانكم إلا نفوسا ترفعت عن المادة ، فأما الشهوانية فقد احتال الناس في زماننا على محادثة منها أرواح بالمائدة وبالفتجال وغيرها مما هو مشروح في كتابي (الأرواح) وأكثر الأرواح التي يكلمها الناس بالصناعات المتقدمة أرواح كاذبة ساقطة تصدق وتكذب

(اللطيفة السادسة والسابعة) - النعمة معها ثمة والمضار فيها منافع . ان في أجسامنا الحيوانات البيضاء تساعد الجراء في الدم وتحارب الذرات لتفتك بأجسامنا وفي أثناء القتال نحصل الحرارة فنسميها حى والتلقيح المعتاد يراد به ادخال حيوانات مهلكة تمرث الكرات البيضاء على الحرب فتكون ذريتها معدة لاهلاك حيوان كل طاعون أو مرض مهلك في الجسم . هذا كله سر قوله تعالى - وجعلنا بعضهم

لبعض فتنة - ومن هذا منافع الأعداء ومنه قول الشاعر * عدائي لهم فضل على ومنه *
 ١٦٩ ﴿ اللطيفة الثامنة ﴾ - وقد منا الى ماعملوا من عمل - الخ نيات الانسان وأراؤه اذا تركت مبعثرة كانت
 أشبه بذرات الضوء في طبقات الجو لا ظهور لها ولكنها تجتمع على وجه الأرض فيظهر ضوءها هكذا
 الأفكار إن لم تجتمع في نقطة في العقل ذهبت شعاعا بلا فائدة
 جوهرة في قوله تعالى - أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا - الخ سؤال طالب من دارالعلوم يقول كيف
 تصور وجود الله وعقولنا لا تعقل كيف كان هذا الوجود ، ثم كيف يعذبنا وهو المقتدر لكل شيء فأجابه
 المؤلف على السؤال الأول

(١) بأن المثلث والمربع وقضايا الحساب وغيره ثابتة في نفسها كالأعداد مثلا ، فهذه القضايا الثابتة
 بنفسها تقرب لنا وجود الله بدون خالق وأيضا مالنا ولهذا أرضنا صغيرة فهي صغيرة بالنسبة للعوالم كلها بحيث
 اذا كانت الأرض جوهر افردا كانت العوالم على نسبتها ألف مليون أرض فكيف نطمع أن نعقل خالق العالم
 (٢) وأيضا نحن لانعرف العدم ، فالملت أجزؤه باقية بعده وكانت موجودة قبله بل المادة قيل اليوم
 انها تنعدم وترجع الى أثر ولكن الأثر موجود . إذن لا عدم والوجود هو الأصل . إذن وجود الله
 أصل لا يحتاج الى تعليل وليس فيه غرابة اي فلا نقول من خلق الله ، والاجابة على مسألة القدر وهي
 الثانية بأن ندرس أجسامنا والعوالم كلها لنعرف الرحمة ، فلننظر طبقات العين مثلا وقد أعدت لتنظر
 الأنوار الآتية لنا بعد سيرها (١٠٠) ألف ألف سنة ، فالرحمة لاحد لها قد مكنت العين من رؤية
 أجرام بعيدة جدا ، ومن الرحمة اذلال العناصر للانسان بحيث أمكنه بالكهرباء أن يوسع درجات الحرارة
 بحيث صارت (١٤) ألف درجة فوق الصفر و (٤٤٩) درجة تحت الصفر بسبب الفرن الكهربائي
 فتصرف في المادة وحول الهواء (الاوزوت الذي فيه) مع الاودروجين الى نواشيد وهذا دخل في سماء
 الزرع وفي الأعمال الحربية ، فنحن في يد الله يصرفنا نصريفنا للعناصر بالحرارة وهذا جعل لرقينا
 فكل ألم انما هو لمنفعتنا ، وأيضا السنة أمرت بترك الكلام في القضاء والقدر . ومن أراد الكلام
 فليفكر في أن لكل امرئ جنة ونارا في نفسه فالخوف من التعبير بالتأخر عن نظرائه وهكذا لحوق
 العار بنحو الفسوق . كل هذا يعذب به الانسان ولا يفيد ان يقول هو قضاء وقدر ، فالتناس يحسون
 بالآلام الضمير وقد انطبق عليهم قوله تعالى - بل الانسان على نفسه بصيرة * ولو ألقى معاذيره -
 وهكذا نرى المجدين منشرجى الصدور بنجاحهم في النهاية . فلكل امرئ عذاب ونعيم لاحقان به في
 الحياة الدنيا ولكن هذا يصير مجسما بعد الموت . ومن ذلك الخياط (شوارد) الانجليزي الذي قتل
 زوجته ثم ندم وفتح نفسه للحكمة فقتلوه وذلك لشدة ضغط ضميره عليه . إذن لم يكن ضميره بالقضاء
 والقدر . إذن العذاب يكون في الدنيا وفي البرزخ وبوم القيامة وذلك ظاهر في جميع قصص القرآن وفي
 حديث قليب بدر ومناداة النبي ﷺ للقتلى في القليب . ثم بيان أن عذاب الخزي هو أشد أنواع العذاب
 ١٧٥ بيان ما يناسب هذا المقام من كلام علماء الأرواح وضرب مثل لذلك أولا . ذلك اننا في الأرض اتخذنا
 من الجبال حجارة قبضناها ووضعنا معها ما يناسبها . واتخذنا ما في باطن الجبال وقرار البحار من الأحجار
 الكريمة والجواهر فجعلناها زينة للحسان ونحوهن ونرى رجال السياسة بناء الامم يكتفون من الشعوب
 بظواهر التآلف ومثلهم رجال الدين . أما الحكماء فيقولون . كلا . فالعقول الصافية العالة هي المقصودة
 في عوالم الجنة وهي أشبه بالجواهر تنحلي بها الحسان والله لا يصطفي عنده إلا هؤلاء الخالصين فهم كالجواهر
 أما الباقون فهم كحجر البناء وحجر البناء لا يصلح للزينة لعدم المناسبة وهذا معنى الحديث : أنا أحكم

بالظاهر والله يتولى السرائر . هذا هو المثل الذي ضربناه . ويقول الاستاذ عثمانويل) الذي تقدم ذكره في التفسير وهو من علماء الأرواح ﴿ إن الذين ؤا العلوم وامتزجت بنفوسهم وأحبوها هم الذين ترتفع منازلهم بعد الموت ، أما العلوم التي حفظت بدون تعاطفها في النفس فلا ترتقي الروح بعد الموت فالعلم بهذه الدنيا ونظامها على هذا الشرط يجعل النفس مع الأرواح العالية ﴾ ويقول المؤلف ﴿ إن آراء هذا العالم الروحاني تشابه آراء الغزالي في كتاب الإحياء ﴾ ثم تبيان أن آيات القرآن تساعد على ذلك ، ألم تر أنه يقول تعالى - قل من يرزقكم من السماء والأرض - الخ فلهذا جعل رزقنا من السماء بالمطر مثلاً وأخبرنا به وجعل لنا عيوناً بخلاف حشرة (الأرض) التي لا تحتاج إلى ماء المطر وهي عمياء ، ماذا ذلك إلا ليذكرنا بأن ندرس هذا الوجود ، وأيضاً هو أوقف حياة الفرد على حياة المجموع لتتعارف وتتحد ونستخرج منافع الأرض معاً . وبيان أن أخلاق الإنسان وأعماله يراها المغتشون من الملائكة مسطرة على دماغه وجسده كله ويقذف في النار بعد الموت أوفى الجنة أو يبق مدّة إلى أن تظهر خباياه ثم يرسل إلى جنة أو نار وهذا كله يوافق الآيات القرآنية . الكلام على المقال الذي ألقته لذلك الطالب بعد ذلك في وجود الله تعالى لما سبق ، وأن هذه العوالم ترجع إلى ذرات ضوئية كهربائية وما هي إلا حركات ناشئة من عالم لا ندركه والعالم الذي لا ندركه وراءه موجود - قيقى هو الأصل عرفناه بوجود نفوسنا التي لا نراها وإذا كان الوجود المجازي أو الظاهري الذي سميناه مادة رأينا لا يعدم إذ المادة ترجع إلى الأثير الخ فكيف إذن يكون الوجود الحقيقي الذي هو الأصل . إذن الوجود هو الأصل لا العدم وعلى هذا لا يرد السؤال بقولنا من الذي خلق الله الذي يبنى على أن الأصل هو العدم . وبيان عجز المؤلف وعجز العلماء قبله عن إدراك حقيقة عالم الأثير كما عجزوا عن إدراك ذات الله والاكتفاء بضرب مثل لله في خلقنا وذلك بعالم الخيال عندنا فنسب ضعف خيالنا إلى عظمة هذا العالم المشاهد كنسبة ضعف نفوسنا إلى عظمة خالق العالم وخيالنا لبقاء له إلا بنفوسنا وإذا غفلنا عنه لحظة عدم هذا الخيال هكذا هذا العالم لو أغفله الله لحظة عدم فلا وجود له ، وهذا يفهمنا - لا تأخذه سنة ولا نوم - ويفهمنا - إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا - وعليه لاجته في خالق العالم إلى مادة سابقة وبالمثال ولا في عدمه إلى شيء غير الإرادة وبه نفهم معنى - كن فيكون - وهذا أصل عجيب فتح أبواباً كنت مقفلة على أكثر أنواع الإنسان والعلم الحديث هو الذي سهل فهمه لأنه أرانا أن المادة حركات لا غير فهي معدومة ، ثم يبين أن هذا المقال سيتم في آخر سورة النمل وهناك نذكر موازنات بين علماء اليونان وتفصيل العلوم المعروفة في القرون الوسطى التي استمدت منها علوم الأمم الحاضرة

١٨٢ ﴿ اللطيفة التاسعة ﴾ في قوله تعالى - ويوم تشقق السماء بالغمام - وبيان الكشف الحديث أن ستين ألف كوكب ظهرت الآن وانها في حال التكوين كأنها غمام وأن الشمس وأمثالها سترجع إلى تلك الحال بعد خراب هذا العالم

﴿ اللطيفة العاشرة ﴾ - ويوم يعرض الظالم على يديه - وفيها ذكر أنواع الصداقة وانها ﴿ أربعة أقسام ﴾ تأتي سريعاً وتذهب سريعاً أو بالعكس الخ . ضعف السياسة في الأمم الإسلامية اليوم . وبيان أن الأمم الأوروبية قد نبغت في صناعة السلاح وصناعة الحيل والمكر حتى أنهم يرسلون للأمر ولقائد الجيش في أمم الاسلام رسولين وكل منهما يحرك صاحبه إلى مناوأة الآخر وهناك تكون لهم هم الفائدة المرجوة وهذا يناسب الآية - ويوم يعرض الظالم على يديه - الخ

١٨٤ ﴿ اللطيفة الحادية عشرة ﴾ - وقال الرسول يارب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً - وبيان أن

المسلمين جهلوا الحكمة في أن أول سورة نزلت جاء فيها الأمر بالقراءة ووصف الله بأنه كريم خلقة الانسان وأكرم لأنه علمه بالقلم فرضوا بالاغتراف من نعمة الكرم ولكنهم لم يرضوا بقبول نعمة الأكرم التي هي نعمة العلم خاف العذاب بنا في الدنيا قبل الآخرة

١٨٦ القرآن وتقصير المسلمين ، وكيف نسوا سرّ تقديم كون - الحمد لله - على كونه - رب العالمين - كما قدم - اقرأ باسم ربك - الخ على ذكر الصلاة . إذن العلم أفضل من العبادة ولكن المسلمون اكتفوا بالعبادة ونسوا العلم . إذن هناك اتفاق بين الفاتحة وبين سورة العلق

١٨٧ القرآن كالبحر الملح ، أخذنا منه علم الفقه الذي يشبه السمك في البحر وتركنا الجواهر والمرجان فأخذتها أم غيرنا وهي علوم هذه الكائنات

﴿الطيفة الثانية عشرة﴾ - الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم - الخ وفيها أن النبات رأسه أسفل والانسان بعكسه والحيوان وسط بينهما ، فالانسان نبات مقلوب ، وعلى قدر انفصال الرأس من الأرض يكون حظها من العقل فادراك النبات أضعف ويليهِ الحيوان فالانسان . إذن النفوس المنحطة تحشر على وجوهها لعدم تعقلها - وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل - الخ فعلى مقدار الجِد في العلم والعمل وارتقاء الغرائز تكون السعادة والكمال

١٨٨ جوهرة في قوله تعالى - وكلا ضربنا له الأمثال - الخ وشرح معنى المثل وأمثال (كلمة ودمنة) وقصص (ألف ليلة وليلة) وأمثال اليهود وأهل بابل والهند وقدماء المصريين وهكذا وأن الأمثال إنما ألهمها الله لعباده لأن فهم المعاني منها أبقي لها عند النفوس الانسانية لأنها لاتعظم إلا ما تعبت في تحصيله كما لم ترغب في جمال النجوم وبهجة الأشجار كرجبتها في الماس والجواهر لأنها عزيزة عندها لتباعد عنها وغلو ثمنها ، هكذا الأمثال فهي تحتاج إلى اعمال الفكر . ونظير ذلك ما شاهدته المؤلف في دار الآثار العربية من سجادة غالية الثمن وانا من عقيق اثمنهما مرتفعة جدا وهكذا قص ابن هرون الرشيد . فهذه كلها لتدريتها جذبت قلوب الناس لمشاهدتها ولو كانت مبدولة لتركوها

١٩١ وههنا أن أذكر قصة العابد المقتون وهي الرواية الهندية . ذلك أن العابد (كندو) حسده ملائكة السماء (في زعمهم) فأرسلوا له (براموتشا) وهي حورية من الجنة فأضلته بجمالها وأنست العبادة أياما كثيرة ففرح بذلك حساده من الملائكة ولما استيقظ لنفسه عرف المكيدة . فهذا مثل لعقطة الانسان عند تلك الأمم . وتليها قصة (نال ودامان) الهندية من كتاب (مهابهارته) كتاب هندي . وذلك أن (نال) ملك مملكة (نيساوا) الهندية أخبرته (أوزة) لما اصطادها بجمال الفتاة الفتاة (دامان) ففتن بها وأخبرت الأوزة لما أطلقها (دامان) بحب (نال) فهامت (دامان) به فأخذت أباه (فيم) ملك مملكة (فيدونه) وانتهى الأمر بزواجه لها . ثم إن إله الشر (في زعمهم) أوحى إلى (يوسكار) الذي هو أخو (نال) أن يلاعبه الميسر وهو بشره يساعده عليه فخر (نال) كل مملكته وعاش هو وزوجته في الذل والفقر ثم رجع معها إلى مملكة أبيها وأخذ جيشا وقصد أخاه فسلم له بلا حرب ولا ضرب فأصدر (نال) أمرا بتحريم لعب الفرد على مال لأنه مضيع للمال . ويلي ذلك قصة هاروت وماروت التي ضرب بها الأمم السالفة مثلا لاضلال الانسان بالشهوات فيسقط من عزه إلى أسفل سافلين . وبيان أن تلك الخرافات المنقولة عن بني اسرائيل جاء في حديث ﴿حدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج﴾ جوازها باعتبار انها ضرب أمثال لاحقائق ولكن حقائقها لا قيمة لها وديننا لا يبيح انشاء روايات على هذا النمط لأن الامثال لا يعقلها إلا العلماء بها والقرآن نزل لأمة أمية فهو للجاهل والعالم فذلك منع العلماء مثل هذا لأنه يوهم

أنه حقيقة . وهذه الروايات نقلها المفسرون باعتبار أنها أمثال وإلا لم يجوز فلا اعتراض عليهم في ذلك لاجل له بعد ورود الحديث المتقدم . ولقد اعتنى أهل أوروبا بالروايات ورقوا بها أهمهم كرواية (وردة) عن قدماء المصريين باللغة الألمانية فقد رقت الشعب والله مدح الحكمة من أى قائل كان . الانسان في هذه الأرض كتاب لا يدرسه ويعقله إلا المفكرون . طعامه يكون دما وبقيته فضلة غليظة وهذه ترجع فتصير زراعا قدما . فهذه كتلميذ سقط في سنته فأعيد ثانيا وهكذا . وهذا السم يمد الجسم ويكون منه ولد لحفظ النوع كما يفعل النهر من سقى الأرض وإيجاد أرض جديدة في البحر . الذكورة والانوثة ليست شرطا في النسل فان المحار لا يحتاج الى ذلك . إذن الذكورة والانوثة سلم جعلت لارتقاء العقول بالعلوم والأخلاق والصبر والنسك وما أشبه ذلك (وبعبارة أخرى) انها تمرين على الفضائل وعلى حب الله والملا الأعلى لأن الحب (ثلاث درجات) حب الذكر والأنثى وحب العلم وحب الله وكل حب مقدمة لما بعده . والناس لما عشقوا وكرهوا وتقاتلوا أنزلوا الله في منزلهم فاخترعوا آلهة يحاربون ويعشقون وجعلوا الله على حسب عقولهم فجاء القرآن وقال . كلا . الله لا كفؤ له حتى يحاربه ولا ولد له ولا زوجة

١٩٦ ومن أمثال القدماء نصائح (بتاح حنب) وقصة (البحرى الغريق) عند المصريين الذى ركب سفينة وكسرت وغرقت السفينة فلجأ الى جزيرة وقابلته حية وأكرمته ورجع الى بلده . ومثلها السندباد البحرى وقصة حى بن يقظان ورو بنسون كروزو وألف ليلة وقوانين (جورابى) سنة ٢١٠٠ ق م ١٩٧ (اللطيفة الرابعة عشرة) - أفرأيت من اتخذ إلهه هواه - الخ . الناس قد حسبوا السنين والشهور والأفلاك والكواكب والكهرباء والبخار والماء وكالوا كل مكيل ووزنوا كل موزون حتى الكهرباء والضوء وكل شئ ولكنهم الى الآن جهلوا أمر نفوسهم فلوانهم حفظوا قواها ووزنوها لنفعتهم كما اتفقوا بحفظ الضوء ووزنه والكهرباء وهكذا

١٩٨ الانسان اليوم أكثره في جهالة (انظر هذا في كتابي أين الانسان)
١٩٩ (المقصد الثانى) - ألم ترى الى ربك - الى - أو أراد شكورا - قد كتب بالحرف الكبير مشكلا
٢٠٠ تفسير هذه الآيات تفسيراً لفظياً -

٢٠٣ هنا (أربع لطائف * اللطيفة الأولى) - ألم ترى الى ربك كيف مدّ الظل - وتقسيم الأجسام الى معتمة وشفافة ومضيئة كالأرض والهواء والشمس ومعنى الظلام والظل وما سببهما وأن الظل والظلام في العالم يقلان جدا وأن الكسوف والخسوف بسبب الظل القمرى والأرضى

٢٠٤ (اللطيفة الثانية) - وأنزلنا من السماء ماء طهورا - ويان أن الماء تظهر فيه الأجرام الفلكية وليس يفنى اذا امتصه النبات أو شربه الحيوان بل هو باق ويرجع ثانيا وهكذا والنفوس الانسانية أولى بالطهارة والصفاء حتى تقبل رسوم العقول للطافتها وأحقّ بالبقاء لشدة لطافتها وصفائها . ثم ان الماء كثير التصرف فهو في الأقطار الاستوائية تظهر فيه شهب وذوات أذنان وأقواس قزح وفي القطبين تظهر فيه عجائب وألوان وبدائع تقدم ذكرها وهكذا القرآن قد صرفه الله تصريف الماء من تغلغل في الحكم والمواعظ والأخبار الخ . هكذا الانسان فهو يتخيل ويفكر ويحفظ وينظر ويسمع ويمضغ ويهضم ويطبخ اللحم وهكذا وكل عمل من هذه بعضو خاص . فالنفس واحدة ولكن بالتصرف فيها كثرت أعمالها . هذه هى النفس وهذا هو القرآن وهذا هو الماء المذكورات في هذه الآيات

٢٠٧ (اللطيفة الثالثة) في قوله تعالى - الذى خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام - الخ وبيان

الحكمة في اختيار عدد (٦) مع ان العالم خلق في ملايين السنين فأى عدد ينطبق عليه . وبيان أن العدد (ثمان) زوج وفرد والأفراد إما أولية واما مركبة من ضرب أعداد فردية مثل (٥) ومثل (١٥) والأزواج كلها من ضرب عدد (٢) في كل عدد بعده مثل (٣) و (٤) و (٥) و (٦) وهكذا ثم العدد إما زائد واما ناقص واما كامل فالزائد مثل (١٢) لأن مضاربه تزيد عليه والناقص مثل (٨) لأن مضاربه تنقص عنه والكامل مثل (٦) ومثل (٢٨) لأن مضاربهما تساويهما . وبيان الجدول الذى استخرجه العلماء وفيه ظهر ان (٣٣) مليوناً ليس فيها إلا سبعة أعداد فقط كوامل والبقية إما زائدة أو ناقصة ، فاذن عدد (٦) اختير للإشارة الى أن العالم وضع على أكمل نظام لأن الكمال قليل في العدد

٢٠٩ أقسم الله بالعدد وهو الشفع والوتر وبالشمس والقمر الخ ولم تره أقسم بغسل الميت وتكفينه ولا بالحيف واليوسع والذى أقسم به الله شريف . إذن فلماذا لا يبحث المسلمون عنه وينصرفون الى غيره وهذا عجب فقد ألفوا في غسل الميت وتكفينه وأوسعوا . أما هذا فلا حكاية الشعبي لما أوفده عبد الملك بن مروان الى ملك الروم وسؤال الملك له عن نعيم الجنة كيف لا ينفد وعن الله كيف لا يكون قبله شئ وهكذا

رؤيا منامية للمؤلف إذ رأى أقواماً يسألونه في عدد (١) زيد عليه (٢) ثم (٢) وهكذا وهو لا يزال واحداً واجابة المؤلف في النوم بأن العدد الذى لانهاية له ليس له اسم فهو عدد واحد بخلاف غيره كاللثة والألف وبيان أن الشيخ حسن الطويل قال ان هذا الجواب تقريبى ثم تبيان أن علم ما وراء الطبيعة يفيد أن هذا الجواب فى المنام صحيح لأن الوحدة مساوقة للوجود فكل موجود كثيراً أو قليلاً يقال له واحد . وبيان أن المؤلف قبيل تفسير هذه الآية كانت تخطر له خواطر فى الأعداد الأولية والفردية والزوجية وانه لما وصل الى تفسيرها عرف أن المقصود هو المبحث العدى فى قوله - ستة أيام -

٢١١ (الجوهره الأولى) فى قوله تعالى - وهو الذى مرج البحرين - الخ . وبيان قول الله تعالى - يا حسرة على العباد - وذلك لاعراضهم عن آياته واستهزامهم بهامثل ما هنا من آيات البحار كالمرجان واللؤلؤ وهكذا

٢١٢ تعجب المؤلف من أمة الاسلام كيف يقوم (اللورد أفبرى) الانجليزى فيصف جبال الله فى هذه الطبيعة والمسلمون نائمون فأين حب الله إذن ؟ وذكر الشعر الذى فى كتاب اللورد المذكور خطاباً للبحر مثل * إن فى صدرك الرحيب رجالاً * الحيوانات فى البحار مثل الكاشولات ومثل الروركال

ويبلغ طول هذا (١٢٠) قدماً وذكر قرىص البحر الذى يغطى اميالاً من سطح البحر ٢١٣ الحشرات وبعض ذوات الثدى ثم الحيتان العظيمة . وطائر صوته كصوت الحمار . وبيان أن جبال البر قصر على السطح . أما جبال البحر فهو فى سطح الماء وفى وسطه وفى القاع وهناك سمك يعيش على عمق (٢٧٥٠) قامة وضوء الشمس لا يصل لأبعد من (٢٠٠) قامة

٢١٤ ومن السرطان ما يعيش قرب سطح الماء فتكون له عيون فاذا عاش فى عمق (١٠٠) قامة الى (٧٠٠) قامة فقد العميون . وكلما كان السمك أبعد عمقا كان أجل لونا وذلك اللون والنور يكون تحت سلطانه فاذا رأى فريسة أضاء بنوره ليراها أو عدواً مفاجئاً أطفأ نوره وقديوقد مصباحه ليرسل الضوء الى عدوه فيكأن سنا نوره يذهب ببصره فيفتر منه فهو يفعل فعل الظربان باطلاق رائحته على عدوه . وغفريت البحر له خيوط تضرب الى الحرة يستعملها حبال للصيد فتقوم مقام نسيج العنكبوت فى البر فاعليه

إلا أن يطلقها في الماء فتغتربها السمكات المسكينات فتظنها حشائش فتقترب منها فينتفض ذلك العفريت عليها فيقتنصها ، هذا اذا كان العفريت قريبا من السطح ، فأما في الاعمق فان تلك الخيوط تكون لماعة وبهذه الصفة تفترس السمكات

النباتات البحرية لا تعيش على أعماق من مائة قامة وقعر المحيط الاطلا انطبق يصل من (٤٠٠) الى (٢٠٠٠) قامة وهو مؤلف من مادة طباشيرية وأعظمها أصداف مهشمة وتحتها الصلصال والطين المائل الى الحمرة ثم البركانية . كرتنا يسقط عليها كل عام مائة ألف ألف شهاب . أقصى عمق البحار يشابه أعلى الجبال والبحر عمقه (٣٩٠٠) قامة ولم يصلوا للعمق الحقيقي وبعض البحار وصل عمقها (٥٢٧٠) قامة الجزائر (ثلاثة أقسام) قسم يفصله عن البر قليل من الماء كجزيرة سيلان ، وقسم هو جزائر بركانية وقسم هو جزائر مرجانية ، وهذه الأخيرة كثيرة جدا وأكثرها في المحيط الباسفيكي والهندي وهي تكون إما مستديرة بشكل الخاتم أو الحلقة وقد يكون في وسطها حوض ضارب ماؤه الى الصفرة والخضرة معا بخلاف الماء المحيط به فهو مائل الى السواد لقرط العمق . والسواحل رملية بيضاء غالبا وعليها نخيل (الشكولاته) وهناك جزائر (١٠٠.٠٠٠) جزيرة وجزائر ألف جزيرة

٢١٥ رسم المرجان بهيئة شجر ورسمه بصورة أخرى شكلا ٣٣ و ٣٤

٢١٦ ثم شكل ٣٥ فيه ثغور بسامة وما هي إلا تلك الحيوانات المرجانية . ثم (شكل ٣٦) وهو رسم جزيرة بركانية حلقية . ورسم ٣٧ جزء من جزيرة بركانية . ورسم (٣٨) جزيرة مرجانية

٢١٧ يزعم بنو آدم أنهم أحسن عملا من كل حيوان وفاتهم ان المرجان يصنع جزائر تعد بالآلاف سكن فيها الحيوان وعاش فيها النبات وهم لم يقدروا . البحر الملح وحكمة ما فيه من ذلك الملح التي لولاها لأن تن ماؤه بما فيه من الرم وحث الحيوانات المائية . ولقد جعل الله من هذا الماء الملح ماء عذبا استخرجه شعاع الشمس فعلا في الجو وحلا ثم نزل فصار أنهارا وجرى تحت الأرض ينابيع بعضها يكون تحت الماء الملح ويفصله طبقة من القاع . وهكذا تجد ما يشبه ذلك وهو أن الهواء تكون فيه أصوات الناس والحيوان والنبات ولا اختلاط لها كما لا اختلاط للروائح الساريات في الهواء ولا للصور الأشباح الساريات في الجو بمعونة ضوء الشمس . وليس يلتقطها إلا آلة التصوير بعد سينتها فترسم على اللوحة ورائها في خزانها المظلمة عند المصور الشمسي فهذا كله يشير له قوله تعالى - وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا - لطيفة في قوله تعالى - وهو الذي خلق من الماء بشرا - وقوله - ولقد صرفناه بينهم - وقوله - تبارك الذي جعل في السماء بروجا - والكلام على منظر رآه المؤلف من نور الشمس المشرق على سحاب ممتد من الغرب الى الشرق وقت الغروب كأنه جبال بينها يشبه الأودية الزرقاء (١٥) من شهر نوفمبر سنة ١٩٢٨ والناس لا يعقلون هذا المنظر . هكذا الحيوان فكأن تلك المناظر جنود مصطفة لملك عظيم الشأن وقد حيل بين الناس وبين أمثال هذا الجبال وما مناظر الليل والنهار إلا صور متحركة تمثل الجبال بأنواع من الحركات والجمهور عمن عن هذه المناظر الجميلة فلذلك عوضهم الله عن هذا الجبال الذي حرموا من منظره وهو أمامهم بالأعياد والمواسم التي يفرحون بها لقربها من عقولهم . أما أولوا الألباب فمناظر هذه الدنيا هي الأعياد الدائمة لهم لقربهم من ربهم ومعرفتهم بجمال صنعه . يرون الشمس تكسو الأرض جلبابا ذهبيا وتبرقع المزارع والهواء والجبل والماء والسحاب يبرقع خضراء وزرقاء وصفراء أوجراء وهذان وحدهما في الزهر . وترى أمواج البحر في خط الاستواء تنبعث منها هيئة قوس قزح والبرر اللامعات والملابس والبرجد الأخضر واللأزورد فاذا غربت الشمس تبدت تلك الحسان في جو

السما باسمات الثغور ويسدل الستار على الأرض وما عليها من جبل وزرع وبحر وتتجه العيون الى تلك المناظر البهجة والنجوم الساحرة الطرف البديعة والنقوش الغريبة والعرائس السافرات الضاحكات المستبشرات . فهذه روايات يمثلها الليل والنهار وأكثر الناس عنها محجوبون لهذا عوّضهم الله بأعيادهم كما قدمنا وبالصورة المتحركة التي اخترعها الناس في عصرنا لقصور عقولهم .

٢٢٠ هذه صور السماء التي يراها الحكماء فإذا رجعوا الى أنفسهم وجدوها أبدع من تلك المناظر السماوية والأرضية فإذا رأوا ابداع النقوش الأرضية والمناظر السحرية السماوية فانهم يرون ما هو ابداع في أجسامهم من أنواع الحواس التي قسمت هذه المناظر المذكورة عليها ليلا ونهارا ومن الأعضاء المختلفة في ظاهر الجسم وباطنه . ومن تلك الخلايا المتكاثرة التي كانت خلية واحدة فانقسمت اثنتين فأربعا الخ وهكذا حتى صارت جماعات متجاورات مقسمات الى أقسام كل قسم له عمل خاص وبهذه الأعمال المختلفة يتم نظام مجموع الجسم الانساني (وبعبارة أخرى) اننى أنا قد وجدت في جسمي أمما من الأحياء تعد بالآلاف المؤلفة وكلها مدججات بالسلاح وهي الكرات البيضاء التي تحارب الجنود الهاجة على جسمي لتهلكه ثم ان جنودى أنا تنقض على تلك الهاجة فهلكها وزداد بذلك قوة ومتى حصل في جسمي جرح بدخول الأجانب أسرع جنودى فتراكمت فيه لاهلاكهم فيكون هناك الورم فهذا الورم ما هو إلا القلعة الحصينة التي تحصنت فيها جنودى فأكلت الأعداء وجندائهم كما أكلت تلك الخلايا الفاسدة التي أفسدت تلك الجنود المحاربة . أفليست هذه المناظر عجيبة ليس يعقلها الانسان لولا أنها أصبحت منظورة رأى العين . أفليست تلك الروايات المشخصات في جسمي أعجب من الروايات المشخصات بالليل والنهار بواسطة غروب الشمس وشروقها والليل والنهار . هكذا جهمك وأجسام جميع الناس والحيوان

٢٢١ منظر الخلية في ثانية واحدة اذ تطورت سبع مناظر (شكل ٣٩)

٢٢٢ وهذه الخلية التي تعيش في البرك مشابهة للخلية التي تعيش في دمنا وكلاهما لها حياة مستقلة . لجميع جنود أجسامنا مستقلة أفرادها استقلال هذه الخلية في البرك وهي أب كل كائن حي وقد وجدوها أنواعا شتى وهذه الخلية أو (البروتوبلاسم) متى صادفت ذرة من النبات أكلتها وهضمتها فلا فرق بينها وبين الحيوان المعروف أكلها وهضمها وحركة وهكذا . ثم إن الكرات البيضاء المشابهة لهذه العائشة في أجسامنا كانت معروفة قبل أيام (باستور) فلما ظهر هو كشف لنا (عالم المكروب) وما هو إلا كرات مثل هذه تكون أسباب الحمى والجدرى وغيرها ومنها ينشأ الورم الخ (شكل ٤٠) صورة ظهرت فيها الكرات البيضاء في أجسامنا وهي تنغذى بمكروب (الدفتريا) ومكروب (الستربتوكوك) ومكروب الحمى الراجعة ومكروب (الكوليباسيل) ومكروب (الانتراكس)

٢٢٣ جوهره في قوله تعالى - وهو الذى خلق من الماء بشرا - وأن المصلى في ركوعه وسجوده إذ يقول (خضع لك سمعى وبصرى) وإذ يقول (سجد وجهى للذى خلقه وصوره) انتقل من الحق الى الخلق إذ يسبح أولا ثم يفصل أعضائه المشتملة على هذه الجماعات من الحويصلات والجماعات من الجنود الحاميات لها . فأما الفيلسوف فانه ينتقل من الخلق الى الحق

٢٢٤ يذكر الراى جماعات الحواس وهكذا الساجد ثم جماعات الأعضاء المتضامنة ويمثل الأولين جماعات الحكام فى الأم وتمثل الأخرى جماعات الأم المحكومة . الكلام على حياة الخلية الواحدة وعلى الوجود التضامنى وعلى أساس الحياة ؟ من أين تولد الخلية . الجسم والروح من كلام السير (أوليفر لودج) وأن كل روح أوتيت قوة إلهية بها كان جسمها انسانا أو قردا الى آخره وهذا عجب

٢٢٥ ان ما ذكره اللورد (أوليفر لودج) من حيث تصرف الروح في الجسم وانها لم تصرف فيه إلا بحكمة فلم تضع صورة حيوان موضع صورة الانسان مثلاً سير من الخلق الى الحق والمصلى في سجوده وركوعه إذ يذكر نعمة السمع والبصر بعد التسبيح يرجع من الحق الى الخلق وما فعله اللورد (أفبري) هو ما فعله حكماء اليونان فان (تاليس) اليوناني و (أنكسيما نيس) و (ديموقراطيس) والسوفسطائية (وفيناغورس) و (أنبذوقلس) و (أنكساغورس) و (سقراط) و (أفلاطون) و (أرسطو) ساروا في مباحثهم هكذا أصل العالم (الماء . الهواء . الجزء الذي لا يتجزأ . ليس هناك حقيقة ولا علم . أصل العالم العدد . أصل العالم المحبة والعداوة . للعالم إله ولكنه حركة وتركه . للعالم إله وهو القائم بصغيره وكبيره وهو منظمه) فهذه آراؤهم على الترتيب من أدنى الى أعلى والرأى الأخير اشترك فيه الثلاثة المتأخرون ، وهذه الآراء لم يخرج عن واحد منها ملحد ولا موحد في أوروبا والشرق الآن والمصلى في الفاتحة والتشهد سار على عكس سير الفلاسفة

٢٢٨ لطيفة في قوله تعالى - تبارك الذي جعل في السماء بروجا - الخ وشعر المعرى * كأن سهيلاً الخ * وشعره أيضاً * سقتها الرياح الخ * خطاب الله للنجوم الجيلات وتسمية الأمم لها بأسماء تناسب عقولهم مثل أهل الهند والصين والعرب وأهل اسكندينا فيا والاسكيمو ، والكلام على غرام قدماء المصريين بجمال النجوم حتى جعلوا الهرم بناءه على مقتضى كوكب الشعرى ، وانهم لتعظيمهم لله ظنوا أن الرقص حول ألياً كل كسيرا الكواكب حول الشمس وأن رقصهم لم يكن للخلاعة واللهو بل كان تديناً وهم يكتمونونه عن غيرهم وفيه احتفالهم بعيد المعبودة (ديان) بمدينة بويست ، ومقال بطريق الاستطراد في الرقص عندهم في أفراحهم وأعيادهم ، وأن الترد عند لاعييه جاء على مقتضى الكواكب السبعة المعروفة عند الأمم قديماً وهي الرموز لها بالنقط السبعة في الوجهين المتقابلين لحجرى الترد المسميين بالزهر

٢٣٢ آراء (أديسن) في جسم الانسان وانه مركب من خلايا تعقل وتذبذباً كثر من الانسان وأن الحياة أنت من عالم غير عالمنا وأن والده سم الحياة لا لمرض ثم مات بعد ثلاثة أيام

٢٣٣ (بهجة السموات) كيف تعرف صور النجوم السماوية . وصف السماء . الصور السماوية . النجوم المشهورة . الاحصائيات . الكرات السماوية . كيف تصنع الكرات والخرط السماوية بحيث تجعل نجمة القطب مبدأ وترسم دائرة المعدل والدوائر الموازية لها ثم دوائر تدل على دوائر الميل . عد بطليموس (٤٨) صورة ٢١ في الشمال و (١٥) في الجنوب و (١٢) في الوسط

الكلام على النجوم المنظورة وعدد ما يرى بالعين وانه (٤١٠٠) وقد وصل العدد الى (٦٠٠٠) نجمة وبالنظارات نيف و (٢٠) مليون نجمة . وبيان أن أضواء النجوم (٢٠) نجمة . وبيان أقدارها الست بالعين والخمسة عشر بالنظارات (شكل ٤١) الدب الأكبر والدب الأصغر وذات الكرسي

٢٣٦ (شكل ٤٢) مربع الفرس الأعظم . المرأة المسلسلة . برشاوش الغول (شكل ٤٣) الشعرى الشامية القلب . الشجاع . السماك الأعزل . السماك الراح . العواء . أم الشعر . قلب الأسد . رأس التوأم الخ (شكل ٤٤) (الجل . الثور . الجوزاء . الجبار . رجل الجبار . العضا) وهكذا (شكل ٤٥) الكلب الأصغر الخ

٢٣٨ (شكل ٤٦) السماك الراح . العواء . الاكليل الشمالى . هذا هو الذى تعلمناه قبل (٤٠) سنة ولكن علم الفلك في هذه المدة زاد أضعافاً كثيرة جداً فلذلك نذكر ما جاء في عصرنا وهو ما وراء المجرة . العوالم

الجزرية ، وذكر أن أرضا اذا كانت جوهرها فردا يكون العالم ألف مليون أرض . إن من السدم ما يبعد عنا مائة مليون من سنى النور وهناك سدم تعد بالآلاف . ومن السدم ما يستغرق في سيره (١٧) مليون سنة للدوران على نفسه مرة واحدة

﴿ تذكرة ﴾ في تسهيل معرفة الأشكال السابقة . وبيان أن بنات نعش معروفة عند العامة . ومنها يعرف القطب وما بعده من الصور

٢٤٣ (بهجة العلم . إيضاح مسألة النور) وأن الناس اليوم يريدون تحويل الحرارة الى النور وأن الله فعل ذلك في شموسه التي كشفت حديثا

٢٤٤ لطيفة في قوله تعالى أيضا - تبارك الذي جعل في السماء بروجا - الخ وبيان أن أصول الحياة من الشمس والناس غافلون . وذكر أن المصريين أمة زراعية فحبوا سير الشمس واليهود والعرب اكتفوا بالأشهر القمرية لعدم اعتمادهم على الزرع . والكلام على يوليوس قيصر لما عدل بأمره الفلكي (سويجنس) وهذا التعديل المصري قد أصلحه بعد ذلك البابا (غريغورس) إذ رأى أن (سويجنس) جعلها أطول من حقيقتها (١١) يوما ودقائق فعدل وجرى عليه قوم وخالفه القطب بمصر ذكر تقويم المكسيكيين

٢٤٥ ﴿ المقصد الثالث ﴾ - وعباد الرحمن - قد كتب مشكلا الى آخر السورة وتفسيره اللفظي

٢٤٧ جوهرة في جلال القرآن في قوله تعالى - والذين اذا ذكروا بآيات ربهم - الخ ومناجاة المؤلف لله وتجنبه من أنه أقسم بمخلوقاته من شمس وقمر الخ والقسم تشريف لحث العباد على معرفة المقسم به فعموا وصموا وقد اختص المسلمون وتشعبت مذاهبهم وفرحوا بقليل من العلم وجهلوا نعمه

٢٤٨ فصوص الحكم في هذه الآيات

٢٤٩ في هذه الآيات ﴿ ثمان خصال ﴾ ترجع اسكون النفس وهدوئها ﴿ وخصلتان ﴾ ترجعان للتذكير بالله فهذه مقتلمات عشرة للعلم والعرفان . إن هنا سرا قد ظهر في هذا الزمان وهو تقديم آية عدم الاشراك بالله على آية - واذا ذكروا بآيات ربهم - الخ مع ان الظاهر كان يقتضى العكس وذلك أن المسلم اذا لم يشرك بالله وفعل الصالحات يظن أنه أرضى ربه فقال الله له لا يا عبدى أنا لا أرضى عنك اذا سمعت آياتي وكنت عنها أصم وآيات الله هي العلوم كلها فجردت الايمان لا يغنى عن ذلك وهذا شأن المسلمين الآن يغفرون التوحيد ويقولون كفانا وما يكفي بل لا بد من العلوم . ملخص السورة كلها هذه الآيات هنا . وملخص هذه السورة اظهار علماء في بلاد الاسلام يقرؤون العلوم كلها

٢٥١ الجنة ﴿ قسمان ﴾ أعلى وأدنى . فالجنة الحسية للجهلاء وجنة العلم للحكماء وهذا تقدم في سورة البقرة عن الامام الغزالي ﴿ بلاغة القرآن ﴾ . ﴿ ياقوته ﴾ في معنى قوله تعالى في هذه الآيات - والذين اذا ذكروا بآيات ربهم - الخ وبيان أن في القرآن (٧٥٠) آية للتذكير بآيات الله في السموات والأرض ومثلها عددا في علم الأخلاق ولكن آيات العبادة أقل

٢٥٢ بيان أن الآيات التي اختارها الصالحون للقراءة كآية الكرسي وما أشبهها روضات الجنات فهي سعادة لفظية للصالحين وهي سعادة للمفكرين ومنها هنا ﴿ ثمان خصال ﴾ نظام الظلال ونظام الليل والنهار ونظام السحب والأمطار والماء الطهور ثم نظام الشمس ونظام القمر الخ . هذا تذكير لفظي وهناك تذكير فعلي بانزال المنذرات لهم على يد الحوادث الزمنية والله الأمر من قبل ومن بعد والحمد لله رب العالمين

صحيح البخاري

قد اتفق علماء أهل السنة في مشارق الارض ومغاربها على أن كتاب صحيح الامام البخاري أصبح كتب الحديث الشريف ولما كانت نسخه المتعددة الطباعات نفذت وأصبحت نادرة الوجود قد استخرنا الله سبحانه وتعالى وطبعناه طبعة متقنة بشكل لم يسبق له مثيل على ورق جيد وحرف جليّ واضح مضبوط بالشكل الكامل لسهولة القراءة فيه

وقد صحح بناية الاعتناء بمعرفة لجنة من العلماء معتمدين على النسخة « اليونانية » التي انتقاها المغفور له « السلطان عبد الحميد خان » وأجمع على صحتها أكابر علماء الأزهر الشريف . وقسمناها الى تسعة أجزاء لسهولة التلاوة فيه فجدير بكل مسلم اقتناء هذا الأثر النبوي الشريف

ويطلب من مكتبتنا ومن جميع المكاتب الشهيرة